كتاب الأغاني

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦هـ - ٩٧٦م

تحقيق

الدكتور إحسان عباس

الدكتور إبراهيم السعافين

الأستاذ بكر عباس

المجلد الرابع

دار صادر

بيروت

كتاب الأغاني

4

الطبعة الأولى

1423هـ - 2002 م

الطبعة الثانية

1426هـ - 2005م

الطبعة الثالثة

1429هـ - 2008م



تأسست سنة 1863

ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان

© DAR SADER *Publishers*

P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270
e-mail: dsp@darsader.com
http: www.darsader.com

KITĀB AL-AGHĀNĪ 1/25
(Abu al-Faraj al-Isphahānī)

ISBN 9953-13-045-0

[43] ـ ذكر نسب أبي العتاهية وأخباره[1]

سوى ما كان منها مع عتبة ، فإنّه أُفرد لكثرة الصنعة في تشبيبه بها ، وأنّـها اتّسعت جدّاً فلم يصلح ذكرها هنا ، لئلاّ تنقطع المائة الصوت المختارة ، وهي تذكر في موضع آخر إن شاء الله تعالى .

[اسمه ولقبه وكنيته ونشأته]

أبو العتاهية لقبٌ غلب عليه ، واسمه إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كَيْسان ، مولى عَنَزة ، وكنيته أبو إسحاق . وأُمّه أُمّ زيد بنت زياد المُحاربيّ مولى بني زُهرة ؛ وفي ذلك يقول أبو قابوس[2] النصرانيّ وقد بلغه أنّ أبا العتاهية فضَّل عليه العتَّابي : [من مجزوء الكامل]

قُـلْ لِلمُكَنّـي نفسَه ... مُتَخَيِّـراً بعَتاهِيَـهْ
والمرسِلِ الكَلِـمَ القبيـ ... ـحَ وعَتْـه أُذْنٌ واعيهْ
إن كنتَ سِرّاً سؤتَني ... أو كان ذاك عَـلانيهْ
فعليكَ لعنةُ ذي الجلا ... لِ وأُمُّ زيـــدٍ زانيهْ

ومنشؤه بالكوفة . وكان في أوّل أمره يتخنّث ويحمل زاملةَ المخنّثين ، ثم كان يبيع الفَخَّار بالكوفة ، ثم قال الشعر فبرع فيه وتقدّم .

[شاعريته]

ويقال : أطبع الناس بشّار والسيّد[3] وأبو العتاهية . وما قدَر أحدٌ على جمع شعر هؤلاء الثلاثة لكثرته . وكان غزير البحر ، لطيف المعاني ، سهل الألفاظ ، كثير الافتنان ، قليلَ التكلّف ، إلاّ أنّه كثير الساقط المرذول مع ذلك . وأكثر شعره في الزهد والأمثال . وكان قوم

---

1 ترجمة أبي العتاهية في الشعر والشعراء 675- 679 وطبقات ابن المعتزّ : 228 ومعاهد التنصيص 2 : 285 وشذرات الذهب 2 : 25 ووفيات الأعيان رقم 94 وتاريخ بغداد 6 : 25 والموشّح : 254 وانظر بروكلمان 2 : 34-36 وله ترجمة مهمّة أوردها ابن العديم في بغية الطلب استمدّها من عدّة مصادر بعضها لم يصلنا مثل المستنير في أخبار الشعراء للمرزباني وأخبار أبي العتاهية للآمدي وأخبار أبي العتاهية لابن عمّار . وهذه الترجمة نشرها إحسان عبّاس في مجلّة دراسات التي تصدر عن الجامعة الأردنية ، المجلّد 15 (7 : 70-91) 1988 وهي التي نشير إليها في الحواشي . وديوانه الذي نعتمده هنا هو الذي عني بجمعه وتحقيقه د . شكري فيصل ، مطبعة جامعة دمشق ، 1965 وطبعة دار صادر ، 1964 . وقد أورد ابن حمدون في التذكرة نتفاً من أخباره وشعره في نحو ثلاثين فقرة .

2 ل : فارس .

3 يعني السيد الحميري .

من أهل عصره ينسبونه إلى القول بمذهب الفلاسفة ممّن لا يؤمن بالبعث ، ويحتجّون بأنّ شعره إنّما هو في ذكر الموت والفناء دون ذكر النُّشور والمَعاد . وله أوزان طريفة قالها ممّا لم يتقدّمه الأوائلُ فيها . وكان أبخَل الناس مع يَساره وكثرة ما جمعه من الأموال .

[كنيته]

حدّثني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال أخبرني محمد بن موسى بن حمّاد قال : قال المهديّ[1] يوماً لأبي العتاهية : أنت إنسانٌ مُتحذلِق مُعَتَّه[2] . فاستوتْ له من ذلك كنية غلبت عليه دون اسمه وكنيته ، وسارت له في الناس . قال : ويقال للرجل المتحذلق : عتاهية ، كما يقال للرجل الطويل : شَناحِية . ويقال : أبو عتاهية ، بإسقاط الألف واللام .

قال محمد بن يحيى وأخبرني محمد بن موسى قال أخبرني ميمون بن هارون عن بعض مشايخه قال : كُني بأبي العتاهية أنْ كان يحبّ الشهرة والمُجون والتعتُّه . وبلدُه الكوفة وبلد آبائه ، وبها مولده ومنشؤه وباديتُه .

[قول ابنه إنّهم من عنزة]

قال محمد بن سَلاَّم : وكان محمد بن أبي العتاهية يذكر أنّ أصلَهم من عَنَزة ، وأنّ جَدّهم كَيْسان كان من أهل عَيْن التَّمْر ، فلمّا غزاها خالد بن الوليد كان كَيْسان جَدُّهم هذا يتيماً صغيراً يكفُله قَرابةٌ له من عَنَزة ، فسباه خالد مع جماعة صبيان من أهلها ، فوجّه بهم إلى أبي بكر ، فوصلوا إليه وبحضرته عبّاد بن رِفاعة العَنَزيّ بن أَسَد بن ربيعة بن نِزار ، فجعل أبو بكر رضي الله عنه يسأل الصبيان عن أنسابهم فيُخبره كلٌّ واحد بمبلغ معرفته ، حتى سأل كَيْسان ، فذكر له أنّه من عَنَزة . فلمّا سمعه عبّاد يقول ذلك استوهبه من أبي بكر رضي الله عنه ، وقد كان صار خالصاً له ، فوهبه له ؛ فأعتقه ، فتولّى عَنَزَة .

[استعداؤه مندل بن علي وأخاه على من سبه بأنّه نبطي]

أخبرني محمد بن عِمران الصَّيرفيّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيل العَنزيّ قال حدّثنا أحمد بن الحجّاج الجَلاَّني الكوفيّ قال حدّثني أبو دُوَيل مُصْعَب[3] بن دُوَيل الجَلاَّني ، قال : لم أَرَ قطُّ مَنْدَل بن عليّ العَنَزيّ وأخاه حَيَّان[4] بن عليٍّ غضِبا من شيء قطُّ إلاّ يوماً واحداً ، دخل عليهما أبو العتاهية وهو مُضَمَّخ بالدماء . فقالا له : ويحك ؛ ما بالك ؟ فقال لهما : من أنا ؟ فقالا له :

1 ابن العديم في دراسات : 49 (الفقرة 11) .

2 ل وابن العديم : مُتَعَتِّه .

3 ل وابن العديم : صعب .

4 ل وابن العديم : حبان ؛ وانظر الفقرة 9 من ابن العديم .

أنت أخونا وابن عمّنا ومولانا . فقال : إنّ فلاناً الجزّار قتلني وضربني وزعم أنّي نَبَطِيّ ، فإن كنتُ نبطيّاً هربت على وجهي وإلاّ فقوما فخُذا لي بحقّي . فقام معه مندل بن عليّ وما تعلّق نعله غضباً ؛ وقال له : والله لو كان حقُّك على عيسى بن موسى لأخذتُه لك منه ؛ ومرّ معه حافياً حتى أخذ له بحقّه .

أخبرني الصُّوليّ قال حدّثنا محمد بن موسى عن الحسن بن عليّ عن عمر بن معاوية عن جُبارة [1] بن المُغَلِّس الحِمَّانيّ قال : أبو العتاهية مولى عَطاء بن مِحجن العَنَزيّ .

[صنعة أبي العتاهية وصنعة أهله]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويَه قال قال أبو عَوْن أحمد بن المُنجِّم أخبرني خِيارٌ الكاتب قال : كان أبو العتاهية وإبراهيم الموصليّ من أهل المَذار[2] جميعاً ، وكان أبو العتاهية وأهلُه يعمَلون هذه الجِرار الخُضْر ، فقدما إلى بغداد ثم افترقا ؛ فنزل إبراهيم الموصليّ ببغداد ، ونزل أبو العتاهية الحيرةَ . وذُكر عن الرِّياشيّ أنّه قال مثل ذلك ، وأنّ أبا أبي العتاهية نقله إلى الكوفة .

قال محمد بن موسى : فولاءُ أبي العتاهية من قِبَل أبيه لعَنَزة ، ومن قِبَل أُمّه لبني زُهرة ، ثم لمحمد بن هاشم بن عُتبة بن أبي وَقّاص ، وكانت أُمّه مَولاةً لهم ، يقال لها أُمّ زيد .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن مَهْرُويَه قال : قال الخليل بن أسد : كان أبو العتاهية يأتينا فيستأذن ويقول : أبو إسحاق الخَزّاف . وكان أبوه حجّاماً من أهل ورجة ؛ ولذلك يقول أبو العتاهية[3] : [من الطويل]

أَلا إنّما التَّقْوى هــو العزّ والكَرَمْ ... وحُبُّك للدّنيا هـو الفقــر والعَدَمْ
وليس عــلى عبـدٍ تَقِــيٍّ نقيصةٌ ... إذا صحّح التّقوى وإن حاك أو حَجَمْ

[فاخره رجل من كنانة]

حدّثني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثنا الغَلابيّ قال حدّثنا محمد بن أبي العتاهية قال : جاذب رجلٌ من كِنانةَ أبا العتاهية في شيء ، ففخَر عليه الكِنانيّ واستطال بقوم من أهله ؛ فقال أبو العتاهية : [من الرجز]

دَعْنِيَ من ذِكْـر أبٍ وجَدِّ ... ونَسَبٍ يُعْليكَ سُورَ المجدِ

1 ل : محمد بن معاوية عن جنادة بن المغلّس .

2 المذار : بين واسط والبصرة .

3 ابن العديم في دراسات : 52 (الفقرة 17) .

ما الفخرُ إلاّ في التُّقى والزُّهدِ ... وطاعةٍ تُعطي جنان الخُلْدِ
لا بُدَّ من وِرْدٍ لأهلِ الوِردِ ... إمّـا إلى ضَحْلٍ وإمّـا عِدِّ[1]

[آراؤه الدينية]

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثنا محمد بن موسى عن أحمد بن حرب قال : كان مذهب أبي العتاهية القول بالتوحيد ، وأنّ الله خلق جوهرين متضادّين لا من شيء ، ثم إنّه بَنى العالَم هذه البِنْية منهما ، وأنّ العالَم حديثُ العين والصّنعة لا مُحدِثَ له إلاّ اللهُ . وكان يزعم أنّ الله سيرُدّ كلّ شيء إلى الجوهرين المتضادّين قبل أن تَفْنى الأعيانُ جميعاً . وكان يذهب إلى أن المعارف واقعةٌ بقَدْر الفكر والاستدلال والبحث طِباعاً . وكان يقول بالوعيد وبتحريم المكاسب ، ويتشيّع بمذهب الزّيدية البُتْريّة المبتدِعة ، لا يتنقَّص أحداً ولا يرى مع ذلك الخروج على السلطان . وكان مُجَبِّراً .

[مناظرته لثمامة بن أشرس]

قال الصُّولي : فحدّثني يموت بن المُزَرِّع قال حدّثني الجاحظ قال : قال أبو العتاهية لثُمامة بين يدَي المأمون ، وكان كثيراً ما يعارضه بقوله في الإجبار : أسألك عن مسألة . فقال له المأمون : عليك بشعرك . فقال : إنْ رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في مسألته ويأمرَه بإجابتي ؛ فقال له : أجِبْه إذا سألك . فقال : أنا أقول : إنّ كلّ ما فعله العباد من خيرٍ وشرّ فهو من الله ، وأنت تأبى ذلك ، فمن حرّك يدي هذه ؟ وجعل أبو العتاهية يحرّكها . فقال له ثُمامة : حرّكها مَنْ أُمّه زانية . فقال : شتمني والله يا أمير المؤمنين . فقال ثمامة : ناقض الماصُّ بَظْر أُمّه والله يا أمير المؤمنين ؛ فضحك المأمون وقال له : ألم أقل لك أن تَشْتَغِل بشِعرك وتدعَ ما ليس من عملك ! قال ثمامة : فلقيني بعد ذلك فقال لي : يا أبا مَعْن ، أما أغناك الجواب عن السَّفَه ؟ فقلت : إنّ من أتمّ الكلامِ ما قطع الحجّة ، وعاقبَ على الإساءة ، وشَفى من الغيظ ، وانتصَر من الجاهل .

قال محمد بن يحيى وحدّثني عَون بن محمد الكِنْدِيّ قال : سمعتُ العبّاس بن رُسْتَم يقول : كان أبو العتاهية مُذَبْذَباً في مذهبه : يعتقد شيئاً ، فإذا سمع طاعِناً عليه ترك اعتقاده إيّاه وأخذ غيره .

[اعترض عليه أبو الشمقمق في ملازمة المخنّثين]

حدّثني أحمد بن عُبَيد الله بن عَمّار قال حدّثني ابن أبي الدنيا قال حدّثني الحسين بن عبد ربّه قال حدّثني عليّ بن عبيدة الرَّيحانيّ قال حدّثني أبو الشَّمقمق : أنّه رأى أبا العتاهية يحمل زاملةَ المُخَنَّثين ، فقلت له : أمِثْلُك يضع نفسه هذا الموضعَ مع سِنّك وشعرك وقدرك ؟ !

1 العد : الماء الجاري .

فقال له : أُريد أن أتعلَّم كِيادَهم ، وأتحفَّظ كلامهم .

[حاوره بشر بن المعتمر في صنعة الحجامة]

أخبرني عيسى بن الحسين الوَرّاق قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : ذكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل أنّ بِشْر بن المُعْتَمِر قال يوماً لأبي العتاهية : بلغني أنّك لمّا نَسَكْتَ جلستَ تحجُم اليتامى والفقراء للسبيل ، أكذلك كان ؟ قال نعم . قال له : فما أردتَ بذلك ؟ قال : أردتُ أن أضع من نفسي حَسَبَما رفعتْني الدنيا ، وأضعَ منها ليسقُط عنها الكِبْر ، وأكتسِب بما فعلتُه الثواب ، وكنت أحجِم اليتامى والفقراء خاصّة . فقال له بشر : دَعني من تذليلك نفسَك بالحِجامة ؛ فإنّه ليس بحُجّة لك أن تؤدّبها وتُصلِحها بما لعلّك تُفسد به أمرَ غيرك ؛ أُحبّ أن تُخبرني هل كنتَ تعرف الوقت الذي كان يحتاج فيه من تحجُمه إلى إخراج الدم ؟ قال لا . قال : فهل كنت تعرف مقدار ما يحتاج كلّ واحد منهم إلى أن يُخرجه على قَدْر طبعه ، ممّا إذا زدتَ فيه أو نقصتَ منه ضَرّ المحجومَ ؟ قال لا . قال : فما أُراك إلاّ أردتَ أن تتعلّم الحِجامة على أقْفاء اليتامى والمساكين !

[أراد حمدويه صاحب الزنادقة أخذه فتستر بالحجامة]

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثنا أبو ذَكْوان قال حدّثنا العبّاس بن رُسْتَم قال : كان حَمدُويه صاحب الزنادقة قد أراد أن يأخذ أبا العتاهية ، ففزع من ذلك وقعَد حجّاماً .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهرويَه قال : قال أبو دِعامة عليّ بن يزيد : أُخبر يحيى بن خالد أنّ أبا العتاهية قد نَسَك ، وأنّه جلس يحجُم الناس للأجر تواضعاً بذلك . فقال : ألم يكن يبيع الجِرار قبل ذلك ؟ فقيل له بلى . فقال : أما في بَيْع الجِرار من الذُّلّ ما يكفيه ويَسْتغني به عن الحجامة ؟

[جوابه عن خلق القرآن]

أخبرني محمد بن يحيى قال حدّثني شيخ من مشايخنا قال حدّثني أبو شُعَيب صاحب ابن أبي دُواد قال : قلت لأبي العتاهية : القرآن عندك مخلوقٌ أم غير مخلوق ؟ فقال : أسألتَني عن الله أم عن غير الله ؟ قلت : عن غير الله ، فأمسك . وأعدتُ عليه فأجابني هذا الجواب ، حتى فعل ذلك مراراً . فقلت له : ما لك لا تُجيبني ؟ قال : قد أجبتُك ولكنّك حمار .

[أوصافه وصناعته]

أخبرني محمد بن يحيى قال حدّثنا شيخ من مشايخنا قال حدّثني محمد بن موسى قال[1] : كان أبو العتاهية قَضِيفاً ، أبيض اللون ، أسود الشعر ، له وَفْرة جَعدة ، وهيئة حسنة ولَباقة وحَصافة ،

1 صفة أبي العتاهية في ابن العديم – دراسات : 50 (الفقرة 5) .

وكان له عَبِيد من السُّودان ، ولأخيه زيدٍ أيضاً عبيدٌ منهم يعملون الخَزَف في أَتُون لهم ؛ فإذا اجتمع منه شيء أَلقَوْه على أجير لهم يُقال له أبو عباد اليزيديّ من أهل طاق الجِرار بالكوفة ، فيبيعه على يديه ويردّ فضلَه إليهم . وقيل : بل كان يفعل ذلك أخوه زيد لا هو ؛ وسُئل عن ذلك فقال : أنا جرّار القوافي ، وأخي جَرّار التّجارة .

قال محمد بن موسى : وحدّثني عبد الله بن محمد قال حدّثني عبد الحميد بن سريع مولى بني عِجْل قال : أنا رأيت أبا العتاهية وهو جرّار يأتيه الأحداث والمتأدّبون فيُنشِدُهم أشعاره ، فيأخذون ما تكسّر من الخَزَف فيكتبونها فيها .

[كان يشتم أبا قابوس ويفضل عليه العتابيّ]

حدّثني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثني عون بن محمد الكِنديّ قال حدّثني محمد بن عمر الجُرْجانيّ قال : لمّا هاجى أبو قابوس النصرانيّ كُلثوم بن عمرو العَتّابيّ ، جعل أبو العتاهية يشتُم أبا قابوس ويَضع منه ، ويُفَضِّل العَتّابيّ عليه ؛ فبلغه ذلك فقال فيه : [من مجزوء الكامل]

قُـلْ للمُكَنِّـي نفسَه ... مُتخيِّـراً بعتـاهيهْ

والمرسِل الكَلِـمَ القبيـ ... ـحَ وعَتْه أُذْنٌ واعيهْ

إن كنتَ سرّاً سؤتَني ... أو كان ذاك عَلانيـهْ

فعليك لعنةُ ذي الجلا ... لِ وأمّ زيـدٍ زانيـهْ

يعني أُمَّ أبي العتاهية ، وهي أُمّ زيد بنت زياد ، فقيل له : أتشتُم مسلماً ؟ فقال : لم أشْتُمه ، وإنّما قلت :

فعليك لعنـةُ ذي الجلا ... لِ ومَـنْ عَنَيْنـا زانيهْ

[هجاه والبة بن الحباب]

قال : وفيه يقول والِبَةُ بن الحُباب وكان يُهاجيه : [من الخفيف]

كان فينا يُكْنى أبا إسحاقِ ... وبها الرّكْبُ سارَ في الآفاقِ

فتكنَّـى مَعْتُوهُنـا بعَتـاهٍ ... يـا لهـا كُنْيَةً أتت باتّفاقِ

خلقَ اللهُ لِحْيَةً لك لا تنـ ... ـفكّ معقودةً بداء الحُلاقِ

[قصّته مع النوشجاني]

أخبرنا محمد بن مَزْيَد بن أبي الأزهر قال حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال حدّثنا النُّوشَجانيّ قال : أتاني البوّاب يوماً فقال لي : أبو إسحاق الخزّاف بالباب ؛ فقلت : ائْذَن له ، فإذا أبو العتاهية قد دخل . فوضعت بين يديه قِنْوَ مَوْزٍ ؛ فقال : قد صِرْتَ تقتل العلماء بالموز ، قتلتَ أبا عُبيدة

بالموز ، وتريد أن تقتلني به ! لا والله لا أذوقه . قال : فحدّثني عُروة بن يوسف الثَّقفيّ قال : رأيت أبا عبيدة قد خرج من دار النُّوشَجانيّ في شِقّ مَحْمِل مُسَجًّى ، إلاّ أنّه حيّ ، وعند رأسه قِنْوُ موز وعند رجليه قِنْوُ موز آخر ، يُذهَب به إلى أهله . فقال النُّوشَجانيّ وغيرُه : لمّا دخلنا عليه نعوده قلنا : ما سبب عِلّتك ؟ قال : هذا النُّوشَجانيّ جاءني بمَوز كأنّه أُيُور المساكين ، فأكثرتُ منه ، فكان سبب عِلّتي . قال : ومات في تلك العِلّة .

[رأي مصعب بن عبد الله في شعره]

أخبرني الحسن بن عليٍّ قال حدّثنا أحمد بن زهير قال : سمعتُ مُصْعَب بن عبد الله يقول : أبو العتاهية أشعرُ الناس . فقلت له : بأيّ شيء استحقّ ذلك عندك ؟ فقال : بقوله[1] : [من الهزج]

تَعَلّقتُ بآمالٍ طِوالٍ أيِّ آمالِ
وأقبلتُ على الدّنيا مُلِحّاً أيَّ إقبالِ
أيا هذا تَجَهَّزْ لـ ـفراق الأهل والمالِ
فلا بدَّ من الموتِ على حالٍ من الحالِ

ثم قال مُصعب : هذا كلامٌ سهلٌ حقٌّ لا حشو فيه ولا نُقصان ، يعرِفه العاقل ويُقِرّ به الجاهل .

[استحسن الأصمعيّ بعض شعره]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا الرِّياشيّ قال : سمعتُ الأصمعيّ يستحسن قول أبي العتاهية[2] : [من مجزوء الرمل]

أنتَ ما استغنيتَ عن صا حبك الدهرَ أخوه
فإذا احتجتَ إليه ساعةً مجّك فُوه

[سلم الخاسر يعتبره أشعر الجنّ والإنس]

حدّثنا محمد بن العبّاس اليزيديّ إملاءً قال حدّثني عمّي الفَضْل بن محمد قال حدّثني موسى بن صالح الشَّهْرَزُوريّ قال[3] : أتيتُ سَلْماً الخاسِر فقلت له : أُنشِدني لنفسك . قال : لا ، ولكن أُنشدك لأشعر الجنّ والإنس ، لأبي العتاهية ، ثم أنشدني قوله[4] : [من المديد]

1 ديوان أبي العتاهية : 305 (رقم 316) .
2 البيتان في بخلاء الجاحظ : 166 .
3 قارن بابن العديم – دراسات : 50 (الفقرة 14) .
4 ديوان أبي العتاهية : 361 (رقم 368) .

صوت

سَكَنٌ يبقى لـه سَكَنُ ... مـا بهـذا يُؤذِن الزَّمنُ
نحــن في دارٍ يُخَبِّرنـا ... ببِلاهــا ناطــقٌ لَسِنُ
دار سَوء لم يَـدُمْ فَرَحٌ ... لامرىءٍ فيها ولا حَزَنُ
في سبيــلِ اللهِ أنفسُنا ... كلُّنا بالمــوتِ مُرتَهنُ
كلُّ نفسٍ عنـد مِيتَتِهـا ... حظُّها من مالها الكَفَنُ[1]
إنّ مـالَ المرء ليس لـه ... منـه إلاّ ذكـرُه الحسنُ

فأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثني محمد بن القاسم قال حدّثني رجل من أهل البصرة أُنسِيتُ اسمَه ، قال حدّثني حَمدون بن زيد قال حدّثني رجاء بن مَسلمة قال : قلت لسَلْم الخاسر : مَن أشعرُ الناس ؟ فقال : إن شئتَ أخبرتك بأشعر الجنّ والإنس . فقلت : إنّما أسألك عن الإنس ، فإن زدتَني الجنَّ فقد أحسنتَ . فقال : أشعرُهم الذي يقول : [من المديد]

سَكَنٌ يبقى له سَكنُ ... مـا بهذا يُؤذِن الزّمنُ

قال : والشعر لأبي العتاهية .

[أثنى جعفر بن يحيى على شعره ووافقه الفراء]

حدّثني اليزيديّ قال حدّثني عمّي الفَضْل قال حدّثنا عبد الله بن محمد قال حدّثنا يحيى بن زِياد الفَرّاء قال : دخلتُ على جعفر بن يحيى فقال لي : يا أبا زكريّا ، ما تقول فيما أقول ؟ فقلت : وما تقول أَصْلَحك الله . قال : أزعمُ أنّ أبا العتاهية أشعرُ أهلِ هذا العصر . فقلت : هو والله أشعرُهم عندي .

[أثنى آخرون على شعره]

حدّثني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثني محمد بن موسى قال حدّثني جعفر بن النَّضْر الواسِطيّ الضَّرير قال حدّثني محمد بن شِيرَوَيْه الأنْماطيّ قال : قلت لداود بن زيد بن رَزِين الشاعر : مَن أشعرُ أهلِ زمانه ؟ قال : أبو نُواس . قلت : فما تقول في أبي العتاهية ؟ فقال : أبو العتاهية أشعرُ الإنس والجنّ .

أخبرني الصوليّ قال حدّثني محمد بن موسى قال ، قال الزُّبير بن بكّار : أخبرني إبراهيم بن المنذر عن الضحّاك ، قال : قال عبد الله بن عبد العزيز العُمريّ : أشعرُ الناس أبو العتاهية حيث يقول : [من الكامل]

---

1 الديوان : كلّ حيّ عند ميتته . . . حظّه . .

ما ضَرَّ مَنْ جَعل التُّرابَ مِهادَه ألاَّ ينـامَ على الحريـرِ إذا قَنِعْ

صَدَق واللهِ وأَحْسن .

[مهارته في الشعر]

حدَّثني الصَّوليّ قال حدَّثني محمد بن موسى قال حدَّثني أحمد بن حَرْب قال حدَّثني المعلَّى بن عثمان قال : قيل لأبي العتاهية : كيف تقول الشعر ؟ قال : ما أردتُه قطّ إلاّ مثَل لي ، فأقول ما أُريد وأَترُك ما لا أُريد .

أخبرني ابن عمّار قال حدَّثني ابن مهرويَهْ قال حدَّثني رَوْح بن الفرج الحِرمازيّ قال : جلستُ إلى أبي العتاهية فسمعتُه يقول : لو شئتُ أن أجعل كلامي كلَّه شِعراً لفعلتُ .

حدَّثنا الصُّوليّ قال حدَّثنا العَنَزيّ قال حدَّثنا أبو عِكْرِمة قال : قال محمد بن أبي العتاهية[1] : سُئل أبي : هل تَعْرف العَروض ؟ فقال : أنا أَكبر من العروض . وله أَوزانٌ لا تدخل في العَروض .

[نظم شعراً للرشيد وهو مريض فقربه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا العَنزيّ قال حدَّثنا أبو عِكرمة قال : حُمّ الرشيدُ ، فصار أبو العتاهية إلى الفضل بن الربيع برُقعة فيها[2] : [من المنسرح]

لـو عَلِم الناسُ كيف أنت لهم ماتـوا إذا ما أَلِمْـتَ أَجْمَعُهـمْ

خليفـةَ اللهِ أنـت ترجَحُ بالنّـ ـاس إذا ما وُزِنتَ أنت وهُـمْ

قد عَلِم الناسُ أنّ وجهَك يَسـ ـتَغْنِي إذا مـا رآه مُعدِمُهـمْ

فأَنشدها الفضلُ بن الربيع الرشيد ؛ فأمر بإحضار أبي العتاهية ، فما زال يُسامره ويُحدِّثه إلى أن بَرِىء ، ووَصل إليه بذلك السبب مالٌ جليلٌ .

[إعجاب ابن الأعرابيّ به]

قال : وحُدِّثتُ أنّ ابن الأعرابيّ حَدّث بهذا الحديث ؛ فقال له رجل بالمجلس : ما هذا الشعر بمُستحق لِما قلتَ . قال : ولِمَ ؟ قال : لأنـّه شعر ضعيف . فقال ابن الأعرابيّ ، وكان أَحَدَّ الناس : الضعيف واللهِ عقلُك لا شعر أبي العتاهية ، أَلأبي العتاهية تقول : إنّه ضعيف الشعر ؟ فوالله ما رأيتُ شاعراً قطّ أَطبعَ ولا أَقدرَ على بيت منه ، وما أَحسبُ مذهبَه إلاّ ضَرْباً من السحر ، ثم أنشد له[3] : [من الكامل]

1 أفرد المرزباني ترجمة لمحمد بن أبي العتاهية في معجم الشعراء : 377 وأورد له مقطوعة .

2 ديوان أبي العتاهية (طبعة دار صادر) : 406 .

3 ديوان أبي العتاهية : 280 (رقم 295) وهي 47 بيتاً .

قطَّعتُ منك حَبائِلَ الآمالِ ... وحَطَطتُ عن ظَهْر المَطِيِّ رِحالي
ووجدتُ بَرْد اليأسِ بين جَوانحي ... فأَرَحْتُ من حَلٍّ ومن تَرْحالِ
يا أيُّها البَطِرُ الذي هو من غدٍ ... في قبره متمزِّقُ الأَوْصالِ
حذَف المُنَى عنه المُشَمِّرُ في الهُدى ... وأرى مُناك طَويلةَ الأذيالِ
حِيَلُ ابن آدم في الأمورِ كثيرةٌ ... والموتُ يَقْطَعُ حيلةَ المُحتالِ
قِستُ السؤالَ فكان أعظمَ قيمةً ... من كلِّ عارفةٍ جَرَتْ بسؤالِ
فإذا ابتُلِيتَ ببَذْلِ وجهك سائلاً ... فابذُلْه للمُتَكَرِّمِ المِفْضالِ
وإذا خَشِيتَ تَعَذُّراً في بلدةٍ ... فاشدُدْ يَدَيْك بعاجِلِ التَّرحالِ
واصْبِرْ على غِيَرِ الزّمان فإنّما ... فَرَجُ الشّدائدِ مثلُ حَلِّ عِقالِ

ثم قال للرجل : هل تعرف أحداً يُحسِنُ أنْ يقول مثلَ هذا الشّعر ؟ فقال له الرجل : يا أبا عبد الله ، جعلني الله فداءَك ؛ إنّي لم أَرْدُدْ عليك ما قلتَ ، ولكنّ الزهدَ مذهبُ أبي العتاهية ، وشعرُه في المديح ليس كشعره في الزّهد . فقال : أفلَيْس الذي يقول في المديح[1] : [من الطويل]

وهارونُ ماءُ المُزْن يَشْفي به الصَّدى ... إذا ما الصَّدِي بالرِّيق غَصَّتْ حَناجِرُهْ
وأَوْسَطُ بيتٍ في قريش لَبيتُه ... وأوّلُ عِزٍّ في قريش وآخِرُهْ
وزَحْفٍ له تَحكِي البروقَ سيوفُه ... وتَحكي الرعودَ القاصفاتِ حوافِرُهْ
إذا حَمِيتْ شمسُ النَّهارِ تضاحكتْ ... إلى الشّمس فيه بَيْضُه ومَغافِرُهْ
إذا نُكِبَ الإسلامُ يوماً بنَكْبةٍ ... فهارونُ من بين البَرِيّةِ ثائرُهْ
ومَنْ ذا يفوتُ الموتَ والموتُ مُدرِكٌ ... كذا لم يَفُتْ هارونَ ضِدٌّ يُنافِرُهْ

قال : فتخلّص الرجل من شرّ ابن الأعرابيّ بأن قال له : القولُ كما قلتَ ، وما كنتُ سمِعتُ له مثلَ هذين الشعرين ، وكتبهما عنه .

[قال أبو نواس لست أشعر الناس وهو حيّ]

حدّثني محمد قال حدّثني أحمد بن أبي طاهر قال حدّثني ابن الأعرابيّ المُنَجِّم قال حدّثني هارون بن سَعْدان بن الحارث مولى عَباد قال : حضرتُ أبا نُواس في مجلسٍ وأنشد شعراً . فقال له مَنْ حضَر في المجلس : أنت أشعرُ الناس . قال : أمّا والشيخُ حيّ فلا . (يعني أبا العتاهية) .

1 تكملة الديوان : رقم 96 (ص 540) .

[أنشد لثمامة شعره في ذمّ البخل فاعترض على بخله]

أخبرني يحيى بن عليّ إجازةً قال حدّثني عليّ بن مَهْديّ قال حدّثني الحسين بن أبي السَّرِيّ قال : قال ثمامة بن أَشْرَس أنشدني أبو العتاهية[1] : [من الطويل]

إذا المرءُ لم يُعْتِقْ مـن المالِ نفسَه ... تَملّكـه المـالُ الذي هـو مالِكُهْ

ألا إنّما مـالي الذي أنـا مُنفِـقٌ ... وليس ليَ المـالُ الذي أنـا تارِكُهْ

إذا كنتَ ذا مالٍ فبادِرْ بـه الذي ... يَحِـقّ وإلاّ استهلَكَتْـه مَهالِكُهْ

فقلت له : من أين قضيتَ بهذا ؟ فقال : من قول رسول الله ﷺ : «إنّما لك من مالك ما أكلتَ فأفنيتَ ، أو لبستَ فأبْلَيْتَ ، أو تصدّقت فأمضَيْتَ» . فقلت له : أتؤمن بأنّ هذا قولُ رسول الله ﷺ وأنّه الحقّ ؟ قال نعم . قلت : فلِم تحبِس عندك سبعاً وعشرين بدْرَةً في دارك ، ولا تأكل منها ولا تشرب ولا تُزكّي ولا تُقدّمها ذُخْراً ليوم فقرك وفاقتك ؟ فقال : يا أبا مَعن ، والله إنّ ما قلتَ لهو الحقّ ، ولكنّي أخاف الفقرَ والحاجةَ إلى الناس . فقلت : وبِمَ تَزِيد حالُ مَن افتقر على حالك ، وأنت دائمُ الحِرْص دائمُ الجَمْع ، شحيحٌ على نفسك ، لا تشتري اللحمَ إلاّ من عِيد إلى عيد ؟ فترك جوابَ كلامي كلّه ، ثم قال لي : والله لقد اشتريتُ في يوم عاشوراء لحماً وتَوابلَه وما يتبعه بخمسة دراهم . فلمّا قال لي هذا القول أضحكني حتّى أذهلني عن جوابه ومُعاتبته ، فأمسكتُ عنه وعلمت أنّه ليس ممّن شرَح الله صدره للإسلام .

[حكايات في بخله]

أخبرني يحيى بن عليٍّ إجازةً قال حدّثني عليّ بن المهديّ قال قال الجاحظ : حدّثني ثُمامة قال : دخلتُ يوماً إلى أبي العتاهية فإذا هو يأكل خبزاً بلا شيء . فقلت : كأنّك رأيته يأكل خبزاً وحده ؛ قال : لا ؛ ولكنّي رأيتُه يتأدّم بلا شيء . فقلت : وكيف ذلك ؟ فقال : رأيت قُدّامه خبزاً يابساً من رِقاقٍ فَطيرٍ وقَدَحاً فيه لبنٌ حليبٌ ، فكان يأخُذ القطعة من الخبز فيغمِسها من اللبن ويُخرجها ولم تتعلّق منه بقليل ولا كثير ؛ فقلت له : كأنّك اشتهيتَ أن تتأدّم بلا شيء ، وما رأيتُ أحداً قبلك تأدّم بلا شيء .

قال الجاحظ : وزعـم لي بعضُ أصحابنا قال : دخلتُ على أبي العتاهية في بعض المتنزّهات ، وقد دعا عَيّاشاً صاحب الجسر وتهيّأ له بطعام[2] ، وقال لغلامه : إذا وضعتَ قُدّامهم الغداء فقدِّم إليّ ثَريدةً بخلّ وزيت . فدخلت عليه ، وإذا هو يأكل منها أكل مُتكمّش

1 ديوان أبي العتاهية : 276 في الحاشية عن الأغاني (طبعة دار صادر : 317) .

2 ل : وهيأ له غداء .

غير مُنكر لشيء . فدعاني فمددت يدي معه ، فإذا بثريدة بخلّ وبزْر بدلاً من الزيت . فقلت له : أتدري ما تأكل ؟ قال : نعم ثريدةً بخلٍّ وبزْر . فقلت : وما دعاك إلى هذا ؟ قال : غَلِط الغلام بين دبّة الزيت ودبّة البِزْر ؛ فلمّا جاءني كَرِهت التجبُّر وقلت : دُهنٌ كدهن ، فأكلتُ وما أنكرتُ شيئاً .

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثنا عبد الله بن عطيّة الكوفيّ قال حدّثنا محمد بن عيسى الخُزَيْميّ ، وكان جارَ أبي العتاهية ، قال : كان لأبي العتاهية جارٌ يلتقط النَّوى ضعيفٌ سيّيء الحال متجمِّل له بناتٌ[1] فكان يمرّ بأبي العتاهية طَرَفَي النهار ؛ فيقول أبو العتاهية : اللهمّ أَغْنِه عمّا هو بسبيله ، شيخٌ ضعيف سيّيء الحال له بنات متجمّل ، اللهمّ أَعِنْه ، اصنع له ، بارِك فيه . فبقي على هذا إلى أن مات الشيخ نَحْواً من عشرين سنة . ولا والله إنْ تصدّق عليه بدرهم ولا دانِق قطّ ، وما زاد على الدعاء شيئاً . فقلت له يوماً : يا أبا إسحاق إنّي أراك تُكثر الدعاءَ لهذا الشيخ وتزعم أنّه فقير معيلٌ[2] ، فلِمَ لا تتصدّق عليه بشيء ؟ فقال : أخشى أن يعتاد الصدقة ، والصدقة آخِر كسب العبد ، وإنّ في الدعاء لخيراً كثيراً .

قال محمد بن عيسى الخُزَيْميّ هذا : وكان لأبي العتاهية خادمٌ أسود طويل كأنّه مِحراك أتُّون ، وكان يُجري عليه في كلّ يوم رغيفين . فجاءني الخادم يوماً فقال لي : والله ما أشبع . فقلت : وكيف ذاك ؟ قال : لأنّي ما أَفْتُر من الكدّ وهو يُجري عليّ رغيفين بغير إدام . فإن رأيتَ أن تكلّمه حتى يزيدني رغيفاً فتُؤجَر ؛ فوعدتُه بذلك . فلمّا جلستُ معه مَرّ بنا الخادم فكَرِهتُ إعلامَه أنّه شكا إليّ ذلك ، فقلت له : يا أبا إسحاق ، كم تُجري على هذا الخادم في كلّ يوم ؟ قال رغيفين . فقلت له : لا يَكفِيانه . قال : من لم يَكفِه القليل لم يكفه الكثير ، وكلّ من أَعطى نفسه شهوتها هلكَ ، وهذا خادم يدخل إلى حُرَمي وبناتي ، فإن لم أُعَوِّده القناعة والاقتصاد أهلكني وأُهلك عيالي ومالي . فمات الخادم بعد ذلك فكفّنه في إزار وفراش له خَلَق . فقلت له : سبحان الله ؛ خادمٌ قديم الحُرمة طويل الخدمة واجبُ الحقّ ، تكفّنه في خَلَق ، وإنّما يكفيك لـه كفن بدينار ؛ فقال : إنّه يصير إلى البِلَى ، والحيُّ أولى بالجديد من الميّت . فقلت له : يرحمك الله يا أبا إسحاق ! فلقد عوّدته الاقتصاد حيّاً وميّتاً .

قال محمد بن عيسى هذا : وقف عليه ذات يوم سائلٌ من العَيّارين الظُّرفاء وجماعةٌ من جيرانه حوله ، فسأله مِن بين الجيران ؛ فقال : صنع الله لك ، فأعاد السؤال فأعاد عليه ثانية ، فأعاد عليه ثالثةً فردّ عليه مثل ذلك ؛ فغضب وقال له : ألستَ القائل : [من المديد]

---

1 طبعة الدار : عليه ثياب .

2 طبعة الدار : مُقلّ .

كلُّ حَــيٍّ عند مِيتته   حظُّه مِن ماله الكفنُ

ثم قال : فبالله عليك أتريد أن تُعِدَّ مالَك كلَّه لثمن كفنك ؟ قال لا . قال : فبالله كم قَدّرت لكفنك ؟ قال : خمسة دنانير . قال : فهي إذاً حظُّك من مالك كلّه . قال نعم . قال : فتصدّق عليّ من غير حظّك بدرهم واحد . قال : لو تصدّقت عليك لكان حظّي . قال : فاعمل على أنّ ديناراً من الخمسة الدنانير وضيعته[1] قيراط ، وادفع إليّ قيراطاً واحداً ، وإلاّ فواحدة أُخرى . قال : وما هي ؟ قال : القبور تحفر بثلاثة دراهم ، فأعطني درهماً وأُقيم لك كفيلاً بأنّي أحفِر لك قبرك به متى مُتّ ، وتربح درهمين لم يكونا في حُسبانك ، فإن لم أحتفر رددتُه على وَرَثَتك أو ردّه كفيلي عليهم . فخجِل أبو العتاهية وقال : اعزُب لعنك الله وغضب عليك ؛ فضحك جميع مَن حضر . ومرّ السائل يضحك ؛ فالتفت إلينا أبو العتاهية فقال : من أجل هذا وأمثالِه حُرِّمت الصدقة . فقلنا له : ومَن حرّمها ومتى حُرِّمت ؟ فما رأينا أحداً ادّعى أنّ الصدقة حُرِّمت قبله ولا بعده .

قال محمد بن عيسى هذا : وقلت لأبي العتاهية : أَتُزَكّي مالَك ؟ فقال : والله ما أُنفق على عيالي إلاّ من زكاة مالي . فقلت : سبحانَ الله ! إنّما ينبغي أن تُخرِج زكاةَ مالك إلى الفقراء والمساكين . فقال : لو انقطعت عن عيالي زكاة مالي لم يكن في الأرض أفقرُ منهم .

[سئل عن أحكم شعره]

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال : قال سليمان بن أبي شيخ قال إبراهيم بن أبي شيخ قلت لأبي العتاهية : أيُّ شعرٍ قلتَه أَحْكم ؟ قال قولي : [من الرجز]

عَلِمتَ يا مُجاشِعُ بنَ مَسْعَدَهْ   أنّ الشّبابَ والفَراغَ والجِدَهْ
مَفْسَدَةٌ للمرء أيُّ مَفْسدهْ

[عاتب عمرو بن مسعدة]

أخبرني عيسى قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثنا أبو غَزِيّة قال : كان مُجاشِع بن مَسعدة أخو عمرو بن مَسعدة صديقاً لأبي العتاهية ، فكان يقوم بحوائجه كلِّها ويُخلص مودّته ، فمات ، وعرضت لأبي العتاهية حاجةٌ إلى أخيه عمرو بن مسعدة فتباطأ فيها ؛ فكتب إليه أبو العتاهية[2] : [من الطويل]

1 الوضيعة : حطّ شيء من أصل الثمن وتسمّى أيضاً «الحطيطة» .
2 ديوان أبي العتاهية : في الزيادات رقم 44 ورواية البيت الثاني فيه :
ومن عجب الأيّام أن باد من يفي   ومــن كنت ترعاني لـه وبقيتـا

غَنِيتَ عـن العهـدِ القديمِ غَنِيتا وضَيَّعـتَ وُدّاً بيننـا ونَسِيتـا
ومِن عَجَبِ الأيّام أن مات مألَفي ومَـن كُنتَ تَغْشاني بـه وبَقِيتا

فقال عمرو : استطال أبو إسحاق أعمارنا وتوعّدنا ، ما بعد هذا خيرٌ ، ثم قضى حاجته .

[فارق أبا غزية في المدينة]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنا أبو غَزِيّة قال : كان أبو العتاهية إذا قدِم من المدينة يجلس إليّ ؛ فأراد مرّة الخروج من المدينة فودّعني ثم قال : [من الخفيف]

إنْ نَعِشْ نجتمعْ وإلاّ فما أَشْـ ـغلَ مَنْ مات عن جميع الأنامِ

[طالبه غلام من التجار بمال فأخجله بشعر]

أخبرني أحمد بن العبّاس العسكريّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيْل العنزيّ قال حدّثني عبد الرحمن بن إسحاق العُذْرِيّ قال : كان لبعض التُّجّار من أهل باب الطّاق على أبي العتاهية ثمنُ ثيابٍ أخذها منه . فمرّ به يوماً ، فقال صاحب الدكان لغلام ممّن يخدمه حسن الوجه : أدرِك أبا العتاهية فلا تُفارقه حتى تأخذ منه مالنا عنده ؛ فأدركه على رأس الجِسر ، فأخذ بعنان حماره ووقَفَه . فقال له : ما حاجتُك يا غلام ؟ قال : أنا رسولُ فلان ، بعثني إليك لآخذ ما له عليك . فأمسك عنه أبو العتاهية ؛ وكان كلُّ مَن مَرّ فرأى الغلام متعلّقاً به وقف ينظر ، حتى رضي أبو العتاهية جمع الناس وحفلَهم ، ثم أنشأ يقول[1] : [من مجزوء الكامل]

واللهِ ربِّـك إنّنـي لأُجِلُّ وجهَك عن فِعالِكْ
لـو كان فِعلُك مثلَ وجـ ـهِك كنتُ مُكْتفياً بذلكْ

فخجل الغلام وأرسل عِنان الحمار ، ورجع إلى صاحبه ، وقال : بعثتَني[2] إلى شيطان جمع عليَّ الناس وقال فيَّ الشعر حتى أخجلني فهربتُ منه .

[حجبه حاجب عمرو بن مسعدة]

أخبرني أحمد بن العبّاس قال حدّثنا العَنَزيّ قال قال إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم التَّيميّ : حدّثني إبراهيم بن حَكِيم قال : كان أبو العتاهية يختلف إلى عمرو بن مسعدةٍ لودٍّ كان بينه وبين أخيه مُجاشع . فاستأذن عليه يوماً فحُجِب عنه ، فلزِم منزلـه . فاستبطأه عمرو ؛ فكتب إليه : إنّ الكسل يمنعني من لقائك ؛ وكتب في أسفل رقعته[3] : [من المنسرح]

1 تكملة الديوان : رقم 221 (صادر : 321) .
2 ل : أرسلتني .
3 تكملة الديوان : رقم 217 .

كَسَّلني اليأسُ منكْ عنك فما أرفـعُ طَرْفي إليك من كَسَلِ
إنّي إذا لم يكن أخـي ثِقـة قطَّعتُ منـه حبائـلَ الأمـلِ

حدّثني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثني محمد بن يزيد النَّحويّ قال : استأذن أبو العتاهية على عمرو بن مسعدة فحُجب عنه ؛ فكتب إليه[1] : [من المنسرح]

ما لك قد حُلْتَ عن إخائك واسـ ـتبدلت يا عمرُو شيمةً كَدِرهْ
إنّـي إذا البـابُ تـاه حاجبُـه لم يَكُ عندي في هَجْره نَظِرَهْ
لَسْتُمْ تُرَجَّوْنَ للحِساب ولا يـومَ تكونُ السماءُ مُنفطِرهْ
لكـنْ لدنيـا كالظـلّ بهجتُها سريعـةُ الإنقضـاءِ مُنْشمِرَهْ
قد كان وجهي لديـك معرفةً فاليومَ أضحى حَرْفاً من النَّكِرهْ

[قصيدته في هجو عبد الله بن معن]

أخبرني محمد بن القاسم الأَنباريّ قال حدّثنا أبو عِكْرِمة قال : كان الرشيد إذا رأى عبد الله بن مَعن بن زائدة تمثّل قول أبي العتاهية : [من السريع]

أختُ بني شَيْبان مرّتْ بنا مَمْشوطةً كُـوراً على بَغْلِ

وأوّل هذه الأبيات[2] : [من السريع]

يـا صاحِبَيْ رَحْـلِيَ لا تُكثِرا في شَتْم عبـد الله من عَذْلِ
سبحانَ من خَصَّ ابنَ معنٍ بما أرى بـه مـن قِلّـة العَقْلِ
قال ابنُ مَعْـنٍ وجَلا نفسَه على مَـنِ الجَلْـوةُ يـا أهْلي
أنا فتـاةُ الحـيّ مـن وائلٍ في الشَّرَف الشّامـخ والنُّبْلِ
مـا في بَني شَيبانَ أهلِ الحِجا جاريـــةٌ واحـــدةٌ مثـلي
وَيْـلي ويـا لَهْفي على أَمْرَدٍ يُلْصِق منّـي القُرْط بالحِجْلِ
صافحتُه يومـاً على خَلْـوةٍ فقال دَعْ كفي وخُـذْ رِجْلي
أختُ بني شيبانَ مـرَّتْ بنا ممشوطةً كُـوراً على بَغْلِ
تُكْنى أبا الفضل ويا مَنْ رأى جاريـةً تُكْنى أبـا الفضلِ

---

1 تكملة الديوان : رقم 102 عن الأغاني .
2 تكملة الديوان : رقم 210 عن الأغاني (صادر : 381) .

قــد نَقَّطتْ في وجهها نُقطةً مَخافـةَ العـين مـن الكُحْلِ
إن زُرتموها قــال حُجَّابُها نحـن عـــن الزُّوَّار في شُغْلِ
مولاتُنـــا مشغولـةٌ عندهـــا بَعْــل ولا إذنَ عــلى البَعْلِ
يــا بنتَ مَعْنِ الخيرِ لا تجهَلي وأيـــن إقصارٌ عــن الجهــلِ
أتَجْلِــدُ النـــاسَ وأنــت امرؤٌ تُجلَـد في الدُّبْــر وفي القُبْلِ
مـــا ينبغي للنّاس أن يَنسُبُوا مَـنْ كان ذا جُودٍ إلى البُخلِ
يَبذُلُ مـــا يمنع أهـلُ الندى هــذا لعَمْـري مُنتهـى البَذْلِ
ما قلتُ هــذا فيك إلاّ وقد جَفّتْ بـــه الأقلامُ من قَبْلي

قال : فبعث إليه عبد الله بن مَعْن ، فأتي به ؛ فدعا بغلمان له ثم أمرهم أن يرتكبوا منه الفاحشة ، ففعلوا ذلك ، ثم أجلسه وقال له : قد جزَيْتك على قولك فيّ ، فهل لك في الصُّلح ومعه مركبٌ وعشرة آلاف درهم أو تُقيم على الحرب ؟ قال : بل الصلح . قال : فأسمِعني ما تقوله في الصلح ؛ فقال[1] : [من مجزوء الرمل]

مـــا لعُــذّالي وما لي أمـــروني بالضّـــلالِ
عذَلـوني في اغْتِفــاري لابــن مَعْــنٍ واحتمالي
إن يكن مــا كان منه فبِجُرمـــــي وفِعـــالي
أنــا منــه كنــتُ أسوا عِشْرةً في كلّ حـــالِ
قل لِمن يَعْجَب من حُسـ ـنِ رُجوعـــي ومَقالي
رُبَّ وُدٍّ بعــد صَــدٍّ وهــوى بعـد تَقــالي
قــد رأينـــا ذا كثيراً جاريــاً بـــين الرّجالِ
إنّمــا كانــتْ يمينـــي لَطَمَــتْ منّـــي شِمالي

[أحبّ سعدى التي كان يحبّها ابن معن ثم هجاها]

حدّثني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثنا محمد بن موسى اليزيديّ قال حدّثنا أبو سُوَيد عبد القَويّ بن محمد بن أبي العتاهية ومحمد بن سعد قالا : كان أبو العتاهية يَهوى في حَداثته امرأةً نائحة من أهل الحِيرة لها حُسن وجمال يقال لها سُعدى ؛ وكان عبد الله بن مَعْن بن زائدة المُكنّى بأبي الفضل يَهواها أيضاً ، وكانت مولاةً لهم ، ثم اتَّهمها أبو العتاهية بالنِّساء ، فقال

1 تكملة الديوان : رقم 211 عن الأغاني (صادر : 382) .

فيها[1] : [من الطويل]

أَلا يا ذَواتِ السَّحْق في الغرب والشّرقِ أَفِقْنَ فإنّ النَّيْك أَشْفى من السَّحْقِ
أفِقنَ فإنّ الخبز بالأُدم يُشتهى وليس يَسُوغُ الخبزُ بالخُبزِ في الحَلْقِ
أَراكُنَّ تَرقَعن الخُروقَ بمثلها وأيُّ لبيبٍ يرقَعُ الخَرْقَ بالخَرْقِ
وهل يصلحُ المِهراسُ إلاّ بعُوده إذا احْتِيج منه ذاتَ يوم إلى الدَّقِّ

[أهاجيه في ابن معن]

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثني الغَلابيّ قال حدّثني مَهْديّ بن سابق قال : تهدّد عبد الله بن معن أبا العتاهية وخوّفه ونهاه أن يَعْرِض لمولاته سُعدى ؛ فقال أبو العتاهية[2] : [من الهزج]

ألا قُلْ لابن معنٍ ذا الذ ي في الوُدّ قد حالا
لقد بُلِّغتُ ما قال فما باليتُ ما قالا
ولو كان من الأُسْدِ لَما صال ولا هالا[3]
فصُغْ ما كنتَ حلَّيتَ به سَيْفَك خَلْخالا
وما تصنَع بالسيف إذا لم تَكُ قَتّالا
ولو مَدّ إلى أُذْنيه كَفَّيه لما نالا
قَصيرُ الطُّولِ والطِّلةِ لا شَبّ ولا طالا[4]
أرى قومَك أبطالا وقد أصبحتَ بطّالا

حدّثنا الصُّوليّ قال حدّثنا محمد بن موسى قال حدّثني سليمان المدائنيّ قال : احتال عبد الله بن معن على أبي العتاهية حتى أُخِذ في مكان فضربه مائةَ سَوْط ضرباً ليس بالمبرِّح غَيْظاً عليه ، وإنّما لم يَعْنُفْ في ضربه خوفاً من كثرة من يُعنى به ؛ فقال أبو العتاهية يهجوه[5] : [من مجزوء الخفيف]

جَلَدَتْني بكَفّها بنتُ معنِ بن زائدهْ

---

1 تكملة الديوان : رقم 165 .
2 تكملة الديوان : رقم 194 (صادر : 380) .
3 صال في الديوان : راع .
4 الديوان : قصير الطّول والطُّول فلا . . . .
5 تكملة الديوان : رقم 69 عن الأغاني .

جَلدتنـــي فأَوجعـتْ بأبـي تِلـك جالدهْ
وتَراها مـع الخَصِيّ على البـاب قاعدهْ
تَتَكَنّى كُنـى الرجـا لِ بِعَمْـدٍ مُكـايدهْ
جلدَتْنـي وبالغـتْ مائـةً غيـرَ واحدهْ
اجْلديني واجْلِـدي إنّمـا أنـتِ والـدهْ

وقال أيضاً[1] : [من الخفيف]

ضربَتْني بكَفِّهـا بنتُ مَعْـنٍ أَوْجَعَتْ كفّهـا وما أَوجَعتني
وَلَعَمْرِي لـولا أذى كفِّها إذ ضَرَبَتِني بالسَّوْط مـا تَرَكْتِني

[توعّده يزيد بن معن لهجائه أخاه فهجاه]

قال الصولي : حدّثنا عَوْن بن محمد ومحمد بن موسى قالا : لمّا اتصل هجاء أبي العتاهية بعبد الله بن معن وكَثُر ، غضب أخوه يزيد بن معن من ذلك وتوعّد أبا العتاهية ؛ فقال فيه قصيدته التي أوّلها[2] : [من الوافر]

بَنى مَعْنٌ ويَهدِمُـه يزيدُ كذاك اللهُ يفعلُ ما يُريدُ
فمَعْنٌ كان للحُسّاد غَمّاً وهذا قد يُسَرّ به الحسودُ
يزيدُ يزيدُ في مَنْعٍ وبخلٍ ويَنقُص في العطاء ولا يزيدُ

[مصالحته أولاد معن]

حدّثني الصوليّ قال حدّثني جَبَلَةُ بن محمد قال حدّثني أبي قال : مضى بنو مَعْن إلى مَنْدَل وحيّان ابنَيْ عليّ العَنَزِيَّيْن الفقيهين ، وهما من بني عمرو بن عامر بطنٍ مِنْ يَقْدُمَ بن عَنَزة ، وكانا من سادات أهل الكوفة ، فقالوا لهما : نحن بيتٌ واحد وأهلٌ ، ولا فرقَ بيننا ، وقد أتانا من مولاكم هذا ما لو أتانا من بعيد الوَلاء لوجبَ أن تَرْدعاه . فأَحْضَرا أبا العتاهية ، ولم يكن يُمكنه الخلافُ عليهما ، فأصلحا بينه وبين عبد الله ويزيد ابنَيْ معن ، وضمِنا عنه خُلُوصَ النيّة ، وعنهما ألاّ يَتْبَعاه بسوء ، وكانا ممّن لا يُمكن خلافُهما ، فرجَعت الحالُ إلى المَوَدّة والصَّفاء . فجعل الناس يَعذِلُون أبا العتاهية على ما فرَط منه ، ولامه آخرون في صُلْحه لهما ؛ فقال : [من مجزوء الرمل]

---

1 تكملة الديوان : رقم 266 .
2 تكملة الديوان : رقم 62 .

مـا لعُـذّالي ومـا لي أَمَـروني بالضَّـلالِ

وقد كُتِبَتْ مُتقدِّمة .

[رثاؤه زائدة بن معن]

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثنا محمد بن موسى قال : كان زائدةُ بن معنٍ صديقاً لأبي العتاهية ولم يُعِنْ إخوتَه عليه ، فمات ؛ فقال أبو العتاهية يَرثيه[1] : [من الوافر]

حَزِنتُ لمـوت زائدةَ بن مَعْنٍ حقيقٌ أن يطولَ عليـه حُزني
فَتـى الفتيانِ زائـدةُ المُصَفَّى أبـو العبّاس كان أخي وخِدْني
فتى قـومٍ وأيُّ فتًى توارتْ بـه الأكفانُ تحت ثَرًى ولِبْنِ
ألا يـا قبرَ زائـدةَ بن مَعْنٍ دعوتُك كي تُجيبَ فلمَ تُجبني
سَلِ الأيّامَ عن أركانِ قومي أُصبن بهنّ رُكناً بعـدَ ركنِ

[عبد الله بن معن يخجل إذا لبس السيف لهجوه فيه]

أخبرني الصّوليّ قال حدّثنا الحسن بن عليّ الرازيّ القارىء قال حدّثني أحمد بن أبي فَنَن قال : كنّا عند ابن الأعرابيّ ، فذكروا[2] قولَ ابن نوفلٍ في عبد الملك بن عُمَير : [من الطويل]

إذا ذاتُ دَلٍّ كلَّمتْـه لحاجـةٍ فَهَمَّ بأن يَقْضِي تَنَحْنَحَ أو سَعَلْ

وأن عبد الملك قال : تركنـي والله وإنّ السُّعْلة لتَعرِض لي في الخلاء فأذكُر قولَه فأهـاب أن أَسعُل . قـال : فقلـت لابن الأعرابيّ : فهذا أبو العتاهية قال في عبد الله بن مَعْن بن زائدة : [من الهزج]

فصُغْ ما كنت حَلَّيتَ بـه سيفَك خَلْخـالا
وما تصنـع بالسَّيفِ إذا لم تـكُ قتّـالا

فقال عبد الله بن مَعْن : ما لبِستُ سيفي قطّ فرأيت إنساناً يَلمَحُني إلاّ ظننتُ أنّه يحفظ قول أبي العتاهية فيّ ، فلذلك يتأمّلُني فأخجَل . فقال ابن الأعرابيّ : اعجَبوا لعبد يَهجو مولاه . قال : وكان ابن الأعرابيّ مولى بني شيبان .

[ناظر مسلم بن الوليد]

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى : حدّثني عليّ بن مَهديّ قال حدّثني الحسين بن أبي السَّريّ قال : اجتمع أبو العتاهية ومسلم بن الوليد الأنصاريّ في بعض

---

1 تكملة الديوان : رقم 269 .

2 ل : فتذاكروا .

المجالس ، فجرى بينهما كلامٌ ؛ فقال له مُسلم : والله لو كنتُ أرضى أن أقولَ مثل قولك[1] : [من مجزوء الرجز]

الحمـدُ والنعمةُ لـك والملكُ لا شريكَ لكْ
لبيك إنّ المُلْكَ لكْ

لقلتُ في اليوم عشرة آلاف بيت ، ولكنّي أقول[2] : [من البسيط]

مُوف على مُهجٍ في يوم ذي رهجٍ كأنّه أجـلٌ يسعَـى إلى أمـلِ
ينالُ بالرّفقِ مـا يعْيا الرجـالُ به كالموتِ مُستعجِلاً يأتي على مَهَلِ
يكسو السيوف نُفوسَ الناكثين به ويجعلُ الهـامَ تِيجانَ القنا الذُّبُلِ
للهِ مـن هاشمٍ في أرضِهِ جبـل وأنتَ وابنُك رُكْنـا ذلك الجَبَلِ

فقال له أبو العتاهية : قُلْ مثلَ قولي :

الحمـدُ والنِّعمـة لـكْ

أَقُلْ مثل قولك :

كأنّه أجلٌ يَسعى إلى أملِ

[تقارض هو وبشّار الثناء]

حدّثني الصوليّ قال حدّثنا الغلابيّ قال حدّثنا مهديّ بن سابق قال : قال بشّار لأبي العتاهية : أنا والله أَستحسِن اعتذارك من دمعك حيث تقول[3] : [من مجزوء الكامل]

كم مـن صَديقٍ لي أُسا رِقُـه البُكاءَ من الحَياء
فـإذا تأمّـلَ لامنـي فأقولُ ما بـي مِنْ بُكاء
لكنْ ذهبـتُ لأرتـدي فطَرَفـتُ عينـي بالرِّداء

فقال له أبو العتاهية : لا والله يا أبا مُعاذ ، ما لُذتُ إلاّ بمعناكَ ولا اجتنيتُ إلاّ من غَرْسك حيث تقول[4] : [من الوافر]

---

1 تكملة الديوان : رقم 203 .

2 شرح ديوان صريع الغواني (تحقيق سامي الدهان ، دار المعارف بمصر) : 9 .

3 تكملة الديوان : رقم 2 .

4 في أمالي القالي 1 : 49–50 أبيات منها :

وقالوا قد جزعت فقلت كلا وهل يبكي من الطرب الجليد

ولم ينسبها لبشّار . ومن المستبعد نسبتها إلى بشّار لأن قائلها لا بدّ أن يكون بصيراً .

صوت

شكوتُ إلى الغواني ما أُلاقي ... وقلتُ لهنّ ما يَومي بَعِيدُ
فقُلْنَ بكيتَ قلتُ لهنّ كلاّ ... وقد يَبْكي من الشَّوْق الجَلِيدُ
ولكنّي أصابَ سَوادَ عيني ... عُوَيْدُ قَذىً له طَرَفٌ حديدُ
فقُلْن فما لدَمْعِهما سواءٌ ... أكِلْتا مُقْلَتَيْك أصابَ عُودُ

لإبراهيم المَوصليّ في هذه الأبيات لحن من الثقيل الأوّل بالوسطى مُطلق .

[شكا إليه محمد بن الفضل الهاشميّ جفاء السلطان]

أخبرني الحسن بن عليّ الخَفَّاف قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويَه قال حدّثني محمد بن هارون الأَزرَقيّ مولى بني هاشم عن ابن عائشة عن ابنٍ لمحمد بن الفضل الهاشميّ قال : جاء أبو العتاهية إلى أبي فتحدّثا ساعةً ، وجعل أبي يشكو إليه تَخَلُّفَ الصَّنعة وجَفاءَ السلطان . فقال لي أبو العتاهية : اكتُبْ[1] : [من الكامل]

كلٌّ على الدنيا له حِرْصُ ... والحادثاتُ أناتُها غَفْصُ[2]
وكأنّ من وَارَوْه في جَدَثٍ ... لم يبدُ منه لناظر شَخصُ
تَبْغِي من الدنيا زِيادتَها ... وزيادةُ الدنيا هي النَّقْصُ
لِيَدِ المنيّة في تَلَطُّفِها ... عن ذُخْرِ كلِّ شفيقةٍ فَحْصُ

[حبسه الرشيد ثم عفا عنه وأجازه]

حدّثني عمرو قال حدّثني عليّ بن محمد الهشاميّ عن جدّه ابن حمدون قال أخبرني مُخارِق قال : لّما تنسّك[3] أبو العتاهية ولبِس الصوف ، أمره الرشيد أن يقولَ شعراً في الغزَل ، فامتنع ؛ فضربه الرشيد ستّين عصاً ، وحلف ألاّ يخرج من حبسه حتى يقول شعراً في الغزل . فلمّا رُفعت المقارِعُ عنه قال أبو العتاهية : كلُّ مملوكٍ له حرّ وامرأته طالق إن تكلّم سنةً إلاّ بالقرآن أو بلا إله إلاّ الله محمد رسول الله . فكأنّ الرشيد تَحزّن ممّا فعله ، فأمر أن يُحبَس في دار ويُوسَّعَ عليه ، ولا يُمنع من دخول من يريد إليه . قال مُخارق : وكانت الحال بينه وبين إبراهيم الموصليّ لطيفةً ، فكان يبعثني إليه في الأيّام أتعرّف خبره . فإذا دخلتُ وجدتُ بين يديه ظَهْراً[4] ودواةً ، فيكتب

1 ديوان أبي العتاهية : 198 (رقم 206) .
2 الغفص : الختل .
3 ل : تقرأ وهي بمعنى «تنسك» . وانظر الخبر في ابن العديم – دراسات : 51 (الفقرة : 16) .
4 ل : ظهوراً .

إليّ ما يريد ، وأُكلّمه . فمكث هكذا سنةً . واتّفق أنّ إبراهيم الموصليّ صنع صوتَه : [من الكامل]

صوت

أعرَفْتَ دارَ الحيّ بالحِجْرِ   فشدوريان فقُنّة الغَمْرِ[1]
وهجرتَنا وأَلِفتَ رَسْمَ بِلًى   والرسمُ كان أحقَّ بالهَجْرِ

لحن إبراهيم في هذا الشعر خفيف رملٍ بالوسطى ، وفيه لإسحاق رمل بالوسطى . قال مخارق : فقال لي إبراهيم : اذهَب إلى أبي العتاهية حتى تُغَنّيه هذا الصوت . فأتيته في اليوم الذي انقضت[2] فيه يمينه ، فغنّيته إيّاه . فكتب إليّ بعد أن غنّيته : هذا اليوم تَنقضي فيه يميني ، فأُحِبّ أن تُقيم عندي إلى الليل ؛ فأقمتُ عنده نهاري كلّه ، حتى إذا أُذّن الناسُ المغربَ كلّمني ، فقال : يا مُخارق . قلت : لَبَّيْك . قال : قُلْ لصاحبك : يا ابن الزانية ؛ أما والله لقد أبقيتَ للناس فِتنةً إلى يوم القيامة ، فانظر أين أنت من الله غداً ؛ قال مُخارق : فكنتُ أوّل من أَفْطر على كلامه ؛ فقلت : دَعْني من هذا ، هل قلتَ شيئاً للتخلّص من هذا الموضع ؟ فقال : نعم ، قد قلت في امرأتي شعراً . قلت : هاته ؛ فأنشدني[3] : [من الخفيف]

صوت

مَنْ لِقلبٍ مُتَيَّمٍ مُشتاقِ   شَفّه شوقُه وطولُ الفراقِ
طالَ شوقي إلى قعيدةِ بيتي   ليت شعري فهل لنا من تَلاقي
هي حظّي قَدِ اقتصرتُ عليها   من ذوات العُقود والأطواقِ
جَمَع اللهُ عاجلاً بِكَ شملي   عن قريبٍ وفكّني من وَثاقي

قال : فكتبتها وصِرتُ بها إلى إبراهيم ؛ فصنع فيها لحناً ، ودخل بها على الرشيد ؛ فكان أوّل صوت غنّاه إيّاه في ذلك المجلس ؛ وسأله : لمن الشعر والغِناء ؟ فقال إبراهيم : أمّا الغناء فلي ، وأمّا الشعر فلأسيرِك أبي العتاهية . فقال : أَوَ قد فَعل ؟ قال : نعم قد كان ذلك . فدعا به ، ثم قال لمسرور الخادم : كم ضربنا أبا العتاهية ؟ قال : ستّين عصاً ، فأمر له بستّين ألف درهم وخلَع عليه وأطلقه .

---

1 الغمر : جبل بحذاء توّز بمكّة .

2 ل : انقطعت .

3 الأبيات في تكملة الديوان : 586 عن الأغاني . وكلّ ما لم نشر إلى تخريجه في الديوان من شعره فهو منقول عن الأغاني . وانظر أيضاً ابن العديم : 64 (الفقرة 40) .

[غضب عليه الرشيد وترضّاه له الفضل]

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى : حدّثني عليّ بن مهدي قال حدّثنا الحسين بن أبي السَّرِيّ قال : قال لي الفضل بن العبّاس : وجَد الرشيدُ وهو بالرَّقَّة على أبي العتاهية وهو بمدينة السّلام ، فكان أبو العتاهية يرجو أن يتكلَّم الفضلُ بن الربيع في أمره ، فأبطأ عليه بذلك ؛ فكتب إليه أبو العتاهية[1] : [من مجزوء الكامل]

أَجَفَوْتَني فيمن جفاني ... وجعلتَ شأنَك غيرَ شاني

ولطالما أَمَّنْتني ... ممّا أرى كلَّ الأماني

حتّى إذا انقلبَ الزّما ... نُ عليّ صرت مع الزمانِ

فكلّم الفضلُ فيه الرشيد فرضي عنه . وأرسل إليه الفضلُ يأمره بالشخوص ، ويذكر له أنّ أمير المؤمنين قد رضي عنه ؛ فشخص إليه . فلمّا دخل إلى الفضل أنشده قوله فيه[2] : [من الخفيف]

قد دعوناه نائياً فوجدنا ... ه على نَأْيه قريباً سميعا

فأدخله إلى الرشيد ، فرجع إلى حالته الأولى .

[رثاء يزيد بن منصور]

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى إجازةً قال حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني الحسين بن أبي السَّرِيّ قال : كان يزيد بن منصور خالُ المهديّ يتعصّب لأبي العتاهية ؛ لأنّه كان يمدح اليمانية أخوالَ المهديّ في شعره ؛ فمن ذلك قوله[3] : [من الوافر]

صوت

سُقِيتَ الغيثَ يا قصرَ السّلامِ ... فنِعْم مَحَلّةُ الملكِ الهُمامِ

لقد نشرَ الإلهُ عليك نُوراً ... وحفَّك بالملائكةِ الكِرامِ

سأشكُر نعمةَ المهديّ حتّى ... تدورَ عليّ دائرةُ الحِمامِ

له بيتانِ بيتٌ تُبَّعِيٌّ ... وبيتٌ حَلَّ بالبلدِ الحرامِ

قال : وكان أبو العتاهية طولَ حياة يزيد بن منصور يدّعي أنّه مولًى لليمن ويَنْتفي من عَنَزَة ؛ فلمّا مات يزيد رجع إلى ولائه الأوّل . فحدّثني الفضل بن العبّاس قال : قلت له : ألم تكن تزعمُ أنّ ولاءَك لليمن ؟! قال : ذلك شيء احتجنا إليه في ذلك الزمن ، وما في واحدٍ ممّن

---

1 تكملة الديوان : رقم 267 .

2 تكملة الديوان : رقم 149 .

3 تكملة الديوان : رقم 242 .

انتميتُ إليه خيرٌ ، ولكنّ الحقَّ أحقُّ أن يُتَّبع . وكان ادّعى ولاءَ اللَّخْمِيّين . قال : وكان يزيد بن منصور من أكرم الناس وأحفظِهم لحُرْمةٍ ، وأرعاهم لعهدٍ ، وكان بارّاً بأبي العتاهية ، كثيراً فضلُه عليه ؛ وكان أبو العتاهية منه في مَنَعة وحصْن حَصين مع كَثْرة ما يدفَعُه إليه ويمنعه من المَكاره . فلمّا مات قال أبو العتاهية يَرثيه[1] : [من البسيط]

أَنْعَى يزيدَ بن منصورٍ إلى البَشَرِ ... أنْعى يزيـدَ لأهلِ البَدْوِ والحَضَرِ
يا ساكنَ الحُفْرة المهجورِ ساكنُها ... بعـد المَقاصر والأبـواب والحُجَرِ
وجدتُ فَقْدَكَ في مالي وفي نَشَبي ... وجدتُ فقدك في شَعْرِي وفي بَشَرِي
فلستُ أَدري جـزاك الله صالحةً ... أَمنظَري اليومَ أَسْوَا فيك أم خَبَرِي

[استحسن شعره بشّار وقد اجتمعا عند المهديّ]

حدّثنا ابن عمّار قال حدّثنا محمد بن إبراهيم بن خَلَف قال حدّثني أبي قال[2] : حُدّثتُ أنّ المهديّ جلس للشّعراء يوماً ، فأذِن لهم وفيهم بشّار وأشجعُ ، وكان أشجع يأخذ عن بشّار ويُعظّمه ، وغيرُ هذين ، وكان في القوم أبو العتاهية . قال أشجع : فلمّا سمِع بشّار كلامَه قال : يا أخا سُلَيم ، أهذا ذلك الكوفيّ المُلَقَّب ؟ قلت نعم . قال : لا جزى الله خيراً مَنْ جمعنا معه . ثم قال له المهديّ : أَنشد ، فقال : ويحك ؛ أَوَيَبدأ فيُسْتَنشَدَ أيضاً قبلنا ؟! فقلت : قد ترى . فأَنشد : [من المتقارب]

أَلا مـا لِسيّدتِي مـا لهـا ... أَدَلاً فأَحمِـلَ إِدْلالَهـا
وإلاّ ففِيـمَ تَجنَّـتْ ومـا ... جَنيتُ سَقى اللهُ أطلالَهـا
أَلا إنّ جاريـةً لِلإمـا ... مِ قد أُسْكِن الحبُّ سِرْبالَها
مَشتْ بين حُورٍ قصارِ الخُطا ... تُجاذِبُ في المَشْيِ أكفالَها
وقـد أَتعـبَ اللهُ نفسي بها ... وأَتعـب باللَّـوْمِ عُذَّالَهـا

قال أشجع : فقال لي بشّار : وَيْحَك يا أخا سُلَيم ؛ ما أدري من أيّ أَمْرَيْه أعجب : أَمِنْ ضعف شِعْره ، أم من تَشْبيبه بجارية الخليفة ، يسمع ذلك بأذنه ! حتى أتى على قوله : [من المتقارب]

أَتَـتْه الخلافـة مُنقادةً ... إليـه تُجَـرِّرُ أذيالَها
ولم تـك تصلُح إلاّ له ... ولم يـك يصلُح إلاّ لها

---

1 تكملة الديوان : رقم 111 .

2 الخبر والشعر في ابن العديم ـ دراسات : 71 (الفقرة 48) . وانظر ديوان أبي العتاهية : الزيادة (رقم 719) .

ولـو رامهـا أحدٌ غيرُه لزُلزلتِ الأرضُ زِلْزالَها
ولو لم تُطِعْه بناتُ القلوبِ لمَـا قَبِـل اللهُ أعمـالَها
وإنّ الخليفةَ من بُغض لا إليـه لَيُبْغِض مَـن قالَها

قال أشجع : فقال لي بشّار وقد اهتزّ طرباً : ويحك يا أخا سُلَيم ! أترى الخليفة لم يَطِرْ عن فَرْشه طَرَباً لما يأتي به هذا الكوفيّ ؟

[رماه منصور بن عمّار بالزندقة]

أخبرني يحيى بن عليّ إجازةً قال حدّثني ابن مهرويَه قال حدّثني العبّاس بن ميمون قال حدّثني رَجاء بن سَلَمة قال : سمعتُ أبا العتاهية يقول : قرأتُ البارحةَ ﴿عَمَّ يَتَساءَلُونَ﴾ ، ثم قلتُ قصيدة أحسن منها . قال : وقد قيل : إنّ منصورَ بن عمّار شنّع عليه بهذا .

قال يحيى بن عليّ حدّثنا ابن مَهرويَهْ قال حدّثني أبو عُمَر القرشيّ قال : لمّا قَصَّ منصور بن عمّار على الناس مجلسَ البَعُوضة قال أبو العتاهية : إنّما سرق منصورٌ هـذا الكلامَ من رجل كـوفيّ . فبلـغ قولُـه منصوراً فقـال : أبو العتاهية زِنديقٌ ، أما تَرَوْنه لا يذكر في شعره الجنّة ولا النار ، وإنّما يذكر الموت فقط ؟ فبلغ ذلك أبا العتاهية ، فقال فيه[1] : [من البسيط]

يا واعظَ الناسِ قد أصبحتَ مُتَّهَماً إذ عِبتَ منهـم أُموراً أنت تأتيها
كالمُلْبِس الثوبَ من عُرْيٍ وعورتُه للنـاس باديـةٌ مـا إنْ يُواريها
فأعظمُ الإثْمِ بعـد الشِّرك نَعلَمُه في كلّ نفسٍ عَماها عن مَساويها
عِرفانُها بعيوبِ الناسِ تُبصرهـا منهم ولا تُبصر العيبَ الذي فيها

فلم تَمضِ إلاّ أيّامٌ يسيرة حتى مات منصور بن عمّار ، فوقف أبو العتاهية على قبره وقال : يَغفِرِ اللهُ لكَ أبا السَّرِيّ ما كنتَ رميتَني به .

[وشي به إلى حمدويه صاحب الزنادقة فتحقّق أمره وتركه]

أخبرني محمد بن يحيى قال حدّثنا محمد بن موسى قال أخبرني النَّسائيّ عن محمد بن أبي العتاهية قال[2] : كانت لأبي العتاهية جارةٌ تُشرِف عليه ، فرأتْه ليلةً يَقْنُت ، فروتْ عنه أنّه يُكلِّم القمر ، واتّصل الخبر بحمدويَه صاحب الزنادقة ، فصار إلى منزلها وبات وأُشرف على أبي العتاهية ورآه يُصلّي ، ولم يزَل يرقُبه حتى قَنَت وانصرف إلى مضجعه ، وانصرف حمدويَه خاسئاً .

---

1 ديوان أبي العتاهية : 445 (رقم 441) وفيه في البيت الرابع «وشغلها» بدل «عرفانها» .

2 هذا الخبر في ابن العديم ـ دراسات : 53 (الفقرة 22) . وحمدويه صاحب الزنادقة اسمه محمد بن عيسى من أهل ميسان ، عيّنه المهدي لتعقّب الزنادقة .

[قال شعراً يدلّ على توحيده ليتناقله الناس]

حدّثنا محمد بن يحيى قال حدّثنا محمد بن الرياشيّ قال حدّثنا الخليل بن أسد النُّوشَجانيّ قال : جاءنا أبو العتاهية إلى منزلنا فقال : زعَم الناس أنّي زنديق ، والله ما ديني إلاّ التّوحيد . فقلنا له : فقُلْ شيئاً نتحدّث به عنك ؛ فقال[1] : [من المتقارب]

ألا إنّنـــا كلّنــا بائــدُ وأيُّ بنـــي آدمٍ خالـــدُ
وبَدْؤهـمُ كان مـن ربّهم وكلٌّ إلى ربِّـــه عائــدُ
فيا عجباً كيف يُعْصى الإلـ ـهُ أم كيف يَجْحَدُه الجاحدُ
وفي كلِّ شيءٍ له آيــةٌ تــدلُّ على أنَّــه واحــدُ

[أرجوزته المشهورة]

أخبرني أبو دُلَف هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال : تذاكروا يوماً شعرَ أبي العتاهية بحضرة الجاحظ ؛ إلى أن جرى ذكرُ أرجوزته المزدوجة التي سمّاها «ذاتَ الأمثال» ؛ فأخذ بعض مَن حضر يُنشدها حتى أتى على قوله : [من الرجز]

يا لَلشَّباب المَـرِح التَّصابي روائحُ الجنَّــةِ في الشَّبابِ

فقال الجاحظ للمُنشد : قِفْ ، ثم قال : انظروا إلى قوله :

روائحُ الجنّةِ في الشَّبابِ

فإنّ له معنًى كمعنى الطَّرب الذي لا يقدِر على معرفته إلاّ القلوبُ ، وتَعجِز عن ترجمته الألسنة إلاّ بعد التطويل وإدامة التفكير . وخيرُ المعاني ما كان القلبُ إلى قبوله أسرعَ من اللسان إلى وصفه . وهذه الأرجوزة من بدائع أبي العتاهية ، ويقال : إن له فيها أربعةَ آلاف مَثَل . منها قوله[2] : [من الرجز]

حَسْبُك ممّـــا تَبْتَغيه القـوتُ ما أكثَر القُـوتَ لمـن يموتُ
الفقـرُ فيمـا جـاوزَ الكفافا مِـــن اتّقَـى اللهَ رَجـا وخافا
هـي المقاديـرُ فلُمْني أو فَذَرْ إن كنتُ أخطأتُ فما أخطا القَدَرْ
لِكلِّ مـا يُؤذِي وإن قَلَّ ألَـمْ ما أطولَ اللّيلَ على من لم يَنَم
مـا انتفع المـرءُ بمثلِ عَقْلهِ وخيرُ ذُخْرِ المـرءِ حُسْنُ فِعْلهِ

1 ديوان أبي العتاهية : 102 (رقم 103) .

2 هذه الأرجوزة وردت في أصل ديوانه ، وقد جاءت في 320 بيتاً (ص 444–465) .

إنّ الفسادَ ضِدُّه الصّلاحُ ... ورُبَّ جِدٍّ جَرّه المِزاحُ
مَن جَعل النَّمّامَ عيناً هلَكا ... مُبْلِغُك الشرَّ كَباغيه لكا
إنّ الشَّبابَ والفَراغ والجِدَه ... مَفسَدةٌ للمرء أيُّ مَفسَدَهْ
يُغْنيك عن كلِّ قبيحٍ تَرْكُهُ ... يَرتَهِن الرأيَ الأصيلَ شَكُّهُ
ما عَيشُ مَنْ آفتُه بقاؤُهُ ... نَغَّص عيشاً كلَّه فَناؤُهُ
يا رُبَّ مَنْ أَسخطنا بجَهْدِهِ ... قد سَرّنا اللهُ بغَير حَمْده
ما تطلُع الشمسُ ولا تغيبُ ... إلاّ لأمرٍ شأنُه عجيبُ
لكلّ شيء مَعْدِنٌ وجَوْهَرُ ... وأوسطٌ وأَصغرٌ وأكبرُ
مَنْ لك بالمَحْضِ وكلٌّ مُمتزِجْ ... وساوسَ في الصّدر منه تَعتلِجْ
وكلُّ شيءٍ لاحقٌ بجوهرهْ ... أصغرُه مُتَّصِلٌ بأكبرهْ
ما زالتِ الدنيا لنا دارَ أذَى ... ممزوجةَ الصَّفو بألوان القَذى
الخيرُ والشرُّ بها أزواجُ ... لِذا نِتاجٌ ولِذا نِتاجُ
مَنْ لك بالمَحْض وليس مَحْضُ ... يَخبُث بعضٌ ويَطيب بعضُ
لكلِّ إنسانٍ طبيعتانِ ... خيرٌ وشرٌّ وهما ضِدّانِ
إنّك لو تَستنشق الشَّحيحا ... وجدتَه أنتنَ شيءٍ ريحا
والخيرُ والشرُّ إذا ما عُدّا ... بينهما بَوْنٌ بعيدٌ جِدّا
عجبتُ حتى غمّني السكوتُ ... صِرْتُ كأنّي حائرٌ مبهوتُ
كذا قضى اللهُ فكيف أصنَعُ ... الصمتُ إن ضاقَ الكلامُ أوسعُ

وهي طويلة جدّاً ، وإنّما ذكرتُ هذا القدرَ منها حسَب ما اسْتاقَ الكلامُ من صفتها .

[برمه بالناس وذمّه لهم]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مهرويَه عن رَوْح بن الفَرَج قال : شاوَرَ رجلٌ أبا العتاهية فيما ينقُشه على خاتمه ؛ فقال : انقُش عليه : لَعنةُ الله على الناس ؛ وأنشد[1] : [من السريع]

بَرِمتُ بالناسِ وأخلاقِهم ... فصِرْتُ أستأنِس بالوَحدَهْ
ما أكثرَ الناسَ لعَمْري وما ... أقلَّهم في حاصلِ العِدّهْ

---

1 ديوان أبي العتاهية : 134 (الحاشية) عن الأغاني .

[مدح عمر بن العلاء]

حدّثنا الصُّوليّ قال حدّثنا الغَلابيّ قال حدّثنا عبد الله بن الضحّاك : أنّ عمر بن العلاء مولى عمرو بن حُرَيث صاحبَ المهديّ كان مُمَدَّحاً ، فمدحه أبو العتاهية ، فأمر له بسبعين ألف درهم ؛ فأنكر ذلك بعضُ الشعراء وقال : كيف فعل هذا بهذا الكوفيّ ؟ وأيّ شيء مِقدارُ شعره ؟ فبلغه ذلك ، فأحضر الرجلَ وقال له : والله إنّ الواحد منكم لَيَدُور على المعنى فلا يُصيبه ، ويتعاطاه فلا يُحسنه ، حتى يُشبّب بخمسين بيتاً ، ثم يمدَحنا ببعضها ، وهذا كأنّ المعاني تُجمع له ، مدحني فقَصَّر التشبيبَ ، وقال[1] : [من الكامل]

إنّي أَمِنْتُ من الزمـانِ ورَيبِه ... لَمّا عَلِقتُ مِـنَ الأميرِ حِبالا

لو يستطيعُ الناسُ من إجلاله ... لَحَذَوْا لـه حُـرَّ الوُجوهِ نِعالا

صوت

إنّ المطايا تَشتكيك لأنّها ... قطَعتْ إليك سَباسِباً ورِمالا

فإذا وَرَدْنَ بنا وردن مُخِفَّةً ... وإذا رجَعْنَ بنا رجعنَ ثِقالا

أخذ هذا المعنى من قول نُصَيب : [من الطويل]

فعاجُوا فأَثْنَـوْا بالذي أنت أهلُه ... ولو سكتوا أثنتْ عليك الحقائبُ

[رأي العتابي فيه]

حدّثنا الصُّوليّ قال حدّثنا محمد بن عَوْن قال حدّثني محمد بن النَّضْر كاتب غسَّان بن عبد الله قال : أُخرِجتُ رسولاً إلى عبد الله بن طاهر وهو يُريد مصر ، فنزلت على العتّابيّ ، وكان لي صديقاً ، فقال : أنشِدني لشاعر العراق ، يعني أبو نواس ، وكان قد مات ، فأنشدته ما كنت أحفظ من مُلَحِه ، وقلت له : ظَنَنتُك تقول هذا لأبي العتاهية . فقال : لو أردتُ أبا العتاهية لقلت لك : أنشِدني لأشعر الناس ، ولم أقتصر على العراق .

[ملاحظته على سهولة الشعر لمن يعالجه]

أخبرني عمّي قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني هارون بن سَعدان عن شيخ من أهل بغداد قال : قال أبو العتاهية : أكثرُ الناس يتكلّمون بالشعر وهم لا يعلمون ، ولو أحسنوا تأليفه كانوا شعراء كلّهم . قال : فبينما نحن كذلك إذ قال رجلٌ لآخر عليه مِسحٌ : «يا صاحب المِسْحِ تَبيع المسْحَ ؟» . فقال لنا أبو العتاهية : هذا من ذلك ، ألم تسمعوه يقول : [من الرجز]

---

1 تكملة الديوان : رقم 191 .

يا صاحبَ المِسح تَبيع المسحا

قد قال شعراً وهو لا يعلم . ثم قال الرجل : «تعال إن كنتَ تريد الرِّبح» . فقال أبو العتاهية : وقد أجاز المصراع بمصراع آخر وهو لا يعلم ، قال له :

تعـــالَ إن كنــتَ تُريــدُ الرِّبحا

[وصف الأصمعيّ شعره]

حدّثنا الصُّوليّ قال حدّثنا محمد بن موسى قال حدّثنا أحمد بن بشير أبو طاهر الحَلَبيّ قال حدّثنا مَزْيَد الهاشميّ عن السِّدْريّ قال : سمعت الأصمعيّ يقول : شِعْرُ أبي العتاهية كساحة الملوك يَقع فيها الجوهرُ والذهب والتراب والخَزَف والنَّوى .

[مدح يزيد بن منصور]

أخبرني محمد بن مَزْيَد بن أبي الأزهر قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال : لمّا حَبس المهديُّ أبا العتاهية ، تكلّم فيه يزيد بن منصور الحِميريّ حتى أطلقه ؛ فقال فيه أبو العتاهية[1] : [من البسيط]

مـا قلتُ في فَضلِه شيئاً لأمدحَه ... إلاّ وفضلُ يَزيـدٍ فـوقَ ما قلتُ

ما زلتُ من رَيْبِ دهري خائفاً وَجِلاً ... فقد كفاني بعـدَ الله مـا خِفْتُ

[قدرته على ارتجال الشعر]

أخبرني يحيى بن عليٍّ إجازةً قال حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني محمد بن يحيى قال حدّثني عبد الله بن الحسن قال : جاءني أبو العتاهية وأنا في الديوان فجلس إليّ . فقلت : يا أبا إسحاق ، أما يصعُب عليك شيءٌ من الألفاظ فتحتاج فيه إلى استعمال الغريب كما يحتاج إليه سائرُ من يقول الشعر ، أو إلى ألفاظ مُسْتكرَهة ؟ قال لا . فقلت له : إنِّي لأحسب ذلك من كثرة رُكوبك القوافي السَّهلةَ . قال : فاعرِض عليّ ما شئتَ من القوافي الصعبة . فقلت : قل أبياتاً على مثل البلاغ . فقال من ساعته[2] : [من الخفيف]

أيُّ عيشٍ يكون أبلَغ من عيـ ... ـشٍ كَفافٍ قُوتٍ بقَدْر البلاغِ

صاحبُ البَغْي ليس يسلَمُ منه ... وعلى نَفْسه بَغـــى كلُّ باغِي

رُبَّ ذي نِعمـةٍ تَعرَّضَ منهـا ... حائـلٌ بينـه وبـين المَساغِ

أَبْلَغ الدهـرُ في مَواعظِه بل ... زاد فيهـنّ لي عـلى الإبلاغِ

1 تكملة الديوان : رقم 41 وهي أربعة أبيات عن الموشح : 262 .

2 ديوان أبي العتاهية : 236 (رقم 244) .

غَبَنَتْنِي الأيّـامُ عقلِي ومالي وشَبابِي وصِحّتي وفراغِي

[كان مسلم بن الوليد يستخفّ به فلمّا أنشده من غزله أكبره]

أخبرنا يحيى إجازةً قال حدّثنا عليّ بن مهديّ قال حدّثني أبو عليّ اليَقطِينيّ قال حدّثني أبو خارجة بن مسلم قال : قال مسلم بن الوليد : كنت مُسْتَخِفّاً بشعر أبي العتاهية ، فلَقِيَني يوماً فسألني أن أصير إليه ، فصِرت إليه فجاءني بلَونٍ واحد فأكلناه ، وأُحضَرني تمراً فأكلناه ، وجلسنا نتحدّث ، وأنشدته أشعاراً لي في الغزل ، وسألته أن يُنشِدني ، فأنشدني قوله[1] : [من البسيط]

باللهِ يـا قُرّةَ العينَيْنِ زُورِيني قبـلَ المماتِ وإلاّ فاسْتَزِيرِيني
إنّي لأَعْجَبُ من حُـبٍّ يُقَرّبني ممّـن يُباعدني منه ويُقْصِيني
أمّا الكثير فما أرجوه منكِ ولو أطمعتني في قليـلٍ كان يَكفيني

ثم أنشدني أيضاً[2] : [من الطويل]

رأيتُ الهوى جمرَ الغَضا غيرَ أنّه على حَرّه في صدرِ صاحبهِ حُلْوُ

صوت

[من الطويل]

أَخِلاّيَ بي شَجْوٌ وليس بكم شجوُ وكلُّ امرىءٍ عن شَجو صاحبه خِلْوُ
ومـا مـن مُحِبٍّ نالَ ممّن يُحِبّه هوًى صادقاً إلاّ سيدخُلـه زَهْوُ
بُلِيتُ وكان المَـزْحُ بـدْءَ بَلِيّتي فأحببـتُ حقّاً والبلاء لـه بَدْوُ
وعُلِّقتُ مَـنْ يزهـو عليّ تَجبُّراً وإنّـيَ في كلِّ الخِصالِ لـه كُفْوُ
رأيتُ الهوى جمرَ الغَضا غير أنّه على كلِّ حالٍ عنـد صاحبه حُلْوُ

الغناء لإبراهيم ثقيلٌ أوّل مُطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق ، وله فيه أيضاً خفيف ثقيلٍ أوّل بالوسطى عن عمرو . ولعمرو بن بانة رمل بالوسطى من كتابه . ولعُريب فيه خفيف ثقيـلٍ من كتاب ابن المُعتزّ ، قال مسلم : ثم أنشدني أبو العتاهية[3] : [من الطويل]

---

1 تكملة الديوان : الزيادة رقم 263 وفيها «بالله يا حلوة العينين . . .» .

2 تكملة الديوان : رقم 295 .

3 تكملة الديوان : رقم 243 .

صوت

خليليَّ ما لي لا تَزال مَضَرّتي ... تكون على الأَقْدارِ حَتْماً منَ الحَتْمِ
يُصاب فؤادي حين أرْمى ورَمْيَتي ... تعودُ إلى نَحري ويَسْلَمُ من أَرْمي
صَبَرتُ ولا واللهِ ما بي جَلادةٌ ... على الصبر لكنّي صَبَرتُ على رَغْمي
ألا في سبيلِ الله جسمي وقُوّتي ... ألا مُسْعِدٌ حتى أنوح على جسمي
تُعَدّ عظامي واحداً بعد واحدٍ ... بِمَنْحًى منَ العُذّال عَظْماً على عَظمِ
كفاك بحقّ الله ما قد ظلمتَني ... فهذا مَقام المستجير من الظُّلْمِ

الغناء لسِياط في هذه الأبيات ، وإيقاعه من خفيف الثقيل الأوّل بالسبابة في مجرى البِنصر عن إسحاق ، قال مسلم : فقلت له : لا والله يا أبا إسحاق ما يُبالي مَنْ أحسنَ أن يقول مثل هذا الشّعر ما فاته من الدنيا ! فقال : يا ابن أخي ، لا تقولنّ مثل هذا ؛ فإن الشعر أيضاً من بعض مَصايد الدنيا .

[وفد مع الشعراء على الرشيد فأفرده بالجائزة]

أخبرنا يحيى إجازةً قال حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني عبد الرحمن بن الفضل قال حدّثني ابن الأعرابيّ قال : اجتمعت الشعراء على باب الرشيد ، فأذِن لهم فدخلوا وأنشدوا ؛ فأنشد أبو العتاهية[1] : [من السريع]

يا مَنْ تَبَغّى زمناً صالحاً ... صَلاحُ هارونَ صلاحُ الزمنْ
كلُّ لسانٍ هو في مُلكه ... بالشكرِ في إحسانه مُرْتَهَنْ

قال : فاهتزّ له الرشيد ، وقال له : أحسنتَ والله ؛ وما خرج في ذلك اليوم أحد من الشعراء بِصلةٍ غيره .

[شعره في فرس الرشيد]

أخبرني يحيى بن عليّ إجازةً قال حدّثنا عليّ بن مهديّ قال حدّثنا عامر بن عِمران الضَّبيّ قال حدّثني ابن الأعرابيّ قال : أَجرى هارون الرشيد الخيلَ ، فجاءه فرس يقال له المُشَمِّر سابقاً ، وكان الرشيد مُعْجَباً بذلك الفرس ، فأمر الشعراء أن يقولوا فيه ؛ فبدرهم أبو العتاهية فقال[2] : [من البسيط]

---

1 تكملة الديوان : رقم 280 .
2 تكملة الديوان : رقم 97 .

جــاء المشمّرُ والأفراسُ يَقْدُمُهــا هَوْنــاً على رِسْله منها ومــا انبَهرا
وخَـلَّفَ الريحَ حَسْرى وهي جاهدةٌ ومَــرَّ يَختطِــفُ الأبصارَ والنظرا

فأجزل صلتَه ، وما جسَر أحدٌ بعد أبي العتاهية أن يقول فيه شيئاً .

[رثاؤه صديقه علي بن ثابت]

أخبرني يحيى إجازةً قال حدّثني الفضل بن عبّاس بن عُقبة بن جعفر قال : كان عليّ بن ثابت صديقاً لأبي العتاهية وبينهما مُجاوبات كثيرة في الزهد والحِكمة ، فتُوفّي عليّ بن ثابت قبله ، فقال يَرثيه[1] : [من مجزوء الخفيف]

مُؤْنِسٌ كان لي هَلَـكْ والسبيلُ التــي سَلَكْ
يــا عليُّ بــنَ ثابــتٍ غَفَـرَ اللهُ لي ولَــكْ
كلُّ حــيٍّ مُمَلَّــكٍ سوف يَفْنى ومــا مَلَكْ

قال الفضل : وحضر أبو العتاهية عليَّ بن ثابت وهو يجود بنفسه ، فلم يزل مُلتزمه حتى فاض ، فلمّا شُدّ لَحياه بكى طويلاً ، ثم أنشد يقول[2] : [من الخفيف]

يــا شَرِيكي في الخير قَرّبك اللّــ ــهُ فنعمَ الشّريكُ في الخيرِ كُنتا
قد لَعَمْرِي حكَيْتَ لي غُصَصَ المو تِ فحرَّكْتَنــي لهــا وسَكَنْتا

قال : ولّما دُفن وقف على قبره يبكي طويلاً أحرَّ بكاء ، ويردِّد هذه الأبيات[3] : [من الوافر]

ألا مَــنْ لي بأُنْسِك يا أُخيّا ومَــنْ لي أن أُبُثَّك مــا لديّا
طَوتْكَ خُطوبُ دهركَ بعد نَشْرٍ كــذاك خُطوبُــه نَشْراً وطيّا
فلــو نَشَرتْ قُواك لِيَ المنايا شكوتُ إليك مــا صنعتْ إليّا
بكيتُك يــا عليُّ بدمــعِ عَيني فما أغنــى البكاءُ عليك شَيّا
وكانت في حياتِكَ لي عِظاتٌ وأنت اليومَ أوعظُ منــكَ حيّا

[مرثيته في عليّ بن ثابت وأقوال الفلاسفة في موت الإسكندر]

قال عليّ بن الحسين مؤلّف هذا الكتاب : هذه المعاني أخذها كلَّها أبو العتاهية من كلام الفلاسفة لّما حضروا تابوتَ الإسكندر[4] ، وقد أُخرج الإسكندر ليُدْفَن : قال بعضهم : كان

1 تكملة الديوان : رقم 177 وقد جعل البيت الثاني ثالثاً .

2 ديوان أبي العتاهية : 70 (رقم 67) .

3 ديوان أبي العتاهية (صادر) : 491 .

4 وردت أقوال الفلاسفة في مصادر كثيرة ذكرها إحسان عبّاس في كتابه «ملامح يونانية في الأدب العربي» 247– 271 (الطبعة الثانية) . وفي تضمين أبي العتاهية لبعض أقوالهم في شعره انظر زهر الآداب 2 : 673–674 (تحقيق علي محمد البجاوي ـ الطبعة الثانية ، القاهرة ، 1969) .

الملك أمسِ أهيبَ منه اليوم ، وهو اليوم أوعظُ منه أمس . وقال آخر : سَكَنَتْ حركةُ الملك في لذّاته ، وقد حرّكنا اليوم في سكونه جزعاً لفقده . وهذان المعنيان هما اللذان ذكرهما أبو العتاهية في هذه الأشعار .

[هو عند نفسه أشعر الناس]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني جعفر بن الحسين المهلَّبيّ قال : لَقِينا أبو العتاهية فقلنا له : يا أبا إسحاق ، مَنْ أشعرُ الناس ؟ قال : الذي يقول : [من منهوك الكامل]

اللهُ أنجحُ ما طلبتَ به ... والبِرُّ خيرُ حَقيبة الرَّحْلِ

فقلت : أنْشِدني شيئاً من شعرك ؛ فأنشدني [1] : [من البسيط]

يا صاحبَ الرُّوح ذي الأنفاسِ في البدَنِ ... بين النهارِ وبين الليلِ مُرْتَهَنِ
لقلّما يتخطّاك اختلافُهما ... حتى يُفَرِّق بين الرُّوحِ والبدنِ
لَتَجْذِبَنِّي يدُ الدُّنيا بقوّتها ... إلى المنايا وإن نازعتُها رَسَني
للهِ دُنيا أُناسٍ دائبِين لها ... قد ارتَعَوْا في رياض الغَيّ والفِتَنِ
كسائماتٍ رِتاعٍ تَبتغي سِمَناً ... وحَتْفُها لو دَرَتْ في ذلك السِّمَنِ

قال : فكتبتُها ، ثم قلت له : أنشدني شيئاً من شعرك في الغزل ؛ فقال : يا ابن أخي ، إنّ الغزل يُسرِع إلى مثلك . فقلت له : أرجو عصمةَ الله جلّ وعزّ . فأنشدني [2] : [من السريع]

كأنّها من حُسنها دُرّةٌ ... أخرجها اليَمُّ إلى الساحِلِ
كأنّ في فيها وفي طَرفها ... سواحراً أقبلنَ من بابلِ
لم يُبْقِ مِنّي حبُّها ما خلا ... حُشاشَةً في بَدَنٍ ناحلِ
يا مَنْ رأى قبلي قتيلاً بكى ... من شدّةِ الوَجْدِ على القاتلِ

فقلت له : يا أبا إسحاق ، هذا قولُ صاحبنا جَميل : [من الطويل]

خليليَّ فيما عِشتُما هل رأيتما ... قتيلاً بكى من حبّ قاتِله قبلي

فقال : هو ذاك يا ابن أخي وتبسّم .

---

1 ديوان أبي العتاهية : 397 (رقم 410) .
2 تكملة الديوان : رقم 204 مع اختلاف في الترتيب .

[شعره في التحسّر على الشباب]

أخبرني محمد بن القاسم الأنباريّ قال حدّثني أبي قال حدّثني أبو عِكْرِمة عن شيخ له من أهل الكوفة قال : دخلتُ مسجد المدينة ببغداد بعد أن بُويع الأمينُ محمدٌ بسَنةٍ ، فإذا شيخٌ عليه جماعةٌ وهو يُنشد[1] : [من مجزوء الكامل]

لَهْفِي على وَرَقِ الشّبابِ وغُصونِه الخُضْرِ الرِّطابِ
ذهبَ الشبابُ وبانَ عنّـ ـي غيرَ مُنتَظَرِ الإيابِ
فلأَبْكِيَـنَّ عـلى الشَّبا بِ وطِيبِ أيّام التَّصابي
ولأَبْكِـينَّ مـن البِـلى ولأَبكينَّ من الخِضابِ
إنّي لآمُـلُ أن أُخَـ ـلَّد والمنيَّةُ في طِلابي

قال : فجعل يُنشدها وإنّ دموعَه لتَسيل على خدّيه . فلمّا رأيت ذلك لم أصبر أنْ مِلتُ فكتبتُها . وسألت عن الشيخ فقيل لي : هو أبو العتاهية .

[ابن الأعرابيّ يعيب شعره]

أخبرني محمد بن عِمران الصَّيرفيّ قال حدّثنا الحسن بن عُليل العَنَزيّ قال حدّثني أبو العبّاس محمّد بن أحمد قال : كان ابن الأعرابيّ يَعيب أبا العتاهية ويَثْلُبُه ، فأنشدته[2] : [من منهوك الكامل]

كم من سفيهٍ غاظَني سَفَهاً فشَفَيْتُ نفسي منه بالحِلْمِ
وكَفَيْتُ نفسي ظلمَ عاديتي ومنحتُ صفوَ مودّتي سِلْمي
ولقد رُزِقتُ لظالمي غِلَظاً ورَحِمتُه إذ لَجَّ في ظُلْمي

[أحبّ شعره إليه]

أخبرني محمد بن عمران قال حدّثني العنزيّ قال حدّثني محمد بن إسحاق قال حدّثني محمد بن أحمد الأَزديّ قال : قال لي أبو العتاهية : لم أقل شيئاً قطّ أحبَّ إليّ من هذين البيتين [في] معناهما[3] : [من الخفيف]

ليت شعري فإنّني لستُ أدري أيُّ يـومٍ يكون آخِرَ عُمْري

1 ديوان أبي العتاهية (صادر) : 68 .
2 تكملة الديوان (صادر) : 411 .
3 ديوان أبي العتاهية (صادر) : 172 .

وبأيِّ البــلادِ يُقبض رُوحــي وبأيِّ البِقــاعِ يُحْفَــرُ قبري

[راهن جماعة على قول الشعر فغلبهم]

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثني محمد بن الفضل قال حدّثنا محمد بن عبد الجبّار الفزاريّ قال : اجتاز أبو العتاهية في أوّل أمره وعلى ظهره قفصٌ فيه فَخّار يدور به في الكوفة ويَبيع منه ، فمرّ بفتيان جُلوس يتذاكرون الشعرَ ويتناشدونه ، فسلّم ووضع القفص عن ظهره ، ثم قال : يا فتيانُ أراكم تذاكرون الشعر ، فأقول شيئاً منه فتُجيزونه ، فإن فعلتم فلكم عشرة دراهم ، وإن لم تفعلوا فعليكم عشرة دراهم ؛ فهَزِئوا منه وسخِروا به وقالوا نعم . قال : لا بدّ أن يُشترَى بأحد القِمارَيْن رُطَبٌ يُؤكل فإنّه قِمار حاصل ، وجعل رَهْنَه تحت يد أحدهم ، ففعلوا . فقال : أجِيزوا :

ساكِنــي الأجداثِ أنتُمْ

وجعل بينه وبينهم وقتاً في ذلك الموضع إذا بلغته الشمسُ ولم يُجيزوا البيت ، غُرِّموا الخطر[1] ؛ وجعل يهزأ بهم وتَمَّمه : [من مجزوء الرمل]

.... مثلَنــا بالأمسِ كُنْتــمْ

ليــتَ شعري ما صنعتم أرَبِحتـــم أم خَسِرتــمْ

وهي قصيدة طويلة في شعره .

[هجاه أبو حبش وذم شعره]

أخبرني عمّي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني محمد بن عبد الله عن أبي خَيْثَم العَنَزيّ قال : لمّا حَبَس الرشيد أبا العتاهية وحلَف ألاّ يُطلِقه أو يقول شعراً ، قال لي أبو حبش : أسمعتَ بأعجبَ من هذا الأمر ، تقول الشعراء الشعرَ الجيّد النادر فلا يُسمع منهم ، ويقول هذا المخنَّث المُفكَّك تلك الأشعار بالشفاعة ! ثم أنشدني[2] : [من الوافر]

أبــا إسحاق راجعت الجماعَهْ وعُدْتَ إلى القوافي والصِّناعَهْ

وكنت كجامحٍ في الغَيِّ عاصٍ وأنــت اليومَ ذو سمـع وطاعَهْ

فجُرَّ الخزّ ممّــا كنتَ تُكْسَى وَدَع عنك التَقَشُّفَ والبَشاعَهْ

وشَبِّبْ بالتــي تهـوى وخَبِّـرْ بأنّــك مَيِّــتٌ في كلِّ ساعَهْ

كسَدنا مــا نــراد وإنْ أَجدنا وأنت تقولُ شعـرَك بالشّفاعَهْ

---

1 الخطر : الرهان .

2 لم ترد هذه الأبيات في الديوان المطبوع .

[خرج مع المهديّ في الصيد]

أخبرني أحمد بن العبّاس العسكريّ قال حدّثنا العَنَزيّ قال حدّثنا محمد بن عبد الله قال حدّثني أبو خَيْثم العَنَزيّ ، وكان صديقاً لأبي العتاهية ، قال حدّثني أبو العتاهية قال : أخرجني المهديّ معه إلى الصيد ، فوقعنا منه على شيء كثير ، فتفرّق أصحابه في طلبه وأخذ هو في طريق غير طريقهم فلم يَلْتَقوا ، وعرض لنا وادٍ جرّارٌ وتَغيَّمتِ السماءُ وبدأت تُمطر فتحيّرنا ، وأشرفنا على الوادي فإذا فيه ملاّح يُعَبِّر الناس ، فلجأنا إليه فسألناه عن الطريق ، فجعل يُضَعِّف رأينا ويُعجِّزنا في بَذلنا أنفسنا في ذلك الغَيم للصيد حتى أبعدنا ، ثم أدخلنا كُوخاً له . وكاد المهديّ يموت برداً ؛ فقال له : أغطّيك بجُبّتي هذه الصوف ؟ فقال نعم ؛ فغطّاه بها ، فتماسك قليلاً ونام . فافتقده غِلمانه وتَبِعوا أثره حتى جاؤونا . فلمّا رأى الملاّح كثرتهم علِم أنّه الخليفة فهرب ، وتبادر الغِلمان فنَحَّوا الجبّة عنه وألقَوا عليه الخزَّ والوَشْيَ . فلمّا انتبه قال لي : ويحك ؛ ما فعل الملاّح ؟ فقد والله وَجَب حقُّه علينا . فقلت : هرَب والله خوفاً من قُبح ما خاطبنا به . قال : إنّا لله ؛ والله لقد أردتُ أن أغْنِيه ، وبأيّ شيء خاطبَنا ؟ نحن والله مُستحقّون لأقبح ممّا خاطبنا به ، بحياتي عليك إلاّ ما هجوتَني . فقلت : يا أمير المؤمنين ، كيف تَطيب نفسي بأن أهجوكَ ؟ قال : والله لَتَفْعَلنّ ؛ فإنّي ضعيفُ الرأي مُغرَمٌ بالصّيد . فقلت[1] : [من السريع]

يا لابسَ الوَشْيِ على ثوبـه ما أقبحَ الأَشْيَبَ في الراحِ

فقال : زدْني بحياتي ؛ فقلت : [من السريع]

لو شئتَ أيضاً جُلْتَ في خامةٍ وفي وَشاحَيْنِ وأَوْضـاحِ[2]

ويلك ! هذا معنى سَوْء يرويه عنك الناس ، وأنا أستأهل . زِدني شيئاً قلت : إني أخاف أن تغضب . قال : لا والله . فقلت : [من السريع]

كم مَنْ عظيمِ القَدرِ في نفسِه قـد نـامَ في جُبّةِ مَلاّحِ

فقال معنى سوء ، عليك لعنةُ الله ؛ وقمنا وركبنا وانصرفنا .

[وقعت في عسكر المأمون رقعة فيها شعره فوصله]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا محمد بن يزيد قال حدّثنا جماعة من كتاب الحسن بن سهل قالـوا : وقعت رقعةٌ فيها بيتَا شعرٍ في عسكر المأمون ، فجيء بها إلى مُجاشع بن

1 تكملة الديوان : رقم 59 .
2 الأوضاح : حلي من الفضّة .

مسعدَة ، فقال : هذا كلام أبي العتاهية ، وهو صديقي ، وليست المخاطبة لي ولكنّها للأمير الفضل بن سهل . فذهبوا بها ، فقرأها وقال : ما أعرف هذه العلامة . فبلغ المأمون خبرُها فقال : هذه إليّ وأنا أعرف العلامة . والبيتان[1] : [من الخفيف]

صوت

مـا على ذا كنّا افترَقْنا بِسَنْدا نَ ومـا هكذا عهِدْنـا الإخاءَ

تَضْرِبُ النـاسَ بالمُهَنَّدة البِيـ ـضِ على غَدْرِهم وتَـنْسَى الوفاءَ

قال : فبعث إليه المأمون بمالٍ .

في هذين البيتين لأبي عيسى بن المتوكّل رمل من رواية ابن المعتزّ .

[استبطأ عادة ابن يقطين فقال شعراً فعجلها له]

قال : وكان عليّ بن يَقطِين صديقاً لأبي العتاهية ، وكان يَبَرّه في كلّ سنة ببرّ واسع ، فأبطأ عليه بالبِرّ في سنة من السنين . وكان إذا لقِيَه أبو العتاهية أو دخل عليه يُسَرّ به ويرفع مجلسَه ولا يَزيده على ذلك . فلقيه ذات يوم وهو يريد دار الخليفة ، فاستوقفه فوقف له ، فأنشده[2] : [من البسيط]

حتّى متى ليت شعري يا ابنَ يَقْطِينِ أُثني عليـك بمـا لا منك تُولِيني

إنّ السّلامَ وإنّ البِشْرَ مـن رجلٍ في مثلِ ما أنتَ فيـه ليس يَكْفِيني

هذا زمـانٌ ألحّ الناسُ فيـه على تيه الملـوك وأخـلاقِ المساكينِ

أَمَا علمتَ جـزاك اللهُ صالحـةً وزادك اللهُ فضلاً يـا ابنَ يَقْطِينِ

أنّي أُريـدك للدُّنيـا وعاجلها ولا أُريـدك يـومَ الدِّين للدينِ

فقال عليّ بن يَقطين : لستُ والله أبرح ولا تَبرح من موضعنا هذا إلاّ راضياً ، وأمر له بما كان يبعث به إليه في كلّ سنة ، فحُمل من وقته وعليٌّ واقفٌ إلى أن تَسلّمه .

[نظم شعراً في الحبس أبكى الرشيد]

وأخبرني محمد بن جعفر النحويّ صِهْرُ المبرَّد قال حدّثنا محمد بن يزيد قال : بلغني من غير وجه : أنّ الرشيد لمّا ضرب أبا العتاهية وحبسَه ، وَكّل به صاحب خَبَرٍ يكتب إليه بكلّ ما يسمعه . فكتب إليه أنّه سمعه يُنشد[3] : [من الوافر]

---

1 ديوان أبي العتاهية (صادر) : 17 .

2 الديوان : 376 (رقم 384) بترتيب مختلف وفي التكملة : رقم 285 بهذا الترتيب .

3 الديوان : 353 (رقم 361) .

أمّا واللهِ إنّ الظلمَ لُـومُ ... وما زالَ المُسيءُ هو الظَّلُومُ
إلى دَيَّانِ يومِ الدِّين نَمْضي ... وعندَ اللهِ تجتمعُ الخصومُ

قال : فبكى الرشيد ، وأمر بإحضار أبي العتاهية وإطلاقه ، وأمر له بألفَيْ دينار .

[رماه منصور بن عمار بالزندقة]

أخبرني محمد بن جعفر قال حدّثني محمد بن موسى عن أحمد بن حرب[1] عن محمد بن أبي العتاهية قال : لمّا قال أبي في عُتْبة[2] : [من السريع]

كأنّ عتابـةَ مـن حسنِها ... دُمْيـةُ قَسٍّ فتنَـتْ قَسَّها
يـا رَبِّ لو أُنْسِيْتَنِيها بمـا ... في جَنَّةِ الفِرْدوس لم أَنْسَها

شَنَّع عليه منصور بن عمّار بالزندقة ، وقال : يتهاون بالجنّة ويَبتذل ذِكْرَها في شعره بمثل هذا التهاونِ ! وشنّع عليه أيضاً بقوله[3] : [من مجزوء الكامل]

إنّ المليـكَ رآكِ أحـ ... ـسنَ خَلْقِه ورأى جَمالكْ
فحـذا بقُـدْرةِ نفسه ... حُـورَ الجِنانِ على مثالِكْ

وقال : أيُصَوِّر الحورَ على مثال امرأة آدميّة واللهُ لا يحتاج إلى مثال ؛ وأوقع له هذا على أَلْسِنة العامّة ؛ فلَقِي منهم بلاءً .

[سأله الباذغيسي عن أحسن شعره]

حدّثني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال حدّثنا خليل بن أسد قال حدّثني أبو سَلَمة الباذَغيسيّ قال : قلتُ لأبي العتاهية : في أيّ شعر أنت أشعرُ ؟ قال : قولي[4] : [من مجزوء الكامل]

النـاسُ في غَفَلاتِهـمْ ... وَرَحـى المنيـّةِ تَطْحَنُ

[أنشد المأمون شعره في الموت فوصله]

أخبرني محمد بن عمران الصَّيرفيّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيل العَنَزيّ قال حدّثني يحيى بن عبد الله القرشيّ قال حدّثني المُعَلَّى بن أيّوب قال : دخلتُ على المأمون يوماً وهو مُقبِل على شيخ حَسَن اللِّحية خَضيبٍ شديد بياض الثياب على رأسه لاطئةٌ ، فقلت للحسن بن أبي سعيد ، قال : وهو ابن خالة المُعَلّى بن أيّوب . وكان الحسن كاتبَ المأمون على العامّة : مَن هذا ؟ فقال : أما

1 ل : حريث .
2 تكملة الديوان : رقم 135 .
3 تكملة الديوان : رقم 208 . وانظر حاشية القطعة رقم 135 من التكملة .
4 الديوان : 381 (رقم 389) من قطعة فيها 14 بيتاً .

تعرفه ؟ فقلت : لو عرفتُه ما سألتُك عنه . فقال : هذا أبو العتاهية . فسمعت المأمون يقول له : أنْشِدني أحسنَ ما قلتَ في الموت ؛ فأنشده[1] : [من مجزوء الكامل]

أَنساكَ مَحْياكَ المماتا فطَلَبْتَ في الدنيا الثَّباتا
أَوَثِقْتَ بالدنيا وأنـ ـتَ ترى جَماعتَها شَتاتا
وعزَمتَ منك على الحيا ةِ وطُولِها عَزْماً بَتاتا
يا مَنْ رأى أَبَوَيْه فيـ ـمَنْ قد رأى كانا فماتا
هل فيهما لك عِبْرةٌ أم خِلْتَ أنّ لك انْفِلاتا
ومَن الذي طَلبَ التَّفَلُّـ ـتَ من مَنِيّته ففاتا
كلٌّ تُصَبِّحه المنـ ـيّةُ أو تُبَيِّتُه بَياتا

قال : فلمّا نهض تَبِعتُه فقبضت عليه في الصحن أو في الدهليز ، فكتبتها عنه .

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى : قال حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني محمد بن سهل قال حدّثني الجاحظ عن ثُمامة قال : دخل أبو العتاهية على المأمون فأنشده[2] : [من السريع]

ما أحسنَ الدنيا وإقبالَها إذا أطاعَ اللهَ مَنْ نالَها
مَنْ لم يُواسِ الناسَ من فضلها عَرَّض للإدبارِ إقبالَها

فقال له المأمون : ما أجود البيتَ الأوّل ! فأمّا الثاني فما صنعتَ فيه شيئاً ، الدنيا تُدبر عمّن واسَى منها أو ضَنّ بها ، وإنّما يُوجِب السماحةُ بها الأجرَ ، والضنُّ بها الوِزْرَ . فقال : صدقتَ يا أمير المؤمنين ، أهلُ الفضلِ أَوْلى بالفضل ، وأهلُ النقصِ أولى بالنقص . فقال المأمون : ادفَعْ إليه عشرةَ آلاف درهم لاعترافه بالحقّ . فلمّا كان بعد أيّام عاد فأنشده[3] : [من السريع]

كم غافلٍ أَوْدى به الموتُ لم يأخُذِ الأُهبَة للفَوْتِ
مَنْ لم تَزُلْ نعمتُه قبلَه زال عن النعمةِ بالموتِ[4]

فقال له : أحسنتَ ؛ الآن طَيَّبْتَ المعنى ؛ وأمر له بعشرين ألف درهم .

[تأخّرت عنه عادة المأمون سنة ثم عجلها]

أخبرني أحمد بن العبّاس العسكريّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيْل العَنَزيّ قال حدّثني ابن

1 الديوان : 74 (رقم 73) .
2 ديوان أبي العتاهية : 338 (رقم : 346) خمسة أبيات .
3 ديوان أبي العتاهية : 79 (رقم : 78) .
4 زال عن النعمة في ل : تذعر النعمة .

سِنانٍ العِجليّ عن الحسن بن عائذ قال : كان أبو العتاهية يَحُجّ في كلّ سنة ، فإذا قدِم أهْدى إلى المأمون بُرْداً ومِطرَفاً ونعلاً سوداء ومَساوِيكَ أراكٍ ، فيبعث إليه بعشرين ألف درهم . وكان يُوَصّل الهديّة من جهته مِنْجابٌ مولى المأمون ويَجيئه بالمال . فأهدى مرّةً له كما كان يُهدي كلّ سنة إذا قَـدِم فلم يُثِبْه ولا بعث إليه بالوظيفة . فكتب إليه أبو العتاهية[1] : [من الرمل]

خَبَّروني أنّ مِن ضَرْب السّنَهْ جُدُداً بِيضاً وصُفْراً حَسَنَهْ
أُحْدِثَـتْ لكنّني لم أرهـا مِثْلَ ما كنتُ أرى كلَّ سَنَهْ

فأمر المأمون بحمل العشرين ألف درهم ، وقال : أغفلْناه حتى ذكّرنا .

[كان الهادي واجداً عليه فلمّا تولّى استعطفه]

حدّثنا محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثنا المُغيرة بن محمد المُهلَّبيّ قال حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال أخبرني عُروة بن يوسف الثَّقفيّ قال : لمّا وَلِي الهادي الخلافة كان واجداً على أبي العتاهية لملازمته أخاه هارون وانقطاعه إليه وتَركِه موسى ، وكان أيضاً قد أمر أن يخرُج معه إلى الرَّيّ فأبى ذلك ؛ فخافه وقال يَستعطفه[2] : [من الطويل]

ألا شافِعٌ عنـد الخليفةِ يَشْفَعُ فيدفَـع عنّـا شرَّ مـا يُتَوَقَّعُ
وإنّي على عُظْمِ الرجاء لخائفٌ كأنّ على رأسي الأسِنّةَ تُشْرَعُ
يُرَوِّعني موسى على غير عَثْرةٍ ومالي أرى موسى من العفوِ أوْسَعُ
وما آمِنٌ يُمسِي ويُصبح عائذاً بعفـو أميـر المؤمنـين يُرَوَّعُ

[مدح الهادي واستشفع ابن عقال حتى نال جائزة]

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثني عليّ بن الصبّاح قال حدّثني محمد بن أبي العتاهية قال : دخل أبي على الهادي فأنشده[3] : [من مجزوء الرمل]

يـا أمـينَ اللهِ مالي لستُ أدري اليومَ مالي
لم أنَلْ منكَ الذي قد نـال غيري مـن نَوالِ
تَبْذُلُ الحـقَّ وتُعْطِي عـن يمـينٍ وشِمالِ
وأنـا البائسُ لا تَنـ ـظُر في رِقّـةِ حالي

قال : فأمر المُعَلّى الخازنَ أن يُعطيه عشرة آلاف درهم . قال أبو العتاهية : فأتيته فأبى أن

---

1 تكملة الديوان : رقم 261 .
2 تكملة الديوان : رقم 146 .
3 ديوان أبي العتاهية (صادر) : 377 .

يُعطِيها وذلك أنّ الهادي امتحنني في شيء من الشعر ، وكان مَهيباً ، فكنتُ أخافه فلم يُطِعني طَبْعي ، فأمر لي بهذا المال ، فخرجتُ . فلمّا مَنعنيه المُعَلَّى صِرتُ إلى أبي الوليد أحمد بن عِقال ، وكان يُجالس الهادي ، فقلت له[1] : [من الكامل]

أَبْلِغْ سَلِمتَ أبا الوليدِ سَلامي عنّي أميرَ المؤمنين إمامي

وإذا فرَغتَ من السّلامِ فقل له قد كان ما شاهدتَ من إفحامي

وإذا حَصِرتُ فليس ذاك بمُبْطِلٍ ما قد مَضى من حُرْمتي وذمامي

ولطالما وفَدتْ إليكَ مدائحي مخطوطةً فَلْيأتِ كلُّ ملامِ

أيّامَ لي لَسَنٌ ورقّةُ جِدّةٍ والمرءُ قد يَبْلَى مع الأيّامِ

قال : فاستخرج لي الدراهم وأنفذها إليّ .

[استعطف الهادي لمّا ولي الخلافة بعد موجدة]

حدّثني الصوليّ ومحمد بن عمران الصيرفيّ قالا حدّثنا العَنَزيّ قال حدّثنا محمد بن أحمد بن سليمان قال : وُلِد للهادي ولد في أوّل يوم وَلِي الخلافة ؛ فدخل أبو العتاهية فأنشده[2] : [من السريع]

أكثَرَ موسى غيظَ حُسّادِهِ وزَيّن الأرضَ بأولادِهِ

وجاءنا من صُلْبه سَيّدٌ أَصْيَدُ في تقطيع أجدادِهِ

فاكتستِ الأرضُ به بَهْجةً واستبشر المُلكُ بميلادِهِ

وابتسم المِنْبَرُ عن فَرْحةٍ عَلَتْ بها ذرْوةُ أعوادِهِ

كأنّني بعد قليلٍ به بين مَواليه وقُوّادِهِ

في مَحفِلٍ تَخْفِقُ راياتُه قد طَبَّق الأرضَ بأجنادِهِ

قال : فأمر له موسى بألف دينار وطِيبٍ كثير ، وكان ساخطاً عليه فرضي عنه .

[ترضّي المهدي على وزيره أبي عبيد الله]

أخبرني يحيى بن عليٍّ بن يحيى إجازةً قال حدّثني عليٌّ بن مهديّ قال حدّثني عليّ بن يزيد الخزرجيّ الشاعر عن يحيى بن الربيع قال : دخل أبو عبيد الله على المهديّ ، وكان قد وجَد عليه في أمر بلغه عنه ، وأبو العتاهية حاضرٌ المجلس ، فجعل المهديّ يشتم أبا عبيد الله ويتغيّظ

1 تكملة الديوان : رقم 244 .

2 تكملة الديوان : رقم 83 .

عليه ، ثم أمر به فجُرّ برِجله وحُبِس ، ثم أطرق المهديّ طويلاً . فلمّا سكن أنشده أبو العتاهية[1] : [من الوافر]

أرى الدنيا لمن هي في يَدَيْهِ عذاباً كلّما كَثُرَت لدَيْهِ
تُهينُ المُكْرِمين لها بصُغْرٍ وتُكْرِم كلَّ من هانتْ عليهِ
إذا استَغْنيتَ عن شيءٍ فدَعْهُ وخُذْ ما أنت محتاجٌ إليهِ

فتبسَّم المهديّ وقال لأبي العتاهية : أحسنتَ ! فقام أبو العتاهية ثم قال : والله يا أميرَ المؤمنين ، ما رأيتُ أحداً أشدَّ إكراماً للدّنيا ولا أصْونَ لها ولا أشَحَّ عليها من هذا الذي جُرّ برجله الساعة . ولقد دخلتُ إلى أمير المؤمنين ودخل هو وهو أعزّ الناس ، فما بَرِحتُ حتى رأيته أذلّ الناس ، ولو رضي من الدنيا بما يكفيه لاستوت أحواله ولم تتفاوت . فتبسّم المهديّ ودعا بأبي عبيد الله فرضي عنه . فكان أبو عبيد الله يشكر ذلك لأبي العتاهية .

[بيتان روحانيان]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويَهْ قال حدّثني محمد بن الحسن قال حدّثني إسحاق بن حَفْص قال : أنشدني هارون بن مُخَلَّد الرازيّ لأبي العتاهية[2] : [من منهوك الكامل]

ما إن يَطيبُ لذي الرعاية للـ أيّام لا لَعِب ولا لَهْوُ
إذ كان يطْرب في مَسَرّته فيموت من أجزائه جُزْوُ[3]

فقلت : ما أحسنهما ! فقال : أهكذا تقول ؟ والله لهما روحانيّان يطيران بين السماء والأرض .

[فضّله ابن مناذر على جميع المحدثين لإحسانه في الجدّ والهزل]

أخبرني محمد بن القاسم الأنباريّ قال حدّثني أبي عن ابن عكرمة عن مسعود بن بشر المازنيّ قال : لَقِيتُ ابن مناذر بمكّة ، فقلت له : مَن أشعرُ أهل الإسلام ؟ فقال : أترى مَن إذا شئت هزَل ، وإذا شئت جدّ ؟ قلت : مَنْ ؟ قال : مثلُ جرير حين يقول في النَّسيب[4] : [من الكامل]

إنّ الذين غدَوْا بلُبّك غادروا وَشَلاً بعينك ما يزال مَعينا
غَيّضْنَ من عَبَراتِهنّ وقُلْن لي ماذا لَقِيتَ من الهوى ولَقِينا

---

1 ديوان أبي العتاهية : 410 (رقم : 425) .
2 ديوان أبي العتاهية : 429 (رقم : 445) .
3 يطرب في الديوان : يسرف . أجزائه في الديوان : أعضائه .
4 ديوان جرير (صادر) : 476 .

ثم قال حين جدّ : [من الكامل]

إنّ الذي حَـرَمَ المَكارِمَ تَغلِباً ... جعـل النُّبـوّةَ والخلافـةَ فينا

مُضَرٌ أبي وأبو الملوك فهل لكم ... يـا آل تَغلِبَ من أبٍ كأبينا

هذا ابنُ عمّي في دمَشْقَ خليفةٌ ... لـو شئـتُ ساقكم إليّ قَطِينا

ومن المحدَثين هذا الخبيثُ الذي يتناول شعره من كُمّه . فقلت : مَن ؟ قال : أبو العتاهية .

قلت : في ماذا ؟ قال : قوله[1] : [من المنسرح]

اللهُ بينـي وبـين مَوْلاتي ... أبْدَتْ ليَ الصَّدّ والمَلالاتِ

لا تَغْفِرُ الذنبَ إن أسأتُ ولا ... تقبَـل عُـذْري ولا مُواتاتي

منحتُها مُهجتي وخالِصتي ... فكـان هجْرانُهـا مُكافاتي

أَقلقنـي حُبُّهـا وصَيَّرني ... أُحدوثـةً في جمع جاراتي[2]

ثم قال حين جدّ[3] : [من المنسرح]

ومَهْمـهٍ قـد قطعتُ طامِسَه ... قَـفْرٍ على الهَوْل والمُحاماةِ

بحُـرّةٍ جَسْرةٍ عُذافِـرةٍ ... خَوصـاءَ عَيْرانـةٍ عَلَنْداةِ

تُبادر الشمسَ كلّما طلعتْ ... بالسَّير تَبْغي بذاك مَرْضاتي

يا ناقُ خُبّي بنا ولا تَعدي ... نَفْسَك ممّـا تَريْنَ راحاتِ

حتى تُناخَيْ بنا إلى مَلِكٍ ... تَـوَّجَـه اللهُ بالمَهـاباتِ

عليـه تاجان فـوقَ مَفْرقه ... تاجُ جـلالٍ وتـاجُ إخْباتِ

يقول للرِّيح كلّما عصَفتْ ... هل لكِ يا ريحُ في مُباراتي

مَنْ مثلُ مَنْ عمُّه الرسولُ ومَنْ ... أخوالُـه أكـرمُ الخؤولاتِ

[يعيّر إسحاق بن عزيز لقبوله المال عوضاً عن عبادة معشوقته]

أخبرني وكيع قال : قال الزُّبير بن بكّار حدّثني أبو غَزيّة ، وكان قاضياً على المدينة ، قال : كان إسحاق بن عُزَيز يتعشّق عَبّادة جارية المُهلَّبيّة ، وكانت المهلبيّة مُنقطعة إلى الخيزُران . فركب إسحاق يوماً ومعه عبدُ الله بن مصعب يُريدان المهديّ ، فلقيا عبّادة ؛ فقال إسحاق : يا

1 تكملة الديوان : رقم 45 .

2 أقلقني في الديوان : هيّمني .

3 تكملة الديوان : رقم 48 .

أبا بكر ، هذه عبّادة ، وحرّك دابّته حتى سبقها فنظر إليها ، فجعل عبد الله بن مُصعب يتعجّب من فِعله . ومضيا فدخلا على المهديّ ، فحدّثه عبد الله بن مصعب بحديث إسحاق وما فعل . فقال : أنا أشتريها لك يا إسحاق . ودخل على الخيزُران فدعا بالمهلّبيّة فحضرتْ ، فأعطاها بعبّادة خمسين ألف درهم . فقالت له : يا أمير المؤمنين ، إن كنتَ تُريدها لنفسك فبِها فداك الله ، وهي لك . فقال : إنّما أريدها لإسحاق بن عُزَيز . فبكت وقالت : أتُؤْثِر عليّ إسحاق بن عُزَيز وهي يَدي ورِجلي ولساني في جميع حوائجي ! فقالت لها الخيزُران عند ذلك : ما يُبكيك ؟ والله لا وَصَلَ إليها ابن عُزَيز أبداً ، صار يتعشّق جواريَ الناس ؟ فخرج المهديّ فأخبر ابن عُزَيز بما جرى ، وقال له : الخمسون ألف درهم لك مكانها ، وأمر له بها ، فأخذها عن عبّادة . فقال أبو العتاهية يُعَيّره بذلك[1] : [من السريع]

مَـنْ صَدَق الحـبَّ لأَحبابه فإنّ حُـبّ ابن عُزَيْـزٍ غُرورْ
أَنساه عبّـادةَ ذاتَ الهـوى وأَذهبَ الحبَّ الذي في الضميرْ
خمسون ألفـاً كلُّها راجِـحٌ حُسْناً لها في كلّ كِيسٍ صَرِيرْ

وقال أبو العتاهية في ذلك أيضاً[2] : [من المنسرح]

حُبُّك للمال لا كحبّـك عبّـ ـادةَ يـا فاضـحَ المُحبّينا
لـو كنتَ أُصفيتَها الوِدادَ كما قُلْتَ لَمـا بِعْتَهـا بخمسينا

[طال وجع عينه]

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثني جَبَلةَ بن محمد قال حدّثني أبي قال : رأيت أبا العتاهية بعد ما تَخلّص من حَبس المهديّ وهو يلزم طبيباً على بابنا ليكحَل عينه . فقيل له : قد طال وجع عينِك ؛ فأنشأ يقول[3] : [من الطويل]

صوت

أيا وَيْحَ نفسي وَيْحَها ثم وَيْحَها أما من خَلاصٍ من شِباك الحبائِلِ[4]
أيا ويحَ عيني قد أضرّ بها البُكا فلم تُغنِ عنها طِبُّ ما في المكاحِلِ

في هذين البيتين لإبراهيم الموصليّ لحنٌ من الثقيل الأوّل .

---

1 تكملة الديوان : رقم 123 .
2 تكملة الديوان : 259 .
3 تكملة الديوان : رقم : 214 وفيها «ويا ويح» في البيتين .
4 أما من خلاص في التكملة : ألم تنج يوماً .

[مدح الهادي وكان واجداً عليه لاتّصاله بهارون]

أخبرني عيسى بن الحسين قال حدّثنا عمر بن شبّة قال : كان الهادي واجِداً على أبي العتاهية لُملازمته أخاه هارون في خلافة المهديّ ، فلمّا ولي موسى الخلافة ، قال أبو العتاهية يمدحه[1] : [من المنسرح]

صوت

يضطربُ الخوفُ والرجاءُ إذا حَرّكَ موسى القضيبَ أو فَكَّرْ

ما أَبْيَنَ الفضلَ في مُغَيَّبِ ما أَوْرَدَ من رأيه وما أَصْدَرْ

في هذين البيتين لأبي عيسى بن المتوكّل لحن من الثقيل الأوّل في نهاية الجَودة ، وما بان به فضلُه في الصّناعة : [من المنسرح]

فكم تَرَى عَزَّ عند ذلك مِنْ مَعْشَرِ قومٍ وذَلَّ مِنْ مَعْشَرْ

يُثمر مِنْ مَسِّه القضيبُ ولو يَمَسُّه غيرُه لَمَا أَثْمَرْ

مَنْ مِثلُ موسى ومثلُ والدِهِ الـ ـمهديّ أو جَدِّه أبي جَعفرْ

قال : فرضي عنه . فلمّا دخل عليه أنشده[2] : [من مجزوء الكامل]

لَهْفي على الزمنِ القصير بين الخَوَرْنقِ والسَّدِيرِ

إذ نحن في غرَف الجنا نِ نَعُومُ في بَحر السُّرورِ

في فتيةٍ ملكوا عنا نَ الدهرِ أمثال الصُّقورِ

ما منهمُ إلاّ الجَسو رُ على الهوى غيرُ الحَصُورِ

يَتعاوَرُون مُدامةً صهباءَ من حَلَب العَصيرِ

عَذراءَ ربّاها شُعا عُ الشمسِ في حَرِّ الهَجيرِ

لم تُدْنَ من نارٍ ولم يَعْلَقْ بها وَضَرُ القُدورِ

ومُقَرْطَقٍ يمشي أمَا مَ القومِ كالرَّشأ الغَريرِ

بزُجاجةٍ تَستخرج السـ ـرَّ الدّفينَ من الضميرِ

زهراءَ مثلِ الكوكب الدُّ رِّيّ في كَفّ المُديرِ

تَدعُ الكريمَ وليس يَدْ ري ما قَبِيلٌ من دَبيرِ

---

1 تكملة الديوان : رقم 120 .

2 تكملة الديوان : 104 .

ومُخَصَّـــراتٍ زُرْنَـنـــا | بعـد الهُـدوّ من الخُدورِ
رَيَّـــا رَوادِفُهـــنّ يَلْـ | ـبَسْنَ الخواتمَ في الخُصورِ
غُـرٍّ الوُجـوه محجَّبـــا | تٍ قاصراتِ الطّرف حُورِ
مُتَنعِّمـــاتٍ في النَّعيـ | ـمِ مُضَمَّخـاتٍ بالعَبيرِ
يَرفُلْــنَ في حُلَــلِ المَحا | سِنِ والمَجاسدِ والحـريرِ
مـا إن يَرين الشمسَ إلاّ | الفَرْطَ مـن خَلَل السُّتورِ
وإلى أمـينِ اللهِ مَهـ | ـرَبُنا مـن الدّهرِ العَثُورِ
وإليـه أتعبْنـا المطـا | يـا بـالرّواح وبالبُكورِ
صُعْـرَ الخُـدود كأنّما | جُنِّحْنَ أجنحـةَ النُّسورِ
مُتَسَرْبِـلاتٍ بالظَّــلا | مِ على السُّهولـة والوُعورِ
حتّـى وَصَلْـنَ بنـا إلى | رَبّ المدائـن والقُصورِ
مـا زالَ قبـلَ فِطامِـه | في سنّ مُكتهِـلٍ كبيرِ

قال : قيل لو كان جَزْل اللفظ لكان أشعر الناس ، فأجزل صلته . وعاد إلى أفضل ما كان له عليه .

أخبرني عمّي الحسن بن محمد قال حدّثني الكُرانيّ عن أبي حاتم قال : قَدِم علينا أبو العتاهية في خلافة المأمون . فصار إليه أصحابنا فاستنشدوه ، فكان أوّل ما أنشدهم[1] : [من الطويل]

ألم تَـرَ رَيْبَ الدّهر في كلِّ ساعةٍ | لـه عـارضٌ فيـه المنيّـة تلمَعُ
أيا بــاني الدُّنيـا لغيرك تَبتني | ويـا جامعَ الدنيا لغيرك تَجْمَعُ
أرى المرءَ وَثّابـاً على كلِّ فُرْصةٍ | وللمرء يومـاً لا مَحالـةَ مَصْرَعُ
تبـارَكَ مَنْ لا يَملِكُ المُلكَ غيرُه | متى تنقضي حاجاتُ من ليس يَشبَعُ
وأيُّ امرىءٍ في غايةٍ ليس نفسُه | إلى غايـةٍ أُخـرى سواهـا تَطَلَّعُ

قال : وكان أصحابنا يقولون : لو أنّ طَبْع أبي العتاهية بجزالة لفظٍ لكان أشعرَ الناس .

[تمثّل الفضل بشعر له حين انحطّت مرتبته عند المأمون]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مهرويَه قال حدّثني سليمان بن جعفر الجَزَريّ قال حدّثني أحمد بن عبد الله قال : كانت مَرْتبة أبي العتاهية مع الفضل بن الربيع في موضع واحد

---

1 ديوان أبي العتاهية : 210–212 (وانظر الحاشية) .

في دار المأمون . فقال الفضل لأبي العتاهية : يا أبا إسحاق ، ما أحسنَ بيتين لك وأصدقهما ! قال : وما هما ؟ قال : قولك[1] : [من الكامل]

مـا النَّاسُ إلاّ لِلكثيرِ المالِ أو لُمسَلَّطٍ مـا دامَ في سُلْطانِـهِ
فإذا الزمـانُ رماهمـا ببَلِيَّـةٍ كان الثِّقاتُ هناك من أعوانِهِ[2]

يعني : من أعوان الزمان . قال : وإنّما تمثّل الفضلُ بن الربيع بهذين البيتين لانحطاط مرتبته في دار المأمون وتقدُّم غيره . وكان المأمون أمر بذلك لتحريره مع أخيه .

[كان ملازماً للرشيد فلمّا تنسّك حبسه ثم أطلقه]

أخبرني عمّي الحسن بن محمد قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : قال لي محمد بن أبي العتاهية : كان أبي لا يُفارق الرشيد في سَفَرٍ ولا حَضَرٍ إلاّ في طريق الحجّ ، وكان يُجري عليه في كلّ سنة خمسين ألف درهم سوى الجوائز والمَعاوِن . فلمّا قدِم الرشيد الرَّقّة ، لبِس أبي الصوف وتزهّد وترك حُضورَ المُنادمة والقول في الغزل ، وأمر الرشيد بحبسه فحُبس ؛ فكتب إليه من وقته[3] : [من الطويل]

صوت

أنـا اليـومَ لي والحمدُ لله أَشْهُرُ يَرُوح عـليَّ الهَمُّ منكـم ويَبْكُرُ
تَذَكَّرْ أمينَ الله حَقِّـي وحُرْمتي ومـا كنتَ تُوليني لعلّك تَذْكُرُ[4]
ليالِيَ تُدْني منك بالقُرْبِ مجلسي ووجهُك مـن ماء البشاشةِ يَقْطُرُ
فمَنْ لِيَ بـالعين التي كنتَ مرّةً إليّ بها في سالِـف الدهـرِ تَنظُرُ

قال : فلمّا قرأ الرشيد الأبيات قال : قولوا له : لا بأس عليك . فكتب إليه[5] : [من الوافر]

صوت

أَرِقتُ وطار عن عَيْنِي النُّعاسُ ونـام السامرون ولم يُواسُوا
أمـينَ الله أَمْنُك خيرُ أمـنٍ عليك مـن التُّقى فيـه لِباسُ
تُساس مـن السماء بكلّ بِـرٍّ وأنت بـه تَسُوس كما تُساسُ

---

1 ديوان أبي العتاهية : 401 (رقم 412) .
2 ببلية في ل : بملمة والديوان «رمى الفتى بملمة» .
3 تكملة الديوان : رقم 86 .
4 لعلّك تذكر في ل : لذلك يذكر .
5 تكملة الديوان : رقم 133 .

كأنّ الخَلْقَ رُكِّبَ فيه رُوحٌ لـه جَسَدٌ وأنتَ عليـه راسُ
أمـينَ اللهِ إنّ الحَبْسَ بـأْسٌ وقد أُرْسلتَ : ليس عليك باسُ

غنّى في هذه الأبيات إبراهيم ، ولحنه : ثاني ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى . وفيه أيضاً ثقيلٌ أوّل عن الهشاميّ ، قال : وكتب إليه أيضاً في الحبس[1] : [من الطويل]

وكَلَّفتَني مـا حُلْـتَ بيني وبينه وقلتَ سأبغي ما تُريد وما تهوى
فلو كان لي قلبانِ كَلّفتُ واحـداً هواك وكَلّفتُ الخَليَّ لِمـا يَهْوى

قال : فأمر بإطلاقه .

حدّثني عمّي قال حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثني الزُّبير بن بَكّار قال حدّثني ثابت بن الزُّبير بن حبيب قال حدّثني ابن أُخت أبي خالد الحَربيّ قال : قال لي الرشيد : احْبِسْ أبا العتاهية وضَيِّقْ عليه حتى يقول الشعر الرقيق في الغزل كما كان يقول . فحبستُه في بيتٍ خمسة أشبارٍ في مثلها ؛ فصاح : الموت ، أُخرجوني ، فأنا أقول كلَّ ما شئتم . فقلت : قُلْ . فقال : حتى أَتنفَّس . فأخرجته وأعطيته دواةً وقِرطاساً ؛ فقال أبياته التي أوّلها[2] : [من الخفيف]

صوت

مَنْ لعبـدٍ أَذلّـه مـولاهُ ما لـه شافعٌ إليـه سِواهُ
يشتكي ما بـه إليه ويخشا هُ ويرجوه مثل مـا يخشاهُ

قال : فدفعتُها إلى مسرور الخادم فأَوْصلها ، وتقدّم الرشيد إلى إبراهيم الموصليّ فغنّى فيها ، وأمر بإحضار أبي العتاهية فأحضر . فلمّا أُحضر قـال له : أَنشِدني قولك[3] : [من الكامل]

صوت

يا عُتْبَ سيّدتي أمَا لَكِ دِينُ حتَّى متى قلبي لديكِ رَهينُ
وأنا الذَّلولُ لكلِّ مـا حمّلتِني وأنـا الشقيُّ البائسُ المسكينُ
وأنا الغـداةَ لكلِّ باكٍ مُسعِدٌ ولكلِّ صَبٍّ صاحبٌ وخَدِينُ
لا بأسَ إنّ لذاك عندي راحةً لِلصَّبِّ أن يَلْقَى الحزينَ حزينُ

1 تكملة الديوان : رقم 8 .
2 تكملة الديوان : رقم 282 .
3 تكملة الديوان : رقم 252 .

يا عُتْبَ أين أفِرُّ منك أميرتي وعليَّ حِصْنٌ من هَواكِ حصينُ

لإبراهيم في هذه الأبيات هَزَجٌ عن الهِشاميّ ، فأمر له الرشيد بخمسين ألف درهم . ولأبي العتاهية في الرشيد لمّا حبسه أشعارٌ كثيرة ، منها قوله[1] : [من الرمل]

يـا رشيدَ الأمرِ أرشِدْني إلى وجهِ نُجْحي لا عَدِمتَ الرَّشَدا

لا أراكَ اللّهُ سُوءاً أبـــدا مـا رأتْ مثلَك عـينٌ أحدا

أعِـن الخائفَ وارحَمْ صوتَه رافعـاً نحـوَك يدعـوكَ يَدا

وابلائي مـن دَعاوى أمـلٍ كلّما قلـتُ تَدانَـى بَعُدا

كم أُمَنّـي بِغَـدٍ بعــدَ غـدٍ يَنْفَـدُ العمـرُ ولم ألـقَ غدا

[هجا القاسم بن الرشيد فضربه وحبسه فاشتكى إلى زبيدة]

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى : حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني الحسين بن أبي السَّرِيّ قال : مرّ القاسم بن الرشيد في مَوكبٍ عظيمٍ وكان من أَتْيَهِ الناس ، وأبو العتاهية جالسٌ مع قوم على ظهر الطريق . فقام أبو العتاهية حين رآه إعظاماً لـه ، فلم يَزَلْ قائماً حتى جاز ، فجاوزه ولم يلتفت إليه ؛ فقال أبو العتاهية : [من المتقارب]

يَتيـهُ ابنُ آدمَ مـن جهلـهِ كأنَّ رَحا الموت لا تَطْحَنُهْ

فسمِع بعض مَن في موكبه ذلك فأخبر به القاسم ؛ فبعث إلى أبي العتاهية وضربه مائة مِقرعةٍ ، وقال له : يا ابن الفاعلة ! أتُعَرِّض بي في مثل ذلك الموضع ؟ وحبسه في داره . فدسَّ أبو العتاهية إلى زبيدة بنت جعفر ، وكانت تُوجِب له حقَّه ، هذه الأبيات[2] : [من السريع]

حتّى متى ذو التّيه في تِيههِ أصلحـه اللّهُ وعافـــاهُ

يَتيه أهلُ التّيـه من جَهلهم وهـم يموتـون وإن تاهُوا

مَـنْ طلبَ العِـزّ لِيبقى به فـإنّ عِـــزّ المـرء تَقْواهُ

لم يعتصم باللّهِ مـن خَلْقِه مَنْ ليس يَرجـوه ويَخْشاهُ

وكتب إليها بحاله وضيق حبسه ، وكانت مائلةً إليه ، فرثت[3] له وأخبرت الرشيد بأمره وكلّمته فيه : فأحضره وكساه ووصله . ولم يَرْضَ عن القاسم حتى برَّ أبا العتاهية وأدناه واعتذر إليه .

---

1 تكملة الديوان : رقم 65 .

2 الديوان : 413-414 (رقم 430) .

3 ل : فرقّت .

[مدح الرشيد والفضل فأجازاه]

ونسختُ من كتاب هارون بن عليّ : قال حدّثني عليُّ بن مهديّ قال حدّثني محمد بن سهل عن خالد بن أبي الأزهر قال : بعث الرشيد بالحَرَشيّ[1] إلى ناحية المَوْصِل ، فجبى له منها مالاً عظيماً من بقايا الخراج ، فوافى[2] به باب الرشيد ، فأمر بصرف المال أجمع إلى بعض جواريه ، فاستعظم الناس ذلك وتحدّثوا به ؛ فرأيتُ أبا العتاهية وقد أخذه شِبْهُ الجنون ، فقلت له : ما لك ويحك ؟ ! فقال لي : سبحان الله ؛ أيُدفَع هذا المال الجليل إلى امرأة ، ولا تتعلّق كفّي بشيء منه ؟ ثم دخل إلى الرشيد بعد أيّام فأنشده[3] : [من مجزوء الكامل]

اللهُ هوّنَ عندك الدنـ ـيـا وبَغَّضَها إليكا
فأَبَـيْتَ إلاّ أن تُصَـ ـغِّر كلَّ شيء في يَدَيْكا
مـا هانـتِ الدُّنيا على أحـدٍ كما هانت عَلَيْكا

فقال له الفضل بن الربيع : يا أمير المؤمنين ، ما مُدِحَتِ الخلفاء بأصدق من هذا المدح . فقال : يا فضل ، أَعطِه عشرين ألف درهم . فغدا أبو العتاهية على الفضل فأنشده[4] : [من الوافر]

إذا مـا كنتَ مُتَّخِذاً خليلاً فمثلُ الفضلِ فاتَّخِذِ الخليلا
يرى الشُّكْرَ القليلَ له عظيماً ويُعطي من مَواهبه الجزيلا
أراني حيثُما يَمَّمتُ طَـرْفي وجدتُ على مَكارمه دليلا

فقال له الفضل : والله لولا أنّ أُساوِيَ أميرَ المؤمنين لأعطيتُك مثلها ، ولكن سأُوصلها إليك في دَفَعات ، ثم أعطاه ما أمر له به الرشيد ، وزاد له خمسة آلاف درهم من عنده .

[سمع علي بن عيسى شعره وهو طفل فأعجب به]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا المُبَرِّد قال حدّثني عبد الصمد بن المُعَذَّل قال : سمعتُ الأميرَ عليَّ بن عيسى بن جعفر يقول : كنت صبيّاً في دار الرشيد ، فرأيت شيخاً يُنشد والناس حوله[5] : [من الرمل]

ليس للإنسان إلاّ مـا رُزِقْ أستعـينُ اللهَ بـالله أَثِـقْ

---

1 ل : بالمجرشي .
2 ل : فوافق .
3 تكملة الديوان : رقم 170 .
4 ديوان أبي العتاهية : 311 (الحاشية) وديوان أبي العتاهيـة (صادر) : 383 وهما يتّفقان مع الأغاني في البيت الأوّل فقط .
5 تكملة الديوان : رقم 168 .

عَلِقَ الهمُّ بقلبي كلِّه ... وإذا ما علِق الهمّ عَلِقْ
بأبي مَنْ كان لي من قلبه ... مَرَّةً وُدٌّ قليلٌ فسُرِقْ
يا بني الإسلام فيكم مَلِكٌ ... جامعُ الإسلامِ عنه يَفترِقْ
لَندى هارونَ فيكم ولَهُ ... فِيكُمُ صَوْبٌ هَطُولٌ ووَرِقْ
لم يَزَلْ هارونُ خيراً كلّه ... قُتِل الشَّرُّ به يومَ خُلِقْ

فقلتُ لبعض الهاشميّين : أما ترى إعجاب الناس بشِعْرِ هذا الرجل ؟ فقال : يا بُنيّ ، إنّ الأعناقَ لتُقطَع دون هذا الطبع . قال : ثم كان الشيخ أبا العتاهية ، والذي سأله إبراهيم بن المهديّ .

[استعطف الرشيد وهو محبوس فأطلقه]

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثنا أحمد بن محمد بن إسحاق قال حدّثني عبد القويّ بن محمد بن أبي العتاهية عن أبيه قال : لبِس أبو العتاهية كساءَ صُوفٍ ودُرّاعةَ صوفٍ ، وآلى على نفسه ألاّ يقول شعراً في الغَزَل ، وأمر الرشيد بحبسه والتضييق عليه ؛ فقال[1] : [من الخفيف]

صوت

يا ابنَ عمِّ النبيّ سمعاً وطاعه ... قد خلعنا الكساءَ والدُّرّاعهْ
ورجَعْنا إلى الصِّناعة لمّا ... كان سُخْطُ الإمام تَرْكَ الصِّناعهْ

وقال أيضاً[2] : [من الطويل]

أمَا رَحِمَتْنِي يومَ وَلَّتْ فَأَسْرعتْ ... وقد تركَتْني واقفاً أتلفَّتُ
أُقلِّبُ طَرْفي كي أَراها فلا أُرى ... وأحلِبُ عيني دَرَّها وأُصَوِّتُ

فلم يزل الرشيد مُتوانياً في إخراجه إلى أن قال[3] : [من الوافر]

أمَا واللهِ إنّ الظلمَ لُومُ ... وما زال المُسيء هو الظَّلومُ
إلى دَيَّانِ يومِ الدِّين نَمْضي ... وعندَ الله تَجتمعُ الخصومُ
لأمرٍ مّا تَصرَّفتِ الليالي ... وأمرٍ مّا تُوُلِّيَتِ النُّجومُ
تموت غداً وأنت قَريرُ عينٍ ... من الغَفَلاتِ في لُجَجٍ تَعومُ

---

1 التكملة : رقم 152 .
2 تكملة الديوان : رقم 39 .
3 ديوان أبي العتاهية : 353–354 (رقم 361) .

تنـامُ ولم تَنَمْ عنـك المنايا ... تَنبّـهْ للمنيّـة يـا نَؤومُ
سَلِ الأيّامَ عـن أمَمٍ تَقضَّتْ ... ستُخبـرك المَعالـمُ والرُّسُومُ
تَـروم الخُلْدَ في دار المنايـا ... وكم قـد رام غيرُك مـا ترومُ
ألا يـا أيّها الملـك المُرجَّى ... عليـه نَواهِضُ الدنيـا تَحومُ
أَقِلْني زَلَّـةً لم أجْـرِ منهـا ... إلى لَـومٍ ومـا مثـلي مَلومُ
وخَلِّصْني تُخَلَّصْ يـومَ بَعْثٍ ... إذا للنـاس بُـرِّزتِ الجَحِيمُ

فَرقَّ له وأمر بإطلاقه .

[حديثه عن شعره ورأي أبي نواس فيه]

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ : قال حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني ابن أبي الأبيض قال : أتيتُ أبا العتاهية فقلت له : إنّي رجلٌ أقول الشعر في الزُّهد ، ولي فيه أشعارٌ كثيرة ، وهو مذهب أَستحسِنه ؛ لأنّي أرجو ألاّ آثَمَ فيه ، وسمعت شعرك في هذا المعنى ، فأحببت أن أستزيد منه ، فأُحِبّ أن تُنشدني من جَيِّد ما قلتَ ؛ فقال : اعلَمْ أنّ ما قلته رديء . قلت : وكيف ؟ قال : لأنّ الشعر ينبغي أن يكون مثلَ أشعار الفحول المتقدّمين أو مثلَ شعر بشّار وابن هرمة ، فإن لم يكن كذلك فالصواب لقائله أن تكون ألفاظُه ممّا لا تخفى على جمهور الناس مثل شعري ، ولا سيّما الأشعار التي في الزُّهد ؛ فإنّ الزُّهد ليس من مذاهب الملوك ولا من مذاهب رُواة الشعر ولا طُلاَّب الغريب ، وهو مذهب أَشْغَفُ الناس به الزُّهّاد وأصحاب الحديث والفقهاء وأصحاب الرِّياء والعامّة ، وأعجبُ الأشياء إليهم ما فهِموه . فقلت : صدقتَ . ثم أنشدني قصيدته[1] : [من الوافر]

لِدُوا للموتِ وابْنُوا للخرابِ ... فكلّكـمُ يَصيرُ إلى تَبابِ[2]
ألا يـا موتُ لم أَرَ منكَ بُدّاً ... أتيتَ وما تَحِيفُ وما تُحابي
كأنّكَ قد هَجَمْتَ على مَشِيبي ... كما هجمَ المشيبُ على شَبابي

قال : فصِرتُ إلى أبي نُواس فأعلمتُه ما دار بيننا ؛ فقال : واللهِ ما أحسب في شعره مثلَ ما أنشدك بيتاً آخر . فصِرت إليه فأخبرته بقول أبي نواس ؛ فأنشدني قصيدته التي يقول فيها[3] : [من البسيط]

---

1 ديوان أبي العتاهية : 33–34 (رقم 28) وهي 19 بيتاً .

2 تباب : هلاك .

3 ديوان أبي العتاهية : 278–280 وهي 23 بيتاً .

طُولُ التَّعاشُرِ بين النَّاس مَمْلُولُ ... مـا لابنِ آدمَ إن فَتَّشْتَ معقولُ
يا راعـيَ الشاء لا تُغْفِلْ رِعايتها ... فأنت عن كلِّ ما استُرْعِيتَ مسؤولُ[1]
إنّي لَفِي مَنزلٍ مـا زِلتُ أعمُره ... على يَقِـينٍ بأنّـي عنه منقولُ
وليس من مَوْضعٍ يأتيه ذو نَفَسٍ ... إلاّ وللموتِ سَيفٌ فيـه مَسْلولُ
لم يُشْغَلِ الموتُ عنّا مـذ أُعِدَّ لنا ... وكلّنـا عنـه بـاللذّاتِ مَشغولُ
ومَنْ يَمُتْ فهو مَقْطوعٌ ومُجْتَنَبٌ ... والحيُّ مـا عاش مَغْشيٌّ ومَوْصولُ
كُلْ مـا بـدا لك فالآكالُ فانِيةٌ ... وكُلُّ ذي أُكُلٍ لا بُـدَّ مَأكولُ

قال : ثم أنشدني عدّة قصائد ما هي بدون هذه ، فصِرتُ إلى أبي نواس فأخبرته ؛ فتغيّر لونُه وقال : لِمَ خبَّرتَه بما قلت ؟ قد والله أجاد ، ولم يَقُل فيه سوءًا .

[كان أبو نواس يجلّه ويعظّمه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويَه قال حدّثني عليّ بن عبد الله بن سعد قال حدّثني هارون بن سعدان مولى البَجَلِيِّين قال : كنتُ مع أبي نواس قريباً من دُور بني نِيبَخْت بنهر طابَق[2] وعنده جماعةٌ ، فجعل يَمُرّ به القُوّاد والكُتّاب وبنو هاشم فيُسَلِّمون عليه وهو متّكىءٌ ممدودُ الرِجل لا يتحرّك لأحد منهم ، حتى نظرنا إليه قد قبض رِجليه ووثَب وقام إلى شيخٍ قد أقبل على حمارٍ له ، فاعتنق أبا نواس ووقف أبو نواس يُحادثه ، فلم يزل واقفاً معه يُراوِح بين رجليه يرفع رجلاً ويضع أُخرى ، ثم مضى الشيخ ورجع إلينا أبو نواس وهو يتأوّه . فقال له بعضُ مَن حضر : والله لأنت أشعرُ منه . فقال : والله ما رأيتُه قطّ إلاّ ظننت أنّه سَماءٌ وأنا أَرْض .

[رأي بشّار فيه]

قال محمد بن القاسم حدّثني عليّ بن محمد بن عبد الله الكوفيّ قال حدّثني السَّرِيّ بن الصَّبَّاح مولى ثَوبان بن عليّ قال : كنتُ عند بَشّار فقلتُ له : مَن أشعرُ أهل زماننا ؟ فقال : مُخَنَّث أهل بغداد (يعني أبا العتاهية) .

[عزّى المهديّ في وفاة ابنته فأجازه]

أُخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى المُنَجِّم إجازةً : قال حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني الخَزْرَجيّ الشاعر قال حدّثني عبد الله بن أيّوب الأنصاريّ قال حدّثني أبو العتاهية قال : ماتت

---

1 الشاء في ل والديوان : النفس .

2 نهر طابق : محلّة كانت ببغداد .

بنتُ المهديّ فحزِن عليها حزناً شديداً حتى امتنع من الطعام والشراب ، فقلت أبياتاً أُعَزّيه بها ؛ فوافيته وقد سَلا وضحك وأكل وهو يقول : لا بدّ من الصبر على مالا بدّ منه ، ولئن سَلَوْنا عمّن فقدنا لَيَسْلُوَنَّ عنّا من يَفقِدنا ، وما يأتي الليلُ والنهارُ على شيء إلاّ أَبْلَياه . فلمّا سمعتُ هذا منه قلت : يا أمير المؤمنين ، أتأذَن لي أن أُنشدك ؟ قال هاتِ ؛ فأنشدته[1] : [من البسيط]

ما للجديدَيْن لا يَبْلَى اختلافُهما وكلُّ غَضٍّ جديدٍ فيهما بالي
يا مَنْ سَلا عن حبيبٍ بعد مِيتته كم بعد موتِك أيضاً عنك منْ سالي
كأنّ كلَّ نعيمٍ أنت ذائقُه من لذّةِ العيشِ يحكي لمعةَ الآلِ
لا تَلعَبَنَّ بك الدنيا وأنت ترى ما شئتَ من عِبَرٍ فيها وأمثالِ
ما حيلةُ الموت إلا كُلّ صالحةٍ أولاَ فما حيلةٌ فيه لمُحتالِ

فقال لي : أحسنتَ ويحك ؛ وأصبتَ ما في نفسي ووعظت وأَوْجزت ، ثم أمر لي لكلّ بيت بألف درهم .

[حبسه الرشيد مع إبراهيم الموصليّ ثم أطلقهما]

أخبرني محمد بن عمران الصَّيْرفيّ قال حدّثنا العَنَزيّ قال حدّثني أحمد بن خَلاّد قال حدّثني أبي قال : لمّا مات موسى الهادي قال الرشيد لأبي العتاهية : قُلْ شعراً في الغَزَل ؛ فقال : لا أقول شعراً بعد موسى أبداً ، فحبسه . وأمر إبراهيم المَوصليّ أن يغنّي ؛ فقال : لا أُغنّي بعد موسى أبداً ، وكان مُحسِناً إليهما ، فحبسه . فلمّا شخَص إلى الرَّقّة حفَر لهما حَفيرةً واسعةً وقطَع بينهما بحائطٍ ، وقال : كونا بهذا المكان لا تخرُجا منه حتى تَشعُر أنت ويُغَنّي هذا . فصَبَرا على ذلك بُرهةً . وكان الرشيد يشرب ذاتَ يومٍ وجعفرُ بن يحيى معه ، فغنَّتْ جاريةٌ صوتاً فاستحسناه وطربا عليه طَرباً شديداً ، وكان بيتاً واحداً . فقال الرشيد : ما كان أَحوجه إلى بيتٍ ثانٍ ليطولَ الغِناءُ فيه فنَسْتمتِع مدّةً طويلة به ؛ فقال له جعفر : قد أصبتُه . قال : من أين ؟ قال : تبعَث إلى أبي العتاهية فيُلحِقه به لقُدرته على الشعر وسرعته . قال : هو أنكدُ من ذلك ، لا يُجيبنا وهو محبوس ونحن في نعيم وطربٍ . قال : بلى ؛ فاكتُب إليه حتى تعلَم صحّة ما قلتُ لك . فكتب إليه بالقصّة وقال : ألحِقْ لنا بالبيت بيتاً ثانياً . فكتب إليه أبو العتاهية[2] : [من الرمل]

شُغِل المسكينُ عن تلك المِحَنْ فارقَ الرُّوحَ وأَخلَى من بدنْ

1 تكملة الديوان : رقم 297 .
2 تكملة الديوان : رقم 278 .

ولقد كُلِّفتُ أمراً عَجباً أسْأَلُ التَّفريجَ من بيتِ الحَزَنْ

فلمّا وصلتْ قال الرشيد : قد عرَّفتك أنّه لا يفعل . قال : فتُخرِجه حتى يفعل . قال : لا ، حتى يَشعُر ؛ فقد حلَفتُ . فأقام أيّاماً لا يفعل . قال : ثم قال أبو العتاهية لإبراهيم : إلى كم هذا نُلاجُّ الخلفاء ؟ هَلُمَّ أَقُلْ شعراً وتُغَنِّ فيه . فقال أبو العتاهية[1] : [من الرمل]

بأبي مَنْ كان في قلبي لـه مـرّةً حُـبٌّ قليـلٌ فسُرِقْ

يا بنـي العبّاس فيكـم مَلِكٌ شُعَبُ الإحسانِ منـه تفترقْ

إنّمـا هـارونُ خيرٌ كلّـه ماتَ كلُّ الشرّ مُذْ يـومَ خُلِقْ

وغنّى فيه إبراهيم ، فدعا بهما الرشيد ؛ فأنشده أبو العتاهية وغنّاه إبراهيم ، فأعطى كلَّ واحد منهما مائة ألف درهم ومائة ثوب .

حدّثني الصُّوليّ بهذا الحديث عن الحسين بن يحيى عن عبد الله بن العبّاس بن الفَضْل بن الربيع ، فقال فيه : غضِب الرشيد على جاريةٍ له فحلَف ألاّ يدخُل إليها أيّاماً ، ثم ندِم فقال[2] : [من الرمل]

صَدَّ عنّـي إذ رآني مُفْتَتَنْ وأطـال الصَّدَّ لمّـا أن فَطَـنْ

كان مَملوكي فأضحى مالكي إنّ هـذا مِـن أعاجيبَ الزَّمنْ

وقال لجعفر بن يحيى : اطلُبْ لي مَنْ يزيدُ على هذين البيتين . فقال له : ليس غيرُ أبي العتاهية . فبَعث إليه فأجاب بالجواب المذكور ، فأمر بإطلاقه وصلَتِه . فقال : الآن طاب القولُ ؛ ثم قال[3] : [من الرمل]

عِـزّةُ الحِـبّ أرتْـه ذِلّتي في هـواه ولـه وجـهٌ حَسَنْ

ولهـذا صِرتُ مملوكاً لـه ولهـذا شاعَ مـا بـي وعَلَنْ

فقال : أحسنتَ والله وأصبتَ ما في نفسي ؛ وأضعَف صلتَه .

[شعره في ذمّ الناس]

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى : قال حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني الهيثم بن عثمان قال حدّثني شَبيب بن منصور قال : كنتُ في الموقف واقفاً على باب الرشيد ، فإذا رجلٌ

1 تقدّمت هذه الأبيات والإشارة إليها في تكملة الديوان برواية أُخرى : «بأبي من كان لي في قلبه» في الأوّل و«يا بني الإسلام» في الثاني .
2 تكملة الديوان : رقم 278 (الحاشية) .
3 تكملة الديوان : رقم 279 .

بَشِع الهيئة على بغل قد جاء فوقف ، وجعل الناسُ يُسَلِّمون عليه ويُسائلونه ويُضاحكونه ، ثم وقف في الموقف ، فأقبل الناس يَشْكُون أحوالَهم : فواحد يقول : كنت مُنقطعاً إلى فلان فلم يصنع بي خيراً . ويقول آخر : أمّلت فلاناً فخاب أملي وفعل بي ، ويشكو آخرُ من حاله ؛ فقال الرجل[1] : [من منهوك الكامل]

فَتَّشْتُ ذي الدنيا فليس بها ... أحــدٌ أراه لآخـــرٍ حامِدْ
حتّى كأنّ النــاسَ كلَّهُـــمُ ... قد أُفرغوا في قالَبٍ واحِدْ

فسألت عنه فقيل : هو أبو العتاهية .

[هجا سلماً الخاسر بالحرص]

حدّثني الحسن بن علِيّ قال حدّثنا ابن مهرويَه قال حدّثني أحمد بن خَلاَّد عن أبيه عن عبد الله بن الحسن قال : أُنشِد المأمون بيت أبي العتاهية يُخاطب سَلْماً الخاسر : [من الوافر]

تَعـالى اللهُ يا سَلْم بنَ عمرٍو ... أذلَّ الحِرصُ أعنــاقَ الرجالِ

فقال المأمون : إنّ الحرص لَمُفسِدٌ للدّين والمروءة ، والله ما عرفتُ من رجلٍ قطّ حِرْصاً ولا شَرَهاً فرأيت فيه مُصْطَنعا . فبلغ ذلك سَلْماً فقال : ويلي على المخنَّث الجَرّار الزنديق ؛ جمع الأموالَ وكنزَها وعبّأ البدورَ في بيته ثم تَزهّد مُراءاةً ونِفاقاً ، فأخذ يهتِف بي إذا تصَدّيتُ للطلب .

[اقتصّ منه الجماز لخاله سلم فاعتذر له]

أخبرني أحمد بن العبّاس العسكريّ المؤدِّب ومحمد بن عمران الصَّيرفيّ قالا حدّثنا الحسن بن عُليل العَنَزيّ قال حدّثني محمد بن أحمد بن سليمان العَتَكيّ قال حدّثني العبّاس بن عبيد الله بن سِنان بن عبد الملك بن مِسْمَع قال : كنّا عند قُثَمَ بن جعفر بن سليمان وعنده أبو العتاهية يُنشد في الزهد ، فقال قُثَم : يا عبّاس ، اطلُبِ الساعة الجَمَّاز حيث كان ، ولك عندي سَبَقٌ[2] . فطلبته فوجدته عند رُكن دار جعفر بن سليمان ، فقلت : أجِبِ الأمير ؛ فقام معي حتّى أتى قُثَم ؛ فجلس في ناحية مجلسه وأبو العتاهية يُنشده ؛ فأنشأ الجَمَّاز يقول : [من السريع]

ما أقبحَ التَّزهِيدَ مــن واعظٍ ... يُزَهِّـــدُ النــاسَ ولا يَزْهَـــدُ
لـــو كان في تزهيده صادقاً ... أضحَى وأمسَى بيتُـه المسجدُ

1 ديوان أبي العتاهية (صادر) : 126 .
2 سبق : جائزة المتسابقين .

يخـــافُ أن تنفَـــدَ أرزاقُـــه والـــرزقُ عنـــد الله لا ينفَدُ
والرزقَ مقسومٌ على مَنْ تَرى ينالُـــــه الأبيـضُ والأسودُ

قال : فالتفت أبو العتاهية إليه فقال : مَنْ هذا ؟ قالوا : هذا الجمّاز وهو ابن أختِ سَلْم الخاسر ، اقتصّ لخاله منك . فأقبل عليه وقال : يا ابن أخي ، إنّي لم أذهب حيث ظننتَ ولا ظنّ خالُك ، ولا أردتُ أن أهتِف به ؛ وإنّما خاطبته كما يُخاطِب الرجلُ صديقَه ، فالله يغفِر لكما ، ثم قام .

[غنّاه مخارق بشعره]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عَمَّار قال حدّثني محمد بن أحمد بن خَلَف الشِّمْريّ عن أبيه قال : كنتُ عند مُخارِق ، فجاء أبو العتاهية في يوم جمعة فقال : لي حاجةٌ وأُريد الصلاةَ ؛ فقال مُخارق : لا أبرَح حتّى تعود . قال : فرجَع وطرح ثيابه ، وهي صوفٌ ، وغسل وجهه ، ثم قال له : غَنّني[1] : [من الخفيف]

صوت

قال لي أحمدٌ ولم يدرِ مـا بي أتُحِبّ الغـداةَ عُتْبَـةَ حقّـا
فتنفّستُ ثـم قلـتُ نعمْ حُـ ـبّاً جرى في العُروق عِرْقاً فعرقا

فجذَب مُخارق دواةً كانت بين يديه فأَوقع عليها ثم غنّاه ؛ فاستعاده ثلاث مرّاتٍ فأعاده عليه ، ثم قام وهو يقول : لا يَسمع والله هذا الغناءَ أحدٌ فيُفْلِح . وهذا الخبر رواية محمد بن القاسم بن مهرويَه عنه .

وحدّثنا به أيضاً في كتاب هارون بن عليّ بن يحيى عن ابن مهرويَه عن ابن عمّار قال حدّثني أحمد بن يعقوب عن محمد بن حَسَّان الضَّبِّيّ قال حدّثنا مُخارق قال : لقيني أبو العتاهية فقال : بلغني أنّك خرَّجْتَ قولي : [من الخفيف]

قال لي أحمدٌ ولم يَدْرِ مـا بي أتُحِبُّ الغـداةَ عُتْبَـةَ حَقّا

فقلت نعم . فقال : غَنّه . فمِلتُ معه إلى خَرابٍ ، فيه قوم فقراء سكّان ، فغنّيْتُه إيّاه ؛ فقال : أحسنتَ والله ؛ منذ ابتدأت حتّى سكتَّ ؛ ثم قال لي : أما ترى ما فعل الملك بأهل هذا الخراب ؟

[شعره في تبخيل الناس]

أخبرني جحظة قال حدّثني ميمون بن هارون قال : قال مُخارق : لَقِيتُ أبا العتاهية على الجِسْر ، فقلت له : يا أبا إسحاق ، أتُنشدني قولك في تبخيلك الناس كلّهم ؟ فضحك وقال

1 تكملة الديوان : رقم 161 .

لي : ها هنا ؟ قلت نعم . فأنشدني[1] : [من مجزوء الكامل]

إن كنتَ مُتّخِـذاً خليلاً فتَنَـقَّ وانتقِـدِ الخليلا
مَنْ لم يكـن لك مُنصفاً في الودّ فابْغِ بـه بديلا
ولربّمـا سُئِـل البخيـ ـلُ الشيءَ لا يَسْوى فَتِيلا
فيقـول لا أجـد السَّبيـ ـل إليه يَكْرَهُ أن يُنيلا
فلـذاك لا جعـلَ الإلـ ـهُ لـه إلى خيرٍ سبيلا
فاضْرِبْ بطَرْفك حيث شئـ ـتَ فلن ترى إلاّ بخيلا

فقلتُ له : أَفرَطْتَ يا أبا إسحاق ؛ فقال : فديتُك ، فأَكْذِبْني بجوادٍ واحد . فأحببتُ موافقتَه ، فالتفتُّ يميناً وشمالاً ثم قلت : ما أجد . فقبّل بين عينيّ وقال : فديتُك يا بُنيّ ! لقد رَفَقْتَ حتى كِدتَ تُسرِف .

[كان بعد تنسّكه يطرب لحديث هارون بن مخارق]

أخبرني محمد بن خَلَف وَكيع قال حدّثني هارون بن مُخارِق قال : كان أبو العتاهية لمّا نسَك يقول لي : يا بُنيّ ، حدّثني ؛ فإن ألفاظَك تُطْرِب كما يُطرِب غِناؤُك .

[جفاه أحمد بن يوسف فعاتبه]

أخبرني عليّ بن صالح بن الهيثم الأنباريّ قال حدّثني أبو هَفّان قال حدّثني موسى بن عبد الملك قال : كان أحمد بن يوسف صديقاً لأبي العتاهية ، فلمّا خدَم المأمونَ وخُصّ به ، رأى منه أبو العتاهية جَفْوة ، فكتب إليه[2] : [من الطويل]

أبـا جعفـرٍ إنّ الشريفَ يَشينه تَتايُهُـه عـلى الأَخِـلاّء بالوَفْـرِ
ألم تَـرَ أنّ الفقرَ يُرجـى لـه الغنَى وأنّ الغِنى يُخشَى عليـه من الفقرِ
فإن نِلتَ تِيهاً بالذي نِلْتَ من غنًى فإنّ غنـايَ في التجمّـلِ والصبرِ

قال : فبعث إليه بألفيْ درهم ، وكتب إليه يعتذر ممّا أنكره .

[طلب إليه أن يجيز شعراً فأجازه على البديهة]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مهرويَه قال حدّثني إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم الكوفيّ قال حدّثني أبو جعفر المَعْبديّ قال : قلت لأبي العتاهية : أَجِزْ لي قولَ الشاعر[3] : [من الوافر]

---

1 ديوان أبي العتاهية : 311–312 (حاشية القطعة رقم 320) وقد تقدّمت الإشارة إليها في الخبر عن الفضل بن الربيع لاشتراكها مع تلك الأبيات في البيت الأوّل .
2 ديوان أبي العتاهية (صادر) : 217–218 .
3 الخبر في تكملة الديوان : رقم 189 والحاشية عن الأغاني .

وكان المـالُ يأتينا فكنّـا نُبَـذِّره وليس لنا عقولُ
فلمّا أن تولَّـى المالُ عنّـا عَقَلْنا حين ليس لنا فُضُولُ

قال : فقال أبو العتاهية على المكان : [من الوافر]

فقصِّر مـا ترى بالصّبر حقّاً فكلٌّ إن صبرتَ له مُزِيلُ

[قال لابنه : أنت ثقيل الظلّ]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مهرويَه قال حدّثني الحسن بن الفضْل الزّعفرانيّ قال : حدّثني مَن سمع أبا العتاهية يقول لابنه وقد غضِب عليه : اذهب فإنّك ثقيلُ الظلّ جامد الهواء .

[أهدى إلى الفضل نعلاً فأهداها للخليفة]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مهروَيه قال حدّثني يحيى بن خليفة الرّازيّ قال حدّثنا حبيب بن الجَهْم النُّمَيريّ قال : حضرتُ الفضلَ بن الربيع مُتَنجِّزاً جائزتي وفَرضي ، فلم يدخل عليه أحدٌ قبلي ، فإذا عونٌ حاجبُه قد جاء فقال : هذا أبو العتاهية يُسَلّم عليك وقد قدِم من مكّة ؛ فقال : أَعْفِني منه الساعة[1] يشغَلُني عن ركوبي . فخرج إليه عونٌ فقال : إنّه على الرّكوب إلى أمير المؤمنين . فأَخرَج من كُمّه نعلاً عليها شِراكٌ فقال : قل له إنّ أبا العتاهية أهداها إليك جُعِلتُ فداءك . قال : فدخل بها ؛ فقال : ما هذه ؟ فقال : نعلٌ وعلى شراكها مكتوبٌ كتاب . فقال : يا حبيب ، اقرأ ما عليها . فقرأته فإذا هو[2] : [من الكامل]

نعـلٌ بعثـتُ بهـا ليلبسَها قَـرْمٌ بهـا يمشي إلى المجدِ
لـو كانَ يَصلُح أن أُشَرّكهـا خدّي جعلتُ شِراكَها خدّي

فقال لحاجبه عَون : احمِلها معنا ، فحملها . فلمّا دخل على الأمين قال له : يا عبّاسيّ ، ما هذه النّعل ؟ فقال : أهداها إليّ أبو العتاهية وكتب عليها بيتين ، وكان أمير المؤمنين أُولى بلُبْسها لِما وصف به لابسها . فقال : وما هما ؟ فقرأهما . فقال : أجاد والله ! وما سبَقه إلى هذا المعنى أحد ، هَبُوا له عشرة آلاف درهم . فأخرجتْ والله في بَدْرة وهو راكب على حماره ، فقبضها وانصرف .

[قيل إنّه كان من أقل الناس معرفة]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويَه قال حدّثنا إسماعيل بن عبد الله الكوفيّ قال حدّثنا عمروس صاحب الطعام وكان جارَ أبي العتاهية ، قال : كان أبو العتاهية من أقلّ الناس معرفةً ، سمعتُ بِشْراً المرّيسيّ يقول له : يا أبا إسحاق ، لا تُصلِّ خلف فلانٍ جارِك

1 ل : فالساعة .
2 التكملة : رقم 75 .

وإمام مسجدكم ؛ فإنّه مُشَبِّه[1] . قال : كلاّ إنّه قرأ بنا البارحة في الصّلاة : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ؛ وإذا هو يظنّ أنّ المشبّه لا يقرأ ﴿قُلْ هو الله أحد﴾ .

[شكا إليه بكر بن المعتمر ضيق حبسه]

أخبرني الحسن قال حدّثنا ابن مهرويَه قال حدّثني أحمد بن يعقوب الهاشميّ قال حدّثني أبو شَيخ منصور بن سليمان عن أبيه قال : كتب بَكْر بن المُعتمِر إلى أبي العتاهية يشكو إليه ضِيقَ القَيْد وغَمّ الحبس ؛ فكتب إليه أبو العتاهية[2] : [من مجزوء الوافر]

هيَ الأيّام والعِبَرُ وأمرُ الله يُنْتَظَرُ
أتَيْأس أن ترى فرجاً فأينَ اللهُ والقَدَرُ

[ذمّه الخيلاء وشعره في ذلك]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مهرويَه قال حدّثنا أحمد بن عبيد بن ناصح قال : كنت أَمشي مع أبي العتاهية يدُه في يدي وهو متّكىء عليّ ينظر إلى الناس يذهبون ويجيئون ، فقال : أما تراهم هذا يَتيه فلا يتكلّم ، وهذا يتكلّم بصَلَفٍ ؟ ثم قال لي : مرَّ بعض أولاد المهلَّب بمالك بن دينار وهو يَخطِرُ ، فقال : يا بنيّ ، لو خَفَّضتَ بعضَ هذه الخُيَلاء ألم يكن أحسنَ بك من هذه الشُّهرة التي قد شهَرت بها نفسك ؟! فقال له الفتى : أَوَما تعرِف مَنْ أنا ؟ فقال له : بلى والله أعرِفك معرفة جيّدة ، أوّلُك نطفة مَذِرة ، وآخرك جِيفةٌ قَذِرة ، وأنت بين ذينك حامِلٌ عَذِرة . قال : فأرخى الفتى أُذنيه وكفّ عمّا كان يفعل ، وطَأْطَأَ رأسَه ومشى مُسترسِلاً . ثم أنشدني أبو العتاهية[3] : [من الهزج]

أيا واهاً لذِكر اللّـ ـهِ يا واهاً لـه واها
لقد طَيَّب ذِكرُ اللّـ ـه بالتسبيحِ أفواها
فيا أنتنَ من حُشٍّ على حشٍّ إذا تاها[4]
أرى قوماً يتيهون حُشوشا رُزقوا جاها[5]

[مدح إسماعيل بن محمد شعره]

حدّثني اليزيديّ عن عمّه إسماعيل بن محمد بن أبي محمد قال : قلت لأبي العتاهية وقد جاءنا :

---

1 المشبه : فرقة تقول بأن الله يشبه الإنسان في تكوينه وأفعاله .

2 تكملة الديوان : 94 .

3 ديوان أبي العتاهية : 406 (رقم 420) (الحاشية) ، ديوان أبي العتاهية (صادر) : 459 .

4 حشّ في الديوان : «زبل» في المرّتين .

5 حشوشا في الديوان : «بهاماً» .

يا أبا إسحاق ، شعرُك كلُّه حَسَنٌ عجيب ، ولقد مرّت بي منذُ أيّام أبياتٌ لك استحسنتها جدّاً ؛ وذلك أنّها كانت مقلوبةٌ أيضاً ، فأواخرُها كأنّها رأسُها ، لو كتبها الإنسان إلى صديق له كتاباً والله لقد كان حسناً أرفعَ ما يكون شعراً . قال : وما هي ؟ قلت[1] : [من الكامل]

المــــرءُ في تأخير مُدّتــه ... كالثوب يَخْلُق بعـد جِدّتِهِ
وحياتُــه نَفَسٌ يُعَــدّ لــه ... ووفاتُــه استكمالُ عِدّتِهِ
ومصيرُه مــن بعــد مُدّتــه ... لِبِلىً وذا من بعد وُحْدتِهِ[2]
مَنْ مات مالَ ذوو مودّته ... عنــه وحالوا عــن مودّتِــهِ
أَزِفَ الرحيلُ ونحن في لَعِبٍ ... مـــا نستعِـــدّ لــه بِعُدّتِهِ
ولقلّما تُبْقي الخطوبُ على ... أشَر الشّبابِ وحَـرِّ وقْدتِهِ
عَجَبـاً لمنتبِـهٍ يُضَيّع مـا ... يحتــاج فيــه ليــوم رَقْدتِهِ[3]

[شبّه أبو نواس شعراً له بشعره]

قال اليزيديّ : قال عمّي وحدّثني الحسين بن الضحّاك قال : كنت مع أبي نواس فأنشدني أبياته التي يقول فيها[4] : [من مجزوء الخفيف]

يــا بنــي النقصِ والغِيَرْ ... وبنــي الضعفِ والخَوَرْ

فلمّا فرَغ منها قال لي : يا أبا عليّ ، والله لكأنّها من كلام صاحبك (يعني أبا العتاهية) .

[سأل أعرابيّاً عن معاشه ثم قال شعراً]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني حُذَيْفَة بن محمد الطائيّ قال حدّثني أبو دُلَف القاسم بن عيسى العجْليّ قال : حَجَجْت فرأيت أبا العتاهية واقفاً على أعرابيّ في ظلّ مِيلٍ[5] وعليه شَمْلةٌ إذا غطّى بها رأسَه بدتْ رِجلاه ، وإذا غطّى رِجليه بدا رأسُه . فقال له أبو العتاهية : كيف اخترتَ هذا البلدَ القَفْر على البُلدان المُخصِبة ؟ فقال له : يا هذا ، لولا أنّ الله أقنع بعضَ العباد بشرّ البلاد ، ما وَسِع خيرُ البلاد جميعَ العباد . فقال له : فمن أين مَعاشُكم ؟

---

1 ديوان أبي العتاهية : 84 (رقم 84) مع اختلاف كبير في الترتيب واللفظ .

2 رواية الديوان : ومصيره مــن بعد مِرّتــه ... بالناس ظلمة بيت وحدّته

3 يحتاج في الديوان : يحتاجه .

4 أدرج هذا البيت وآخر معه في تكملة الديوان : رقم 128 نقلاً عن كتاب البديع لابن المعتزّ : ص 44 ، ولم يردا في طبعة صادر من الديوان . ومفهوم قول الحسين بن الضحاك هنا أنّ البيت لأبي نواس ولكنّه ليس في ديوانه (الغزالي) .

5 الميل : منار يبنى للمسافر على نشز من الأرض .

فقال : منكم معشرَ الحاجّ ، تمرّون بنا فننال من فُضولكم ، وتَنْصرفون فيكون ذلك . فقال له : إنّما نمرّ ونَنْصرِف في وقت من السنة ، فمن أين معاشُكم ؟ فأطرق الأعرابيّ ثم قال : لا والله لا أدري ما أقول إلاّ أنّا نُرْزَقُ من حيث لا نَحتسب أكثرَ ممّا نُرزق من حيث نَحتسب . فولّى أبو العتاهية وهو يقول[1] : [من الهزج]

أَلا يـا طالـبَ الدُّنيـا ... دَعِ الدنيـا لشانِيكا

ومـا تصنـعُ بالدنيـا ... وظِـلُّ الميـل يَكْفِيكا

[شتمه سلم لمّا سمع هجوه فيه]

أخبرني محمد بن مَزْيَد قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال : لمّا قال أبو العتاهية : [من الوافر]

تعالى اللهُ يـا سَلْمُ بنَ عَمْرٍ ... أذلّ الحرصُ أعناقَ الرجالِ

قال سَلم : ويلي على ابن الفاعِلة ؛ كَنَز البُدور ويزعُم أنّي حريصٌ وأنا في ثوبيّ هذين !

[كان عبد الله بن عبد العزيز يتمثّل كثيراً بشعره]

أخبرني محمد بن مَزْيد والحِرْميّ بن أبي العلاء قالا حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني عمرو بن أدعَج قال : قلت لعبد الله بن عبد العزيز العُمَريّ وسمعته يتمثّل كثيراً من شعر أبي العتاهية : أشهدُ أنّي سمعته يُنشد لنفسه[2] : [من مجزوء الخفيف]

مَرّتِ اليومَ شاطرهْ ... بَضّة الجسمِ ساحرهْ

إنّ دُنيا هـي التي ... مرّت اليـومَ سافرهْ

سَرَقوا نصفَ إسمِهـا ... فَهْيَ دنيـا وآخِرهْ

فقال عبد الله بن عبد العزيز : وكَلَه اللهُ إلى آخرتها . قال : وما سُمع بعد ذلك يَتمَثّل ببيتٍ من شعره .

قال عليّ بن الحسين مؤلّف هذا الكتاب : هذه الأبيات لأبي عُيَيْنة المُهلّبيّ ، وكان يُشَبّب بدنيا في شعره ، فإمّا أن يكون الخبرُ غلطاً ، وإمّا أن يكون الرجل أنشدها العُمَرِيَّ لأبي العتاهية وهو لا يعلم أنّها ليست له .

[موازنة بينه وبين أبي نواس]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال حدّثنا عيسى بن إسماعيل قال : قال لي الحِرْمازِيّ : شهِدتُ أبا العتاهية وأبا نواس في مجلس ، وكان أبو العتاهية أسرع الرجلين جواباً عند البديهة ،

---

1 ديوان أبي العتاهية 275 (رقم 291) (الحاشية) ، ديوان أبي العتاهية (صادر) : 317 .

2 تكملة الديوان : رقم 101 .

وكان أبو نواس أسرعَهما في قول الشعر ؛ فإذا تَعاطَيا جميعاً السرعةَ فضَله أبو العتاهية ، وإذا توقّفا وتمهّلا فضَله أبو نواس .

[جفاه صالح المسكين فعاتبه فجاهره بالعداوة]

أخبرني أحمد بن العبّاس عن ابن عُلَيْل العَنَزيّ قال حدّثنا أبو أَنَس كَثِيرُ بن محمد الحِزاميّ قال حدّثني الزُّبَير بن بكّار عن مَعروف العامِليّ قال : قال أبو العتاهية : كنتُ منقطعاً إلى صالح المسكين ، وهو ابن أبي جعفر المنصور ، فأصبت في ناحيته مائةَ ألف درهم ، وكان لي ودوداً وصديقاً ، فجئتُه يوماً ، وكان لي في مجلسه مَرتبةٌ لا يجلس فيها غيري ، فنظرت إليه قد قصّر بي عنها ، وعاودتُه ثانيةً فكانت حاله تلك ، ورأيت نظرَه إليّ ثقيلاً ، فنهضتُ وقلت[1] : [من الهزج]

أراني صالـــحٌ بُغْضا فأظهـرتُ لــه بُغضا
ولا واللهِ لا ينقُـــــ ـض إلاّ زدتُــه نَقْضا
وإلاّ زِدتُـــــه مقتــاً وإلاّ زدتــــــه رفْضا
ألا يـــا مُفسِدَ الودّ وقـد كان لــه محضا
تغضبــتَ مِــنَ الريح فمــا أُطلُب أن تَرْضى
لئن كان لك المالُ الـ ـمُصفَّى إنّ لي عِرْضا

قال أبو العتاهية : فنُمي الكلامُ إلى صالح فنادى بالعداوة ؛ فقلت فيه[2] : [من الوافر]

مَـــدَدْتُ لُمْعرِضٍ حَبْلاً طويلاً كأطولِ مـا يكون من الحِبالِ
حبـــالٍ بالصَّريمةِ ليس تَفْنى مُوَصَّلَــةٍ على عَـــــددِ الرمالِ
فـــلا تنظُــرْ إليّ ولا تُــرِدْني ولا تُقْرِبْ حبالَك من حِبالي
فليت الرَّدْمَ من يأجوجَ بيني وبينَـــك مثبتاً أُخـرى الليالي
فكَرِّش إن أردتَ لنــا كلاماً ونقطع قِحْـفَ رأسِك بالقَذالِ

[استنشده مساور شعراً في جنازة فأبى]

حدّثني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثنا عليُّ بن سليمان النَّوفليّ قال : قال مُساوِر السبَّاق ، وأخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزُبير عن مُساوِر السبَّاق قال : شَهِدتُ

1 تكملة الديوان : رقم 143 .
2 تكملة الديوان : رقم 216 .

جنازةً في أيّام الحاجّ وقت خروج[1] الحسين بن عليّ بن الحسن بن الحسن بن الحسن المقتول بفَخّ ، فرأيتُ رجلاً قد حضر الجنازةَ معنا وقد قال لآخر : هذا الرجل الذي صِفَتُه كذا وكذا أبو العتاهية . فالتفت إليه فقلت له : أنت أبو العتاهية ؟ فقال : لا ، أنا أبو إسحاق . فقلت له : أنشِدْني شيئاً من شعرك ؛ فقال لي : ما أحمقَك ؛ نحن على سَفَرٍ وعلى شَفِير قَبْر ، وفي أيّام العشر ، وببلدكم هذا تَستنشدني الشعر ؟ ثم أدْبَر عنّي ثم عاد إليّ فقال : وأُخرى أَزيدُكها ، لا والله ما رأيت في بني آدم قطُّ أسمجَ منك وجهاً !

قال النَّوفليّ في خبره : وصدق أبو العتاهية ، كان مُساوِرٌ هذا مُقَبَّحاً طويلَ الوجه كأنّه ينظُر في سيف .

[حجبه حاجب يحيى بن خاقان فعاتبه ولم يرض عنه]

أخبرني عمّي الحسن بن محمد وجَحظة قالا حدّثنا مَيمون بن هارون قال : قدِم أبو العتاهية يوماً منزلَ يحيى بن خاقان ، فلمّا قام بادر له الحاجب فانصرف . وأتاه يوماً آخرَ فصادفه حين نزل ، فسلّم عليه ودخل إلى منزله ولم يأذَن له ؛ فأخذ قِرطاساً وكتب إليه[2] : [من الوافر]

أراكَ تُراعُ حين تَرى خَيالي ... فما هذا يَرُوعك من خيالي
لعلّك خائفٌ منّي سؤالي ... ألا فلَكَ الأمانُ مِنَ السؤالِ
كَفَيتُك إنّ حالَك لم تَمِلْ بي ... لأطلُبَ مثلَها بَدَلاً بحالي
وإنّ اليُسْرَ مثلُ العُسْر عندي ... بأيّهما مُنِيتُ فلا أُبالي

فلمّا قرأ الرُّقعةَ أمر الحاجب بإدخاله إليه ، فطلبه فأبى أن يرجع معه ، ولم يَلتَقِيا بعد ذلك .

[كان بينه وبين أبي الشمقمق شرّ]

أخبرني عبد الله بن محمد الرَّازيّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث قال حدّثنا المدائنيّ قال : اجتمع أبو نواس وأبو الشَّمقمق في بيت ابن أُذَيْن ، وكان بين أبي العتاهية وبين أبي الشَّمقمق شرٌّ ، فخبّؤوه من أبي العتاهية في بيت . ودخل أبو العتاهية فنظر إلى غلام عندهم فيه تأنيثٌ ، فظنّ أنّه جارية ، فقال لابن أُذَيْن : متى استطرفتَ هذه الجارية ؟ فقال : قريباً يا أبا إسحاق ، فقال : قُلْ فيها ما حضَر ؛ فمدّ أبو العتاهية يده إليه وقال : [من السريع]

مددتُ كَفّي نحوَكم سائلاً ... ماذا تَرُدُّون على السائلِ

---

1 ل : خرج .
2 تكملة الديوان : رقم 213 .

فلم يَلبث أبو الشمقمق حتى ناداه من البيت : [من السريع]

نَـــرُدّ في كفِّــك ذا فَيْشَةٍ يَشْفي جوًى في آستِك من داخلِ

فقال أبو العتاهية : شمقمق والله ؛ وقام مُغضَباً .

[استنشد ابن أبي أميّة شعره ومدحه]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثنا عليّ بن محمد النَّوفليّ قال حدّثني سليمان بن عَبّاد قال حدّثنا سليمان بن مُناذر قال : كنّا عند جعفر بن يحيى وأبو العتاهية حاضرٌ في وسط المجلس ؛ فقال أبو العتاهية لجعفر : جعلني الله فداك ؛ معكم شاعرٌ يُعرَف بابن أبي أُميّة أُحِبّ أن أسمعه يُنشِد ؛ فقال له جعفر : هو أقربُ الناس منك . فأقبل أبو العتاهية على محمد ، وكان إلى جانبه ، وسأله أن يُنشده ، فكأنّه حَصِر ثم أنشده : [من الرمل]

صوت

رُبّ وعدٍ منك لا أَنساه لي أَوْجَبَ الشكرَ وإن لم تَفعلِ
أَقطَعُ الدهرَ بوعـدٍ حَسَنٍ وأُجَلِّـي غَمْرةً مـا تَنْجَلي
كلّما أمّلتُ وعـداً صالحاً عَرَض المكروهُ دونَ الأَملِ
وأَرى الأيّامَ لا تُدْني الذي أَرْتَجِي منـك وتُدْني أَجلي

في هذه الأبيات لأبي حَبَشة رملٍ ، قال : فأقبل أبو العتاهية يُردّد البيت الأخير ويُقبّل رأسَ ابن أبي أميّة ويبكي ، وقال : وَدِدتُ والله أنّه لي بكثيرٍ من شِعْري .

[لم يرض بتزويج ابنته من منصور بن المهدي]

أخبرني حبيب بن نصر قال حدّثنا عمر بن شبّة قال : كانت لأبي العتاهية بنتان ، اسم إحداهما «لله» ، والأُخرى «بالله» ؛ فخطَب منصور بن المهدي «لله» فلم يُزوّجه ، وقال : إنّما طلبها لأنّها بنت أبي العتاهية ، وكأنّي بها قد مَلّها ، فلم يكن لي إلى الانتصاف منه سبيل ، وما كنت لأُزوّجها إلاّ بائع خَزَفٍ وجِرارٍ ، ولكنّي أختاره لها مُوسِراً .

[كان له ابن شاعر]

وكان لأبي العتاهية ابنٌ يقال له محمد وكان شاعراً ، وهو القائل[1] : [من مخلّع البسيط]

قـد أَفْلحَ السَّالِمُ الصَّمُوتُ كَلامُ راعِي الكلامِ قُوتُ
ما كلُّ نُطْـقٍ لـه جوابٌ جوابُ مـا يُكْرَهُ السُّكوتُ

---

1 ديوان أبي العتاهية : 144 (رقم 148) على اختلاف في الترتيب .

يا عَجَباً لامرىءٍ ظَلُومٍ مُسْتَيقِنٍ أنّه يموتُ

[سأله عبد الله بن الحسن بن سهل أن ينشده من شعره ففعل]

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى : حدّثنا زكريّا بن الحسين عن عبد الله بن الحسن بن سَهْل الكاتب قال : قلت لأبي العتاهية : أَنشِدني من شِعرك ما تستحسن ، فأَنشدني : [من السريع]

ما أَسرعَ الأيّامَ في الشّهرِ وأسرَع الأَشْهُرَ في العُمْرِ

صوت

ليس لمن ليستْ له حِيلةٌ موجودةٌ خيرٌ من الصَّبْرِ
فاخْطُ مع الدهرِ إذا ما خطا واجْرِ مع الدهرِ كما يَجْرِي
مَنْ سابَقَ الدهرَ كبا كَبْوةً لم يَسْتَقِلْها آخِرَ الدهرِ

لإبراهيم في هذه الأبيات خفيف ثقيلٍ وثقيلٌ أوّل .

[جفاه الفضل فوصله ابن الحسن بن سهل]

قال عبد الله بن الحسن : وسمعتُ أبا العتاهية يُحدّث قال : ما زال الفضلُ بن الربيع من أَميَلِ الناس إليّ ، فلمّا رجع من خُراسان بعد موت الرشيد دخلت إليه ، فاستنشدني فأَنشدته[1] : [من البسيط]

أَفنيتَ عمرَك إدباراً وإقبالا تَبْغِي البنين وتَبْغِي الأَهْلَ والمالا
الموتُ هَوْلٌ فكُنْ ما شِئتَ مُلْتمِساً من هَوْلِه حِيلةً إن كنتَ مُحتالا[2]
أَلَم تَرَ المَلِكَ الأَمْسِيَّ حين مضى هل نال حيٌّ من الدنيا كما نالا[3]
أفناه مَنْ لم يَزَلْ يُفْني القُرونَ فَقَدْ أضحى وأصبح عنه الملكُ قد زالا[4]
كم من ملوكٍ مضى رَيْبُ الزمانِ بهم فأصبحوا عِبَراً فينا وأَمثالا

فاستحسنها وقال : أنت تعرِف شُغْلي ، فَعُدْ إليّ في وقت فراغي أقعد معك وآنسْ بك . فلم أَزَلْ أُراقِب أيّامه حتى كان يومُ فراغه فصرتُ إليه ؛ فبينما هو مُقبِلٌ عليّ يستنشدني ويسألني

1 ديوان أبي العتاهية : 302–303 (رقم 314) .
2 الديوان : «للموت غول . . . من غوله . . .» .
3 الأمسي في الديوان : الأمي .
4 القرون في الديوان : الملوك .

فأُحدّثه ، إذْ أنشدته[1] : [من الكامل]

وَلّى الشبابُ فما له من حِيلةٍ وكَسا ذُؤَابَتي المشيبُ خِمارا
أين البرامكةُ الذين عَهِدْتُهمْ بالأمسِ أعظمَ أهْلِهـا أُخطارا

فلمّا سمع ذكري البرامكة تَغَيّر لونُه ورأيتُ الكراهيّة في وجهه ، فما رأيت منه خيراً بعد ذلك .

قال : وكان أبو العتاهية يُحدّث هذا الحديث ابن الحسن بن سهل ؛ فقال له : لئن كان ذلك ضَرّك عند الفَضْل بن الربيع لقد نفعك عندنا ؛ فأمر له بعشرة آلاف درهم وعشرة أثواب وأجرى له كلّ شهرٍ ثلاثة آلاف درهم ، فلم يزل يَقْبَلها دارّةً إلى أن مات .

[عاتب مجاشع بن مسعدة فردّ عليه من شعره]

قال أبو عبد الله بن الحسن بن سهل : وسمعت عمرو بن مَسعدة يقول : قال لي أخي مُجاشِع : بينما أنا في بيتي إذ جاءتني رُقعةٌ من أبي العتاهية فيها[2] : [من مجزوء الوافر]

خَليـلٌ لي أُكاتمُـــه أرانـي لا أُلائمُـــهُ
خليلٌ لا تَهُبّ الرِّيـــ ـحُ إلاّ هــبّ لائِمهُ
كذا مَنْ نـالَ سلطاناً ومـن كَثُرتْ دراهمُهُ

قال : فبعثتُ إليه فأتاني ، فقلت له : أما رَعَيْتَ حقّاً ولا ذِماماً ولا مودّة ؟ فقال لي : ما قلتُ سوءًا . قلت : فما حمَلك على هذا ؟ قال : أُغيبُ عنك عشرةَ أيّام فلا تسأل عنّي ولا تبعَثُ إليّ رسولاً ؟ فقلت : يا أبا إسحاق ، أنَسِيتَ قولك[3] : [من مجزوء الكامل]

يَأْبـى المُعَلَّق بالمُنـى إلاّ رَواحــاً وادّلاجـا
أُرفُقْ فعمرُك عُودُ ذي أَوَدٍ رأيتُ به اعوجاجا
مَنْ عاجَ من شيءٍ إلى شيءٍ أصابَ له مَعاجا

فقال : حسبُك ، حسبُك ، أوسَعْتَني عُذْراً .

[عاب شعر ابن مناذر لاستعماله الغريب]

أخبرني محمد بن عِمران الصَّيرفيّ الزّارع قال حدّثنا الحسن بن عُلَيل العَنَزيّ قال حدّثني محمد بن عِمران بن عبد الصّمد الزّارع قال حدّثنا ابن عائشة قال : قال أبو العتاهية لابن

1 ديوان أبي العتاهية : 145 (رقم 148) (الحاشية) ، ديوان أبي العتاهية (صادر) : 171 .
2 تكملة الديوان : رقم 232 .
3 ديوان أبي العتاهية : 95 (رقم 96) .

مناذر : شعرك مُهَجَّن لا يَلْحَق بالفحول ، وأنت خارجٌ عن طبقة المُحدَثين . فإن كنت تَشبّهت بالعجّاج ورُؤْبة فما لَحِقْتَهما ولا أنت في طريقهما ، وإن كنت تذهب مَذْهبَ المُحْدَثين فما صنعتَ شيئاً . أخبِرْني عن قولك :

وَمَنْ عاداك لاقَى المَرْمَرِيسا[1]

أخبرني عن المرمريس ما هو ؟ قال : فخجِل ابن مناذر وما رجعه حَرْفاً . قال : وكان بينهما تَناغُر[2] .

[عرف عبيد الله بن إسحاق بمكّة وسأله أن يجيز شعره]

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى قال حدّثني الحسين بن إسماعيل المَهديّ قال حدّثني رجاء بن سلمة قال : وجد المأمون عليّ في شيء ، فاستأذنته في الحجّ فأذن لي ، فقَدِمتُ البصرة وعبيد الله بن إسحاق بن الفضل الهاشميّ عليها وإليه أمرُ الحجّ ، فزاملتُه إلى مكّة . فبينا نحن في الطَّواف رأيت أبا العتاهية ، فقلت لعبيد الله : جُعِلتُ فِداك ؛ أتُحِبّ أن ترى أبا العتاهية ؟ فقال : والله إنّي لأُحِبُّ أن أراه وأُعاشِره . قلت : فافرُغ من طَوافك واخرُج ، ففعل . فأخذتُ بيد أبي العتاهية فقلت له : يا أبا إسحاق ، هل لك في رجلٍ من أهل البصرة شاعرٍ أديب ظريف ؟ قال : وكيف لي بذلك ؟ فأخذت بيده فجئتُ به إلى عبيد الله ، وكان لا يعرفه ، فتحدّثا ساعةً ، ثم قال له أبو العتاهية : هل لك في بيتين تُجيزهما ؟ فقال له عبيد الله : إنّه لا رَفَثَ ولا فُسوقَ ولا جِدال في الحجّ . فقال له : لا نَرْفُث ولا نفسُق ولا نُجادل . فقال : هات إذاً . فقال أبو العتاهية[3] : [من الكامل]

إنّ المنــونَ غُدُوَّهــا ورَواحَها … في الناسِ دائبة تُجيلُ قِداحَها
يــا ساكنَ الدنيا لقد أُوطنتَها … ولَتَنْزَحنَّ وإن كَرِهتَ نزاحَها

فأطرق عبيد الله ينظُر إلى الأرض ساعةً ، ثم رفع رأسه فقال : [من الكامل]

خُــذْ لا أبــا لكَ للمنيّةِ عُدَّةً … واحْتَلْ لنفسك إن أَردتَ صلاحَها
لا تَغْتَـرِرْ فكأنَّني بعُقاب رَيـ … ـب الموت قد نَشَرتْ عليك جَناحَها

قال : ثم سمعتُ الناس يَنْحَلون أبا العتاهية هذه الأربعة الأبيات كلّها ، وليس له إلاّ البيتان الأوّلان .

1 المرمريس : الداهية .
2 ل : تباعد .
3 ديوان أبي العتاهية : 101 (رقم 101) .

[قصّته في السجن مع داعية عيسى بن زيد]

أخبرني عمّي الحسن بن محمد قال حدّثنا مَيمون بن هارون قال حدّثني إبراهيم بن رَباح قال أخبرني إبراهيم بن عبد الله ، وأخبرني محمد بن خَلَف وكيع قال حدّثنا هارون بن مُخارق قال حدّثني إبراهيم بن دَسْكَرة ، وأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثني أحمد بن سليمان بن أبي شَيخ قال : قال أبو العتاهية : حبَسني الرشيد لمّا تركتُ قولَ الشعر ، فأُدخِلتُ السجن وأُغلِق الباب عليَّ ، فدَهِشتُ كما يدهَش مثلي لتلك الحال ، وإذا أنا برجل جالس في جانب الحبس مُقَيّد ، فجعلتُ أنظر إليه ساعةً ، ثم تمثّل : [من الطويل]

صوت

تَعــوّدتُ مُـرَّ الصبر حتى أَلِفْتُـه ... وأسلمني حسنُ العَزاء إلى الصبرِ[1]

وصيّرني يأسي مـن النّاس راجياً ... لِحُسْن صنيعِ الله من حيثُ لا أَدرِي

فقلت له : أَعِدْ ، يرحمك الله ، هذين البيتين . فقال لي : ويلَك أبا العتاهية ؛ ما أسوأَ أدبَك وأقلَّ عقلَك ! دخلتَ عليّ الحبس فما سلّمتَ تسليم المُسْلِم على المُسْلم ، ولا سألتَ مسألة الحُرّ للحرّ ، ولا توجّعت توجُّع المُبتلى للمُبتلَى ، حتى إذا سمعتَ بيتين من الشعر الذي لا فضلَ فيك غيره ، لم تصبر عن استعادتهما ، ولم تُقَدِّم قبلَ مسألتك عنهما عُذراً لنفسك في طلبهما ؛ فقلت : يا أخي إنّي دَهِشتُ لهذه الحال ، فلا تَعذُلْني واعذِرْني مُتفضّلاً بذلك . فقال : أنا والله أولى بالدَّهش والحيرة منك ؛ لأنّك حُبستَ في أن تقول شعراً به ارتفعتَ وبلَغت ، فإذا قُلتَ أُمِّنت ، وأنا مأخوذٌ بأن أَدُلَّ على ابن رسول الله ﷺ ليُقتَل أو أُقتَلَ دونه ، ووالله لا أدُلّ عليه أبداً ، والساعة يُدعى بي فأُقتَل ، فأيُّنا أحقُّ بالدَّهَش ؟ فقلت له : أنت والله أولى ، سَلّمك الله وكفاك ، ولو علمتُ أنّ هذه حالُك ما سألتُك . قال : فلا نَبْخَلُ عليك إذن ، ثم أعاد البيتين حتى حفظتُهما . قال : فسألته مَن هو ؟ فقال : أنا خاصّ داعيةُ عيسى بن زيد وابنِه أحمد . ولم نلبث أن سمعنا صوتَ الأقفال ، فقام فسكَب عليه ماء كان عنده في جرّة ، ولبِس ثوباً نظيفاً كان عنده ، ودخل الحرس والجند معهم الشمع فأخرجونا جميعاً ، وقُدِّم قبلي إلى الرشيد . فسأله عن أحمد بن عيسى ؛ فقال : لا تسألني عنه واصنع ما أنت صانع ، فلو أنّه تحت ثوبي هذا ما كشفتُه عنه . وأَمر بضرب عنقه فضُرِب . ثم قال لي : أظنّك قد ارتعتَ يا إسماعيل ؛ فقلت : دون ما رأيتَه تَسِيل منه النفوس . فقال : ردّوه إلى مَحبسه فرُدِدْتُ ، وانتحلت هذين البيتين وزِدْتُ فيهما[2] : [من الطويل]

1 مُرّ الصبر في ل : مسّ الضر .

2 انظر ديوان أبي العتاهية : 174–175 (رقم 178) وهي خمسة أبيات من ضمنها الثلاثة المتقدّمة .

إذا أنا لم أَقْبَلْ من الدّهرِ كلَّ ما ... تكرَّهتُ منه طال عَتْبِي على الدهرِ

لِزُرْزُور غلامِ المارِقيّ في هذين البيتين المذكورين خفيف رمل . وفيهما لعَرِيب خفيف ثقيل .

[كان خِلْفاً في شعره منه الجيّد والرديء]

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى : حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني ناجيةُ بن عبد الواحد قال : قال لي أبو العبّاس الخُزيميّ : كان أبو العتاهية خِلْفاً في الشعر ، بينما هو يقول في موسى الهادي : [من مجزوء الكامل]

لَهْفي على الزمنِ القصيرِ ... بين الخَوَرْنَقِ والسَّديرِ

إذ قال[1] : [من مجزوء الرجز]

أيا ذَوِي الوَخامهْ ... أكثرتُمُ المَلامهْ

فليس لي على ذا ... صبرٌ ولا قُلامهْ

نعمْ عَشِقتُ مُوقاً ... هل قامتِ القيامهْ

لأَرْكَبنّ فيمن ... هَوِيتُه الصَّرامهْ

[عرض شعراً له على سلم الخاسر فذمّه]

ونسختُ من كتابه : حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني أحمد بن عيسى قال حدّثني الجَمّاز قال : قال سَلْمٌ الخاسِر : صار إليّ أبو العتاهية فقال : جئتُكَ زائراً ؛ فقلت : مقبولٌ منك ومشكورٌ أنت عليه ، فأَقِمْ . فقال : إنّ هذا ممّا يَشتدّ عليّ . قلت : ولِمَ يشتدّ عليك ما يَسهُل على أهلِ الأدب ؟ فقال : لِمَعرِفتي بضيقِ صدرك . فقلت له وأنا أُضحك وأُعجب من مُكابرته : «رَمَتْني بدائِها وانسلَّتْ»[2] . فقال : دَعني من هذا واسمع منّي أبياتاً . فقلت : هاتِ ، فأَنشدني[3] : [من الخفيف]

يا لَقومِي لِلْمَوتِ ما أَوْحاهُ[4] ... نغَّصَ الموتُ كلَّ لذّة عيشٍ

عجباً أنّه إذا مات مَيْتٌ ... صَدَّ عنه حبيبُه وجَفاهُ

حيثما وُجِّه امرؤٌ ليفوتَ الـ ... ـموتَ فالموتُ واقفٌ بحِذاهُ

إنّما الشَّيْبُ لابن آدمَ ناعٍ ... قام في عارِضَيْهِ ثم نَعاهُ

---

1 تكملة الديوان : رقم 240 .

2 هو المثل رقم 1521 عند الميداني وانظر فصل المقال : 92 .

3 ديوان أبي العتاهية : 414–415 (رقم 432) .

4 أوحاه : ما أسرعه .

مَنْ تَمَنَّى المُنى فأَغْرق فيها   مات من قبلِ أن ينالَ مُناهُ
مـا أذَلّ المُقِلَّ في أَعْيُنِ النّا   سِ لإقلالـه ومـا أقْماهُ
إنّما تنظـرُ العيـونُ من النا   سِ إلى مَنْ تَرْجوه أو تخْشاهُ

ثم قال لي : كيف رأيتها ؟ فقلت له : لقد جوَّدتَها لو لم تكن ألفاظُها سُوقيّةً . فقال : والله ما يُرَغِّبني فيها إلاّ الذي زهّدك فيها .

[قوله عندما مرّ به حميد الطوسيّ متكبّراً]

ونسختُ من كتابه : عن عليّ بن مهديّ قال حدّثني عبد الله بن عطيّة عن محمد بن عيسى الحربيّ قال : كنت جالساً مع أبي العتاهية ، إذ مرّ بنا حُمَيْدٌ الطُّوسيّ في موكبه وبين يديه الفُرسان والرَّجّالة ، وكان بِقُربِ أبي العتاهية سَوادِيٌّ على أتان ، فضربوا وجه الأتان ونَحَّوْه عن الطريق ، وحُميد واضعٌ طَرفَه على مَعرَفَة فرسه والناس ينظرون إليه يعجَبون منه وهو لا يلتفت تِيهاً ؛ فقال أبو العتاهية[1] : [من مجزوء الكامل]

لِلمـوت أبنـاءٌ بهـمْ   ما شِئْتَ من صَلَفٍ وتيهِ
وكأنّني بالمـوتِ قـد   دارَتْ رَحاه على بَنِيهِ

قال : فلمّا جاز حميد مع صاحب الأتان قال أبو العتاهية[2] : [من الخفيف]

مـا أذلَّ المُقِـلَّ في أعين النا   س لإقلالـه ومـا أقْماهُ
إنّما تنظـرُ العيـونُ مـن النا   سِ إلى مَنْ تَرْجوه أو تَخْشاهُ

[اعترض عليه في بخله فأجاب]

قال عليّ بن مهديّ وحدّثني الحسين بن أبي السَّريّ قال : قيل لأبي العتاهية : ما لك تَبخَل بما رزقك الله ؟ قال : والله ما بَخِلتُ بما رزقني الله قطّ . قيل له : وكيف ذاك وفي بيتك من المال ما لا يُحصى ؟ قال : ليس ذلك رِزقي ، ولو كان رزقي لأنفقتُه .

[طلب من صالح الشهرزوري حاجة فلم يقضها فعاتبه]

قال عليّ بن مهديّ وحدّثني محمد بن جعفر الشَّهرَزُوريّ قال حدّثني رَجاء مولى صالح الشهرزوريّ قال : كان أبو العتاهية صديقاً لصالح الشهرزوريّ وآنس الناس به ، فسأله أن يُكَلِّم الفضلَ بن يحيى في حاجة له ؛ فقال له صالح : لست أُكَلِّمه في أشباه هذا ، ولكن حَمِّلْني ما شئت في مالي . فانصرف عنه أبو العتاهية وأقام أيّاماً لا يأتيه ؛ فكتب إليه أبو

1 تكملة الديوان : رقم 291 .
2 ديوان أبي العتاهية : 400–401 (رقم 412) وهي 10 أبيات .

العتاهية : [من الكامل]

أَقْلِلْ زيارتَك الصديقَ ولا تُطِلْ إتْيانَـه فتَلِـجَّ في هِجْرانِهِ[1]
إنّ الصديقَ يَلِـجّ في غِشْيانِه لصديقه فيُمَـلُّ من غِشْيانِهِ
حتّى تراه بعد طـول مَسرّةٍ بمكانـه مُتَبرِّمـاً بمكانِهِ[2]
وأَقَلُّ ما يُلْفَى الفتى ثِقَلاً على إخوانه ما كـفَّ عن إخوانِهِ[3]
وإذا توانَـى عن صِيانة نفسه رجلٌ تُنُقِّص واستُخِفَّ بشانِهِ

فلمّا قرأ الأبياتَ قال : سبحانَ الله ؛ أتهجُرني لمنعي إيّاك شيئاً تعلم أنّي ما ابتذلتُ نفسي له قطّ ، وتَنْسى مودّتي وأخوّتي ، ومِنْ دون ما بيني وبينك ما أُوجب عليك أن تَعْذِرني ! فكتب إليه[4] : [من الكامل]

أهلَ التَّخلُّقِ لو يَدوم تَخَلُّقُ لسكنتُ ظِلَّ جَناح مَنْ يَتَخَلَّقُ
ما الناس في الإمساك إلاّ واحدٌ فبأيّهم إنْ حُصِّلـوا أَتعلّقُ
هـذا زمـانٌ قـد تعوَّد أهلُه تيهَ الملوك وفِعلَ مَنْ يَتصدّقُ

فلمّا أصبح صالحٌ غدا بالأبيات على الفضل بن يحيى وحدّثه بالحديث ؛ فقال له : لا والله ما على الأرض أبْغضُ إليّ من إسداء عارفةٍ إلى أبي العتاهية ؛ لأنّه ممّن ليس يظهر عليه أثرُ صنيعة ، وقد قضيتُ حاجتَه لك ؛ فرجعَ وأرسلني إليه بقضاء حاجته . فقال أبو العتاهية[5] : [من الطويل]

جَزَى اللهُ عنِّـي صالحاً بوَفائـه وأَضْعَفَ أضعافاً لـه في جَزائِهِ
بَلَوْتُ رجـالاً بعـدَه في إخائهمْ فما ازددتُ إلاّ رغبةً في إخائِهِ
صديقٌ إذا ما جئتُ أَبغيه حاجةً رجعتُ بما أَبغي ووجهي بمائِهِ

أخبرني الصُّوليّ قال حدّثني محمد بن موسى قال حدّثني أحمد بن حرب قال : أنشدني محمد بن أبي العتاهية لأبيه يعاتب صالحاً هـذا في تأخيره قضـاء حاجتـه[6] : [من الطويل]

1 ولا تطل إتيانه فتلجُّ في الديوان : «. . . ولا تطل هجرانه فيلج . . .» .
2 الديوان : «. . . مستثقلاً لمكانه» .
3 وأقل في الديوان : وأخف .
4 تكملة الديوان : رقم 158 .
5 تكملة الديوان : رقم 5 .
6 تكملة : رقم 60 .

صوت

أَعَيْنَيَّ جُودا وابكِيا وُدَّ صالِحِ ... وهِيجا عليه مُعْوِلاتِ النَّوائِحِ
فما زالَ سلطاناً أخٌ لي أَوَدُّه ... فيَقْطَعُني جُرْماً قطيعةَ صالِحِ

الغناء في هذين البيتين لإبراهيم ثقيلٌ أوّلُ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر .

[أمر الرشيد مؤدّب ولده أن يرويهم شعره]

أخبرني محمد بن أبي الأزهر قال حدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن جدّه قال : كان الرشيد مُعجَباً بشعر أبي العتاهية ، فخرج إلينا يوماً وفي يده رُقعتان على نسخةٍ واحدة ، فبعث بإحداهما إلى مُؤَدِّب لوَلَده وقال : ليُرَوِّهِمْ ما فيها ، ودفَع الأُخرى إليّ وقال : غَنِّ في هذه الأبيات . ففتحتُها فإذا فيها[1] : [من مجزوء الرمل]

صوت

قُــلْ لِمَنْ ضَنَّ بوُدِّهْ ... وكَوى القلــبَ بصَدِّهْ
ما ابتــلى اللهُ فؤادي ... بــكَ إلاّ شُؤْمَ جَدِّهْ
أيُّها السارقُ عَقْـلي ... لا تَضَنَّــنَّ بِــرَدِّهْ
مــا أرى حُبَّكَ إلاّ ... بالغاً بـي فـوقَ حَدِّهْ

[تمثّل المعتصم عند موته بشعر له]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال حدّثني عبد الله بن محمد الأُموِيّ العُتْبيّ قال قال لي محمد بن عبد الملك الزيّات : لمّا أحسّ المعتصم بالموت قال لابنه الواثق : ذَهَب واللهِ أبوك يا هارون ! للهِ درُّ أبي العتاهية حيث يقول[2] : [من مجزوء الكامل]

الموتُ بـين الخَلْقِ مُشْتَرَكُ ... لا سُوقــةٌ يَبْقى ولا مَلِكُ
ما ضَرَّ أصحابَ القليلِ وما ... أَغْنى عَنِ الأملاكِ ما مَلَكُوا

[عدّ أبو تمّام خمسة أبيات من شعره وقال لم يشركه فيها غيره]

أخبرني حبيب بن نصر المهلَّبيّ وعمِّي الحسن والكوكبيّ قالوا حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : قال لي أبو تمّام الطائيّ : لأبي العتاهية خمسةُ أبياتٍ ما شَرِكَه فيها أحدٌ ، ولا قَدَر على مثلها مُتَقَدِّم ولا متأخِّرٌ ، وهو قوله : [من مجزوء الكامل]

1 تكملة : رقم 84 .

2 ديوان أبي العتاهية : 267–268 (رقم 283) .

النــاسُ في غَفَلاتِهِــمْ ورَحــى المَنِيَّــةِ تَطْحَنُ

وقوله لأحمد بن يوسف : [من الطويل]

أَلَمْ تَرَ أنّ الفَقْرَ يُرْجى له الغِنى وأنّ الغِنى يُخْشى عليه مِنَ الفَقْرِ

وقوله في موسى الهادي[1] : [من المتقارب]

ولّمـا اسْتَقَلُّوا بأَثقالِهِـمْ وقد أَزْمَعُوا للذي أَزمعوا
قرنتُ التفاتــي بآثارِهِمْ وأَتْبَعْتُهــمْ مُقْلَــةً تَدْمَعُ

وقوله : [من الوافر]

هَبِ الدنيا تصيرُ إليك عَفْواً أليس مصيرُ ذاك إلى زَوالِ

[عزاؤه صديقاً له]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويَه قال حدّثني محمد بن سعيد المَهْديّ عن يحيى بن سعيدٍ الأنصاريّ قال : مات شيخٌ لنا ببغداد ، فلمّا دفنّاه أقبل الناسُ على أخيه يُعَزُّونه ، فجاء أبو العتاهية إليه وبه جَزَعٌ شديد ، فعَزَّاه ثم أنشده[2] : [من المجتث]

لا تَـأمنِ الدَّهْرَ والْبَسْ لكلِّ حــينٍ لِبــاسا
لَيَـدْفِنَنَّـــا أُنـــاسٌ كما دَفَنَّـــا أُنــاسا

قال : فانصرف الناسُ ، وما حفِظوا غير قول أبي العتاهية .

[أرسل لخزيمة من شعره في الزهد فغضب وذمّه]

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ : حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني حبيب بن عبد الرحمن عن بعض أصحابه : قال : كنتُ في مجلس خُزَيمة[3] ، فجرى حديثُ ما يُسْفَكُ من الدماء ، فقال : والله مالنا عند الله عذرٌ ولا حُجّةٌ إلاّ رجاء عفوه ومغفرته . ولولا عزُّ السلطان وكراهةُ الذلّة ، وأن أصيرَ بعد الرياسة سُوقةً وتابعاً بعد ما كنتُ متبوعاً ، ما كان في الأَرض أزهَدُ ولا أَعبدُ منّي ؛ فإذا هو بالحاجب قد دخل عليه برُقعة من أبي العتاهية فيها مكتوبٌ[4] : [من الطويل]

---

1 تكملة الديوان : رقم 145 .
2 ديوان أبي العتاهية : حاشية القطعة 198 (ص 193) ، ديوان أبي العتاهية (صادر) : 229 .
3 هو خزيمة بن خازم أحد قوادِ الرشيد .
4 ديوان أبي العتاهية : 347 (رقم 356) وهي عشرة أبيات مع اختلاف في الترتيب .

أَراكَ امرءاً ترجو من الله عَفْوَهُ ... وأنتَ على ما لا يُحِبُّ مُقِيمُ
تَدُلُّ على التقوى وأنتَ مُقَصِّرٌ ... أيا مَن يُداوي الناسَ وهو سَقِيمُ
وإنَّ امرءاً لم يُلْهِهِ اليومُ عن غَدٍ ... تَخَوُّفُ ما يأتي به لحكيمُ
وإنّ امرءاً لم يَجعلِ البِرَّ كنزَه ... وإنْ كانتِ الدنيا له لعديمُ

فغضِب خُزيمة وقال : والله ما المعروفُ عند هذا المعتوه المُلْحِف من كنوز البِرّ فيرغب فيه حرٌّ . فقيل له : وكيف ذاك ؟ فقال : لأنّه من الذين يكنِزون الذهب والفِضّة ولا يُنفقونها في سبيل الله .

[مدح يزيد بن مزيَد فوصله]

ونسختُ من كتابه : عن عليّ بن مهديّ قال حدّثني الحسين بن أبي السَّريّ قال قال لي الفضل بن العبّاس : قال لي أبو العتاهية : دخلتُ على يزيد بن مَزْيد ، فأنشدته قصيدتي التي أقول فيها[1] : [من الطويل]

وما ذاك إلاَّ أنَّني واثِقٌ بما ... لديك وأنِّي عالِمٌ بوفائِكا
كأنّك في صدري إذا جئتُ زائراً ... تُقَدِّر فيه حاجتي بابتدائكا
وإنّ أميرَ المؤمنين وغيرَه ... ليَعلَمُ في الهيجاء فضلَ غَنائِكا
كأنّك عند الكَرِّ في الحربِ إنّما ... تَفِرُّ من السِّلْمِ الذي من وَرائِكا
فما آفةُ الأملاكِ غيرُك في الوَغَى ... ولا آفةُ الأموالِ غيرُ حِبائِكا

قال : فأعطاني عشرة آلاف درهم ، ودابةً بسرْجها ولِجامها .

[وعظ راهب رجلاً عابداً بشعره]

وأخبرني عيسى بن الحسين الوَرّاق وعمِّي الحسن بن محمد وحبيب بن نصر المهلَّبيّ قالوا : حدّثنا عمر بن شَبَّة قال : مرّ عابدٌ براهبٍ في صَوْمعة ؛ فقال له : عِظْني . فقال : أَعِظُك وعليكم نَزل القرآن ، ونبيُّكم محمد ﷺ قريب العهد بكم ؟ قلت نعم . قال : فاتَّعِظْ ببيتٍ من شعر شاعركم أبي العتاهية حين يقول : [من الطويل]

تَجَرَّدْ مِنَ الدنيا فإنَّك إنّما ... وقعتَ إلى الدنيا وأنتَ مُجَرَّدُ[2]

[فضّله العتابيّ على أبي نواس]

أخبرني محمد بن عِمران الصَّيرفيّ قال حدّثنا العَنَزيّ قال حدّثني الفضل بن محمد الزّارع

---

1 تكملة الديوان : رقم 7 .

2 وقعت في الديوان (القطعة رقم 109) : سقطت .

قال حدّثني جعفر بن جَمِيل قال : قدِم العَتّابيّ الشاعر على المأمون ، فأُنزله على إسحاق بن إبراهيم ، فأنزله على كاتبه ثوابة بن يونس ، وكنّا نختلف إليه نكتب عنه . فجرى ذات يوم ذِكر الشعراء ؛ فقال : لَكُمْ يا أهل العراق شاعرٌ منوَّه الكنية ، ما فعل ؟ فذكر القوم أبا نواس ؛ فانتهرهم ونفضَ يده وقال : ليس ذلك ، حتى طال الكلام . فقلت : لعلّك تريد أبا العتاهية . فقال : نعم ، ذاك أشعر الأوّلين والآخرين في وقته .

[لام أبا نواس في استماع الغناء]

أخبرني محمد بن عِمران قال حدّثني العَنَزيّ قال حدّثني محمد بن إسحاق عن عليّ بن عبد الله الكِنديّ قال : جلس أبو العتاهية يوماً يَعْذُلُ أبا نواس ويلومه في استماع الغِناء ومجالسته لأصحابه ؛ فقال له أبو نواس : [من مجزوء الرمل]

أتُراني يــا عَتاهــي تــاركاً تلك المَلاهي
أتُراني مفْسِداً بالنُّسْـ ـكِ عند القوم جاهي

قال : فوثب أبو العتاهية وقال : لا بارك الله عليك . وجعل أبو نواس يضحك .

[بلغه أنّ إبراهيم بن المهديّ رماه بالزندقة فبعث إليه يعاتبه]

أخبرني جحظة قال حدّثني هبة الله بن إبراهيم بن المهديّ قال : بلغ أبا العتاهية أنّ أبي رماه في مجلسه بالزندقة وذكره بها ؛ فبعث إليه يُعاتبه على لسان إسحاق الموصلي ، فأدّى إليه إسحاق الرسالة ؛ فكتب إليه أبي : [من الكامل]

إنّ المنيَّــةَ أَمهلتْــك عَتاهــي والموتُ لا يسهو وقلبُك ساهِي
يا ويحَ ذي السنِّ الضعيفِ أمالُه عن غيِّه قبــل الممات تُناهي
وُكِّلْــتَ بالدنيا تُبَكِّيهــا وتَنْـ ـدُبها وأنت عَنِ القيامة لاهي
والعيشُ حُلْـوٌ والمَنُونُ مَريرةٌ والــدَّارُ دارُ تَفاخُــرٍ وتَباهي
فاخْتَرْ لنفسك دونها سُبُلاً ولا تَتَحامَقَنَّ لهــا فإنّــك لاهي[1]
لا يُعْجِبَنّــكَ أنْ يُقال مُفَوَّهٌ حَسَنُ البَلاغة أو عَرِيضُ الجاهِ
أَصْلِحْ جَهُولاً من سَرِيرتك التّي تخلو بهــا وارهَبْ مَقامَ اللهِ
إنِّــي رأيتُك مُظْهِـراً لِزَهادةٍ تحتــاجُ منــك لهـا إلى أشباه

1 فاختر في ل : فاحتل .

[شغف عبد الله بن العباس بن الفضل بالغناء في شعره]

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثني الحسين بن يحيى الصوليّ قال حدّثني عبد الله بن العبّاس بن الفضل بن الربيع قال : رآني الرشيد مشغوفاً بالغِناء في شعر أبي العتاهية : [من الخفيف]

صوت

أحمدٌ قال لي ولم يَدْرِ ما بي ... أتُحِبُّ الغداةَ عُتْبةَ حقّا

فتَنَفَّسْتُ ثم قلتُ نَعَمْ حُـ ... ـبّاً جَرى في العُروق عِرْقاً فعِرقا

لو تَجُسِّينَ يا عُتَيبةُ قلبي ... لَوجَدْتِ الفؤادَ قَرْحاً تَفَقّا

قد لَعَمْري مَلَّ الطبيبُ ومَلَّ الأَ ... هلُ منّي ممّا أُقاسي وأَلْقَى

ليتَني مُتُّ فاسترحتُ فإنّي ... أبداً ما حَيِيتُ منها مُلَقَّى

ولا سيّما من مُخارق ، وكان يُغنّي فيه رَمَلاً لإبراهيم أخذه عنه . وفيه لحنٌ لفَريدة رمل . هكذا قال الصُّولي : «فريدة» بالياء ، وغيره يقول : «فِرِندة» بالنون .

[صنع شعراً يغنّي فيه الملاّحون فلمّا سمعه الرشيد بكى]

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثنا محمد بن موسى قال حدّثنا محمد بن صالح العَدَويّ قال أخبرني أبو العتاهية قال : كان الرشيد ممّا يعجبه غِناءُ المَلاَّحين في الزَّلاَّلات إذا رَكبها ، وكان يتأذّى بفساد كلامهم ولحنهم ، فقال : قولوا لمن معنا من الشعراء يعمَلوا لهؤلاء شعراً يُغَنُّون فيه . فقيل له : ليس أحدٌ أقدرَ على هذا من أبي العتاهية ، وهو في الحبس . قال : فوَجَّه إليّ الرشيد : قُلْ شعراً حتّى أسمعه منهم ، ولم يأمُرْ بإطلاقي ؛ فغاظني ذلك فقلت : والله لأقولَنّ شعراً يَحزنه ولا يُسَرُّ به ، فعَمِلتُ شعراً ودفعتُه إلى مَنْ حَفَّظَه الملاّحين ، فلمّا رَكِب الحَرَّاقة سَمِعه ، وهو[1] : [من مجزوء الرمل]

خانَك الطَّرْفُ الطَّمُوحُ ... أيُّها القَلبُ الجَمُوحُ

لِدَواعي الخَيْرِ والشَّـ ... ـرِّ دُنُوٌّ ونُزُوحُ

هَلْ لمطلوبٍ بِذَنْبٍ ... توبةٌ منه نَصُوحُ

كيف إصلاحُ قُلُوبٍ ... إنّما هُنَّ قُروحُ

أحْسَنَ اللهُ بنا أَ ... نَّ الخَطايا لا تَفُوحُ

1 ديوان أبي العتاهية : 96-97 (رقم 97) .

فــإذا المستــورُ مِنّــا بـــينَ ثَوبَيْهِ نَضُوحُ[1]
كَمْ رأينا مِــنْ عَزيــزٍ طُوِيــتْ عنــه الكُشوحُ
صــاحَ منــه بِرَحِيــلٍ صائحُ الدَّهْــرِ الصَّدُوحُ
موتُ بعضِ الناسِ في الأَرْ ضِ على قـــومٍ فُتُوحُ
سيصيرُ المــرءُ يومـــاً جَسَداً مـــا فيــه رُوحُ
بــين عَيْنَيْ كُلِّ حَـــيٍّ عَلَمُ المــوتِ يلـــوحُ
كُلُّنــا في غَفْلــةٍ والْـــ ـــمَوْتُ يغــدو ويروحُ
لِبَني الدُّنيــا مِـــنَ الدُّنْـ ـيا غَبُـــوقٌ وصَبُوحُ
رُحْنَ في الوَشْي وأصْبَحْـ ـنَ عليهِـــنَّ المُسُوحُ
كلُّ نَطّــاحٍ مِــنَ الدَّهْـ ـرِ لــه يــومٌ نَطُوحُ
نُحْ على نَفْسِك يا مِسْـ ـكينُ إنْ كنــتَ تنوحُ
لَتمُوتَـــنَّ وإنْ عُمِّـــ ـرْتَ مــا عُمِّــرَ نُوحُ

قال : فلمّا سمع ذلك الرشيد جعل يبكي ويَنتَحِب ، وكان الرشيد من أغزر الناس دموعاً في وقت الموعظة ، وأشدِّهم عَسْفاً في وقت الغَضب والغِلظة . فلمّا رأى الفضل بن الربيع كثرةَ بكائه ، أومأ إلى المَلاَّحين أن يسكتوا .

[هجا منجاباً الذي كان موكلاً بحبسه]

حدّثني الصُّولي قال حدّثني الحسن بن جابر كاتب الحسن بن رَجاء قال : لَمّا حَبَس الرشيد أبا العتاهية دَفَعه إلى مِنجابٍ ، فكان يَعْنُف به ؛ فقال أبو العتاهية[2] : [من مجزوء الكامل]

مِنْجابُ مات بِدائه فاعْجَلْ لـه بدَوائِهِ
إنَّ الإمــامَ أعلَّــه ظُلْمــاً بحَـدّ شَقائِهِ
لا تُعْنِفَــنّ سِياقَــهُ مــا كُلُّ ذاك برائِهِ
ما شِمْتُ هذا في مَخا يِلِ بارِقاتِ سَمائِهِ

[مدح الرشيد حين عقد ولاية العهد لبنيه]

أخبرني محمد بن عِمران الصَّيرفيّ قال حدّثنا العَنَزيّ قال حدّثني أحمد بن معاوية

1 نضوح في الديوان : فضوح .
2 تكملة الديوان : رقم 6 .

القُرشيّ قال : لمّا عقد الرشيد ولايةَ العهد لبنيه الثلاثة : الأَمين ، والمأمون ، والمؤتمن ، قال أبو العتاهية[1] : [من الطويل]

رَحَلْتُ عَنِ الرَّبْعِ المُحِيلِ قَعُودِي ... إلى ذي زُحُوفٍ جَمَّـةٍ وجُنودِ
وَراعٍ يُراعِي اللَّيل في حِفْظِ أُمَّةٍ ... يُدافِـع عنهـا الشرَّ غيرِ رَقُودِ
بِأَلْوِيَـةٍ جبريـلُ يَقْـدُم أهلَها ... ورايـات نَصْـرٍ حولَـه وبُنودِ
تَجافَـى عَنِ الدُّنيـا وأَيْقَـن أنَّها ... مُفارِقَـةٌ ليستْ بَـدارِ خُلـودِ
وشَدَّ عُـرَى الإسلامِ منـه بِفِتْيَةٍ ... ثَلاثـةِ أَمـلاكٍ وُلاةِ عُهُـودِ
هُـمْ خيرُ أولادٍ ، لَهُمْ خيرُ والدٍ ... لَـهُ خيرُ آبـاءٍ مَضَتْ وجُدودِ
بنو المصطفى هارونَ حولَ سَرِيرِه ... فَخَيْرُ قِيـامٍ حولَـه وقُعـودِ
تُقَلِّـبُ ألحـاظَ المَهابـةِ بينهمْ ... عيونُ ظِبـاءٍ في قُلـوبِ أُسُودِ
جُدُودُهُمُ شمسٌ أتـتْ في أَهِلَّةٍ ... تَبَدَّتْ لِـراءٍ في نُجـومِ سُعُودِ

قال : فوصله الرشيد بصِلةٍ ما وَصَل بمثلها شاعراً قَطُّ .

[ذكر لملك الروم فالتمسه من الرشيد]

أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد الأَسديّ إجازةً قال حدّثني الرِّياشيّ قال : قدِم رسولٌ لَمِلك الروم إلى الرشيد ، فسأل عن أبي العتاهية وأنشده شيئاً من شعره ، وكان يُحسِن العربية ، فمضى إلى ملك الرُّوم وذكره له ؛ فكَتَب ملكُ الروم إليه ، ورَدَّ رسولَه يسأل الرشيد أن يُوجِّه بأبي العتاهية ويأخذ فيه رهائن مَن أراد ، وألحَّ في ذلك . فكلَّم الرشيد أبا العتاهية في ذلك ، فاستعفى منه وأباه . واتَّصل بالرشيد أنّ ملك الروم أَمَر أن يُكتَبَ بيتان من شعر أبي العتاهية على أبواب مَجالسه وباب مدينته ، وهما[2] : [من المنسرح]

صوت

ما اختلـفَ اللَّيْـلُ والنَّهـارُ ولا ... دارتْ نجومُ السماء في الفَلَكِ
إلاّ لِنَقْلِ السُّلْطانِ عـن مَلِكٍ ... قَـدِ انْقَضَى مُلْكُـه إلى مَلِكِ

1 تكملة الديوان : رقم 72 .

2 ديوان أبي العتاهية : حاشية ص 274 (رقم 291) ، ديوان أبي العتاهية (صادر) : 316 .

[انقطع بعد خروجه من الحبس فلامه الرشيد]

أخبرني عمّي قال حدّثنا عبد الله[1] بن أبي سعد قال حدّثنا الرَّبيع بن محمد الخُتَّليّ الوَرَّاق قال أخبرني ابن أبي العتاهية : أنّ الرشيد لمّا أطلق أباه من الحبس ، لَزِم بيتَه وقطَع الناس ؛ فذكَره الرشيد فعُرِّفَ خبره ، فقال : قولوا له : صِرْتَ زِيرَ نساء وحِلْسَ بَيت ؛ فكتب إليه أبو العتاهية : [من السريع]

بَرِمْتُ بِالنَّاسِ وأَخلاقِهِم فصِرْتُ أَسْتَأْنِسُ بالوحدَهْ
ما أَكثَرَ النَّاسَ لَعَمْرِي وما أَقَلَّهم في مُنْتَهى العِدَّهْ

ثم قال : لا ينبغي أنْ يمضي شعر إلى أمير المؤمنين ليس فيه مدحٌ له ، فقَرَن هذين البيتين بأربعة أبيات مدحه فيها : وهي[2] : [من المديد]

صوت

عادَ لي من ذِكْرِها نَصَبُ فدموعُ العَينِ تَنْسَكِبُ
وكذاكَ الحُبُّ صاحِبُه يَعْتَرِيهِ الهَمُّ والوَصَبُ
خيرُ مَنْ يُرْجى ومَنْ يَهَبَ مَلِكٌ دانتْ لَه العَرَبُ
وحقيقٌ أنْ يُدانَ لَه مَنْ أبوه لِلنَّبيّ أَبُ

[وعظه الرشيد]

حدّثنا الصُّوليّ قال حدّثنا عون بن محمد قال حدّثنا محمد بن أبي العتاهية قال : قال الرشيد لأبي : عِظْني ؛ فقال له : أخافك . فقال له : أنت آمِن . فأنشده[3] : [من البسيط]

لا تَأمَنِ الموتَ في طَرْفٍ ولا نَفَسٍ إذا تَسَتَّرْتَ بالأبوابِ والحَرَسِ[4]
واعلَمْ بأنّ سِهامَ الموتِ قاصدةٌ لكلِّ مُدَّرِعٍ منّا ومُتَّرِسِ[5]
ترجو النجاةَ ولم تَسْلُكْ طَرِيقَتَها إنّ السفينةَ لا تَجْري على اليَبَسِ[6]

قال : فبكى الرشيد حتى بلَّ كُمَّه .

1 ل : عبيد الله .
2 تكملة الديوان : رقم 12 .
3 ديوان أبي العتاهية : 192 (من القطعة رقم 199) .
4 الشطر الثاني في الديوان : «وإن تمنّعت بالحجاب والحرس» .
5 الديوان : «فما تزال سهام الموت نافذة . . . في جنب» .
6 طريقَتَها في الديوان : مسالكها .

[تناظر ابن أبي فنن وابن خاقان فيه وفي أبي نواس]

حدّثني عمّي قال حدّثني أحمد بن أبي طاهر قال : قال لي أحمد بن أبي فنن : تناظرت أنا والفتح بن خاقان في منزله : أيُّما الرجلين أشعر : أبو نواس أم أبو العتاهية . فقال الفتح : أبو نواس ، وقلت : أبو العتاهية . ثم قلت : لو وُضِعتْ أشعارُ العرب كلُّها بإزاء شعر أبي العتاهية لَفَضَلَها ، وليس بيننا خلافٌ في أنّ له في كلِّ قصيدة جيّداً ووسطاً وضعيفاً ، فإذا جُمع جيِّده كان أكثر من جيِّد كلِّ مُجَوِّد . ثم قلت له : بمَن تَرضى ؟ قال : بالحسين بن الضحّاك . فما انقطع كلامنا حتى دخل الحسين بن الضحّاك ؛ فقلت : ما تقول في رجلين تَشاجرا ، فَضَّل أحدُهما أبا نواس وفضَّل الآخرُ أبا العتاهية ؟ فقال الحسين : أُمُّ مَن فَضَّل أبا نواسٍ على أبي العتاهية زانيةٌ ؛ فخَجِل الفَتح حتى تبيَّن ذلك فيه ، ثم لم يُعاوِدْني في شيء من ذِكْرِهما حتى افترقنا .

[اجتمع مع مخارق فراح يغنّيه وهو يشرب ويبكي ثم كسر الآنية وتزهّد]

وقد حدّثني الحسن بن محمد بهذا الخبر على خلاف ما ذكره إبراهيم بن المهديّ فيما تقدّم ، فقال : حدّثني هارون بن مخارق قال حدّثني أبي قال[1] : جاءني أبو العتاهية فقال : قد عزمتُ على أنْ أتزوَّد منك يوماً تَهَبُه لي ، فمتى تَنشَط ؟ فقلت : متى شئت . فقال : أخاف أن تقطع بي . فقلت : والله لا فعلتُ وإنْ طَلَبني الخليفة . فقال : يكون ذلك في غدٍ . فقلت : أفعل . فلمّا كان في غدٍ باكرني رسولُه فجئته ، فأدخلني بيتاً له نظيفاً فيه فَرشٌ نظيفٌ ، ثم دعا بمائدة عليها خُبْزُ سَميذٍ وخَلٌّ وبَقْلٌ ومِلحٌ وجَدْيٌ مَشويّ فأكلنا منه ، ثم دعا بسمك مشويّ فأصبنا منه حتى اكتفينا ، ثم دعا بحلواء فأصبنا منها وغسلنا أيدينا ، وجاؤونا بفاكهة وريحان وألوانٍ من الأنبذة ، فقال : اختَر ما يصلُح لك منها ؛ فاخترتُ وشرِبت ؛ وصبَّ قَدَحاً ثم قال : غنِّني في قولي : [من الخفيف]

أحمدٌ قال لي ولم يَدْرِ ما بي أَتُحِبُّ الغَداةَ عُتْبَةَ حَقّا

فغنَّيته ، فشرب قدحاً وهو يبكي أَحَرَّ بكاء . ثم قال : غَنِّني في قولي : [من السريع]

ليس لِمَنْ ليستْ له حِيلَةٌ موجودةٌ خيرٌ مِنَ الصَّبْرِ

فغنَّيته وهو يبكي ويَنْشِج ، ثم شرِب قدحاً آخر ثم قال : غنِّني ، فديتك ، في قولي : [من الطويل]

1 هذا الخبر والذي يليه ممّا أورده ابن حمدون عن أبي العتاهية بتمامه في التذكرة 9 : 330–332 نقلاً عن الأغاني .

خَلِيلَيَّ مـالي لا تزالُ مَضَرَّتي   تكونُ مع الأقدارِ حَتْماً من الحَتْمِ

فغنَّيته إيّاه . وما زال يقترح عليّ كلَّ صوتٍ غُنّي به في شِعره فأُغَنّيه ويشرَب ويبكي حتى صار العتمة . فقال : أُحِبُّ أن تَصبِر حتى ترى ما أصنع فجلست . فأمر ابنه وغلامه فكَسَرا كلَّ ما بين أيدينا من النبيذ وآلته والمَلاهي ، ثم أمر بإخراج كلِّ ما في بيته من النبيذ وآلته ، فأخرج جميعه ، فما زال يكسره ويَصُبُّ النبيذ وهو يبكي حتى لم يبقَ من ذلك شيءٌ ، ثم نزع ثيابه واغتسل ، ثم لبِس ثياباً بيضاء[1] من صوف ، ثم عانقني وبكى ، ثم قال : السلام عليك يا حبيبي وفَرَحي من الناس كلِّهم سلامَ الفِراق الذي لا لِقاء بعده ؛ وجعل يبكي ، وقال : هذا آخِرُ عهدي بك في حال تعاشُرِ أهل الدنيا ؛ فظننت أنّها بعض حماقاته ، فانصرفت ، وما لَقِيته زماناً . ثم تشوّقته فأتيته فاستأذنت عليه فأذِن لي فدخلت ، فإذا هو قد أخذ قَوصَرَتَين وثقب إحداهما وأدخل رأسه ويديه فيها وأقامها مقام القميص ، وثَقَب الأُخرى وأُخرج رجليه منها وأقامها مقام السَّراويل . فلمّا رأيته نسيت كلَّ ما كان عندي من الغَمّ عليه والوحشة لعِشرته ، وضحكت والله ضحكاً ما ضحكتُ مثله قطّ . فقال : من أيّ شيءٍ تضحك ؟ فقلت : أسخن الله عينك ؛ هذا أيُّ شيء هو ؟ مَن بَلَغَك عنه أنَّه فَعَل مثل هذا من الأنبياء والزُّهّاد والصحابة والمجانين ، انزِع عنك هذا يا سخين العين ، فكأنّه استحيا منّي ، ثم بلَغَني أنّه جَلَس حَجّاماً ، فجَهِدت أن أراه بتلك الحال فلم أَرَه . ثم مرِض ، فبلغني أنّه اشتهى أن أُغنيه ، فأتيتُه عائداً ، فخرج إليّ رسوله يقول : إن دخلتَ إليّ جَدَّدتَ لي حزناً وتاقت نفسي من سماعك إلى ما قد غلبتُها عليه ، وأنا أستودعك الله وأعتذر إليك من ترك الالتقاء ، ثم كان آخر عهدي به .

[تمنّى عند موته أن يجيء مخارق فيغنّيه في شعره]

حدّثني حجظة قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : قيل لأبي العتاهية عند الموت : ما تشتهي ؟ فقال : أشتهي أن يجيء مخارق فيَضَع فمه على أُذني ثم يغنّيني[2] : [من الطويل]

سَيُعْرَضُ عن ذِكْري وتُنْسى مَوَدّتي   ويَحْدُثُ بعـدي للخليـلِ خليـلُ
إذا ما انقضتْ عنّي مِنَ الدَّهْرِ مُدّتي   فـإنَّ غَنـاءَ الباكِيـاتِ قليـلُ[3]

---

1 ل : ثياب بياض .
2 ديوان أبي العتاهية : 317 (رقم 325) .
3 مدتي في ل : ليلتي .

وأخبرني به أبو الحسن الأَسَديّ قال حدّثنا محمد بن صالح بن النطَّاح قال : قال بشر بن الوليد لأبي العتاهية عند الموت : ما تشتهي ؟ فذَكَر مثلَ الأوّل .

وأخبرني به ابن عمّار أبو العبّاس عن ابن أبي سعد عن محمد بن صالح : أنّ بِشراً قال ذلك لأبي العتاهية عند الموت ، فأجابه بهذا الجواب .

[آخر شعر قاله في مرضه الذي مات فيه]

نسختُ من كتاب هارون بن عليٍّ : حدّثني عليُّ بن مَهديّ قال حدّثني عبد الله بن عطيّة قال حدّثني محمد بن أبي العتاهية قال : آخرُ شعرٍ قاله أبي في مرضه الذي مات فيه[1] : [من الوافر]

إلهي لا تُعَذِّبْني فإنّي ... مُقِرٌّ بالذي قد كان مِنّي
فمالي حيلةٌ إلاّ رجائي ... لِعَفْوِك إنْ عَفَوْتَ وحُسْنُ ظَنّي
وكَم مِنْ زَلةٍ لي في الخَطايا ... وأنتَ عليَّ ذو فَضْلٍ ومَنِّ
إذا فَكَّرْتُ في نَدَمي عليها ... عَضِضْتُ أناملي وقَرَعْتُ سِنّي
اجنُّ بزَهْرةِ الدُّنْيا جُنُونا ... وأَقْطَعُ طولَ عُمْري بالتمنّي
ولَوْ أنّي صَدَقْتُ الزُّهْدَ عنها ... قلبتُ لأهلِها ظَهْرَ المِجَنِّ
يَظُنّ الناسُ بي خيراً وإنّي ... لَشَرُّ الخَلْقِ إنْ لم تَعْفُ عنّي

[أمر بنته في مرض موته أن تندبه بشعر له]

أخبرني محمد بن عمران الصيرفيّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيل قال حدّثني أحمد بن حمزة الضُّبَعيّ قال أخبرني أبو محمد المؤدِّب قال : قال أبو العتاهية لابنته رُقَيَّة في علّته التي مات فيها : قُومي يا بُنيّة فاندُبي أباك بهذه الأبيات ؛ فقامت فندبَته بقوله[2] : [من الكامل]

لَعِبَ البِلى بمَعالمي ورُسُومي ... وقُبِرْتُ حَيّاً تحت رَدْمِ هُمومي
لَزِمَ البِلى جِسْمِي فأَوْهَنَ قُوّتي ... إنّ البِلَى لَمُوَكَّلٌ بِلُزومي

[تاريخ وفاته ومدفنه]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عَمّار قال حدّثنا محمد بن داود بن الجَرّاح قال حدّثني عليّ بن محمد قال حدّثني مُخارق المُغنّي قال : تُوُفّي أبو العتاهية ، وإبراهيم الموصليّ ، وأبو عمرو الشَّيباني عبد السلام[3] في يومٍ واحد في خلافة المأمون ، وذلك سنة ثلاث عشرة ومائتين .

---

1 ديوانه : 375 (رقم 383) .

2 ديوانه : حاشية ص 358 (رقم 364) ، (صادر) : 402 .

3 لعلّها : بمدينة السلام .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مهرويَه عن أحمد بن يوسف عن أحمد بن الخليل عن إسماعيل بن أبي قتيبة قال : مات أبو العتاهية ، وراشد الخَنَّاق ، وهشيمة الخمَّارة في يومٍ واحد سنة تسع ومائتين .

وذكر الحارث بن أبي أُسامة عن محمد بن سعد كاتب الواقديّ : أنَّ أبا العتاهية مات في يوم الاثنين لثمانٍ خَلَوْنَ من جُمادى الأُولى سنة إحدى عشرة ومائتين ، ودُفِن حيال قَنطَرة الزيَّاتين في الجانب الغَربيّ ببغداد .

أخبرني الصُّوليّ عن محمد بن موسى عن أبي محمد الشيباني عن محمد بن أبي العتاهية : أنَّ أباه توفِّي سنة عشرٍ ومائتين .

[الشعر الذي أمر أن يكتب على قبره]

أخبرني الصُّوليّ قال حدّثني محمد بن موسى عن محمد بن القاسم عن إبراهيم بن عبد الله بن الجُنيد عن إسحاق بن عبد الله بن شُعَيب قال : أمَرَ أبو العتاهية أن يُكتَب على قبره[1] : [من مجزوء الخفيف]

أُذْنَ حَـيٍّ تَسَمَّعي ... اسْمَعِي ثُمَّ عي وعِي
أنـا رَهْنٌ بِمَضْجَعي ... فاحْذَري مِثْلَ مَصْرعي
عِشتُ تسعينَ حِجَّةً ... أَسْلَمَتْنِـي لَمَضْجَعِي
كَمْ تـرى الحَيَّ ثابتاً ... في دِيـارِ التزَعْزُعِ
ليس زادٌ سوى التُّقَى ... فخُذِي منه أَوْ دَعِي

[رثاه ابنه بشعر]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن أبي خَيْثَمةَ قال : لمّا مات أبو العتاهية رثاه ابنه محمد بن أبي العتاهية فقال : [من مجزوء الخفيف]

يا أبي ضَمَّكَ الثَّرى ... وطوى الموتُ أَجْمَعَكْ
ليتَني يـومَ مُتَّ صِرْ ... تُ إلى حُفْرةٍ مَعَكْ
رحِـمَ اللهُ مَصْرَعَكْ ... بَـرَّدَ اللهُ مَضْجَعَكْ

---

1 ديوانه : الحاشية ص 231 (رقم 238) ، وفي ديوانه (صادر) : 268 ومع أنّه نقل عن الأغاني فقد سقط فيه البيت الرابع .

[أنكر ابنه أنّه أوصى بأن يكتب شعر على قبره]

أخبرني الحسن قال حدّثني أحمد بن زهير قال : قال محمد بن أبي العتاهية : لَقِيَني محمد بن أبي محمد اليزيديّ فقال : أَنشِدني الأبيات التي أَوْصى أبوك أن تُكتَبَ على قبره ؛ فأنشأتُ أقول له : [من الوافر]

كَذَبْتَ على أخٍ لك في مَماتهْ وكَمْ كَذِبٍ فشا لك في حَياتهْ
وأَكذَبُ ما تكونُ على صَدِيقٍ كَذَبْتَ عليـه حَيّـاً في مماتهْ

فخَجِل وانصرف . قال : والناس يقولون : إنّه أُوْصى أنْ يُكْتَبَ على قبره شعرٌ له ، وكان ابنه يُنْكِر ذلك .

وذكر هارون بن عليّ بن مهديّ عن عبد الرحمن بن الفضل أنّه قرأ الأبيات العينيّة التي أوّلها :

أُذْنَ حَـيٍّ تَسَمَّعي

على حَجَرٍ عند قبر أبي العتاهية .

ولم أذكرها هنا مع أخبار أبي العتاهية أخباره مع عُتبة ، وهي من أعظم أخباره ؛ لأنّها طويلة ، وفيها أغانٍ كثيرة ، وقد طالت أخباره ها هنا فأفردتُها .

[44] ـ أخبار فريدة

[أخبار فريدة الكبرى ونشأتها ومصيرها]

قال مؤلّف هذا الكتاب : هما اثنتان مُحسِنتان لهما صنعةٌ تُسَمَّيان بفَرِيدة . فأمّا إحداهما ، وهي الكبرى ، فكانت مُوَلَّدةً نشأتْ بالحجاز ، ثم وقعت إلى آل الربيع ، فعُلِّمَتِ الغناء في دُورهم ، ثم صارت إلى البرامكة . فلمّا قُتِل جعفر بن يحيى ونُكِبوا هربت ، وطلبها الرشيد فلم يجدها ، ثم صارت إلى الأمين ، فلمّا قُتِل خرجت ، فتزوّجها الهيثم بن مُسْلِم[1] فولدتْ له ابنه عبد الله ، ثم مات عنها ، فتزوَّجها السِّنديّ بن الحَرَشيّ وماتت عنده .

[بعض الشعر الذي لها فيه صنعة]

ولها صنعةٌ جيّدة ، منها في شعر الوليد بن يزيد[2] : [من مجزوء الرمل]

صوت

وَيْحَ سَلْمى لو تَراني لَعَناهــا مــا عَنــاني

واقفاً في الدَّارِ أَبْكي عاشقــاً حُــورَ الغَواني

ولحنُها فيه خفيف رملٍ .

ومن صنعتها[3] : [من الطويل]

صوت

أَلا أَيُّها الرَّكْبُ النِّيامُ ألا هُبُّوا نُسائلكُمْ هــل يقتُل الرَّجُلَ الحُبُّ

أَلا رُبَّ رَكْبٍ قد وقفتُ مَطِيَّهُمْ عليك ولولا أنتِ لم يَقِف الرَّكْبُ

لحنُها فيه ثاني ثقيل . وفيه لابن جامع خفيف رملٍ بالسبابة في مجرى الوسطى .

[بيت نصفه بدوي والآخر حضري]

فحدّثني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثنا الخليل بن أَسَدٍ قال حدّثني العُمَريّ قال

---

1 ل : سلم .

2 ديوان الوليد (تحقيق غابريلي ، بيروت) : 70 (رقم 94) ورواية للبيت الثاني

متلفــاً في اللهــو مــــا لي عاشقــاً حــــور القيــــان

3 ديوان جميل (طبعة دار صادر) : 16 ورواية البيت الأوّل فيه :

ألا أيّهـا النوام ويحكـمُ هبــوا أُسائلكم هل يقتل الرجل الحب

حدّثني الهيثم بن عديّ قال : قال صالح بن حسّان يوماً : ما نصفُ بيتٍ كأنّه أعرابيّ في شَمْلةٍ ، والنصفُ الآخر كأنّه مُخَنَّثٌ مُفكَّك ؟ قلت : لا أدري . فقال : قد أجَّلْتُك حولاً . فقلت : لو أجَّلتني عشرةَ أحوالٍ ما عرفتُه . فقال : أَوَّهْ ! أُفٍّ لك ! قد كنتُ أحسِبك أجودَ ذِهْناً ممّا أرى . فقلت : فما هو الآن ؟ قال : قولُ جميل : [من الطويل]

أَلا أيُّها الرَّكْبُ النِّيامُ أَلا هُبُّوا

هذا كلام أعرابيّ ، ثم قال : [من الطويل]

أُسائلكم هلْ يقتلُ الرَّجلَ الحبُّ

كأنّه والله من مخَنثي العقيق .

[فريدة المحسنة دون فريدة الكبرى]

وأمّا فريدة الأُخرى فهي التي أرى بل لا أُشُكّ في أنّ اللحن المختار لها ؛ لأنّ إسحاق اختار هذه المائة الصوت للواثق ، فاختار فيها لُمتيَّم لحناً ، ولأَبي دلف لحناً ، ولسُلَيم بن سَلاَّم لحناً ، ولرياض جارية أبي حمَّاد لحناً . وكانت فريدة أُثيرةً عند الواثق وحظيّةً لديه جدّاً ، فاختار لها هذا الصوت ، لمكانها من الواثق ، ولأنّها ليست دون مَن اختار له من نُظَرائها .

[قدّمت هي وشارية في الطيب وإحكام الغناء]

أخبرني الصُّوليّ قال حدّثنا الحسين بن يحيى عن رَيِّقَ : أنّها اجتمعت هي وخِشْفُ الواضحيّة يوماً ، فتذاكرتا أحسن ما سمعتاه من المغنِّيات ؛ فقالت رَيِّق : شارية أحسنهنّ غناءً ومُتَيَّمُ ، وقالت خِشْف : عريب وفريدة ؛ ثم اجتمعتا على تساويهنّ ، وتقديم متيَّم في الصَّنعة ، وعريب في الغزارة والكثرة ، وشارية وفريدة في الطِّيب وإحكام الغناء .

[أهداها ابن بانة للواثق]

حدّثني جحظة قال حدّثني أبو عبد الله الهشاميّ قال : كانت فريدة جارية الواثق لعمرو بن بانة ، وهو أهداها إلى الواثق ، وكانت من الموصوفات المُحسِنات ، ورُبِّيت عند عمرو بن بانة مع صاحبة لها اسمها «خِلّ» ، وكانت حسنة الوجه ، حسنة الغناء ، حادّة الفِطنة والفهم .

[سألت ابن بانة عن صاحبة لها بالإشارة]

قال الهشاميّ فحدّثني عمرو بن بانة قال : غنَّيت الواثق : [من الرمل]

قلـتُ حِـلاًّ فاقبَلي مَعْذِرَتِي ما كذا يَجْزِي مُحِبٌّ مَنْ أَحَبّْ

فقال لي : تقدّم إلى السّتارة فألْقِه على فريدة ، فألقيته عليها ؛ فقالت : هو حِلٌّ أو خِلٌّ كيف هو ؟ فعلمتُ أنّها سألتني عن صاحبتها في خَفاءٍ من الواثق .

[تزوّجها المتوكّل ثم ضربها حتى غنّت]

ولّما تزوَّجها المتوكّل أرادها على الغناء ، فأبَتْ أن تغنّي وفاءً للواثق ، فأقام على رأسها خادماً وأمره أن يضرب رأسها أبداً أو تغنّي ، فاندفعت وغنّتْ : [من الوافر]

فَــلا تَبْعَدْ فكُلُّ فتىً سيأتي عليــه الموتُ يَطْرُقُ أو يُغادي

[قصّتها مع الواثق وغيرته من المتوكّل]

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدّثني عليّ بن يحيى المنجّم قال حدّثني محمد بن الحارث بن بُسخُنَّر قال[1] : كانت لي نوبة في خدمة الواثق في كلّ جمعة ، إذا حضرتُ رَكِبتُ إلى الدار ؛ فإنْ نَشِط إلى الشُّرْب أقمتُ عنده ، وإن لم يَنشَطِ انصرفت . وكان رسْمُنا ألاّ يحضر أحدٌ منّا إلاّ في يوم نوبته . فإنّي لفي منزلي في غير يوم نوبتي إذا رُسُل الخليفة قد هجموا عليّ وقالوا لي : احضُرْ . فقلت : ألِخَيرٍ ؟ قالوا : خير . فقلت : إنّ هذا يومٌ لم يُحضِرني فيه أمير المؤمنين قطّ ، ولعلّكم غلِطتم . فقالوا : الله المستعان ، لا تُطِلْ وبادِر ؛ فقد أُمِرنا ألاّ نَدعك تستقرّ على الأرض . فداخلني فزع شديد ؛ وخِفتُ أن يكون ساعٍ قد سعى بي ، أو بَلِيَّةٌ قد حدثت في رأي الخليفة عليّ ؛ فتقدّمت بما أردت وركبت حتى وافيت الدار ؛ فذهبت لأدخل على رَسْمي من حيث كنت أدخل ، فمُنِعتُ ، وأخذ بيدي الخدم فأدخلوني وعدَلوا بي إلى ممرّات لا أعرفها ، فزاد ذلك في جَزَعي وغمّي . ثم لم يزل الخدم يُسْلِمونني من خدمٍ إلى خدم حتى أُفضيتُ إلى دار مفروشة الصَّحْن ، مُلبَسة الحيطـان بالوشي المنسوج بالذهب ، ثم أفضيت إلى رِواقٍ أرضه وحيطانه ملبسة بمثل ذلك ، وإذا الواثق في صدره على سرير مُرَصَّع بالجوهر وعليه ثياب منسوجة بالذهب ، وإلى جانبه فريدة جاريته ، عليها مثل ثيابه وفي حجرها عودٌ . فلمّا رآني قال : جَوَّدتَ والله يا محمد إلينا . فقبّلت الأرضِ ثم قلت : يا أمير المؤمنين خيراً ! قال : خيراً ، أما ترانا ! طلبتُ والله ثالثاً يؤنسنا فلم أرَ أحقَّ بذلك منك ، فبحياتي بادِرْ فكُلْ شيئاً وبادِر إلينا . فقلت : قد والله يا سيّدي أكلت وشربت أيضاً . قال : فاجلس فجلست ، وقال : هاتوا لمحمد رِطلاً في قَدَحٍ ، فأُحضرتُ ذلك ، واندفعت فريدة تغنّي[2] : [من الطويل]

1 نقل ابن حمدون هذا الخبر في التذكرة 9 : 226–228 (الفقرة 449) .

2 البيتان في شرح المرزوقي للحماسة رقم 559 ، وهي لنصيب كما في السمط 401 .

أُهابُكِ إجلالاً وما بك قدرةٌ   عليَّ ولكِنْ مِـلءُ عينٍ حَبيبُها
وما هَجَرَتْكِ النَّفْسُ يا لَيْلَ أنَّـها   قلَتْكِ ولا أنْ قَلَّ منكِ نَصِيبُها

فجاءت والله بالسحر ، وجعل الواثق يُجاذبها ، وفي خلال ذلك تغنّي الصوت بعد الصوت ، وأُغنّي أنا في خلال غنائها ، فمرّ لنا أحسن ما مَرَّ لأحد . فإنا لكذلك إذ رَفَع رِجله فضرب بها صدر فريدة ضربة تدحرجت منها من أعلى السرير إلى الأرض وتَفتَّتَ عُودُها ومَرَّت تعدو وتصيح ، وبقيت أنا كالمنزوع الرُّوح ؛ ولم أَشُكَّ في أنّ عينه وقعت عليّ وقد نظرتُ إليها ونظرتْ إليّ ؛ فأطرق ساعة إلى الأرض متحيّراً وأطرقتُ أتوقَّع ضرب العنق . فإنّي لكذلك إذ قال لي : يا محمد ، فوثبت . فقال : ويحك ! أرأيتَ أغرب ممّا تهيَّأ علينا ؟ فقلت : يا سيّدي ، الساعة والله تخرج روحي ، فعلى من أصابنا بالعين لعنة الله ؛ فما كان السبب ؟ أَلِذَنْبٍ ؟ قال : لا والله ! ولكن فكّرت أنّ جعفراً يقعُد هذا المقعَد ويقعُد معها كما هي قاعدة معي ، فلـم أُطِقِ الصبر وخامرني ما أَخرجني إلى ما رأيت . فسُرِّيَ عنّي وقلت : بل يقتُل الله جعفراً ، ويحيا أمير المؤمنين أبداً ، وقبَّلت الأرض وقلت : يا سيِّدي اللهَ اللهَ ! ارحَمها ومُرْ بردّها .

فقال لبعض الخدم الوقوف : من يجيء بها ؟ فلم يكن بأسرع من أن خرجت وفي يدها عودها وعليها غير الثياب التي كانت عليها . فلمّا رآها جذبها وعانقها ، فبكت وجعل هو يبكي ، واندفعتُ أنا في البكاء . فقالت : ما ذنبي يا مولاي ويا سيِّدي ؟ وبأيِّ شيءٍ استوجبتُ هذا ؟ فأعاد عليها ما قاله لي وهو يبكي وهي تبكي . فقالت : سألتُك بالله يا أمير المؤمنين إلاّ ضربتَ عُنقي الساعة وأَرَحتَني من الفكر في هذا ، وأرحت قلبك من الهمّ بي ؛ وجعلت تبكي ويبكي ، ثم مسحا أعينهما ورجعت إلى مكانها ؛ وأومأ إلى خدم وقوفٍ بشيء لا أعرفه ، فمضوا وأحضروا أكياساً فيها عَيْنٌ ووَرِقٌ ، ورزَماً فيها ثياب كثيرة ، وجاء خادمٌ بدُرْجٍ ففتحه وأخرج منه عقداً ما رأيت قطُّ مثل جوهر كان فيه ، فألبسها إيَّاه ، وأُحضِرت بَدْرة فيها عشرة آلاف درهم فجُعلت بين يدي وخمسة تُخُوتٍ فيها ثياب ، وعُدنا إلى أمرنا وإلى أحسن ممّا كنّا ؛ فلم نَزَل كذلك إلى الليل ، ثم تفرّقنا .

[قصّتها مع المتوكّل بعد الواثق]

وضرب الدهر ضربَه وتقلّد المتوكّل . فوالله إنّي لفي منزلي بعد يومِ نوبتي إذ هجمَ عليَّ رُسُلُ الخليفة ، فما أَمهلوني حتى ركبتُ وصِرت إلى الدار ، فأُدخلت والله الحجرة بعينها . وإذا المتوكّل في الموضع الذي كان فيه الواثق على السرير بعينه وإلى جانبه فريدة .

فلمّا رآني قال : ويحك ؛ أما ترى ما أنا فيه من هذه ! أنا منذ غُدوةٍ أطالبها بأن تغنّيني فتأبى ذلك ! فقلت لها : يا سبحان الله ! أتُخالفين سيِّدك وسيِّدنا وسيّد البشر ! بحياته غَنّي ! فعرفت والله ثم اندفعت تُغَنّي[1] : [من الوافر]

مُقِيمٌ بالمَجازةِ من قَنَوْنى ... وأهلُكِ بالأُجَيْفِرِ فالثِّمادِ
فلا تَبْعَدْ فكلُّ فتًى سيأتي ... عليه الموتُ يَطْرُقُ أو يُغادي

ثم ضربتْ بالعود الأرض ، ثم رمت بنفسها عن السرير ومرَّت تعدو وهي تصيح واسيِّداه ! فقال لي : ويحك ! ما هذا ؟ فقلت : لا أدري والله يا سيِّدي . فقال : فما ترى ؟ فقلت : أرى أن أنصرف أنا وتحضُرَ هذه ومعها غيرُها ؛ فإنّ الأمر يؤول إلى ما يريد أمير المؤمنين . قال : فانصرِف في حِفظ الله ؛ فانصرفت ولم أدرِ ما كانت القصّة .

[مدح محمد بن عبد الملك غناءها]

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدّثني محمد بن عبد الملك قال : سمعتُ فريدة تغنّي[2] : [من الطويل]

أخِلاَّيَ بي شَجوٌ وليس بكم شَجْوُ ... وكلُّ امرىءٍ ممّا بِصاحبه خِلْوُ
أذابَ الهوى لَحْمِي وجِسْمِي ومَفْصِلي ... فلم يبقَ إلاّ الرُّوحُ والجَسَدُ النِّضْوُ

فما سمعتُ قبلَه ولا بعده غناءً أحسنَ منه .

الشعر لأبي العتاهية ، والغناء لإبراهيم ثقيلٌ أوّل مطلق في مجرى الوسطى عن الهشاميّ ، وله أيضاً فيه خفيف ثقيل بالسبابة والبِنصر عن ابن المكيّ . وفيه لعمرو بن بانة رمل بالوسطى من مجموع أغانيه . وفيه لعريب خفيف ثقيلٍ آخر صحيح في غنائها من جمع ابن المعتزّ وعليّ بن يحيى . وتمام هذه الأبيات : [من الطويل]

وما مِنْ مُحِبٍّ نال ممّن يُحِبُّهُ ... هوًى صادقاً إلاّ سَيَدْخُلُه زَهْوُ

وفيها كلِّها غناء مُفْترِقُ الألحان في أبياته .

بُلِيتُ وكان المَزْحُ بدءَ بليّتي ... فأَحببتُ جهلاً والبلايا لها بَدْوُ
وعُلِّقْتُ مَنْ يَزْهو عليّ تَجَبُّراً ... وإنّيَ في كلِّ الخِصالِ له كُفْوُ

---

1 البيتان لكثير في ديوانه : 222 .

2 الأبيات الواوية لأبي العتاهية وقد تقدّما في ترجمته .

صوت
من المائة المختارة من رواية جحظة عن أصحابه

[من المنسرح]

باتَتْ هُمُومي تَسْرِي طوارقها   أكُفُّ عيني والدمعُ سابِقُها
لِمَا أتاها مِنَ اليقينِ ولم   تَكُنْ تراه يُلِمُّ طارِقُها

الشعر لأُمَيّة بن أبي الصَّلْت ، والغناء للهُذليّ خفيف ثقيل أوّل بالوسطى . وفيه لابن محرز لحنان : هزج وثقيل أوّل بالوسطى عن الهشاميّ وحبش . وذكر يونس : أنّ فيه لابن محرز لحناً واحداً مجنّساً .

[45] ـ ذكر أُميَّة بن أبي الصَّلْت ونسبه وخبره[1]

[نسبه]

واسمُ أبي الصَّلْت عبدُ الله بن أبي ربيعة بن عوف بن عُقدة بن عنزة بن قَسيّ ، وهو ثقيف بن مُنَبِّه بن بكر بن هوازن . هكذا يقول مَن نَسَبهم إلى قيس ، وقد شُرِح ذلك في خبر طُرَيح . وأُمّ أميّة بن أبي الصلت رُقَيّة بنت عبد شمس بن عبد مَناف .

وكان أبو الصلت شاعراً ، وهو الذي يقول في مدح سيف بن ذي يَزَن : [من البسيط]

لِيَطْلُبِ الثأْرَ أمثالُ ابن ذِي يَـزَنٍ إذ صارَ في البَحْرِ للأعداء أحْوالا

وقد كُتِب خبر ذلك في موضعه .

[أولاد أميّة]

وكان له أربعة بنين : عمرٌو وربيعة ووَهْبٌ والقاسم . وكان القاسم شاعراً ، وهو الذي يقول ، أنشدَنيه الأَخْفَش وغيرُه عن ثعلبٍ ، وذكر الزُّبير أنّها لأُميّة[2] : [من الكامل]

صوت

قومٌ إذا نَزَل الغريبُ بدارِهمْ رَدُّوه ربَّ صَواهِـــلٍ وقِيــانِ

لا يَنْكُتون الأرضَ عند سُؤالهمْ لِتَلَمُّسِ العِــلاَّتِ بالعِيــدانِ

يمدح عبد الله بن جُدعان بها ؛ وأوّلها :

قومِي ثَقِيفٌ إنْ سألتَ وأسْرتي وبهم أُدافِع ركْنَ مَنْ عاداني

غنَّاه الغريض ، ولحنه ثقيلٌ أوّلُ بالبِنصر . ولابن مُحرزٍ فيه خفيف ثقيلٍ أوّلُ بالوسطى ، عن الهشاميّ جميعاً .

وكان ربيعة ابنه شاعراً ، وهو الذي يقول : [من الطويل]

وإنْ يَــكُ حيّاً مـن إيادٍ فإنّنا وقَيْساً سَواءٌ مـا بَقِينا وما بَقُوا

---

1 تغلب على ترجمة أميّة في هذا الفصل نزعة أسطورية ، وانظر طبقات ابن سلام : 259–260 إن ذكره في شعراء الطائف ، والشعر والشعراء (ط . دار الثقافة ـ بيروت) : 369–372 وخزانة الأدب 1 : 247–253 ، والسمط : 362 والدميري 2 : 154 ، وشعراء النصرانية : 219 ، وراجع بروكلمان 1 : 113–114 حيث أورد ثبتاً ببحوث تناولت أميّة وشعره . وقد جمع شعره وقدّم له بدراسة طويلة د . عبد الحفيظ السطلي (وإليه نشير) ولكن كيف يميّز الدارس بين الأصل والمنحول من شعره .

2 البيتان الأول والثاني في الشعر والشعراء ومعجم المرزباني : 213 للقاسم بن أُميّة .

ونحن خيــارُ النَّاسِ طُــرّاً بِطانةً لِقَيْسٍ وهُمْ خيرٌ لنا إنْ هُمُ بَقُوا

[كان يستعمل في شعره كلمات غريبة]

أخبرني إبراهيم بن أيُّوب قال حدّثنا عبد الله بن مُسلم قال : كان أُميَّة بن أبي الصَّلْتِ قد قرأ كتاب الله عزّ وجلّ الأوّل ، فكان يأتي في شعره بأشياء لا تعرفها العرب ؛ فمنها قوله :

قَمــرٌ وساهُــورٌ يُسَلُّ ويُغْمَدُ

وكان يسمّي اللهَ عزَّ وجلَّ في شعره السِّلْطِيطَ ، فقال :

والسِّلْطِيطُ فوقَ الأرضِ مُقْتَدِرُ

وسمّاه في موضع آخرَ التغرور فقال : «وأيّده التغرور» . وقال ابن قتيبة : وعلماؤنا لا يحتجّون بشيء من شعره لهذه العلّة .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال : قال أبو عبيدة : اتّفقت العرب على أنّ أشعرَ أهل المدن أهل يثرب ثم عبد القيس ثم ثقيف ، وأنّ أشعر ثقيف أُميّة بن أبي الصلت .

أخبرنا الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير قال : قال يحيى بن محمد : قال الكُمَيْت : أُميّة أشعرُ الناس ، قال كما قُلنا ولم نَقُل كما قال .

قال الزُّبير وحدّثني عمّي مصعب بن مصعب بن عثمان قال : كان أُميّة بن أبي الصلت قد نظر في الكتب وقرأها ، ولبس المُسُوح تعبُّداً ، وكان ممّن ذكر إبراهيم وإسماعيل والحنيفيّة ، وحرّم الخمر وشكَّ في الأوثان ، وكان[1] مُحقِّقاً ، والتمس الدِّين وطمع في النبوّة ؛ لأنّه قرأ في الكتب أنّ نبيّاً يُبعث من العرب ، فكان يرجو أن يكونه . قال : فلمّا بُعِث النبيّ ﷺ قيل له : هذا الذي كنتَ تستريث[2] وتقول فيه ؛ فحسَده عدوُّ الله وقال : إنّما كنتُ أرجو أنْ أكونه ؛ فأنزل الله فيه عزّ وجلّ : ﴿واتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذي آتَيْناهُ آياتِنا فانْسَلَخَ مِنْها﴾ . قال : وهو الذي يقول[3] : [من الخفيف]

كلُّ دِينٍ يومَ القيامةِ عند اللهِ إلاّ دِيــــنَ الحَنيفـــــةِ زُورُ

[كان يحرّض قريشاً بعد بدر ويرثي قتلى قريش]

قال الزُّبير وحدّثني يحيى بن محمد قال : كان أُميَّة يُحرّض قريشاً بعد وَقعة بَدْرٍ ، وكان

---

1 ل : وصام .

2 تستريث : تستبطىء .

3 ديوان أميّة بن أبي الصّلت : 393 (رقم 25) .

يرثي مَن قُتِل من قريش في وقعة بدر ؛ فمن ذلك قولُه[1] : [من مجزوء الكامل]

مـــاذا بِبَـــدْرٍ والعَقَنْـــ ـقَلِ مِنْ مَرازِبـةٍ جَحاجِحْ

وقال : وهي قصيدة نهى رسول الله ﷺ عن روايتها . ويقال : إنّ أُميّة قَدِم على أهل مكّة «باسمِك اللهُمّ» ؛ فجعلوها في أوّل كُتبهم مكان (بسم الله الرحمن الرحيم) .

قال الزُّبير وحدّثني عليّ بن محمد المدائنيّ قال : قال الحجّاج على المِنبر : ذهب قومٌ يَعرِفون شعر أُميّة ، وكذلك اندراسُ الكلام .

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير عن عمر بن أبي بكر المُؤَمِّليّ وغيره قال : كان أُميّة بن أبي الصلت يلتمسُ الدِّيـن ويطمَع في النبـوّة ، فخرج إلى الشام فمرّ بكنيسة ، وكان معه جماعة من العرب وقريش ، فقال أُميّة : إنّ لي حاجةً في هذه الكنيسة فانتظروني ، فدخل الكنيسة وأبطأ ، ثم خرج إليهم كاسفاً متغيِّر اللّون ، فرمى بنفسه ، وأقاموا حتى سُرِّي عنه ، ثم مضَوا فقضَوا حوائجهم ثم رجعوا . فلمّا صاروا إلى الكنيسة قال لهم : انتظروني ، ودخل إلى الكنيسة فأبطأ ، ثم خرج إليهم أسوأَ من حاله الأولى ؛ فقال أبو سفيان بن حرب : قد شَقَقْتَ على رُفَقائك . فقال : خلُّوني فإنّي أرتاد على نفسي لَمعادي ، إنّ ها هنا راهباً عالِماً أخبرني أنّه تكون بعد عيسى عليه السلام ستُّ رَجَعاتٍ[2] ، وقد مضتْ منها خمسٌ وبَقِيتْ واحدةٌ ، وأنا أطمع في النبوّة وأخاف أن تُخطِئني ، فأصابني ما رأيتَ فلمّا رجعتُ ثانيةً أتيته فقال : قد كانت الرجعة ، وقد بُعث نبيٌّ من العرب ؛ فيئست من النبوّة ، فأصابني ما رأيتَ ؛ إذ فاتني ما كنتُ أطمع فيه .

قال : وقال الزُّهريّ : خرج أميّة في سفر فنزلوا منزِلاً ، فأمَّ أُميّة وجهاً وصعد في كَثيب ، فرُفِعتْ له كنيسةٌ فانتهى إليها ، فإذا شيخٌ جالسٌ ، فقال لأُميّة حين رآه : إنّك لَمتبوع ، فمن أين يأتيك رئيُّك[3] ؟ قال : من شِقِّي الأيسر . قال : فأيُّ الثياب أحَبُّ إليك أن يلقاك فيها ؟ قال : السواد . قال : كِدتَ تكون نبيَّ العرب ولستَ به ، هذا خاطرٌ من الجنّ وليس بمَلَكٍ ، وإنّ نبيَّ العرب صاحب هذا الأمر يأتيه من شِقِّه الأيمن ، وأَحَبُّ الثياب إليه أن يلقاه فيها البياضُ .

قال الزُّهريّ : وأتى أُميَّةُ أبا بكر فقال : يا أبا بكر ، عَمِي الخبر ، فهل أحسستَ شيئاً ؟ قال : لا والله ! قال : قد وجدتُه يخرُج العامَ .

[مع أبي سفيان في رحلة إلى الشام]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبَّة قال : سمعتُ خالد بن يزيد يقول : إنّ

1 من قصيدة تتألّف من 11 بيتاً : 345–347 (رقم 8) .

2 في حاشية ل : أي ستّ من المئين .

3 الرئي : الجني المصاحب .

أُميّة وأبا سفيان اصطحبا في تجارة إلى الشام ؛ ثم ذكر نحوه ، وزاد فيه : فخرج من عند الراهب وهو ثقيل . فقال له أبو سفيان : إنّ بك لَشَرّاً ، فما قِصَّتك ؟ قال : خيرٌ ، اخبِرني عن عُتبة بن ربيعة كم سِنُّه ؟ فذكر سِنّاً . وقال : أَخبِرني عن ماله فذَكَر مالاً . فقال له : وضعتَه . فقال أبو سفيان . بل رفعتُه . فقال له : إنّ صاحب هذا الأمر ليس بشيخ ولا ذي مالٍ . قال : وكان الراهبُ أَشْيَبَ ، وأخبره أنَّ الأمر لرجلٍ من قريش .

[يفهم ثغاء الغنم]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثني الزُّبير قال حُدِّثتُ عن عبد الرحمن بن أبي حمّاد المِنقَريّ قال : كان أُميّة جالساً معه قوم ، فمرّت بهم غنم فثَغَت منها شاة ؛ فقال للقوم : هل تَدرون ما قالت الشاة ؟ قالوا لا . قال : إنّها قالت لِسَخْلتها : مُرِّي لا يجيء الذئب فيأكلك كما أكل أختَك عام أوّل في هذا الموضع . فقام بعض القوم إلى الراعي فقال له : أُخبِرني عن هذه الشاة التي ثَغَتْ ألها سَخْلَةٌ ؟ فقال : نعم ، هذه سخلتها . قال : أكانت لها عام أوّلَ سخْلَةٌ ؟ قال : نعم ، وأكلها الذئب في هذا الموضع .

قال الزُّبير وحدَّثني يحيى بن محمد عن الأَصمعيّ قال : ذهب أُميّة في شعره بعامّة ذِكْر الآخرة ، وذهب عنترة بعامّة ذكر الحرب ، وذهب عُمَر بن أبي ربيعة بعامّة ذكر الشباب .

قال الزُّبير حدّثني عمر بن أبي بكر المؤمِّلي قال حدّثني رجلٌ من أهل الكوفة قال : كان أُميّة نائماً فجاء طائران فوقَع أحدُهما على باب البيت ، ودخل الآخر فشَقَّ عن قلبه ثم ردّه الطائر ؛ فقال له الطائر الآخر : أُوَعى ؟ قال نعم . قال : زَكا ؟ قال : أَبى .

[خرج مع ركب إلى الشام]

أخبرني عمِّي قال حدّثني أحمد بن الحارث عن ابن الأعرابيّ عن ابن دَأْبٍ قال : خرج ركبٌ من ثَقيفٍ إلى الشام ، وفيهم أُميّة بن أبي الصَّلْت ، فلمّا قفَلوا راجعين نزلوا منزلاً ليتعشُّوا بعشاء ، إذ أقبلتْ عَظايةٌ حتى دنت منهم ، فحَصَبها بعضهم بشيءٍ في وجهها فرجعت ؛ وكَفَتوا سُفرتهم ثم قاموا يرحلون مُمْسِين ؛ فطلعت عليهم عجوزٌ من وراء كَثِيبٍ مقابلٍ لهم تتوكّأ على عصاً ، فقالت : ما منعكم أن تُطعموا رَجيمةَ الجارية اليتيمة التي جاءتكم عشيّة ؟ قالوا : ومَن أنتِ ؟ قالت : أنا أمّ العوّام ، إمتُ[1] منذ أعوام ؛ أمّا وربِّ العباد ، لتَفترِقُنّ في البلاد ؛ وضربت بعصاها الأرض ثم قالت : بَطِّئي إيابهم ، ونَفِّري ركابهم ؛ فوثبت الإبلُ كأنّ على ذِروة كلِّ بعير منها شيطاناً ما يُملَكُ منها شيءٌ ، حتى افترقت في الوادي . فجمعناها في آخر النهار من الغد ولم نَكَد . فلمّا أنَخناها لنَرحَلَها طلعت علينا العجوز فضربت الأرض بعصاها ثم قالت كقولها

1 إمت : أصبحت أيماً .

الأوّل ؛ ففعلت الإبل كفعلها بالأمس ، فلم نجمعها إلاّ الغَدَ عشيّة . فلمّا أنخناها لنرحَلَها أقبلت العجوز ففعلت كفعلها في اليومين ونفرت الإبل . فقُلنا لأُميّة : أين ما كنت تُخبرنا به عن نفسك ؟ فقال : اذهبوا أنتم في طلب الإبل ودعوني . فتوجَّه إلى ذلك الكثيب الذي كانت العجوز تأتي منه حتى علاه وهبط منه إلى واد ، فإذا فيه كنيسة وقناديل ، وإذا رجلٌ مضطجع معترض على بابها ، وإذا رجلٌ أبيض الرأس واللِّحية ؛ فلمّا رأى أُميّة قال : إنّك لمتبوع ، فمن أين يأتيك صاحبك ؟ قال : من أُذني اليسرى . قال فبأيّ الثياب يأمرك ؟ قال : بالسواد . قال : هذا خطيب الجنّ ؛ كِدت والله أن تكونه ولم تفعل ؛ إنّ صاحبَ النبوّة يأتيه صاحبه من قِبَل أُذنه اليمنى ، ويأمره بلباس البياض ؛ فما حاجتك ؟ فحدّثه حديث العجوز ؛ فقال : صدقت ، وليست بصادقة ؛ وهي امرأة يهودية من الجنّ هَلَك زوجها منذ أعوام ، وإنّها لن تزال تصنع ذلك بكم حتى تُهلِككم إن استطاعت . فقال أُميّة : وما الحيلة ؟ فقال : جَمِّعوا ظَهْرَكم ، فإذا جاءتكم ففعلت كما كانت تفعل فقولوا لها : سَبْعٌ من فوقُ وسبعٌ من أسفل ، باسمِك اللّهمّ ؛ فلن تضُرَّكم . فرجع أُميّة إليهم وقد جمعوا الظَّهْر . فلمّا أقبلت قال لها ما أُمره به الشيخ ، فلم تضُرَّهم . فلمّا رأتِ الإبل لم تتحرّك قالت : قد عرفتُ صاحبكم ، ولَيَبْيَضَّنَّ أعلاه ، ولَيَسْوَدَّنَّ أسفله ؛ فأصبح أُميّة وقد بَرِص في عذارَيْه واسودّ أسفلُه . فلمّا قدِموا مكّة ذكروا لهم هذا الحديث ؛ فكان ذلك أوّل ما كَتَبَ أهل مكّة «باسمك اللهمّ» في كُتبهم .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا أبو غسّان محمد بن يحيى قال حدّثنا عبد العزيز بن عمران عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عامر بن مسعود عن الزُّهريّ قال : دخل يوماً أُميّة بن أبي الصلت على أخته وهي تهيىء أُدَماً لها ، فأدركه النوم فنام على سرير في ناحية البيت . قال : فانشقَّ جانبٌ من السقف في البيت ، وإذا بطائرين قد وقع أحدهما على صدره ووقف الآخر مكانه ، فشَقَّ الواقعُ صدره فأخرج قلبه فشقّه ؛ فقال الطائر الواقف[1] للطائر الذي على صدره : أَوعى ؟ قال : وَعى . قال : أَقَبِلَ ؟ قال : أبى . قال : فرَدَّ قلبه في موضعه فنهض ؛ فأتبعهما أُميّة طَرفَه فقال : [من مجزوء الرجز]

لَبَّيْكُما لبيكما هأنذا لَدَيْكُما

لا بَريءٌ فأَعتذِر ، ولا ذو عشيرةٍ فأَنتصِر . فرجع الطائر فوقع على صدره فشقّه ، ثم أخرج قلبه فشقّه ؛ فقال الطائر الأعلى : أَوَعى ؟ قال : وَعى . قال : أَقَبِلَ ؟ قال : أبى ، ونهَض ؛ فأَتبعهما بَصرَه وقال : [من مجزوء الرجز]

1 ل : الواقع .

لَبَّيْكُما لبيكما هأنـذا لديكمـا

لا مالٌ يُغنيني ، ولا عشيرةٌ تَحميني . فرجع الطائر فوقع على صدره فشقّه ، ثم أخرج قلبه فشقّه ؛ فقال الطائر الأعلى : أَوَعى ؟ قال : وَعَى . قال : أَقَبِل : قال : أَبى ، ونهض ؛ فأتبعهما بصره وقال : [من مجزوء الرجز]

لَبَّيْكما لبيكما هأنـذا لديكمـا

محفوفٌ بالنِّعم ، محوطٌ من الريب . قال : فرجع الطائر فوقع على صدره فشقّه وأخرج قلبَه فشقّه ؛ فقال الأعلى : أَوَعى ؟ فقال : وَعَى . قال : أَقَبِلَ : قال : أَبى . قال : ونهض ، فأتبعهما بصره وقال : [من مجزوء الرجز]

لَبَّيْكما لبيكما هأنـذا لديكمـا

[من الرجز]

إنْ تَغْفِرِ اللهـمَّ تَغْفِرْ جَمًّا وأيُّ عبـدٍ لـكَ لا أَلَمَّا[1]

قالت أُخته : ثم انطبق السَّقف وجلس أُميّة يمسح صدره . فقلت : يا أخي ، هل تجد شيئاً ؟ قال : لا ، ولكنّي أجد حَرّاً في صدري . ثم أنشأ يقول[2] : [من الخفيف]

ليتني كنتُ قبل ما قد بدا لي في قِنانِ الجبـالِ أَرْعَـى الوُعولا

اجْعَلِ الموتَ نُصْبَ عينِك واحْذَر غَوْلَةَ الدَّهْـرِ إنّ للدّهـر غُولا

حدّثني محمد بن جرير الطبريّ قال حدّثنا ابن حُمَيد قال حدّثني سلمة عن ابن إسحاق عن يعقوب بن عُتبة عن عكرمة عن ابن عبّاس : أنّ رسول الله ﷺ قال صَدق أُميَّة في قوله[3] : [من الكامل]

زُحَلٌ وثورٌ تحت رِجْلِ يَمِينِه والنَّسْرُ للأُخرى وليثٌ مُرْصَدُ

فقال رسول الله ﷺ : «صَدَق» .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني حمّاد بن عبد الرحمن بن الفضل الحَرّانيّ قال حدّثنا أبو يوسف ، وليس بالقاضي ، عن الزُّهريّ عن عروة عن عائشة عن النبيّ ﷺ بمثل هذا .

1 ديوان أميّة بن أبي الصّلت : 491 (رقم 85) .

2 ديوان أميّة بن أبي الصّلت : 450–452 (رقم 65) .

3 من قصيدة مطلعها :

اعلم بأنّ الله ليس كصنعه صنع ولا يخلي عليه ملحد

(ديوان أميّة بن أبي الصّلت 353–367) .

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثني الزُّبير قال حدّثنا جعفر بن الحسين المُهلّبيّ[1] قال حدّثني إبراهيم بن إبراهيم بن أحمد عن عِكرِمة قال: أُنْشِد النبيّ ﷺ قولَ أُميّة[2]: [من البسيط]

الحمدُ للهِ مُمْسانا ومُصبْحَنا ... بالخيرِ صَبَّحَنا ربِّي ومَسَّانا

رَبُّ الحنيفةِ لم تَنْفَدْ خزائنُها ... مملوءةً طَبَّقَ الآفاقَ سُلْطانا[3]

ألا نَبيَّ لنا مِنّا فيُخبِرَنا ... ما بعدَ غايتنا من رأس مَحْيانا

بينا يُرَبِّيننا آباؤنا هَلَكُوا ... وبينما نَقْتَني الأولادَ أفنانا

وقد عَلِمْنا لَوَ انّ العلمَ ينفعنا ... أنْ سوف يَلْحَقُ أُخْرانا بأُولانا

فقال النبيّ ﷺ: «إنْ كاد أُميَّةُ لَيُسلِم».

[شعر له في عتاب ابنه وتوبيخه]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني أحمد بن معاوية قال حدّثنا عبدالله بن أبي بكر، وحدّثنا خالد بن عمارة: أنّ أُميّة عَتَب على ابنٍ له فأنشأ يقول[4]: [من الطويل]

غَذَوْتُك مولوداً ومُنْتُكَ يافعاً ... تَعَلُّ بما أُجْنِي عليك وتَنْهَلُ

إذا ليلةٌ نابَتْك بالشَّكْوِ لم أبِتْ ... لِشَكواكَ إلاّ ساهراً أتمَلْمَلُ

كأنِّي أنا المطروقُ دونَكَ بالذي ... طُرِقتَ به دُوني فعَيْنِيَ تَهْمُلُ

تخافُ الرَّدى نفسي عليك وإنّني ... لأعلمُ أنّ الموتَ حَتْمٌ مُؤَجَّلُ

فلمّا بلغتَ السِّنَّ والغايةَ التي ... إليها مَدى ما كنتُ فيك أُؤمِّلُ

جعلتَ جزائي غِلْظَةً وفظاظةً ... كأنّك أنت المُنْعِمُ المُتَفَضِّلُ[5]

قال الزُّبير قال أبو عمرو الشَّيبانيّ قال أبو بكر الهُذَليّ قال: قلتُ لعِكرِمة: ما رأيت مَن يبلِّغنا عن النبيّ ﷺ أنّه قال لأُميّة: «آمَنَ شِعْرُه وكَفَر قلبُه»؛ فقال: هو حقٌّ، وما الذي أنكرتم من ذلك؟ فقلت له: أنكرنا قوله[6]: [من الكامل]

والشمسُ تطلُع كلَّ آخرِ لَيلةٍ ... حمراءَ مَطْلَعُ لَوْنِها مُتَوَرِّدُ

---

1 ل: اللهبي.

2 ديوان أميّة بن أبي الصّلت: 516–519 (رقم 96).

3 تنفد خزائنها في ل: تعنت خوايمها.

4 ديوان أميّة بن أبي الصّلت: 430–433 (رقم 53).

5 المتفضل في ل: المتطول.

6 ديوانه: 366 (رقم 10).

تأبى فلا تبدو لنا في رِسْلِها إلاّ مُعَذَّبــةً وإلاَّ تُجلَــدُ

فما شأن الشمس تُجْلَد ؟ قال : والذي نفسي بيده ما طلعتْ قَطُّ حتَّى يَنْخُسَها سبعون ألفَ مَلَك يقولون لها : اطْلُعي ؛ فتقول : أأطْلُعُ على قومٍ يعبدونني من دون الله ! قال : فيأتيها شيطانٌ حين تستقبل الضِّياء يريد أن يَصُدَّها عن الطُّلوع فتطلعُ على قَرْنَيْه ، فيُحرقه الله تحتها . وما غَرَبَتْ قَطُّ إلاَّ خَرَّتْ لله ساجدةً ، فيأتيها شيطانٌ يريد أن يصُدّها عن السجود ، فتغرُب على قَرنيه فيُحرقـه الله تحتهـا ؛ وذلك قـول النبيّ ﷺ : «تطلُع بين قرْنَيْ شيطان وتغرب بين قرنَيْ شيطان» .

حدّثني أحمد بن محمد بن الجعد قال حدّثنا محمد بن عبّاد قال حدّثنا سفيان بن عيينة عن زياد بن سعد أنّه سمِع ابن حاضر يقول : اختلف ابن عباس وعمرو بن العاصي عند معاوية ؛ فقال ابن عبّاس : ألا أُغنّيك ؟ قال بلى فأنشده[1] : [من الكامل]

والشمسُ تغرُب كلَّ آخرِ ليلةٍ في عين ذي خُلُبٍ وثَـأْطٍ حَرْمَدِ

[حاله في مرض موته]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا عمِّي عن مصعب بن عثمان عن ثابت بن الزُّبير قال : لمّا مرِض أُميّة مَرَضَه الذي مات فيه ، جعل يقول : قد دنا أجلي ، وهذه المَرضة منيَّتي ، وأنا أعلم أنّ الحنيفيّة حقٌّ ، ولكن الشكّ يُداخلني في محمد . قال : ولّما دنت وفاته أُغمي عليه قليلاً ثم أفاق وهو يقول : [من مجزوء الرجز]

لَبَّيْكُما لبيكما هأنذا لديكمـا

لا مالٌ يفديني ، ولا عشيرة تُنجيني . ثم أُغمي عليه أيضاً بعد ساعة حتى ظنَّ مَن حضره من أهله أنّه قد قضى ، ثم أفاق وهو يقول : [من مجزوء الرجز]

لَبَّيْكُما لبيكما هأنـذا لديكمـا

لا بَريءٌ فأعتذر ، ولا قويٌّ فأنتصر . ثم إنّه بقي يحدِّث مَن حضره ساعة ، ثم أُغمي عليه مثل المرّتين الأُولَيَيْن حتى يئسوا من حياته ، وأفاق وهو يقول : [من مجزوء الرجز]

لَبَّيْكُما لبيكما هأنـذا لديكمـا

محفوفٌ بالنِّعَم ، [من الرجز]

إنْ تَغفِرِ اللهُمَّ تغفــرْ جَمّا وأيُّ عبــدٍ لــك لا أَلـمَّا

1 لم يرد البيت في ديوانه وانظر اللسان (ثأط) .

ثم أقبل على القوم فقال : قد جاء وقتي ، فكونوا في أُهْبتي ؛ وحدّثهم قليلاً حتى يئس القوم من مرضه ، وأنشأ يقول : [من الخفيف]

كلُّ عيشٍ وإنْ تَطاولَ دَهْراً مُنْتَهى أمرِه إلى أن يَزُولا[1]
ليتَني كنتُ قبل ما قد بَدا لي في رؤوسِ الجبالِ أَرْعى الوُعولا
اجْعَلِ الموتَ نُصْبَ عينيك واحذَرْ غَوْلَةَ الدّهرِ إنّ لِلدّهرِ غُولا

ثم قضى نَحبه ، ولم يُؤْمن بالنبيّ ﷺ . وقد قيل في وفاة أُميّة غيرُ هذا .

[ذهابه إلى اليمن]

أخبرني عبد العزيز بن أحمد عمّ أبي قال حدّثنا أحمد بن يحيى ثعلب قال : سمعت في خبر أُميّة بن أبي الصَّلت ، حين بُعِث النبيّ ﷺ ، أنّه أخذ بِنْتَيهْ وهرب بهما إلى أقصى اليمن ، ثم عاد إلى الطائف ؛ فبينما هو يشرب مع إخوانٍ له في قصر غَيلان بالطائف ، وقد أودع ابنتيه اليمن ورجع إلى بلاد الطائف ، إذ سقط غرابٌ على شُرفة في القصر فنعَب نَعبةً ؛ فقال أُميّة : بفِيك الكَثكَثُ ! وهو التُّراب ، فقال أصحابه : ما يقول ؟ قال : يقول إنّك إذا شربتَ الكأس التي بيدك مُتَّ ، فقلت : بفِيك الكَثْكَث . ثم نَعَب نعبةً أُخرى ، فقال أُميّة نحو ذلك ؛ فقال أصحابه : ما يقول ؟ قال : زَعَم أنّه يَقَع على هذه المَزبلة أسفل القصر ، فيستثير عَظْماً فيبتلعه فيَشْجى به فيموت ، فقلت نحو ذلك . فوقع الغراب على المزبلة ، فأثار العظْمَ فشَجِيَ به فمات ؛ فانكسر أُميّة ، ووضع الكأْسَ من يده ، وتغيَّر لونه . فقال له أصحابه : ما أكثر ما سمعنا بمثل هذا وكان باطلاً ؛ فألحُّوا عليه حتى شرب الكأس ، فمال في شِقٍّ وأُغمِي عليه ثم أفاق ، ثم قال : لا بَرِيءٌ فأَعتذر ، ولا قويٌّ فأَنتصر ، ثم خرجت نفسه .

صوت
من المائة المختارة

[من الكامل]

تَبلَتْ فؤادَك في المنامِ خَرِيدةٌ تَشْفِي الضَّجيعَ ببارِدٍ بَسّامِ
كالمِسْكِ تَخْلِطُه بماءِ سَحابةٍ أو عاتقٍ كَدَمِ الذَّبِيحِ مُدامِ

عَروضه من الكامل ، الشعر لحسّان بن ثابت ، والغناء لموسى بن خارجة الكوفيّ ثقيلٌ أوّلُ بإطلاق الوَتَر في مجرى البنصر . وذكر حمّاد عن أبيه أنّ فيه لحناً لَعَزّة المَيْلاء . وليس موسى بكثير الصنعة ولا مشهور ، ولا ممّن خدَم الخلفاء .

1 منتهى أمره في ل : قصره مرة ، وفي الشعر والشعراء : «صائر مرة» .

[46] ـ أخبار حسّان بن ثابت ونسبه[1]

[نسبه]

هو حسّان بن ثابت بن المنذر بن حَرام بن عمرو بن زيد مَناة بن عديّ بن عمرو بن مالك بن النجّار ، واسمُه تَيمُ الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة ، وهو العَنقاء بن عمرو ؛ وإنّما سُمِّي العنقاء لطول عنقه . وعمرو هو مُزَيْقِياء بن عامر بن ماء السماء بن حارثة الغِطريف بن امرىء القيس البِطريق بن ثعلبة البهلول بن مازن بن الأزد ، وهو ذرى ، وقيل : ذِراء ممدود ، بن الغَوْث بن نَبْت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سَبَأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قحطان .

قال مصعب الزُّبيريّ فيما أخبرنا به الحسن بن عليّ عن أحمد بن زهير عمِّه قال : بنو عَدِيٍّ بن عمرو بن مالك بن النجّار يُسَمَّوْن بني مَعالة . ومعالة أُمّه ، وهي امرأة من القَيْن وإليها كانوا يُنسَبون . وأُمّ حسّان بن ثابت بن المنذر ، الفُرَيعةُ بنت خالد بن قيس بن لَوذان بن عبد وُدّ بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج . وقيل : إنّ اسم النجّار تَيمُ اللاّت ؛ وفي ذلك يقول حسّان بن ثابت : [من الطويل]

أَمَا لابن تَيْمِ اللاّتِ ماذا أَضَلَّتِ وأُمُّ ضِرارٍ تَنْشُدُ النَّاسَ والِهاً

يعني ضِرار بن عبد المُطَّلب ، وكان ضَلَّ فنشدته أُمّه . وإنّما سمّاه رسول الله ﷺ تَيْمَ الله ؛ لأنَّ الأنصار كانت تنسب إليه ، فكَرِه أن يكون في أنسابها ذكرُ اللاّت .

ويُكنى حسّان بن ثابت أَبا الوليد[2] ، وهو فحلٌ من فحول الشعراء . وقد قيل : إنّه أشعر أهلِ المَدَر . وكان أحد المُعَمَّرين من المُخضرمين ، عُمِّر مائةً وعشرين سنة : ستّين في الجاهليّة وستّين في الإسلام .

[عاش حسان مائة وعشرين سنة]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أبي عبيدة قال : عاش ثابت بن المنذر مائةً وخمسين سنةً ، وعاش حسّان مائةً وعشرين سنة . وممّا يحقّق ذلك ما أخبرني به الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثني الزُّبير بن بكّار قال حدّثني محمد بن حسين عن إبراهيم بن

1 أخبار حسان في طبقات ابن سلام 215–220 والشعر والشعراء 1 : 223–226 وفي كتب السيرة وتراجم الصحابة وغيرها من كتب التراجم ، وخزانة الأدب 4 : 70–77 ، وديوانه الذي نعتمده هنا بتحقيق د . وليد عرفات ط . أمناء سلسلة جب التذكارية .

2 ذكر البغداديّ في الخزانة كنية أُخرى له هي «أبو الحسام» وسترِد فيما بعد في هذه الترجمة .

محمد عن صالح بن إبراهيم عن يحيى بن عبد الرحمن بن سعيد بن زرارة عن حسّان بن ثابت قال: إنّي لَغُلامٌ يَفَعَةٌ ابن سَبْعِ سنين أو ثمان، إذا بيهوديّ بيثرب يصرخ ذات غداةٍ: يا معشر يهود؛ فلمّا اجتمعوا إليه قالوا: ويلك؛ مالكَ؟ قال: طلع نجمُ أحمد الذي يُولَد به في هذه الليلة. قال: ثم أدركه اليهوديّ ولم يُؤْمِن به. فهذا يدلّ على مدّة عُمره في الجاهليّة؛ لأنّه ذكر أنّه أدرك ليلة وُلِد النبيّ ﷺ، وله يومئذٍ ثمان سنين، والنبيّ ﷺ بُعِث وله أربعون سنة، وأقام بمكّة ثلاث عشرة سنةً، فقدِم المدينة ولحسّان يومئذٍ، على ما ذكره، ستّون سنةً أو إحدى وستّون سنة، وحينئذ أسلم.

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار عن عبد الرحمن بن عبد الله قال حدّثني ابن أبي الزّناد قال: عُمِّر حسّان بن ثابت عشرين ومائة سنة: ستّين في الجاهليّة، وستّين في الإسلام.

قال أخبرني الحسن بن عليٍّ قال أخبرني أحمد بن زهير قال حَدّث سليمان بن حرب عن حمّاد بن زيد عن يزيد بن حازمٍ عن سليمان بن يَسار قال: رأيتُ حسّان بن ثابت وله ناصيةٌ قد سَدَلَها بين عينيه.

[كان يخضب شاربه وعنفقته بالحناء]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثني عليُّ بن محمد النَّوفليّ عن أبيه قال: كان حسّان بن ثابت يَخضِب شاربه وعنفقته بالحِنّاء، ولا يَخضِب سائِر لِحيته. فقال له ابنه عبد الرحمن: يا أبتِ، لِمَ تفعل هذا؟ قال: لأكونَ كأنّي أَسَدٌ والِغٌ في دَمٍ.

[فضل الشعراء بثلاث]

أخبرنا محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال: فَضَل حسّان الشعراء بثلاث: كان شاعرَ الأنصار في الجاهليّة، وشاعرَ النبيّ ﷺ في النبوّة، وشاعرَ اليمن كلِّها في الإسلام.

[أجمعت العرب على أنّه أشعر أهل المدر]

قال أبو عبيدة: وأجمعتِ العربُ على أنّ حَسّان أشعر أهل المَدَر. أخبرنا بذلك أيضاً أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة عن أبي عبيدة قال: اتّفقت العرب على أنّ أشعر أهل المَدَر أهلُ يثرِب، ثم عبدُ القيس ثم ثَقيفٌ؛ وعلى أنّ أشعر أهلِ يَثرِب حَسّان بن ثابت[1].

---

1 رتب ابن سلام شعراء المدن أو القرى العربية: المدينة، مكّة، الطائف، اليمامة، البحرين، وأشعرهم شعراء المدينة وفي مقدمتهم حسّان بن ثابت.

[سأل أبا هريرة عن حديث في شأنه]

أخبرني حبيب بن نصر المهلَّبيّ وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا عَفّان قال حدّثنا عبد الواحد بن زياد قال حدّثنا مَعْمَر عن الزُّهْريّ عن سعيد بن المسيِّب قال : جاء حَسّان إلى نَفَرٍ فيهم أبو هُريرة ، فقال : أَنْشُدُك الله : أَسَمِعْتَ رسول الله ﷺ يقول : «أجِبْ عَنّي» ثم قال : «اللّهُمّ أيِّده برُوح القُدُس» ؟ قال أبو هريرة : اللهُمّ نعم .

[كان أحد الأنصار الثلاثة الذين عارضوا شعراء قريش]

أخبرني حبيب بن نصر وأحمد بن عبد العزيز قالا حدّثنا عُمَر بن شبّة قال حدّثنا وَهْب بن جرير قال حدّثنا أبي قال سمعتُ محمد بن سِيرِين ، قال أبو زيد وحدّثنا هَوْذَةُ بن خليفة قال حدّثنا عَوف عن محمد بن سيرين قال : كان يهجو رسولَ الله ﷺ ثلاثةُ رَهْطٍ من قريش : عبد الله بن الزِّبَعْرى ، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المُطَّلِب ، وعمرو بن العاصي ؛ فقال قائل لعليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه : اهْجُ عنّا القومَ الذين قد هَجَوْنا . فقال عليٌّ رضي الله عنه : إنْ أذِن لي رسولُ الله ﷺ فعلتُ . فقال رجلٌ : يا رسولَ الله ، ائذن لعليّ كي يهجو عنّا هؤلاء القوم الذين قد هجونا . قال : «ليس هُناك» أو «ليس عنده ذلك» ؛ ثم قال للأنصار : «ما يَمْنَع القَوْمَ الذين نَصَروا رسولَ الله ﷺ ، بسلاحهم أن يَنْصُروه بألسنتهم ؟». فقال حسان بن ثابت : أنا لها ، وأخذ بطَرَف لسانه وقال : والله ما يَسُرُّني به مِقْوَلٌ بين بُصرى وصنعاء . فقال : «كيف تهجوهم وأنا منهم» ؟ فقال : إنّي أَسُلُّك منهم كما تُسَلُّ الشَّعَرةُ من العجين . قال : فكان يهجوهم ثلاثة من الأنصار : حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رَواحة . فكان حسّان وكعب يُعارِضانِهم بمثل قولهم بالوقائع والأيّام والمآثر ويُعَيِّرانهم بالمَثالِب ، وكان عبد الله بن رواحة يُعَيِّرهم بالكفر . قال : فكان في ذلك الزمان أشدُّ القولِ عليهم قولَ حسّان وكعب ، وأهوَن ، القول عليهم قول ابن رواحة . فلمّا أسلموا وفقهوا الإسلام ، كان أشدُّ القول عليهم قولَ ابن رواحة .

[استأذن النبيّ في هجو قريش فأمره أن يأخذ أنسابهم عن أبي بكر]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر المهلّبيّ قالا حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا عبدالله بن بكر بن حبيب السَّهْميّ قال حدّثنا أبو يونس القُشَيْريّ وهو حاتم[1] بن أبي صغيرة قال حدّثنا سِماك بن حرب قال : قام حسّان أبو الحُسام فقال : يا رسول الله ، ائذَن لي فيه ، وأخرج لساناً له أسود ، فقال : يا رسول الله ، لو شئْتُ لفَرَيْتُ به المَزاد ، ائذَنْ لي فيه . فقال : «اذهَبْ إلى أبي بكر فَلْيُحدثك حديثَ القوم وأيّامِهم وأحسابهم ثم اهجُهم وجبريلُ معك» . قال أبو

1 ل : خالد (وهو خطأ) . انظر ابن حجر : تهذيب التهذيب 2 : 130 .

زيد قال ابن وهب وحدّثنا بهذا الحديث حاتم عن السُّدِّيّ عن البراء بن عازِبٍ وعن سِماكِ بن حَرب ، فأنا أشكّ : أهو عن أحدهما أم عنهما جميعاً ، قال أبو زيد : وحدّثنا عليّ بن عاصم قال حدّثنا حاتم بن أبي صغيرة عن سِماك بن حَرْبٍ بنَحوه ، وزاد فيه : فأخرج لسانه أسود ، فوضعه على طَرَف أرنَبَتِه ، وقال : يا رسول الله ، لو شِئْتَ لَفَرَيْتُ به المزاد ؛ فقال : «يا حسّان وكيف وهو مِنّي وأنا منه» ؟ قال : والله لأسُلّنّه منك كما يُسَلُّ الشَّعر من العجين ؛ قال : «يا حسّان فَأْتِ أبا بكر فإنّه أعلمَ بأنساب القوم منك» . فأتى أبا بكر فأعلمَه ما قال رسول الله ﷺ ؛ فقال : كُفَّ عن فُلانة واذكُرْ فلانة . فقال[1] : [من الوافر]

هَجَوْتَ محمداً فأَجَبْتُ عنه ... وعندَ اللهِ في ذاكَ الجَزاءُ
فإنّ أَبِي ووالدَه وعِرْضي ... لِعِرض محمدٍ منكم وِقاءُ
أتهجوه ولستَ له بكُفْءٍ ... فشَرُّكُما لخَيْرِكُما الفِداءُ

[لمّا بلغ قريشاً شعر حسّان اتهموا فيه أبا بكر]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثنا أحمد بن سليمان عن الأصمعيّ عن عبد الرحمن بن أبي الزناد قال : لمّا أُنشِدت قريش شعر حسان قالت : إنّ هذا الشَّتم ما غاب عنه ابن أبي قُحافة .

قال الزُّبير : وحدّثني محمد بن يحيى عن يعقوب بن إسحاق بن مُجَمِّع عن رجلٍ من بني العَجلان قال : لمّا بلغ أهل مكّة شعر حسّان ولم يكونوا عَلِموا أنّه قوله ، جعلوا يقولون : لقد قال أبو بكر الشِّعْرَ بعدَنا .

[نهي عمر بن الخطّاب عن إنشاد مناقضات الأنصار ومشركي قريش]

قال الزُّبير : وحدّثني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال حدّثني محمد بن فضالة عن أبيه عن خالد بن محمد بن فضالة عن أبيه عن خالد بن محمد بن ثابت بن قيس بن شَمَّاس قال : نهى عمر بن الخطّاب الناس أن ينشدوا شيئاً من مناقضة الأنصار ومُشركي قريش ، وقال : في ذلك شَتْمُ الحَيّ بالمَيّت ، وتجديد الضغائن ، وقد هدَم الله أَمْرَ الجاهليّة بما جاء من الإسلام . فقدِم المدينة عبد الله بن الزِّبَعرى السَّهْميّ وضرارَ بن الخطّاب الفِهريّ ثم المحاربيّ ، فنزلا على أبي أحمد بن جحش ، وقالا له : نُحِبُّ أن تُرسِلَ إلى حسّان بن ثابت حتى يأتيك ، فنُنشده ويُنشدنا ممّا قلنا له وقال لنا . فأرسل إليه

1 ديوان حسان : 18 . والمخاطب بقوله «هجوت» هو أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطّلب وهو ابن عمّ الرسول ﷺ ؛ والقصيدة التي منها الأبيات قيلت يوم فتح مكّة . وانظر سيرة ابن هشام 1 : 421–424 .

فجاءه ؛ فقال لـه : يا أبا الوليد ، هذان أخَواك ابن الزِّبعرى وضِرارُ قد جاءا أن يُسمعاك وتُسمِعهما ما قالا لك وقلتَ لهما . فقال ابن الزِّبعرى وضِرار : نَعَم يا أبا الوليد ، إن شِعرَكَ كان يُحتَمَل في الإسلام ولا يُحتمل شعرُنا ، وقد أحببنا أن نُسمِعك وتُسمعنا . فقال حسّان : أفتَبْدآن أم أبدأ ؟ قالا : نبدأ نحن . قال : ابتدِئا ؛ فأنشداه حتى فارَ فصار كالمِرْجَل غَضَباً ، ثم استويا على راحلتيهما يريدان مكّة ؛ فخرج حسّان حتى دخل على عُمَر بن الخطّاب فقَصَّ عليه قِصَّتهما وقصَّته . فقال له عمر : لن يذهبا عنك بشيءٍ إن شاء الله ، وأرسل مَن يَرُدّهما ، وقال له عمر : لو لم تُدْرِكهما إلاّ بمكّة فارْدُدْهما عليّ . وخرجا فلمّا كانا بالرَّوحاء[1] رجع ضِرار إلى صاحبه بكُرهٍ ، فقال له يا ابن الزِّبعرى : أنا أعرف عمر وذَبَّه عن الإسلام وأهلِه ، وأعرف حسّان وقلّة صبره على ما فعلنا به ، وكأنّي به قد جاء وشَكا إليه ما فعلنا ، فأرسل في آثارنا وقال لرسوله : إن لَم تَلحَقهُما إلاّ بمكّة فارْدُدْهما عليّ ؛ فاربح بنا تَرك العناء وأَقِم بنا مكاننا ؛ فإنْ كان الذي ظننتُ فالرجوع من الرَّوحاء أسهلُ منه من أبعد منها ، وإنْ أخطأ ظَنِّي فذلك الذي نُحِبُّ ونحن من وراء المُضِيّ . فقال ابن الزِّبعرى : نِعْمَ ما رأيت . قال : فأقاما بالرَّوحاء ، فما كان إلاّ كمَرّ الطائر حتى وافاهما رسولُ عمر فردَّهما إليه ، فدعا لهما بحسّان ، وعُمَرُ في جماعةٍ من أصحاب رسول الله ﷺ ، فقال لحسّان : أَنْشِدهما ممّا قلت لهما ؛ فأنشدهما حتى فَرَغ ممّا قال لهما فوقف . فقال له عمر : أَفَرغْتَ ؟ قال نعم . فقال له : أَنشَداك في الخَلاء وأنشدتَهما في الملأ . وقال لهما عمر : إن شئتما فأَقيما ، وإن شئتما فانصرفا . وقال لمن حضره : إنّي قد كنت نهيتكم أن تذكروا ممّا كان بين المسلمين والمشركين شيئاً دَفْعاً للتضاغُن عنكم وبَثِّ القبيح فيما بينكم ، فأمّا إذ أَبَوا فاكتبوه واحتفظوا به ؛ فدوّنوا ذلك عندهم . قال خَلاّد بن محمد : فأدركتُه والله وإنّ الأنصار لتُجدِّده عندها إذا خافت بِلاه .

[شعر له في هجو أبي سفيان بن الحارث]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا عفّان بن مُسلم قال حدّثنا عمران بن زيد قال : سمعتُ أبا إسحاق قال في قصّة حسّان وأبي سفيان بن الحارث نحو ما ذكره ممّا قدّمنا ذِكره ، وزاد فيه : فقال حسّان فيه[2] : [من الطويل]

وإنّ سَنامَ المَجْـدِ مـن آلِ هاشمٍ   بنو بِنْتِ مَخْزومٍ ، ووالدُك العَبْدُ

---

1 الروحاء : موضع بين مكّة والمدينة .

2 ديوان حسان : 398 من قصيدة أولها :

لقـد علـم الأقـوام أن ابـن هاشم   هو الغصن ذو الأفنان لا الواحد الوغد

ومَنْ ولــدتْ أبناء زُهْرَةَ منكمُ كِـرامٌ ولم يَلْحَقْ عجائزَك المَجْدُ
وإنّ امــرءاً كانـــتْ نثيلة أُمَّـــهُ وسَمراءَ مغلوبٌ إذا بَلَغ الجَهْدُ[1]
وأنت هَجِينٌ نِيطَ في آل هاشمٍ كما نيطَ خَلْفَ الرّاكبِ القَدَحُ الفَرْدُ[2]

فقال العبّاس : وما لي وما لحسّان ! يعني في ذكره نُتَيْلةَ ، فقال فيها : [من الطويل]

ولَسْتَ كَعبّــاسٍ ولا كابــنِ أُمِّــهِ ولكن هَجِينٌ ليس يُورى له زَنْدُ

[أعانه جبريل في مديح النبيّ]

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا القَعْنَبيّ قال حدّثنا مَروان بن معاوية قال حدّثنا إيّاس السُّلَميّ عن ابن بُرَيدةَ قال : أعان جبريل عليه السلام حسّان بن ثابت في مديح النبيّ ﷺ بسبعين بيتاً .

[مدحه النبيّ ومدح كعباً وعبد الله بن رواحة]

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا محمد بن منصور قال حدّثنا سعيد بن عامر قال حدّثني جُوَيْرِيّة بن أسماء قال : بلغني أنّ رسول الله ﷺ قال : «أمرتُ عبد الله بن رَواحةَ فقال وأحسَنَ ، وأمرتُ كعب بن مالك فقال وأحسن ، وأمرتُ حسّان بن ثابت فشفى واشتَفى» .

[أخبره النبيّ أن روح القدس يؤيّده]

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا أحمد بن عيسى قال حدّثنا ابن وهب قال أخبرنا عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال عن مروان بن عثمان ويَعلى بن شدّاد بن أَوْس عن عائشة قالت : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول لحسّان بن ثابت الشاعر : «إنّ روحَ القدس لا يزال يُؤيّدك ما كافحتَ عن الله عزّ وجلّ وعن رسول الله» ﷺ .

[استنشده النبيّ وجعل يصغي إليه]

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا هَوْذَةُ بن خليفة قال حدّثنا عوف بن محمد قال : قال النبيّ ﷺ ليلةً وهو في سَفَرٍ : «أين حسّان بن ثابت» ؟ فقال حسّان : لَبَّيك يا رسول الله وسَعْدَيك . قال : «احْدُ» ، فجعل حسّان ينشد ويُصغي إليه النبيّ ﷺ ويستمع ، فما زال يستمع إليه وهو سائق راحلته حتى كان رأس الراحلة يَمَسُّ الوَرِكَ حتى فرغ من نشيده . فقال النبيّ ﷺ : «لَهَذا أَشَدُّ عليهم من وَقْع النَّبْل» .

[انتهره عمر لإنشاده في مسجد الرسول]

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا أبو عاصم النبيل قال أخبرنا ابن جُرَيج قال أخبرنا

1 نثيلة في رواية أُخرى : سمية . سمراء : أم أبي سفيان المهجوّ .
2 الهجين : من كان أبوه عربيّاً وأمّه غير عربيّة . نيط : ألحق بهم وليس منهم .

زِياد بن أبي سهل قال حدّثني سعيد بن المسيّب : أنّ عمر مرّ بحسّان بن ثابت وهو يُنشد في مسجد رسول الله ﷺ فانتهره عمر ؛ فقال حسّان : قد أَنشدتُ فيه مَن هو خيرٌ منك ؛ فانطلق عمر .

أخبرنا أحمد قال حدّثنا أبو داود الطَّيالسيّ قال حدّثنا إبراهيم بن سعد عن الزُّهريّ عن سعيد بن المسيّب : أنّ عمر مرّ على حسّان وهو يُنشد في مسجد رسول الله ﷺ ، فذكر مثله وزاد فيه : وعَلِمتُ أنّه يريد النبيّ ﷺ .

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا محمد بن حاتم قال حدّثنا شُجاع بن الوليد عن الإفريقيّ عن مسلم بن يسار : أنّ عمر مرّ بحسّان وهو يُنشد الشعر في مسجد رسول الله ﷺ ، فأخذ بأُذُنه وقال : أرُغاءٌ كرُغاءِ البعير ! فقال حسّان : دَعنا عنك يا عمر ، فوالله لَتَعلَمُ أنّي كنت أُنشِد في هذا المسجد مَن هو خيرٌ منك فلا يُغيِّر عليّ ! فصدّقه عمر .

[مدح الزبير بن العوام شعره]

حدّثنا محمد بن جرير الطبريّ والحِرْميّ بن أبي العلاء وعبد العزيز بن أحمد عمّ أبي وجماعة غيرهم قالوا حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثنا أبو غَزِيّةَ محمد بن موسى قال حدّثني عبد الله بن مصعب عن هشام بن عُروة عن فاطمة بنت المُنذر عن جدّتها أسماء بنت أبي بكر قالت : مرَّ الزُّبير بن العوّام بمجلسٍ من أصحاب رسول الله ﷺ ، وحسّان بن ثابت يُنشدهم من شِعره وهم غيرُ نِشاط لِما يسمعون منه ، فجلس معهم الزُّبير فقال : مالي أراكم غير آذنين لِما تسمعون من شعر ابن الفُرَيعة ! فلقد كان يَعرِض لرسول الله ﷺ فيُحسن استماعه ويُجزل عليه ثوابه ، ولا يشتغل عنه بشيء . فقال حسّان[1] : [من الطويل]

أقـامَ عـلى عهدِ النبيِّ وهَدْيِهِ ... حَواريُّـه والقَـوْلُ بالفِعْلِ يُعْدَلُ
أقـامَ عـلى مِنْهاجِـه وطَرِيقِـهِ ... يَوالي وَلِيَّ الحـقِّ والحَـقُّ أعدلُ
هـو الفارسُ المشهورُ والبَطَلُ الذي ... يَصُولُ إذا مـا كان يـومٌ مُحَجَّلُ
إذا كَشَفتْ عن ساقها الحربُ حَشَّها ... بأبيض سَبَاقٍ إلى المـوتِ يُرْقِلُ[2]
وإنَّ امـرءاً كانـتْ صَفِيّـةُ أُمَّهُ ... ومِـنْ أَسَدٍ في بيتهـا لَمُـرَفَّلُ[3]

1 ديوان حسان : 433 وهي فيه كما وردت في الأغاني ترتيباً وعدد الأبيات .
2 حشها : زاد وقودها .
3 المرفل : المعظم المسود .

له مــن رسول الله قُربَـى قريبةٌ ومِنْ نُصْرةِ الإسلامِ نصرٌ مُؤَثّلُ[1]
فكَــمْ كُرْبةٍ ذَبَّ الزُّبَيْرُ بسيفه عَن المصطفى واللهُ يُعطي فيُجْزِلُ
فما مثلُـه فيهـم ولا كان قبلَـه وليس يكون الدَّهْرَ ما دام يَذْبُلُ[2]
ثناؤك خيرٌ مــن فِعـال مَعاشرٍ وفِعْلُك يـا ابنَ الهاشميّةِ أفضلُ

[تقدم هو وكعب وابن رواحة لحماية أعراض المسلمين فاختاره النبيّ دونهما]

أخبرني أحمد بن عيسى العِجليّ قال حدّثنا واصلُ بن عبد الأعلى قال حدّثنا ابن فُضَيْل عن مُجالد عن الشَّعبيّ قال : لمّا كان عامُ الأحزاب وردّهم الله بغيظهم لم ينالوا خيراً ، قال النبيّ ﷺ : «مَنْ يَحْمي أعراض المسلمين» ؟ فقال كعب : أنا يا رسول الله ، وقال عبدالله ابن رَواحة : أنا يا رسول الله ، وقال حَسّان بن ثابت : أنا يا رسول الله ؛ فقال : «نعم اهْجُهم أنت فإنّه سَيُعِينُك عليهم رُوحُ القُدُس» .

[سبّه قوم في مجلس ابن عبّاس فدافع عنه]

أخبرني أحمد بن عبد الرحمن قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا أبو داود قال حدّثنا حُدَيْج بن معاويـة عن أبي إسحاق عن سعيد بن جُبير قـال : كنّا عند ابن عبّاس فجاء حسّان ، فقالوا : قد جاء اللَّعين . فقال ابن عبّاس : ما هو بلعين ؛ لقد نَصَر رسولَ الله ﷺ بلسانه ويده .

حدّثنيه أحمد بن الجَعد قال حدّثنا محمد بن بكّار قال حدّثنا حُدَيج بن معاوية قال حدّثنا أبو إسحاق عن سعيد بن جُبير قال : جاء رجلٌ إلى ابن عبّاس فقال : قد جاء اللعين حسّان من الشام . فقال ابن عبّاس : ما هو بلعين ؛ لقد جاهد مع رسول الله ﷺ بلسانه ونفسه .

[قدم وفد تميم على النبيّ مفتخرين فأمره النبيُّ أن يجيب شاعرهم]

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا عبد الله بن عمر وشُرَيْح بن النُّعمان قالا حدّثنا عبد الرحمن بن أبي الزِّناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : لمّا قَدِم وفد بني تميم وضع النبي ﷺ لحسّان مِنبراً وأجلسه عليه ، وقال : «إنّ الله لَيُـؤَيِّـد حسّان برُوح القدس ما نافح[3] عن نبيّه» ﷺ . هكذا روى أبو زيد هذا الخبر مختصراً . وأتينا به على تمامه هاهنا ؛ لأنّ ذلك حسنٌ فيه : أخبرنا به الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنا محمد بن الضحّاك عن أبيه قال : قَدِم على النبي ﷺ وفدُ بني تميم[4] وهم سبعون أو ثمانون رجلاً ، فيهم

---

1 نصر في ل : مجد .
2 يذبل : جبل في نجد .
3 نافح : هذه رواية ل ، وفي رواية أُخرى «كافح» وكلتاها بمعنى .
4 قصة الوفادة وما فيها من خطب وشعر في كتب السيرة . وانظر ديوان حسان : 101-104 .

الأَقرَع بن حابس ، والزِّبرقان بن بدر ، وعُطارد بن حاجب ، وقيس بن عاصم ، وعمرو بن الأهتَم ، وانطلق معهم عيينة بن حِصنٍ ، فقَدِموا المدينة ، فدخلوا المسجد ، فوقفوا عند الحجرات ، فنادوا بصوتٍ عالٍ جافٍ : اخرُج إلينا يا محمد ؛ فقد جئنا لنُفاخرك ، وقد جئنا بشاعرنا وخطيبنا . فخرج إليهم رسول الله ﷺ فجلس . فقام الأَقرع بن حابس فقال : والله إنّ مَدحي لَزَيْن ، وإنّ ذَمِّي لَشَيْن . فقال النبيّ ﷺ «ذلك الله» . فقالوا : إنّا أكرمُ العرب . فقال رسول الله ﷺ : «أكرمُ منكم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام» . فقالوا : ايذَنْ لشاعرنا وخطيبنا . فقام رسول الله ﷺ فجلس وجلس معه الناس ، فقام عُطارد بن حاجب فقال : الحمد لله الذي له الفضل علينا وهو أهلُه ، الذي جعلنا ملوكاً وجعلنا أَعَزَّ أهل المَشْرِق ، وآتانا أموالاً عِظاماً نفعل فيها المعروف ، ليس في الناس مثلُنا ؛ ألسنا برؤوس الناس وذوي فَضلهم ؟ فمَن فاخرنا فليعدُد مثلَ ما عددنا ، ولو نشاء لأكثرنا ، ولكنّا نستحي من الإكثار فيما خوَّلَنا الله وأعطانا . أقول هذا ، فأْتُوا بقَوْلٍ أفضلَ من قولنا ، أو أمرٍ أَبيَنْ من أمرنا ، ثم جلس .

فقام ثابت بن قيس بن شَمَّاس فقال : الحمد لله الذي السمواتُ والأرضُ خلْقُه ، قضى فيهنّ أمرَه ووَسِع كُرْسيَّه علمه ، ولم يَقض شيئاً إلاّ من فضله وقُدرته ؛ فكان من قدرته أن اصطفى من خلقه لنا رسولاً أكرمهم حَسَباً وأصدقهم حديثاً وأحسنهم رأياً ، فأنزل عليه كتاباً ، وأْتَمَنه على خَلقه ، وكان خِيرةَ اللهِ من العالمين . ثم دعا رسول الله ﷺ إلى الإيمان ، فأجابه من قومه وذوي رَحِمِه المهاجرون أكرمُ الناس أنساباً ، وأصبَحُ الناس وجوهاً ، وأفضل الناس فِعالاً . ثم كان أوّل من اتَّبع رسول الله ﷺ من العرب واستجاب له نحن مَعْشَرَ الأنصار ؛ فنحن أنصار الله ووزراءُ رسوله ، نُقاتل الناسَ حتى يؤْمِنوا ويقولوا : لا إله إلاّ الله . فمن آمن بالله ورسوله مَنَع منّا مالَه ودمه ، ومَن كَفَر بالله ورسوله جاهدناه في الله ، وكان جهاده علينا يسيراً . أقول قولي هذا ، وأستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات .

فقام الزِّبرقان فقال[1] : [من البسيط]

نحنُ الملوكُ فلا حَيٌّ يُقارِبُنا ... مِنّا الملوكُ وفينا يُؤْخَذُ الرُّبُعُ

تلكَ المكارمُ حُزْناها مُقارَعةً ... إذا الكرامُ على أمثالها اقترَعوا

كَمْ قد نَشَدْنا مِنَ الأحياءِ كُلِّهِمُ ... عندَ النِّهابِ وفضلُ العِزِّ يُتَّبَعُ[2]

---

1 ورد هذا الشعر في سيرة ابن هشام (2 : 563 وما بعدها) برواية مختلفة في كثير من الأبيات ، وقارن بما جاء في ديوان حسان .

2 نشدنا في ل : قسرنا .

وَنَنْحَرُ الكُـومَ عُبْطاً في مَنازلنا ... للنازلين إذا مـا اسْتَطْعَموا شَبِعوا[1]
ونحن نُطْعِم عند المَحْلِ مـا أكلوا ... من العبيطِ إذا لم يَظْهَـرِ القَزَعُ
وننصر النـاسَ تأتينـا سَراتُهُـمُ ... مِنْ كُـلِّ أَوْبٍ فتَمْضي ثم تُتَّبَعُ

فـأرسل رسولُ الله ﷺ إلى حسان بـن ثابـت فجـاء ، فأمره أن يُجيبـه . فقـال حسان : [من البسيط]

إنّ الذوائبَ مِنْ فِهْـرٍ وإخْوَتِهِمْ ... قـد بَيَّنُوا سُنَّـةً لِلنّـاسِ تُتَّبَعُ
يَرضى بها كلُّ مَـنْ كانت سريرتُـه ... تَقْوى الإلهِ وبالأمرِ الذي شَرَعُوا
قـومٌ إذا حاربوا ضَرُّوا عَدُوَّهُمُ ... أو حاولوا النَّفْعَ في أشياعهم نَفَعُوا
سجيَّةٌ تلك منهـم غيرُ مُحْدَثَةٍ ... إنّ الخلائقَ فاعلَمْ شَرُّها البِدَعُ
لا يَرْقَعُ النّاسُ ما أَوهَتْ أَكُفُّهُمُ ... عند الدِّفاع ولا يُوهُون ما رَقَعوا
إنْ كان في الناسِ سَبَّاقون بعدَهُمُ ... فكُلُّ سَبْقٍ لأَدْنـى سَبْقِهِـمْ تَبَعُ
أَعِفَّةٌ ذُكِرَتْ في الوَحْـي عِفَّتُهمْ ... لا يَطْمَعون ولا يُزري بهم طَمَعُ
ولا يَضَنُّـونَ عـن جـارٍ بِفَضْلِهِمُ ... ولا يَمَسُّهُمُ مِـنْ مَطْمَعٍ طَبَعُ
يَسْمُون للحرب تبدو وهي كالحةٌ ... إذا الزَّعانِفُ من أظفارِها خَشَعُوا
لا يَفْرَحـون إذا نالـوا عَدُوَّهُمُ ... وإنْ أُصيبوا فلا خُورٌ ولا جُزُعُ
كأنَّـهم في الوغى والموتُ مُكتَنِعٌ ... أُسُودُ بيشَةَ في أرساغها فَدَعُ[2]
خُذْ منهمُ ما أتى عَفْواً وإنْ مَنَعُوا ... فلا يَكُنْ هَمُّكَ الأمرَ الذي مَنَعُوا[3]
فإنّ في حَرْبِهم ، فاتْرُكْ عداوَتهم ، ... سُمّاً يُخاض عليه الصَّابُ والسَّلَعُ[4]
أَكْـرِمْ بقَوْمٍ رسولُ الله قائدُهُمْ ... إذا تَفَرَّقَـتِ الأهـواءُ والشِّيَعُ
أَهْدى لهـمُ مِدَحِي قلبٌ يؤازِرُهُ ... فيما أراد لسانٌ حائِـكٌ صَنَعُ
فإنّهـم أفضلُ الأحيـاءِ كلِّهِـمُ ... إنْ جَدّ بالناسِ جِدُّ القولِ أو شَمَعُوا[5]

---

1 الكوم : جمع كوماء وهي الناقة الضخمة .
2 مكتنع : قريب . أسد بيشة أو أسد حلية . فدع : اعوجاج الرسغ .
3 أتى في ل : أتوا .
4 يخاض : يخلط . الصاب والسلع : نوعان من الشجر مران .
5 شمعوا : لم يجدوا .

فقام عُطارد بن حاجب فقال[1] : [من الطويل]

أتيناك كيما يعلَم الناسُ فضلَنا ... إذا اجتمعوا وقتَ احتضارِ المواسِمِ
بأنّا فُروعُ الناسِ في كلِّ موطنٍ ... وأنْ ليس في أرض الحجاز كَدارِمِ

فقام حسّان بن ثابت فقال[2] : [من الطويل]

مَنَعْنا رسولَ الله من غَضَبٍ له ... على أنْفِ راضٍ من مَعَدٍّ وراغِمِ
هَلِ المجدُ إلاّ السُّؤْدُدُ العَوْدُ والنَّدى ... وجاهُ الملوكِ واحتمالُ العظائمِ[3]

قال : فقال الأَقرَع بن حابس : والله إنّ هذا الرجل لَمُؤَتّى له ؛ والله لَشاعرُه أشعرُ من شاعرنا ، ولَخَطِيبُه أخطبُ [من خطيبنا] ، ولأصواتُهم أرفعُ من أصواتنا ؛ أَعطِني يا محمد فأعطاه . فقال : زِدني فزاده . فقال : اللّهمَّ إنّه سيد العرب . فنزلتْ فيهم : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنادُونَكَ مِنْ وَراءِ الحُجُراتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾ .

[إسلام وفد تميم وإكرام النبيّ لهم]

ثم إنّ القوم أسلموا ، وأقاموا عند النبيّ ﷺ يتعلّمون القرآن ، ويتفقّهون في الدّين . ثم أرادوا الخروج إلى قومهم ، فأعطاهم رسول الله ﷺ وكساهم ، وقال : «أَما بقيَ منكم أَحدٌ ؟» ، وكان عمرو بن الأَهْتَم في رِكابهم ، فقال قيس بن عاصم ، وهو من رهطه وكان مُشاحِناً له .

[مناقضة عمرو بن الأهتم وقيس بن عاصم]

لم يبقَ منّا أحدٌ إلاّ غلام حديث السن في ركابنا ؛ فأعطاه رسول الله ﷺ مِثْلَ ما أعطاهم .
فبلغ عَمْراً ما قال قيس ؛ فقال عمرو بن الأَهتم لقيس : [من البسيط]

ظَلِلْتَ مُفْتَرِشَ الهَلْباء تَشْتُمني ... عندَ الرسولِ فلم تَصْدُقْ ولم تُصِبِ[4]
إنْ تُبْغِضونا فإنَّ الرُّومَ أصلُكُمُ ... والرومُ لا تملِكُ البغضاء للعَرَبِ
فإنَّ سُؤْدُدَنا عَوْدٌ وسُؤْددكم ... مُؤَخَّرٌ عند أصل العَجْبِ والذَّنَبِ

فقال له قيس : [من السريع]

لولا دفاعي كنتمُ أَعْبُداً ... دارُكم الحِيرةُ والسَّيْلَحونْ[5]

---

1 نسب الشعر في سيرة ابن هشام للزبرقان .
2 ديوان حسان : 109 .
3 العود : القديم .
4 الهلباء : الاست .
5 السيلحون : موضع بين الكوفة والقادسية .

[شعر حسان الذي يقرر به إيمانه بالرسل]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر قالا حدّثنا عمر بن شَبَّةَ قال حدّثني عمر بن عليّ بن مُقَدَّم عن يحيى بن سعيد عن أبي حيَّان التَّيميّ عن حبيب بن أبي ثابت ، قال أبو زيد وحدّثنا محمد بن عبد الله بن الزُّبير قال حدّثنا مِسْعَرٌ عن سعد بن إبراهيم ، قالوا : قال حسّان بن ثابت للنبيّ ﷺ[1] : [من الطويل]

صوت

شَهِدتُ بإذن الله أنّ محمداً ... رسولُ الذي فوق السمواتِ من عَلُ
وأَنَّ أخا الأحقاف إذ يَعْذُلونه ... يقومُ بدِين الله فيهم فيَعدِلُ[2]
وأَنَّ أبا يحيى ويحيى كِلاهُما ... له عَمَلٌ في دينه مُتَقَبَّلُ[3]
وأنّ الذي عادى اليهودَ ابنَ مَرْيَمٍ ... رسولٌ أتى من عند ذي العرش مُرْسَلُ
وأَنَّ الذي بالجِزْعِ من بطن نَخْلَةٍ ... ومَنْ دونَها فِلٌّ من الخير مَعْزِلُ[4]

غنَّى في هذه الأبيات معْبد خفيف ثقيلٍ أوّل بالبنصر من رواية يونس وغيره ، فقال النبيّ ﷺ : «أنا أشهَد معك» .

[أنكرت عليه عائشة شعراً له في مدحها]

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا زهير بن حرب قال حدّثني جرير عن الأعمش عن أبي الضُّحى عن مسروق ، وأخبرني بها أحمد بن عيسى العِجليّ قال حدّثنا سفيان بن وكيع قال حدّثنا جرير عن الأعمش عن أبي الضُّحى عن مسروق قال : دخلتُ على عائشة وعندها حسّان وهو يرثي بنتاً له ، وهو يقول[5] : [من الطويل]

رَزانٌ حَصانٌ ما تُزَنُّ بِريبَةٍ ... وَتُصبحُ غَرْثَى من لُحوم الغَوافِلِ

فقالت عائشة : لكن أنت لستَ كذلك . فقلت لها : أيدخل عليك هذا وقد قال الله عزّ وجلّ : ﴿والَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذابٌ عَظِيمٌ﴾ ! فقالت : أمَا تراه في عذاب عظيم قد ذَهَب بصرُه !

---

1 ديوان حسان : 203 .
2 أخو الأحقاف : النبي هود .
3 يحيى النبي وأبوه زكريا .
4 الشطر الأول في الديوان : وأن التي بالسد من بطن نخلة . الفلّ : المقفر من الخير .
5 هذا البيت من جملة أبيات يعتذر لعائشة عمّا نسب إليه من حديث الأفك (انظر ديوانه 1 : 292 و510 (برواية السيرة) . وأبياته في رثاء ابنته في ص 234 . ولعلّ تشابه البيت الثاني منها والبيت الأوّل من أبيات عائشة كان وراء القصّة المنسوبة إلى مسروق .

[أُخبر بوقعة صفين قبل وقوعها]

أخبرنا محمد بن خَلَفٍ وكيع قال حدّثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي قال حدّثنا ابن أبي أُوَيْس قال حدّثني أبي ومالك بن الربيع بن مالك حدّثاني جميعاً عن الرَّبيع بن مالك بن أبي عامر عن أبيه أنّه قال : بينا نحن جُلوسٌ عند حسّان بن ثابت ، وحسّان مضطجعٌ مُسنِدٌ رِجليه إلى فارِعٍ[1] قد رفعهما عليه ؛ إذ قال : مَهْ ، أما رأيتم ما مرَّ بكم الساعة ؟ قال مالك : قلنا : لا والله ، وما هو ؟ فقال حسّان : فاختِةٌ مَرَّت الساعة بيني وبين فارع فصدمتني ، أو قال : فزَحَمتني . قال : قلنا : وما هي ؟ قال[2] : [من الطويل]

ستأتيكمُ غَدْواً أحاديثُ جَمَّةٌ فأَصغُوا لها آذانَكم وتَسَمَّعوا

قال مالك بن أبي عامر : فصَبَّحَنا من الغد حديث صِفِّين .

[سمعه المغيرة بن شعبة ينشد شعراً فبعث إليه بمال]

أخبرنا وكيع قال حدّثنا اللَّيث بن محمد عن الحَنْظَليّ عن أبي عبدة عن العلاء بن جَزْء العنبريّ قال : بينا حسان بن ثابت بالخَيْفِ وهو مكفوفٌ ، إذ زَفَر زفرةً ثم قال[3] : [من الكامل]

وكأنَّ حافرَها بكلِّ خَميلةٍ صاعٌ يَكيلُ به شحيحٌ مُعْدِمُ
عارِي الأَشاجعِ من ثَقِيفٍ أصلُه عبدٌ ويزعمُ أنَّه مِنْ يَقْدُمُ[4]

قال : والمُغيرة بن شُعبة جالسٌ قريباً منه يسمع ما يقول ، فبعث إليه بخمسة آلاف درهم . فقال : مَن بعث بهذا ؟ قال : المُغيرة بن شُعبة سمع ما قلتَ . قال : واسَوْءتاه ! وقَبِلها .

[استجار الحارث بن عوف من شعره بالنبيّ]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني الأصمعيّ قال : جاء الحارث بن عوف بن أبي حارثة إلى النبي ﷺ فقال : أَجِرْني من شعر حسّان ، فلو مُزِج البحرُ بشِعره لمَزَجه . قال : وكان السبب في ذلك ، فيما أخبرني به أحمد بن عبد العزيز عن عمر بن شبّة عن الأصمعيّ ، وأخبرني به الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني عمّي مُصعب : أنّ الحارث بن عوف أتى رسولَ الله ﷺ فقال : ابعَثْ معي مَن يدعو إلى دِينك وأنا له جار . فأرسل معه رجلاً من الأنصار . فغَدَرتْ بالحارث عشيرته فقتلوا الأنصاريّ ، فقَدِم الحارث على رسول الله ﷺ ، وكان عليه الصلاة والسلام لا يؤنِّب أحداً

1 فارع : أطم بالمدينة ، كان لحسان .
2 ديوان حسان : 492 .
3 ديوان حسان : 438 .
4 يقدم : أبو قبيلة وعلى هذا جاز رفعه .

في وجهه ، فقال : «ادْعُوا لي حسّان» ؛ فدُعي له . فلمّا رأى الحارث أنشده[1] : [من الكامل]

يا حارِ مَنْ يَغْدِرْ بذِمّةِ جارِه منكُمْ فإنّ محمداً لم يَغْدِرِ

إنْ تَغْدِرُوا فالغَدْرُ منكم شيمةٌ والغدرُ ينبُت في أُصول السَّخْبَرِ[2]

فقال الحارث : اكْفُفْه عنّي يا محمد ، وأُؤدّي إليك ديَةَ الخفارة ؛ فأدّى إلى النبيّ ﷺ سبعين عُشَراء ، وكذلك دِيةُ الخُفارة ، وقال : يا محمد ، أنا عائذٌ بك من شَرِّه ، فلو مُزج البحر بشِعره مزجه .

[بلغ النبيّ شعره فآلمه فضربه ابن المعطل]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني إبراهيم بن المنذر قال حدّثنا عبد الله بن وَهْب قال أخبرنا العطّاف بن خالد قال : كان حسان بن ثابت يجلس إلى أطُمِه فارِعٍ ، ويجلس معه أصحابٌ له ويضع لهم بِساطاً يجلسون عليه ؛ فقال يوماً ، وهو يرى كثرة مَن يأتي إلى النبي ﷺ من العرب فيُسْلِمون : [من البسيط]

أَرى الجَلابيبَ قد عَزُّوا وقد كَثُرُوا وابنُ الفُرَيْعَةِ امسَى بَيْضَةَ البَلَدِ[3]

فبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ ، فقال : «مَن لي بأصحاب البِساطِ بفارع ؟» . فقال صفوان بن المعَطَّل : أنا لك يا رسول الله منهم ؛ فخرج إليهم فاخترط سيفه ، فلمّا رأوْه عرفوا الشرَّ في وجهه ففرّوا وتبدّدوا ، وأدرك حسّان داخلاً بيتَه ، فضربه وفلق أَلْيَته . قال : فبلغنا أنّ النبيّ ﷺ عوّضه وأعطاه حائطاً[4] ، فباعه من معاوية بعد ذلك بمال كثير ، فبناه معاوية قصراً ، وهو الذي يقال له : «قصر الدّارَين» . وقد قيل : إنّ صفوان بن المعطَّل إنّما ضرب حسّان لِما قاله فيه وفي عائشة زوج النبي ﷺ من الإفك ؛ لأن صفوان هو الذي رمى أهلُ الإفك عائشة به .

وأخبرنا محمد بن جرير قال حدّثنا محمد بن حُمَيْد قال حدّثنا سَلَمةُ عن محمد بن إسحاق عن يعقوب بن عُتبة قال : اعترض صَفوان بن المُعَطَّل حسّان بن ثابت بالسيف لِما قَذَفه[5] به من الإفك حين بلغه ما قاله . وقد كان حسّان قال شِعراً يعرِّض بابن المعطَّل وبمن أسلمَ من العرب من مُضَر فقال[6] : [من البسيط]

1 ديوان حسان : 137 .

2 السخبر : نوع من الشجر .

3 الجلابيب : لقب كان المنافقون ينبزون به المهاجرين .

4 الحائط : البستان .

5 ل : قرفه .

6 ديوان حسان : 284 . وانظر الخبر والشعر في سيرة ابن هشام : 304 فما هنا متابع للسيرة .

أمسَى الجَلابيبُ قد عَزُّوا وقد كَثُرُوا وابنُ الفُرَيعةِ أُمسى بَيْضَةَ البَلَدِ
قد ثَكِلَتْ أُمُّه مَن كنتُ صاحبَه أو كان مُنْتَشِباً في بُرْثُنِ الأَسَدِ
مـا للقتيـلِ الذي أَعـدُو فآخُذُه من دِيَـةٍ فيـه أُعْطِيهـا ولا قَوَدِ
ما البحرُ حين تَهُبُّ الرِّيحُ شامِيةً فيَغْطئـلُّ ويَرْمـي العِبْرَ بـالزَّبَدِ
يومـاً بأغلبَ منِّـي حين تُبْصِرُني بالسيف أَفْرِي كفَرْي العارِضِ البَرِدِ

فاعترضه صفوان بن المعطَّل بالسيف فضربه وقال : [من الطويل]

تَلَقَّ ذُبابَ السَّيْفِ عنِّي فإنّني غلامٌ إذا هُوجِيتُ لستُ بشاعرِ

[قبض ثابت بن قيس على ابن المعطل ثم انتهى الأمر إلى النبيّ فاسترضاه]

وحدّثنا محمد بن جرير قال حدّثنا ابن حُمَيْد قال حدّثنا سلمة عن محمد بن إسحاق عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التَّيميّ : أنّ ثابت بن قيس بن الشمَّاس أخا بَلْحارث بن الخزرج وثَبَ على صفوان بن المعطَّل في ضَربه حسّان فجمع يديه على عنقه ، فانطلق به إلى دار بني الحارث بن الخزرج ، فلَقِيَه عبد الله بن رواحة فقال : ما هذا ؟ فقال : ألا أُعَجِّبُك ؛ ضرب حسّان بالسيف ، والله ما أُراه إلاّ قد قتله . فقال له عبد الله بن رواحة : هل عَلِم رسولُ الله ﷺ بشيءٍ من هذا ؟ قال : لا والله . لقد اجترأت ! أَطْلِق الرجلَ ، فأطلقه . ثم أَتَوْا رسول الله ﷺ فذُكِر ذلك له ، فدعا حسّان وصفوان بن المعطَّل ؛ فقال ابن المعطَّل : يا رسول الله ، آذاني وهجاني فضربتُه . فقال رسول الله ﷺ لحسّان : «يا حسّان أَتَعِيبُ على قومي أنْ هداهم الله عزّ وجلّ للإسلام !» ، ثم قال : «أَحْسِنْ يا حسّان في الذي أصابك» . قال : هي لك يا رسول الله .

[برواية أُخرى حول الموضوع نفسه]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني المَدائنيّ قال حدّثنا إسماعيل بن إبراهيم قال حدّثنا محمد بن إسحاق عن أبيه إسحاق بن يَسارٍ عن بعض رجال بني النجّار بمثل ذلك ، وزاد في الشعر الذي قاله حسّان زيادةً ، ووافقه عليها مُصعَب الزُّبيريّ ، فيما أخبرنا به الحسن بن عليّ ، قال قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني عمّي مصعب وخالف في القصّة ، فذكر أنّ فِتيةً من المهاجرين والأنصار تنازعوا على الماء وهم يسقون خيولهم ، فغضب من ذلك حسّان فقال هذا الشعر .

وذكر الزُّهريّ ، فيما أخبرنا أحمد بن يحيى بن الجَعد ، قال حدّثنا محمد بن إسحاق المُسَيَّبي قال حدّثنا محمد بن فُلَيْح عن موسى بن عُقبة عن ابن شِهاب الزُّهريّ أنّ هذا الخبر كان بعد غزوة النبي ﷺ بني المُصْطَلِق . قال : وكان في أصحاب رسول الله ﷺ رجلٌ يقال له : سِنان ، ورجل من بني غِفار يقال له : جَهْجاه ؛ فخرج جَهْجاهٌ بفرس لرسول

الله ﷺ وفرس له يومئذٍ يَسقيهما ، فأوردهما الماء ، فوجد على الماء فِتيةً من الأنصار ، فتنازعوا فاقتتلوا ؛ فقال عبد الله بن أبيّ بن سَلُول يومئذٍ : هذا ما جَزَونا به ، آويناهم ثم هم يقاتلوننا ؛ وبلغ حسّان بن ثابت الذي بين جَهجاه وبين الفِتية الأنصار ، فقال وهو يريد المهاجرين من القبائل الذين قَدِموا على رسول الله ﷺ في الإسلام ، وهذا الشعر من رواية مُصعب دون الزُّهريّ : [من البسيط]

أمسَى الجلابيبُ قد عَزُّوا وقد كَثُروا ... وابنُ الفُرَيعـةِ أمسى بيضةَ البَلَدِ
يمشون بالقـولِ سِرّاً في مُهادَنةٍ ... تَهَدُّداً لي كأنّي لستُ مـن أَحَدِ
قد ثَكِلتْ أُمُّه مَن كنتُ صاحبَه ... أو كان مُنْتشِباً في بُرْثُـن الأَسَدِ
مـا للقتيـلِ الذي أسمـوا فأقتُلُه ... من دِيَـةٍ فيـه أُعْطِيها ولا قَوَدِ
مـا البحرُ حين تَهُبُّ الريحُ شاميةً ... فيَغْطَئـلُّ ويَرْمـي العَبْـرَ بالزَّبَدِ
يوماً بأغلبَ منّي حـين تُبْصِرُني ... أفْري من الغَيْظِ فَرْيَ العارضِ البَرِدِ
أمّا قريشٌ فإنّـي لستُ تاركَهم ... حتى يُنِيبُوا مِنَ الغَيّاتِ بالرَّشَدِ
ويتركوا اللاّتَ والعُزّى بمَعْزِلَةٍ ... ويَسْجُدوا كلُّهـم للواحدِ الصَّمَدِ
ويَشْهَدوا أنَّ ما قـال الرسولُ لهم ... حـقٌّ ويُوفُوا بعهـد الله في سَدَدِ
أبْلِغْ بَنيّ بأنّي قـد تركتُ لهم ... من خير مـا تَـرَكَ الآباء للوَلَدِ
الدّارُ واسطـةٌ والنخـلُ شارعـةٌ ... والبِيضُ يَرْفُلْـنَ في القَسِّيّ كالبَرَدِ

قال : فقال رسول الله ﷺ : «يا حسّان نَفِستَ عليّ إسلامَ قومي» وأغضبه كلامه . فغدا صفوان بن المعطَّل السُّلَميّ على حسّان فضربه بالسيف . وقال صفوان : [من الطويل]

تَلَقَّ ذُبـابَ السَّيْفِ عنّـي فإنّني ... غلامٌ إذا هُوجِيتُ لستُ بشاعرِ

فوثب قومُه على صفوان فحبسوه ، ثم جاؤوا سعد بن عبادة بن دُلَيم بن حارثة بن أبي حَزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ، وهو مُقبِلٌ على ناضِحه بين القِربتين ، فذكروا له ما فعلَ حسّان وما فعلوا ؛ فقـال : أشاورْتُـم في ذلـك رسولَ الله ﷺ ؟ قالـوا لا . فقعـد إلى الأرض وقـال : وانقِطاعَ ظَهْراه ! أتأخذون بأيديكم ورسول الله ﷺ بين ظَهْرانَيْكم ؟ ودعا بصفوان فأُتي به ، فكساه وخلاّه . فجاء إلى النبيّ ﷺ ؛ فقال له رسول الله ﷺ : «مَنْ كَساك كساه الله» . وقال حسان لأصحابه : احمِلوني إلى رسول الله ﷺ أترضّاه ففعلوا ؛ فأعرض عنه رسول الله ﷺ ، فردّوه . ثم سألهم فحملوه إليه الثانية ؛ فأعرض عنه رسول الله ﷺ ، فانصرفوا به . ثم قال

لهم : عُودوا بي إلى رسول الله ﷺ ؛ فقالوا له : قد جئنا بك مرّتين كلّ ذلك يُعْرِض فلا نُبرمه بك . فقال : احمِلوني إليه هذه المرّة وحدَها ، ففعلوا . فقال : يا رسول الله ، بأبي أنت وأُمّي ! احفَظ قولي : [من الوافر]

هجوتَ محمداً فأجبتُ عنه ... وعندَ اللهِ في ذاك الجزاءُ

فإنّ أبي ووالدَه وعِرْضي ... لِعِرض محمدٍ منكم وِقاءُ

فرضي عنه رسول الله ﷺ ووهَبَ له سيرين أُخت مارية أُمّ ولد رسول الله ﷺ إبراهيم . هذه رواية مُصعب . وأمّا الزُّهريّ فإنّه ذكر أنّ رسول الله ﷺ لمّا بلغه ضربُ السُّلَميّ حسّان قال لهم : «خُذوه فإنْ هلك حسّان فاقتلوه» . فأخذوه فأسروه وأُوثقوه ، فبلغ ذلك سعد بن عبادة ، فخرج في قومه إليهم فقال : أَرْسِلوا الرجل ، فأَبوا عليه ؛ فقال : أعمدتم إلى قوم رسول الله ﷺ تُؤْذونهم وتَشتُمونهم وقد زعمتم أنّكم نصرتموهم ؟ أَرسِلوا الرجلَ ؛ فأبوا عليه حتى كاد يكون قتالٌ ، ثم أرسلوه . فخرج به سعدٌ إلى أهله فكساه حُلّةً ، ثم أرسله سعد إلى أهله . فبلغنا أنّ النبيّ ﷺ دخل المسجد ليُصلّي فيه فرآه ، فقال : «مَن كساكَ كساه اللهُ مِن ثيابِ الجنّة» . فقال : كساني سعد بن عبادة . وذكر باقي الخبر نحوه .

وحدّثني محمد بن جرير الطبريّ قال حدّثني ابن حُمَيد قال حدّثنا سلمة عن ابن إسحاق عن محمد بن إبراهيم بن الحارث : أنّ رسول الله ﷺ أعطاه عِوَضاً منها بيرحاء[1] ، وهي قصر بني جُدَيلة اليوم بالمدينة ، كانت مالاً لأبي طلحة بن سهلٍ تَصَدَّق بها إلى رسول الله ﷺ ، فأعطاه حسّان في ضَربته ، وأعطاه سيرين (أَمَةً قِبطيّة) فولدت له عبد الرحمن بن حسّان . قال : وكانت عائشة تقول : لقد سُئل عن صفوان بن المُعَطَّل ، فإذا هو حَصُورٌ[2] (لا يأتي النساء) ؛ قُتِل بعد ذلك شهيداً .

[شعره في مدح عائشة والاعتذار عمّا رماها به]

قال ابن إسحاق في روايته عن يعقوب بن عُتبة : فقال حسّان يعتذر من الذي قال في عائشة : [من الطويل]

حَصانٌ رَزانٌ ما تُزَنُّ بِرِيبَةٍ ... وتُصْبِحُ غَرْثَى من لُحومِ الغَوافِلِ

فإنْ كنتُ قد قلتُ الذي قد زعمتُمُ ... فلا رفعتْ سَوْطِي إليَّ أَنامِلِي

وكيفَ ووُدِّي من قديمٍ ونُصْرَتي ... لآلِ رسولِ الله زَيْنِ المَحافِلِ

1 بيرحاء : موضع بالمدينة .

2 ل : فوجدوه حصوراً ما يأتي النساء .

فإنّ الذي قد قِيلَ ليس بِلائطٍ ولكنّه قولُ امرىءٍ بيَ ماحِلِ[1]

[هجاه رجل بما فعل به ابن المعطل]

قال الزُّبير وحدّثني محمد بن الضحّاك : أنّ رجلاً هجا حسّان بن ثابت بما فعل به ابن المعطَّل فقال : [من الوافر]

وإنّ ابنَ المُعَطَّلِ من سُلَيْمٍ أَذَلَّ قِيادَ رَأْسِك بالخِطامِ

[سبّه أُناس فدافعت عنه عائشة]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبَّة قال أخبرنا أبو عاصمٍ قال أخبرنا ابن جُرَيج قال أخبرني محمد بن السائب عن أُمّه : أنّها طافت مع عائشة ومعها أُمُّ حكيم وعاتكة : (امرأتان من بني مخزوم) . قالت : فابتَدَرْنا حسّان نَشْتُمه وهو يطوف ؛ فقالت : أَبْنَ الفُرَيعة تَسْبُبْنَ ؟ قلن : قد قال فيكِ فَبَرَّأكِ الله . قالت : فأين قوله : [من الوافر]

هجوتَ محمداً فأجبتُ عنه وعندَ اللهِ في ذاكَ الجَزاءُ
فإنّ أبي ووالدَه وعِرضي لِعرْضِ محمدٍ منكم وِقاءُ

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثني إبراهيم بن المنذر عن سفيان بن عيينة عن محمد بن السائب بن بركة عن أُمّه بنحو ذلك ، وزاد فيه : إنّي لأرجو أن يُدخله الله الجنَّة بقوله .

أخبرني الحسن قال حدّثنا الزُّبير عن عبد العزيز بن عمران عن سفيان بن عُيينة وسَلْمِ بن خالد عن يوسف بن ماهَك عن أُمّه قالت : كنتُ أطوف مع عائشة بالبيت ، فذكرتُ حسّانَ فسَبَبْتُه ؛ فقالت : بِئس ما قلتِ ! أتَسُبِّينَه وهو الذي يقول : [من الوافر]

فإنّ أبي ووالدَه وعِرْضي لِعِرْضِ محمدٍ منكم وِقاءُ

فقلت : أليس ممّن لَعَن الله في الدنيا والآخرة بما قال فيكِ ؟ قالت : لم يَقُلْ شيئاً ، ولكنّه الذي يقول : [من الطويل]

حَصانٌ رَزانٌ ما تُزَنّ بريبةٍ وتُصْبِحُ غَرْثَى من لُحومِ الغَوافِلِ
فإنْ كان ما قد جاء عنّيَ قلتُه فلا رفعتْ سَوْطي إليَّ أناملي

أخبرني الحسن قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني مصعب عمّي قال حدّثني بعض أصحابنا عن هشام بن عروة عن أبيه قال : كنتُ قاعداً عند عائشة ، فمُرَّ بجنازة حسّان بن ثابتٍ فنِلتُ منه ؛

---

1 محل به : كاده بسعاية . ورواية الديوان : «بلْ الدهر بل سعي امرىء بك ماحل» .

فقالت : مَهلاً ؛ فقلت : أليس الذي يقول ؟ قالت : فكيف بقوله : [من الوافر]

فإنّ أبـي ووالدَه وعِرْضي لِعـرْض محمدٍ منكم وِقاءُ

[افتخاره بلسانه]

أخبرني الحسن قال حدّثنا أحمد قال حدّثني أحمد بن سَلمان عن سليمان بن حرب قال حدّثنا حمّاد بن زيد عن أيّوب عن محمد بن سيرين : أنّ حسّان أخذ يوماً بطَرَفِ لسانه وقال : يا رسول الله ، ما يَسُرُّني أنّ لي به مِقْوَلاً بين صنعاءَ وبُصرى ، ثم قال : [من الوافر]

لِساني مِقْـوَلٌ لا عيبَ فيـه وبَحْرِي ما تُكَدِّرُه الدِّلاءُ

[جبنه عن مناصرة صفية بنت عبد المطّلب يوم الخندق]

أخبرنا محمد بن جرير قال حدّثنا محمد بن حُمَيد قال حدّثنا سلَمة قال حدّثني محمد بن إسحاق عن يحيى بن عَبّاد بن عبد الله بن الزُبير عن أبيه قال : كانت صفيّة بنت عبد المطّلب في فارِعٍ (حِصْنِ حسّان بن ثابت) ، يعني يوم الخندق . قالت : وكان حسّان معنا فيه والنساء والصبيان . قالت : فمرّ بنا رجلٌ من يهود فجعل يُطِيف بالحصن ، وقد حاربتْ بنو قُريظة وقطعت ما بينها وبين رسول الله ﷺ ، ليس بيننا وبينهم أحدٌ يدفع عنّا ، ورسول الله والمسلمون في نُحور عدوّهم لا يستطيعون أن ينصرفوا إلينا عنهم ، إذْ أتانا آتٍ . قالت : فقلت : يا حسّان ، إنّ هذا اليهوديّ كما ترى يُطيفُ بالحِصن ، وإنّي والله ما آمَنُه أن يَدلّ على عَوراتنا مَن وراءنا من يهود ، وقد شُغل عنّا رسول الله ﷺ وأصحابه ، فانزِل إليه فاقْتُله ؛ فقال : يغفِر الله لكِ يا ابنة عبد المطّلب ؛ لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا . قالت : فلمّا قال ذلك ولم أَرَ عنده شيئاً احتجَزتُ[1] ثم أخذت عموداً ثم نزلتُ إليه من الحصن فضربته بالعمود حتى قتلته ، فلمّا فرغت منه رجعت إلى الحصن ، فقلت : يا حسّان ، انزل إليه فاسلبه ؛ فإنّه لم يمنعني من سلبه إلاّ أنّه رجلٌ . قال : مالي بسَلَبِه من حاجة يا بنتَ عبد المطّلب .

[حديث ابن الزبير عن يوم الخندق وجبن حسان]

وأخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنا عليّ بن صالح عن جدّي عبد الله بن مصعب عن أبيه قال : كان ابن الزُّبير يحدِّث أنّه كان في فارِعٍ (أُطُمِ حسان بن ثابت) مع النساء يوم الخندق ومعهم عمر بن أبي سلَمة . قال ابن الزُّبير : ومعنا حسّان بن ثابت ضارباً وَتِداً في آخر الأُطُـم ، فإذا حَمَل أصحابُ رسول الله ﷺ على المشركين حَمَل على الوتد فضربه بالسيف ؛ وإذا أقبل المشركون انحاز عن الوتد حتى كأنّه

1 ل : اعتجرت . واحتجز بردائه : إذا شدّه على وسطه .

يُقاتل قِرناً ، يتشبّه بهم كأنّه يُري أنّه مجاهدٌ حين جَبُن . وإنّي لأظلم ابنَ أبي سلمة وهو أكبر منّي بسنتين فأقول له : تَحْمِلُني على عُنقك حتّى أنظر ، فإنّي أَحمِلك إذا نزلتُ . قال : فإذا حملني ثم سألني أن يركب قلتُ له : هذه المرّة أيضاً . قال : وإنّي لأنظر إلى أبي مُعلَماً بصُفرةٍ ، فأخبرتُها أبي بعدُ ؛ فقال : أين كنتَ حينئذٍ ؟ فقلت : على عنق ابن أبي سلَمة يحملني . فقال : أمَا والذي نفسي بيده إنّ رسول الله ﷺ حينئذٍ لَيَجمع لي أبَويه .

قال ابن الزّبير : وجاء يهوديٌّ يرتقي إلى الحصن ، فقالت صفيّة له : أعطِني السيف ، فأعطاها . فلمّا ارتقى اليهوديّ ضربتْه حتّى قتلته ، ثم احتزّت رأسه فأعطته حسّان وقالت : طَوِّحْ به ؛ فإنّ الرجل أقوى وأشدّ رميةً من المرأة . تريد أن تُرْعِب به أصحابه .

[كان حسّان مقطوع الأكحل]

قال الزّبير : وحدّثني عمّي مصعب عن الواقديّ قال : كان أَكْحَلُ حسّان قد قُطِع فلم يكن يَضرب بيده .

[أنشد النبي شعراً في شجاعته فضحك]

قال الزّبير وحدّثني عليّ بن صالح عن جدّي أنّه سمع أنّ حسّان بن ثابت أَنشد رسول الله ﷺ[1] : [من البسيط]

لقد غدوتُ أمامَ القومِ مُنتَطِقاً ... بصارمٍ مِثْلِ لَوْنِ المِلْحِ قَطّاعِ
يَحْفِزُ عنّي نِجادَ السيفِ سابغةٌ ... فَضْفاضةٌ مثل لَوْنِ النِّهْي بالقاعِ[2]

قال : فضحك رسول الله ﷺ ؛ فظنّ حسّان أنّه ضحك من صفته نفسَه مع جبْنه .

[قال النابغة حسان شاعر والخنساء بكّاءة]

قال الزّبير وحدّثني محمد بن الحسن قال : قال حسّان بن ثابت : جئتُ نابغة بني ذبيان ، فوجدت الخنساء بنت عمرو حين قامت من عنده ، فأنشدته ؛ فقال : إنّك لشاعرٌ ، وإنّ أُخْتَ بني سُلَيم لَبَكّاءة .

[سمعه الحطيئة ينشد فسأله رأيه فأجابه الحطيئة بما لم يرضه]

قال الزّبير وحدّثني يحيى بن محمد بن طلحة بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصدّيق قال أخبرني غير واحدٍ من مَشايخي : أنّ الحُطَيئة وقف على حسّان بن ثابت وحسّان يُنشد من شعره ؛ فقال له حسّان وهو لا يعرفه : كيف تسمع هذا الشعر يا أعرابيّ ؟ قال الحطيئة : لا أرى به بأساً . فغضب حسان وقال : اسمعوا إلى كلام هذا الأعرابيّ ! ما كُنيَتُك ؟ قال : أبو

1 ديوان حسان : 300 .
2 الشطر الثاني في رواية الديوان «تغشى الأنامل مثل النهي بالقاع» .

مُلَيكة . قال : ما كنتَ قطُّ أهوَنَ عليّ منك حين كُنّيتَ بامرأةٍ ، فما اسمك ؟ قال : الحُطَيئة فقال حسان : امضِ بسلام .

[اتّهمه أعشى بكر بالبخل فاشترى كلّ الخمر وأراقها]

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ قال حدّثني محمد بن الحسن بن مسعود الزُّرَقيّ قال حدّثنا عبد الله بن شبيب قال حدّثني الزُّبير ، وأخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثني الزُّبير قال حدّثني بعض القرشيين قال : دخل حسان بن ثابت في الجاهلية بيت خَمَّارٍ بالشَّام ومعه أعشى بكر بن وائلٍ ، فاشتريا خمراً وشرِبا ، فنام حسّان ثم انتبه ، فسمِع الأعشى يقول للخمّار : كَرِه الشيخ الغُرم . فتركه حسّان حتى نام ، ثم اشترى خمر الخمّار كلَّها . ثم سكبها في البيت حتى سالت تحت الأعشى ؛ فعَلِم أنَّه سمع كلامه فاعتذر إليه ؛ فقال حسّان[1] : [من الطويل]

ولَسْنا بِشَرْبٍ فَوْقَهُمْ ظِـلُّ بُرْدةٍ ... يُعِدُّونَ للخَمّـارِ تَيْساً ومِفْصَدا
ولكِنَّنا شَرْبٌ كِـرامٌ إذا انتشَوْا ... أهانوا الصَّرِيحَ والسَّدِيفَ المُسَرْهَدا[2]
كأَنَّهُـمُ ماتُـوا زمـانَ حَلِيمـةٍ ... فإنْ تَأْتِهِمْ تَحْمَدْ نِدامَتَهمْ غَدا[3]
وإن جئتَهم أَلْفَيْتَ حـولَ بُيوتِهِمْ ... من المِسْكِ والجادي فَتِيتاً مُبَدَّدا
تَرى حولَ أثناءِ الزَّرابـيِّ ساقطاً ... نِعـالاً وقَسُّوبـاً ورَيْطاً مُنَضَّدا[4]
وذا نُمْرُقٍ يَسْعَـى ومُلْصِقَ خَدِّهِ ... بديباجَـةٍ تَكْفافُهـا قـد تَقَدَّدا

[تعييره الحارث بن هشام بفراره]

وهذه القصيدة يقولها حسّان بن ثابت في وقعة بَدْرٍ يفخر بها ويُعَيِّر الحارث بن هشام بفِرارِه عن أخيه أبي جهل بن هشام . وفيها يقول[5] : [من الكامل]

صوت

إنْ كُنْتِ كاذِبَـةَ الذي حَدَّثْتِني ... فنَجَوْتِ مَنْجَى الحارثِ بن هشامِ
تَرَكَ الأَحِبَّةَ أنْ يُقاتِـلَ دونَهـم ... ونجـا بـرأْسِ طِمِـرَّةٍ ولجـامِ

1 ديوان حسان : 312 .
2 الصريح : الذي ذهبت رغوته . السديف المسرهد : لحم أو شحم السنام السمين .
3 يشير إلى يوم حليمة بين المنذر الأكبر والحارث الأكبر وبه يضرب المثل «ما يوم حليمة بسر» .
4 الزرابي : الطنافس . القسوب : الخف . الريط : جمع ريطة وهي الملاءة .
5 من قصيدة من 28 بيتاً . انظر ديوانه : 29 .

غنّاه يحيى المكيّ خفيفَ ثقيلٍ أوّل بالوسطى . ولعَزّة المَيلاء فيه خفيف رمل بالبنصر . وفيه خفيف ثقيلٍ بالبنصر لموسى بن خارجة الكوفيّ ، فأجاب الحارث بن هشام ، وهو مشرك يومئذٍ ، فقال[1] : [من الكامل]

صوت

اللهُ يعلَم ما تركتُ قِتالَهم حتَّى رَمَوْا فَرَسي بأَشْقَرَ مُزْبِدِ
وعلمتُ أنّي إنْ أُقاتِلْ واحداً أُقْتَلْ ولا يَضْرُرْ عَدُوِّيَ مشْهَدي
ففَرَرْتُ منهمْ والأَحِبَّةُ فيهمُ طَمَعاً لهم بعِقاب يوم مُرْصَدِ

غنّى فيه إبراهيم الموصليّ خفيف ثقيلٍ أوّلَ بالبنصر ، وقيل : بل هو لفُلَيْح .

[تمثّل رتبيل بشعر حسّان]

أخبرنا محمد بن خَلَفٍ وكيعٌ قال حدّثني سليمان بن أيُّوب قال حدّثنا محمد بن سلاّم عن يونس قال : لمّا صار ابن الأشعث إلى رُتْبِيل ، تمثّل رتبيل بقول حسّان بن ثابت في الحارث بن هشام : [من الكامل]

تَرَكَ الأحِبَّةَ أنْ يُقاتِلَ دونَهُمْ ونجا برأس طِمِرّةٍ ولجامِ

فقال له ابن الأشعث : أوَ ما سمعتَ ما ردّ عليه الحارث بن هشام ؟ قال : وما هو ؟ فقال قال : [من الكامل]

اللهُ يعلَم ما تركتُ قتالَهم حتى رَمَوْا فرسي بأَشْقَرَ مُزْبِدِ
وعلمتُ أنّي إنْ أُقاتِلْ واحداً أُقْتَلْ ولا يَضْرُرْ عَدُوّي مَشْهَدي
فصددتُ عنهمْ والأحبّةُ فيهمُ طمعاً لهم بعقاب يوم مُرْصَدِ

فقال رُتْبِيل : يا معشر العرب ، حَسَّنتم كلَّ شيء حتى حسَّنتم الفِرار .

1 انظر الأبيات في سيرة ابن هشام 2 : 18 والحماسية رقم 37 في شرح المرزوقي .

[47] ـ ذكر الخبر عن غَزاة بدر[1]

[أخبار غزاة بدر]

حدّثني بخبرها محمد بن جرير الطبريّ في المغازي قال حدّثنا محمد بن حُمَيد قال حدّثنا سلمة قال حدّثني محمد بن إسحاق[2] قال حدّثني محمد بن مُسلم الزهريّ وعاصم بن عُمر بن قَتادة وعبد الله بن أبي بكر ويزيد بن رومان عن عروة بن الزُّبير وغيرهم من علمائنا عن عبد الله بن عبّاس ، كلٌّ قد حدّثني بعض هذا الحديث ، فاجتمع حديثهم فيما سمعت من حديث بدر ، قالوا :

[ندب النبي المسلمين للعير واستنفار أبي سفيان لقريش]

لمّا سمع رسول الله ﷺ بأبي سفيان مُقبِلاً من الشام ندَب المسلمين إليهم ، وقال : «هذه عِيرُ قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها ؛ فلعلّ الله أن يُنَفِّلَكُموها» . فانتدب الناس ، فخفّ بعضهم وثَقُل بعضهم ؛ وذلك أنّهم لم يظنُوا أنّ رسول الله ﷺ يَلقى حرباً . وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز وجعل يتحسَّس الأخبار ، ويسأل مَن لَقِي من الرُّكبان ، تَخَوُّفاً على أموال[3] الناس ، حتى أصاب خبراً من بعض الرُّكبان أنّ محمداً استنفر أصحابه لك ولعِيرك ، فجَدَّ[4] عند ذلك فاستأجر ضَمْضَمَ بن عَمْرو الغِفاريّ فبعثه إلى مكّة وأَمَره أن يأتي قريشاً يستنفرهم إلى أموالهم ويُخبرهم أنّ محمداً قد عرض لها في أصحابه ؛ فخرج ضمضم بن عمرو سريعاً إلى مكّة .

[رؤيا عاتكة بنت عبد المطّلب]

قال ابن إسحاق[5] : وحدّثني مَن لا أُتَّهِمُ عن عِكرمة مولى ابن عبّاس ويزيد بن رُومان عن عروة بن الزُّبير قال : وقد رأتْ عاتكة بنت عبد المطّلب قبل قدوم ضمضم [مكّة] بثلاث [ليالٍ] رؤيا أفزعتها ، فبعثت إلى أخيها العبّاس بن عبد المطّلب ، فقالت : يا أخي ، والله لقد رأيتُ الليلة رؤيا أفظعتني وتخوّفتُ أن يدخل على قومك [منها] شرٌّ أو مصيبة ، فاكتم عنّي

1 سيرة ابن هشام 1 : 606 وتاريخ الطبري 2 : 421 ومغازي الواقدي 1 : 19 .
2 هو نصّاً عن ابن هشام 1 : 606-607 .
3 السيرة (س) : على أمر .
4 السيرة : فحذر .
5 متابع للسيرة 1 : 607-608 .

ما أحدِّثك . قال لها : وما رأيتِ ؟ قالت : رأيتُ راكباً أقبل على بعيرٍ له حتى وقف بالأَبطَح ، ثم صرخ بأعلى صوته : ألا انفِروا يا آلَ غُدَرَ لمصارعكم في ثلاث ؛ وأرى الناس قد اجتمعوا إليه ، ثم دخل المسجد والناس يتبعونه ؛ فبينما هم حولَه مَثُلَ به بعيره على ظهر الكعبة ، ثم صرخ بأعلى صوته : انفِرُوا يا آل غُدَرَ لمصارعكم في ثلاث ، ثم مَثَل به بعيره على رأس أبي قُبَيس فصرخ بمثلها ، ثم أخذ صخرةً فأرسلها فأقبلت تَهوي ، حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارفَضَّتْ ، فما بقي بيتٌ من بيوت مكّة ولا دارٌ من دورها إلاّ دخلتْها منها فِلقة . قال العبّاس : إنّ هذه لَرؤيا ، وأنتِ فاكتميها ولا تذكريها لأحد .

ثم خرج العبّاس[1] فلَقِي الوليد بن عتبة بن ربيعة ، وكان له صديقاً ، فذكرها [له] واستكتمه إيّاها ؛ فذكرها الوليد لأبيه عتبة ، ففشا الحديث [بمكّة] حتى تحدّثت به قريش . قال العبّاس : فغدوتُ أطوفُ بالبيت ، وأبو جهل بن هشام ورهطٌ من قريش قُعُودٌ يتحدّثون برؤيا عاتكة . فلمّا رآني أبو جهل قال : يا أبا الفضل ، إذا فرغتَ من طَوافك فأَقبِل إلينا ؛ فلمّا فرغتُ أقبلتُ إليه حتى جلست معهم . فقال لي أبو جهل : يا بني عبد المطّلب[2] ، متى حدثَتْ فيكم هذه النَّبِيَّة ؟! قال : قلتُ : وما ذاك ؟ قال : الرؤيا التي رأتْ عاتكة . قلت : وما رأت ؟ قال : يا بني عبد المطّلب ، أَما رضيتم أن تتنبَّأ رجالكم حتى تتنبّأ نساؤكم ؟ قد زعمت عاتكة في رؤياها أنّها قالت : انْفِروا في ثلاثٍ ؛ فسنتربّص بكم هذه الثلاث ؛ فإن يكن ما قالت حقّاً فسيكون ، وإن تَمضِ الثلاث ولم يكن من ذلك شيء نكتب كتاباً عليكم أنّكم أكذب أهلِ بيتٍ في العرب . قال العبّاس : فوالله ما كان إليه منّي كبيرٌ إلاّ أن جحدتُ ذلك وأنكرتُ أن تكون رأت شيئاً . قال : ثم تفرّقنا . فلمّا أمسينا لم تبقَ امرأةٌ من بني عبد المطّلب إلاّ أتتني فقالت : أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقَع في رجالكم ، ويتناول النساءَ وأنت تسمع ، ولم يكن عندك غَيْرٌ لشيءٍ ممّا سمعتَ ؟ قلتُ : قد والله فعلتُ ، ما كان منّي إليه من كبيرٍ ، وايْمُ اللهِ لأَتعرَّضَنّ له ؛ فإنْ عاد لأَكْفِيَنَّكُنَّه . قال : فغدوتُ في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة وأنا حديدٌ مُغضبٌ أُرى [أنّي] قد فاتني منه أمرٌ أحِبُّ أن أُدركه منه . قال : فدخلت المسجد فرأيته ، فوالله إنّي لأمشي نحوَه العِرَضْنةَ[3] ليعود لبعضِ ما كان فأُوقِعَ به . وكان رجلاً خفيفاً حديد الوجه حديد اللسان حديد النظر ، إذ خرج نحو باب المسجد يشتدّ . قال : قلت في نفسي : ما لَه لَعَنه الله ؟ أكُلُّ هذا فَرَقاً منّي أنْ أُشاتمه ؟ فإذا هو قد سمِع ما لم أَسمع ، صوتَ ضمضم بن

---

1 متابع للسيرة 608–609 .

2 ل : يا بني عبد مناف .

3 يمشي العرضنة : يمشي مشية فيها تحدٍّ ؛ وفي س : إني لأمشي نحوه أتعرضه .

عمرو الغِفاريّ وهو يصرخ ببطن الوادي [واقفاً على بعيره قد جَدَّع بعيره وحوّل رحله وشَقّ قميصَه وهو يقول] : يا معشر قريش اللَّطيمةَ ! [اللطيمةَ !] أموالكم مع أبي سفيان بن حرب قد عرض لها محمد في أصحابه ، لا أُرى أنْ تُدركوها ؛ الغَوْثَ الغوثَ ! قال : فشَغَلني عنه وشَغَله عنّي ما جاء من الأمر .

قال[1] : فتجهّز الناسُ سِراعاً ، وقالوا : لا يَظُنَّ محمدٌ وأصحابه أن تكون كعِيرِ ابن الحَضْرَميّ ؛ كلاّ والله لَيَعْلَمُنّ غير ذلك ! فكانوا بين رجلين : إمّا خارج وإمّا باعث مكانه رجلاً .

[خروج قريش وإرسال أبي لهب العاصي بن هشام مكانه]

وأوعبتْ قريش فلم يتخلّف من أشرافها أحدٌ إلاّ أبو لَهَبِ بن عبد المطّلب تخلّف فبعث مكانه العاصي بن هشام بن المغيرة ، وكان لَطّ[2] له بأربعة آلاف درهمٍ كانت له عليه ، فأفلس بها ، فاستأجره بها على أن يُجزِىء عنه بَعْثَه ، فخرج عنه وتخلّف أبو لهب . هكذا في الحديث . فذكر أبو عبيدة وابن الكلبيّ : أنّ أبا لهبٍ قامَر العاصي بن هشام في مائة من الإبل ، فقَمَره أبو لهب ، ثم عاد فقَمَره أيضاً ، ثم عاد فقَمَره أيضاً الثالثة ، فذهب بكلٍّ ما كان يملكه . فقال له العاصي : أرى القِداح قد حالفتك يا ابن عبد المطّلب ، هَلُمَّ نجعلها على أيّنا يكون عبداً لصاحبه ؛ قال : ذلك لك ؛ فدَحاها فقَمَره أبو لهب ، فأسلَمه قيناً ، وكان يأخذ منه ضريبةً . فلمّا كان يومُ بدرٍ وأخذتْ قريش كلَّ مَن لم يُخرج بإخراج رجلٍ مكانَه أخرجه أبو لهب عنه وشرَط له العِتق ؛ فخرج فقَتَله عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه .

رجع الحديث إلى وقعة بدر[3]

[وبخ ابن أبي معيط أميّة بن خلف لإجماعه القعود]

قال محمد بن إسحاق : وحدّثني عبد الله بن أبي نَجِيح : أنّ أُمَيَّة بن خَلَفٍ كان قد أجمع القعود ، وكان شيخاً [جليلاً جسيماً] ثقيلاً ، فجاءه عُقبة بن أبي مُعَيط وهو جالسٌ في المسجد بين ظَهْرانَيْ قومه بمِجْمَرةٍ يحملها ، فيها نارٌ ومِجْمَرٌ حتى وضعها بين يديه ، ثم قال : يا أبا عليّ ، استَجْمِرْ فإنّما أنت من النساء ! قال : قَبّحك الله وقبّح ما جئتَ به ؛ ثم تجهّز وخرج مع الناس . فلمّا فرغوا من جَهازهم وأجمعوا السيرَ ، ذكروا ما [كان] بينهم

1 متابع للسيرة : 609–610 .

2 لط بالمال : ماطل .

3 متابع للسيرة : 610–612 .

وبين بني بكر بن عبد مَناةَ بن كِنانة من الحرب ، فقالوا : إنّا نخشى أن يأتُوا من خَلفِنا .

[تخوّف قريش من كنانة وتأمين إبليس لهم]

قال محمد بن إسحاق : فحدّثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزُّبير قال : لمّا أجمعتْ قريش المسيرَ ذكرتِ الذي بينها وبين بني بكر بن عبد مَناةَ ، فكاد ذلك أن يُثَبِّطهم ، فتبدّى لهم إبليس في صورة سُراقة بن جُعْشُم المُدْلِجيّ ، وكان من أشراف بني كنانة ، فقال : إنّي جارٌ لكم من أن تأتيكم كِنانة [من خَلْفِكم] بشيءٍ تكرهونه ، فخرجوا سِراعا .

[خروج النبيّ وعدد جيشه والطريق التي سلكها]

وخرج رسول الله ﷺ ، فيما بَلَغني عن غير ابن إسحاق ، لثلاث ليالٍ خَلَوْن من شهر رمضان المعظَّم في ثلاثمائةٍ وبضعة عَشَرَ رجلاً من أصحابه . فاختُلِف في مبلغ الزيادة على العشرة ؛ فقال بعضُهم : كانوا ثلاثمائة وثلاثة عَشَرَ رجلاً . وكان المهاجرون يومَ بَدْرٍ سبعةً وسبعين رجلاً ، وكان الأنصار مائتين وستّةً وثلاثين رجلاً ، وكان صاحبُ راية رسول الله ﷺ عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، وكان صاحبُ راية الأنصار سعد بن عُبادة .

حدّثنا محمد قال حدّثنا هارون بن إسحاق قال حدّثنا مصعب بن المِقدام ، قال أبو جعفر وحدّثني محمد بن إسحاق الأَهْوازيّ قال حدّثنا أبو أحمد الزُّبيريّ قال حدّثنا إسرائيل قال حدّثنا أبو إسحاق عن البراء قال : كنّا نتحدّث أنّ عِدّة أصحاب بَدْرٍ على عِدّة أصحاب طالوتَ الذين جازوا معه النهر ، ولم يَجُزْ معه إلاّ مؤمن ، ثلاثمائةٍ وبِضعةَ عشَرَ .

قال ابن إسحاق[1] في حديثه عمّن روى عنه : وخرج رسول الله ﷺ في أصحابه ، وجعل على السَّاقة قيس بن أبي صعصعة أخا بني مازن بن النجّار ، في ليالٍ مضتْ من رمضان ؛ فسار حتى إذا كان قريباً من الصَّفراء بعث بَسْبَسَ بن عمرو الجُهَنِيّ حليفَ بني ساعدة وعَدي بن أبي الزَّغباء حليفَ بني النجّار إلى بدر يتجسَّسان له الخبر عن أبي سفيان بن حرب وغيره ، ثم ارتحل رسول الله ﷺ وقدّمهما . فلمّا استقبل الصَّفراء ، وهي قريةٌ بين جبلين ، سأل عن جبلَيْها ما اسماهما ؟ فقيل : يقال لأحدهما هذا مُسْلِح ، وللآخر هذا مُخْرِىء ؛ وسأل عن أهلها فقالوا : بنو النّار ، وبنو حُراق (بطنان من غِفار) ؛ فكَرِههما رسولُ الله ﷺ والمرورَ بينهما ، وتفاءَل باسميهما وأسماء أهاليهما ، فتَركهما والصفراء يساراً ، وسلَكَ ذات اليمين عل وادٍ يقال له ذَفِران فخرج منه ، حتى إذا كان ببعضه نَزَل ، وأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عِيرَهم .

---

1 متابع للسيرة : 614–615 .

[استشارة النبيّ لأصحابه وتأييد الأنصار له]

فاستشار النبيّ ﷺ الناس وأخبرهم عن قريش ، فقام أبو بكر فقال فأحسن ، ثم قام عمر فقال فأحسن ، ثم قام المِقداد بن عمرو فقال : يا رسول الله ، امضِ لِما أمرك الله فنحن معك ؛ والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : اذْهَبْ أنت وربُّك فقاتِلا إنّا هاهنا قاعدون ، ولكن اذهب أنت وربُّك فقاتِلا إنّا معكما مُقاتلون مُعْلَمون . فوالذي بَعَثك بالحقّ لو سرتَ بنا إلى بَرْكِ الغَماد ، يعني مدينةَ الحبشة ، لجالدنا معك مَنْ دونه حتى تَبْلُغَه . فقال رسول الله ﷺ خيراً ودعا له بخير .

حدّثنا محمد قال حدّثنا محمد بن عبيد المحاربيّ قال حدّثني إسماعيل بن إبراهيم أبو يحيى قال حدّثنا المُخارق عن طارق عن عبد الله بن مسعود قال : شَهِدْتُ من المقداد مشهداً لأَنْ أكونَ صاحبه أحَبُّ إليّ ممّا في الأرض من كلّ شيء : كان رجلاً فارساً ، وكان رسولُ الله ﷺ إذا غضب احمارّتْ وَجنتاه ، فأتاه المِقداد على تلك الحال ، فقال : أَبْشِرْ يا رسول الله ، فوالله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : اذهَبْ أنت وربُّك فقاتلا إنّا هاهنا قاعدون ، ولكن والذي بَعَثك بالحقّ لنكونن بين يديك ومِن خَلفك وعن يمينك وشِمالك أو يفتح الله تبارك وتعالى .

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق

ثم قال رسول الله ﷺ : «أَشيروا عليَّ أيُّها الناس» ، وإنّما يريد الأنصار ؛ وذلك أنّهم كانوا عَدَدَ الناس ، وأنّهم حين بايعوا بالعَقَبة قالوا : يا رسول الله إنا بُرآء من ذِمامَك حتى تصير إلى دارنا ، فإذا وصلتَ فأنت في ذِمامنا ، نَمْنَعُك ممّا نمنع منه أنفسَنا وأبناءنا ونساءَنا . فكان رسولُ الله ﷺ يتخوّف ألاّ تكونَ الأنصارُ ترى عليها نُصرته إلاّ ممّن دَهِمَه بالمدينة من عَدُوّه ، وأنْ ليس عليهم أن يسيرَ بهم إلى عدوٍّ في غير بلادهم . فلمّا قال ذلك رسول الله ﷺ قال له سعد بن معاذ : والله لكأنّك تريدنا يا رسول الله . قال : «أجل» . قال : فقد آمنّا بك يا رسول الله وصدّقناك وشَهِدنا أنّ ما جئتَ به هو الحقُّ ، وأعطيناك على ذلك عهودَنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامضِ بنا يا رسول الله لِما أردت [فنحن معك] . فوالذي بعَثَك بالحقّ لو استعرضتَ بنا هذا البحر وخُضْتَه لَخُضناه معك ما يتخلّف منّا رجلٌ واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدوًّا غداً . إنّا لَصُبُرٌ عند الحرب ، صُدُقٌ عند اللقاء ، لعلّ الله تعالى أن يُريك [منّا] ما تَقَرُّ به عينُك ؛ فسِرْ بنا على بركة الله . فسُرَّ رسول الله ﷺ [بقول سعد] ونَشَّطه ذلك ؛ ثم قال : «سيرُوا على بركة الله وأَبْشِروا ؛ فإنّ الله قد وعَدَني إحدى

الطائفتين ، واللهِ لكأنّي أنظر إلى مصارع القوم» .

[نزول النبيّ قريباً من بدر]

ثم ارتحل رسول الله[1] ﷺ من ذَفِران ، وسَلَك على ثنايا يُقال لها الأصافر ، ثم انحطّ منها على بلدٍ يقال له الدَّبَّة ، ثم ترك الحَنَّان بيمينٍ ، وهو كثيبٌ عظيم كالجبل ، ثم نزل قريباً من بدر ، فركب هو ورجلٌ من أصحابه ، قال الطبريّ قال محمد بن إسحاق : حدّثني محمد بن يحيى بن حَبَّان ، حتى وقف على شيخ من العرب ، فسأله عن قريش وعن محمد وأصحابه وما بلغه عنهم ؛ فقال الشيخ : لا أُخبركما حتى تُخبراني ممّن أنتما . فقال له رسول الله ﷺ : «إذا أخبرتَنا أخبرناك» . فقال : أَوَذاك بذاك ؟ فقال : «نعم» . قال الشيخ : فإنّه بلغني أنّ محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا ؛ فإنْ كان صَدَقني الذي أخبرني ، فهم اليوم بمكان كذا وكذا (للمكان الذي به رسول الله ﷺ) . وبلغني أنّ قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا ؛ فإن كان الذي حدّثني صدقني ، فهم اليوم بمكان كذا وكذا (للمكان الذي به قريش) . فلمّا فرغ من خبره قال : ممّن أنتما ؟ فقال رسول الله ﷺ : «نحن من ماء» ، ثم انصرف الشيخ عنه . قال يقول الشيخ : ما من ماء ؟ أمِنْ ماء العراق ؟ ثم رجع رسول الله ﷺ إلى أصحابه .

[أرسل النبيّ نفراً إلى بدر يلتمسون الخبر]

فلمّا أمسى بعث عليَّ بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، والزُّبير بن العوّام ، وسعد بن أبي وقّاص في نَفَرٍ من أصحابه إلى بدرٍ يلتمسون له الخبر عليه .

[قبض هؤلاء النفر على غلامين لقريش لمعرفة أخبارهم منهما]

قال محمد بن إسحاق[2] : حدّثني يزيد بن رُومان عن عروة بن الزُّبير : فأصابوا راويةً لقريش فيها أَسْلَمُ غلام بني الحجّاج ، وعريض[3] أبو يسار غلام بني العاصي بن سعيد ، فأَتَوْا بهما رسول الله ﷺ وهو يصلّي . فسألوهما فقالا : نحن سُقاةٌ لقريش بعثونا نسقيهم من الماء . فكره القوم خبرهما ورجَوْا أن يكونا لأبي سفيان فضربوهما ، فلمّا أذلقوهما قالا : نحن لأبي سفيان ، فتركوهما . وركع رسول الله ﷺ وسجد سجدتين ثم سلّم ، ثم قال : «إذا صَدَقاكم ضربتموهما ، فإذا كَذَباكم تركتموهما ، صَدَقا والله إنّهما لقريش . أَخبِراني أين قريش» ؟ قالا : هم وراء [هذا الكثيب الذي ترى بالعُدْوة القُصوى و] الكثيب : العَقَنْقَل ، فقال لهما رسول الله ﷺ : «كَمِ القومُ» ؟ قالا : لا ندري . قال : «كَمْ يَنْحَرون كلَّ يوم» ؟ قالا : يوماً تِسْعاً

1 تابع للسيرة : 615–616 .

2 متابع للسيرة : 616 .

3 ل : وغريض .

ويوماً عَشْراً . فقال رسول الله ﷺ : «القوم ما بين التسعمائة والألف» . ثم قال لهما رسول الله ﷺ : «فمَنْ فيهم من أشراف قريش» ؟ قالا : عُتبة بن ربيعة ، وشَيْبة بن ربيعة ، وأبو البختريّ بن هشام ، وحكيمُ بن حِزام ، ونوفل بن خويلد ، والحارث بن عامر بن نوفل ، وطُعَيْمةُ بن عَدِيّ ، والنَّضْرُ بن الحارث ، وزَمعة بن الأسود ، وأبو جهل بن هشام ، وأُميَّة بن خلَفٍ ، ونُبَيْهُ ومُنَبِّه ابنا الحجّاج ، وسهيل بن عمرو ، وعمرو بن وُدّ . فأقبل رسول الله ﷺ على الناس فقال : «هذه مكّة قد رمتْ إليكم أفلاذَ كَبِدها» .

قال ابن إسحاق[1] : وقد كان بَسْبَسُ بن عمرو وعَدِيّ بن أبي الزَّغباء مَضَيا حتى نزلا بدراً فأناخا إلى تَلٍّ قريبٍ من الماء ، ثم أخذا شَنّاً يستقيان فيه ، ومَجدِيُّ بن عمرو الجُهَنيّ على الماء ، فسمع عديٌّ وبَسْبَسٌ جاريتين من جواري الحاضر وهما تتلازمان على الماء ، والملزومة تقول لصاحبتها : إنّما تأتي العِيرُ غداً أو بعد غدٍ فأعمَلُ لهم ثم أقضيكِ الذي لك . قال مَجديٌّ : صدقتِ ، ثم خلّص بينهما . وسَمِع ذلك عديٌّ وبَسْبَس فجلسا على بعيريهما ثم انطلقا حتى أتيا رسول الله ﷺ فأخبراه بما سمِعا .

[قدم أبو سفيان إلى بدر متجسّساً ثم اتّجه بالعير نحو الساحل]

وأقبل أبو سفيان حتى[2] تقدّم العير حذراً حتى ورد الماء ، فقال لمجديّ بن عمرو : هل أحسستَ أحداً ؟ قال : ما رأيت أحداً أُنكره ، إلاّ أنّي رأيت راكبين أناخا إلى هذا التلِّ ثم استقيا في شَنٍّ لهما ثم انطلقا . فأتى أبو سفيان مُناخَهما فأخذ من أبعار بعيرَيهما ففتَّه فإذا فيه النَّوى ، فقال : هذه والله علائفُ يَثْرِب . فرجع إلى أصحابه سريعاً فصَرَفَ وجهَ عِيرِه عن الطريق فساحَلَ[3] بها وترك بدراً يَساراً ، ثم انطلق حتى أسرع .

[رؤيا جهيم بن أبي الصلت]

وأقبلت قريش ، فلمّا نزلوا الجُحفة رأى جُهَيم بن أبي الصَّلت بن مَخرَمة بن عبد المُطَّلِب بن عبد مَنافٍ رُؤيا ، فقال : إنّي رأيت فيما يرى النائم ، وإنّي لَبَيْن النائم واليقظان إذْ نظرتُ إلى رجلٍ أقبلَ على فَرَسٍ حتى وقف ومعه بعيرٌ له ثم قال : قُتِل عتبة بن ربيعة ، وشَيْبةُ بن ربيعة ، وأبو الحكم بن هشام ، وأُميَّة بن خلَفٍ ، وفلانٌ وفلان ، فعدّد رجالاً ممّن قُتِل يومئذٍ من أشراف قريش ، ورأيتُه ضرَب في لَبّة بعيره ثم أرسله في العسكر ، فما بقي خِباءٌ من أخبية العسكر إلاّ أصابه نَضْحٌ من دمه . قال : فبلغتْ أبا جهل فقال : وهذا أيضاً نبيٌّ آخَرُ من بني عبد المطّلب !

1 السيرة : 618–620 .
2 ل : حين .
3 ساحل : اتّجه نحو الساحل .

سيعلم غداً مَن المقتول إنْ نحن التقينا .

[نصح أبو سفيان بالرجوع فأبى أبو جهل]

ولمّا رأى أبو سفيان أنّه قد أحرز عِيرَه ، أرسل إلى قريش : إنّكم إنّما خرجتم لتمنعوا عِيرَكم ورحالكم وأموالكم فقد نَجّاها الله فارجِعوا . فقال أبو جهل : والله لا نرجع حتى نَرِدَ بدراً ، وكان بدرٌ مَوْسِماً من مواسم العرب تجتمع به ، لهم بها سُوقٌ كلَّ عام ، فنُقيم عليه ثلاثاً ، ونَنْحَرُ الجُزُرَ ونُطْعم الطعامَ ونسقي الخمور ، وتَعْزِف علينا القِيان ، وتسمَع بنا العربُ [بمسيرنا وجَمْعِنا] ، فلا يزالون يَهابُوننا أبداً ، فامْضُوا .

[رجوع بني زهرة]

فقال الأَخنس بن شَرِيق بن عمرو [بن وَهْبٍ] الثَّقَفِيّ ، وكان حليفاً لبني زهرة ، وهم بالجُحفة : يا بني زهرة قد نَجَّى الله لكم عِيرَكم وخلّص لكم صاحبكم مَخْرَمَةَ بن نوفَلَ ، وإنّما نَفَرتم لتمنعوه وماله ، فاجعلوا بي جُبْنَها وارجِعوا ؛ فإنّه لا حاجة بكم في أن تخرُجوا في غير ضيعةٍ لِما يقول هذا (يعني أبا جهل) ؛ فلم يَشْهَدْها زُهْرِيّ ، وكان فيهم مُطاعاً ، ولم يكن بَقِي من قريش بطنٌ إلاّ نَفَر منهم ناسٌ ، إلاّ بني عَدِيّ بن كعب لم يخرج منهم رجلٌ واحد . فرجعتْ بنو زهرة مع الأَخْنَس بن شَرِيق ، فلم يشهد بدراً من هاتين القبيلتين أحد . ومضى القوم .

[اتّهام قريش لبني هاشم]

وقد كان بين طالب بن أبي طالب ، وكان في القوم ، وبين بعض قريش محاورةٌ ؛ فقالوا : والله لقد عرفنا يا بني هاشم ، وإنْ خرجتم معنا ، أنّ هواكم [لمع] محمد ؛ فرجع طالبٌ إلى مكّة فيمن رجع . وأمّا ابن الكلبيّ فإنّه قال فيما حُدِّثتُ عنه : شَخَص طالبُ بن أبي طالب إلى بدرٍ مع المشركين ، أُخْرِج كَرْهاً ، فلم يوجَد في الأَسرى ولا في القَتلى ولم يرجع إلى أهله ، وكان شاعراً ، وهو الذي يقول : [من الرجز]

يـا رَبِّ إمَّا يَغْزُوَنّ طالِبْ ... في مِقْنَبٍ من هـذه المَقانِبْ
فَلْيَكُنِ المسلوبَ غيرَ السالِبْ ... وليكـنِ المغلوبَ غيرَ الغالِبْ

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق[1]

[نزول قريش بالعدوة القصوى من الوادي]

قال : ومضت قريشٌ حتّى نزلوا بالعُدوةِ القصوى من الوادي خلفَ العَقنقَل . وبطنُ

1 السيرة : 620–621 .

الوادي ، وهو يَلْيَل ، بين بَدْرٍ وبين العقنقل : الكثيب الذي خَلْفَه قريشٌ . والقَلِيب ببدر من العُدْوة الدنيا من بطن يَلْيَل إلى المدينة . وبعث اللهُ عزّ وجلّ السماءَ ، وكان الوادي دَهْساً ، فأصاب رسول الله ﷺ [وأصحابه منها] ما لَبَّد لهم الأرضَ ولم يمنعهم المسيرَ ، وأصاب قريشاً منها ما لم يَقدِروا على أن يرتحِلوا معه . فخرج رسولُ الله ﷺ يبادرهم إلى الماء حتى حاذى ماءً من مياه بَدْرٍ فنزل به .

[مشورة الحباب بن المنذر على النبي]

قال ابن إسحاق : فحدّثني عشرة رجالٍ من بني سَلَمةَ ذكروا أنّ الحُبابَ بن المُنذِر بن الجَمُوح قال : يا رسول الله ، أرأيتَ هذا المنزلَ ، أمنزلٌ أنْزَلَكَهُ الله ليس لنا أن نتقدّمه ولا نتأخّر عنه ، أم هو الرأي والحربُ والمكيدة ؟ قال : «بل هو الرأي والحرب والمكيدة» . فقال : يا رسول الله ، إنّ هذا ليس لك بمنزل ، فانهض بالناس حتى تأتي أدنى ماءٍ من مياه القوم فتنزله ، ثم تُعوِّرَ ما سواه من القُلُب ثم تبني عليه حوضاً فتملأه ماءً ، ثم نُقاتل القوم فنشرب ولا يشربوا . فقال رسول الله ﷺ : «لقد أشرتَ بالرأي» . فنهض رسول الله ﷺ ومَنْ معه من الناس حتى أتى أدنى ماءٍ من القوم فنزل عليه . ثم أَمَر بالقُلُب فعُوِّرَتْ وبَنَوا حوضاً على القَليب الذي نزل عليه فمُلِىء ماءً ثم قذفوا فيه الآنية .

[بناء عريش من جريد للنبيّ]

قال محمد بن إسحاق : فحدّثني محمد بن أبي بكر أنّ سعد بن مُعاذ قال : يا رسول الله ، نَبْني لك عَريشاً من جريدٍ فتكون فيه ونُعِدّ عندك ركائبَك ، ثم نَلقى عدوَّنا ؛ فإن نحن أعزّنا الله وأظهَرَنا على عدوّنا كان ذلك ما أحببنا ، وإن كانت الأخرى جلستَ على ركائبك فلَحِقتَ بمن وراءنا من قومنا ؛ فقد تخلَّف عنك أقوامٌ يا نبيّ الله ما نحن بأشدَّ حُبّاً لك منهم ، [ولو ظنّوا أنّك تلقى حرباً ما تخلَّفوا عنك ، يمنعك الله بهم ، يُناصحونك ويُجاهدون معك] . فأثنى [عليه] رسول الله ﷺ خيراً ، ودعا له بخير .

[إقبال قريش ودعاء النبيّ عليها]

ثم بُنِي لرسول الله ﷺ عَريشٌ فكان فيه . وقد ارتحلت قريشٌ حين أصبحت وأقبلت . فلمّا رآها رسول الله ﷺ تَصَوَّبُ من العقنقل ، وهو الكثيب الذي منه جاؤوا ، إلى الوادي قال : «اللهمّ هذي قريشٌ قد أقبلت بُخَيلائها وفَخْرها تُحادُّكَ وتكذِّب رسولَك . اللهمّ فنَصْرَكَ الذي وعدتَني . اللّهمّ فأَحِنْهُمُ الغداة» . وقد قال رسول الله ﷺ ورأى عُتبة بن ربيعة في القوم على جمل له أحمر : «إنْ يكن عند أحدٍ من القوم خيرٌ فعند صاحب الجمل الأحمر إنْ يُطيعوه يرشُدوا» .

[عرض خفاف بن إيماء معونته على قريش]

وقد كان خُفافَ [بن إيماء] بن رَحَضة الغِفاريّ ، أو أبوه أَيْما بن رَحَضة ، بعث إلى قريش حين مَرُّوا به ابناً له بجزائر أهداها لهم وقال لهم : إنْ أحببتم أن نُمِدّكم بسلاحٍ ورجالٍ فعلنا . فأرسلوا [إليه] مع ابنه : أنْ وَصَلَتْك رحِمٌ ! فقد قضيتَ الذي عليك . فلَعَمْرِي لئن كنّا إنّما نُقاتل الناسَ فما بنا ضعفٌ [عنهم] ، ولئن كنّا نقاتل الله كما يزعم محمد فما لأحد بالله من طاقة . فلمّا نزل الناس أقبل نفرٌ من قريش حتى وردوا الحوض حوض رسول الله ﷺ . فقال رسول الله ﷺ : «دَعُوهم» . فما شَرِب منهم رجلٌ إلاّ قُتِل يومئذٍ ، إلاّ ما كان من حَكيم بن حزامٍ فإنّه لم يُقتل ، نجا على فرس له يقال له الوَجيه ، وأسلمَ بعد ذلك فحَسُنَ إسلامه ؛ فكان إذا اجتهد [في] يمينه قال : والذي نجّاني من يوم بَدْرٍ .

[بعثت قريش عمير بن وهب متجسّساً فأخبرهم بما روّعهم]

قال محمد بن إسحاق[1] : وحدّثني أبي إسحاق بن يسار وغيره من أهل العلم عن أشياخ من الأنصار قالوا : لمّا اطمأنّ القوم بعثوا عُمَير بن وهبٍ الجُمَحيّ فقالوا : احزُرْ لنا أصحاب محمد ؛ فاستجال بفرسه حول العسكر ثم رجع إليهم ، فقال : ثلاثمائة رجل يزيدون قليلاً أو ينقُصونه ، ولكن أَمْهِلوني حتى أنظر : أَلِلقَوم كمينٌ أو مددٌ . قال : فضرب في الوادي حتى أمعن ، فلم يرَ شيئاً ، فرجع فقال : لم أَرَ شيئاً ، ولكن قد رأيت يا معشر قريش الوَلايا تحمِل المَنايا ! نواضِحَ يثرب تحمل الموت الناقع ؛ قومٌ ليس لهم منعةٌ ولا ملجأ إلاّ سيوفهم . والله ما أُرَى أن يُقتَلَ رجلٌ منهم حتى يقتلَ رجلاً منكم ! فإذا أصابوا منكم أعدادهم ، فما خيرُ العيش بعد ذلك ! فَرَوْا رأيكم . فلمّا سمع حكيم بن حِزامٍ ذلك مشى في الناس فأتى عتبة بن ربيعة وقال : يا أبا الوليد ، إنّك كبيرُ قريش الليلة وسيِّدُها والمطاع فيها ، هل لك إلى أمرٍ لا تزال تُذكَرُ منه بخير إلى آخر الدهر ؟ قال : وما ذاك يا حكيم ؟ قال : تَرجع بالناس وتَحمِل دَمَ حليفِك عمرو بن الحضرميّ . قال : قد فعلتُ ، أنت على ذلك شهيدٌ ، إنّما هو حليفي فعليّ عقلُه وما أُصيبَ من ماله ؛ فَأْتِ ابنَ الحَنْظَلِيَّة فإنّي لا أخشى أن يَسْحَرَ الناسَ غيرُه (يعني أبا جهل بن هشام) .

[حكيم بن حزام يقص حديث بدر لمروان بن الحكم]

حدّثنا محمد قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثنا غمامة بن عمرو السَّهميّ قال حدّثنا مُسَوَّر بن عبد الملك اليربوعيّ عن أبيه عن سعيد بن المسيّب قال : بينا نحن عند مروان بن الحَكَم إذ دخل عليه حاجبه فقال : هذا أبو خالدٍ حكيمُ بن حزام . قال : إيذَنْ له . فلمّا

---

1 السيرة : 622 .

دخل حكيم بن حزام ، قال : مرحباً بك يا أبا خالد ، ادْنُ ؛ فحال له مروان عن صدر المجلس حتى كان بينه وبين الوسادة ، ثم استقبله مروان فقال : حدِّثنا حديث بَدْر . قال : خرجنا حتى إذا نزلنا الجُحفة رجعتْ قبيلةٌ من قبائل قريش بأسرها ، فلم يشهد أحدٌ من مشركيهم بدراً ؛ ثم خرجنا حتى نزلنا العُدْوةَ التي قال الله عزّ وجلّ ؛ فجئت عُتبة بن ربيعة فقلت : يا أبا الوليد ، هل لك أن تذهب بشَرَفِ هذا اليوم ما بقيتَ ؟ قال : أفعلُ ماذا ؟ قال : قلتُ : إنّكم لا تطلبون من محمد إلاّ دَمَ واحدٍ : (ابن الحضرميّ) وهو حليفك ، فتَحَمَّل دِيَتَه فيرجع الناس . قال : أنت وذاك ، وأنا أتحمَّل دِيَتَه ، فاذهبْ إلى ابن الحَنْظَلِيَّة (يعني أبا جهل) فقل له : هل لك أن ترجع اليومَ بمن معك عن ابن عمّك ؟ فجئتُه فإذا هو في جماعةٍ من بين يديه ومن ورائه ، فإذا ابن الحضرميّ واقفٌ على رأسه وهو يقول : قد فسختُ عَقدي من بني عبد شمس ، وعقدي إلى بني مخزوم . فقلت له : يقول لك عُتبة بن ربيعة : هل لك أن ترجع اليوم عن ابن عمِّك بمن معك ؟ قال : أما وجد رسولاً غيرك ؟ قلتُ : لا ، ولم أكن لأكونَ رسولاً لغيره . قال حكيم : فخرج مُبادِراً إلى عتبة وخرجتُ معه لئلاّ يفوتَني من الخبر شيء ، وعُتبة يتّكيء على إيماء بن رَحَضَة الغِفاريّ ، وقد أهدى إلى المشركين عشر جزائر ، فطلع أبو جهل والشرُّ في وجهه ، فقال لعُتبة : انتفخ سَحْرُك ! فقال عُتبة : فستعلم . فسَلَّ أبو جهل سيفَه فضرب به متنَ فرسه ؛ فقال إيماء بن رحَضةَ : بئس المُقام هذا ؛ فعند ذلك قامت الحرب .

رجع الحديث إلى ابن إسحاق[1]

[نصح عتبة بالرجوع فأبى أبو جهل]

ثم قام عُتبة بن ربيعة خطيباً ، فقال : يا معشَر قريش ، والله ما تصنعون بأن تَلْقَوا محمداً وأصحابه شيئاً ! والله لئن أصبتموه ، لا يزال الرجلُ منكم ينظر في وجه رجلٍ يكره النظر إليه ، رجلٍ قَتَلَ ابن عمِّه أو ابن خاله أو رجلاً من عشيرته ، فارجِعوا وخَلُّوا بين محمد وبين سائر العرب ؛ فإن أصابوه فذلك الذي أردتم ، وإن كان غير ذلك ألفاكم ولم تَعدَموا منه ما تريدون . قال حكيم : فانطلقتُ حتى جئت أبا جهل ، فوجدتُه قد نَثَل دِرعاً له من جِرابها وهو يُهَيِّئها ؛ فقلت له : يا أبا الحكم ، إنّ عُتبة أرسلني إليك بكذا وكذا (الذي قال) ؛ فقال : انتفخ والله سَحْرُه حين رأى محمداً وأصحابه . كلاّ والله ! لا مَرجِعَ حتّى يحكم الله بيننا وبين محمد وأصحابه ؛ وما بِعُتْبة ما قال ، ولكنّه قد رأى أنّ

---

1 السيرة : 623 .

محمداً وأصحابه أَكلَةُ جَزُورٍ ، وفيهم ابنُه قد تَخَوَّفكم عليه . ثم بعث إلى عامر بن الحضرميّ فقال له : هذا حليفك يريد أن يرجع بالناس وقد رأيتَ ثَأْرَك بعينك ، فقُمْ فانْشُد خُفرَتَك[1] ومقتل أخيك . فقام عامر بن الحضرميّ فاكتشف[2] ثم صرخ : واعَمْراه ! واعَمْراه ! فحَمِيَتِ الحرب ، وحَقِب[3] أمر الناس ، واستوسقوا على ما هم عليه من الشرِّ ، وأُفسِد على الناس الرَّأي الذي دعاهم إليه عُتبة بن ربيعة . ولمّا بلغ عتبة قول أبي جهل : «انتفخ سَحْرُه» قال : سيعلم مُصَفّر الاسْتِ مَن انتفخ سَحْرُه : أنا أم هو ؟ ثم التمس عتبة بيضةً ليُدخِلها في رأسه فلم يجد في الجيش بيضةً تسَعُه من عِظم هامته ؛ فلمّا رأى ذلك اعتجَرَ على رأسه ببُردٍ له .

[أقسم الأسود بن عبد الأسد ليشربن من حوض المسلمين فقتل]

وقد خرج الأسود[4] بن عبد الأسد المخزوميّ ، وكان رجلاً شرساً سيّيء الخُلق ، فقال : أُعاهد الله لأشربنّ من حوضهم أو لأهدِمَنّه أو لأموتنّ دونه . فلمّا خرج خرج له حمزة بن عبد المطّلب ، فلمّا التقيا ضربه حمزة فأبان قَدَمَه بنصف ساقه وهو دون الحوض ، فوقع على ظهره تَشْخَبُ رجلُه دماً نحو أصحابه ، ثم حبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه يريد أن يُبِرَّ يمينه ، وأتبعه حمزة فضربه حتى قتله في الحوض .

[طلب عتبة بن ربيعة وابنه وأخوه المبارزة فندب لهم النبيّ من قتلهم]

ثم خرج بعده عُتبة بن ربيعة بين أخيه شَيْبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة ، حتى إذا نَصَل[5] من الصفِّ دعا إلى المبارزة ، فخرج إليه فِتية من الأنصار ثلاثة نفرٍ ، وهم : عوف ومُعَوِّذ ابنا الحارث ، وأمُّهما عفراء ، ورجلٌ آخر يقال : هو عبد الله بن رواحة ؛ فقالوا : مَن أنتم ؟ قالوا : رهطٌ من الأنصار . قالوا : ما لنا بكم حاجة . ثم نادى مناديهم : يا محمد ، أخرِج إلينا أكفاءَنا من قومنا . فقال رسول الله ﷺ : «قُم يا حمزة بن عبد المطلب ، قُم يا عبيدة بن الحارث ، قم يا عليّ بن أبي طالب» . فلمّا قاموا ودَنَوا منهم ، قالوا : مَن أنتم ؟ فقال عبيدة : عبيدة ، وقال حمزة : حمزة ، وقال عليٌّ : عليّ . قالوا : نعم أكفاءٌ كِرامٌ . فبارز عبيدة بن الحارث ، وكان أسنَّ القوم ، عتبة بن ربيعة ؛ وبارز حمزة

1 ل : حقوقك .
2 ل : فاكتنف .
3 ل : وخفت .
4 السيرة : 624 .
5 ل : فصل .

شيبةَ بن ربيعة ؛ وبارز عليٌّ الوليدَ بن عتبة . فأمّا حمزة فلم يُمْهِل شيبة أنْ قتله . وأمّا عليٌّ فلم يُمهل الوليد بن عتبة أنْ قتله . واختلف عبيدة وعتبة بينهما بضربتين كلاهما أثبت[1] صاحبه ؛ فكرَّ حمزة وعليٌّ على عتبة بأسيافهما فذفَّفا[2] عليه فقتلاه ، واحتملا صاحبهما عبيدة ، فجاءا به إلى أصحابه وقد قُطِعتْ رِجله ومُخُّه يسيل . فلمّا أتَوا بعبيدة إلى رسول الله ﷺ قال : ألستُ شهيداً يا رسول الله ؟ قال «بلى» . فقال عبيدة . لو كان أبو طالب حيّاً لعلِم أنّي بما قال أحقُّ منه حيث يقول : [من الطويل]

ونُسْلِمُه حتى نُصَرَّعَ حولَه ونَذْهَلَ عن أبنائنا والحَلائِلِ

قال محمد بن إسحاق[3] : وحدّثني عاصم بن عمر بن قَتادة : أنّ عُتبة بن ربيعة قال للفِتية من الأنصار حين انتسبوا له : أكفاءٌ كرامٌ ، إنّما نُريد قومنا . ثم تزاحف الناس ودنا بعضهم من بعض ، وقد أمر رسول الله ﷺ [أصحابه] ألاّ يحمِلوا حتى يأمرهم ، وقال : «إنِ اكتنفكم القوم فانضحوهم عنكم بالنَّبْل» ، ورسول الله ﷺ في العريش معه أبو بكر .

وكانت وقعة بدرٍ يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة من شهر رمضان ، قال ابن إسحاق : كما حدّثني أبو جعفر محمد بن عليّ بن الحسين .

[تعديل النبي لصفوف أصحابه وقصّة سواد بن غزيّة]

قال محمد بن جرير وحدّثنا ابن حميد[4] قال حدّثنا سلَمة قال قال لي محمد بن إسحاق حدّثني حبّان بن واسع بن حبّان عن أشياخٍ من قومه : أنّ رسول الله ﷺ عدّل صفوفَ أصحابه يوم بدرٍ ، وفي يده قدحٌ يُعَدِّل به القوم ، فمرّ بسَواد بن غَزِيّةَ حليف بني عديّ بن النجّار وهو مُسْتَنْتِلٌ من الصفّ ، فطعن رسول الله ﷺ في بطنه بالقِدح ، ثم قال : «اسْتَوِ يا سواد بن غزيّة» . فقال : يا رسول الله ، أوجعتَني ؛ وقد بعثك الله بالحقّ ، فأَقِدْني . قال : فكشف رسول الله ﷺ عن بطنه وقال : «اسْتَقِدْ» ؛ فاعتنقه وقبّل بطنه . فقال : ما حَمَلك على هذا يا سَواد» ؟ فقال : يا رسول الله ، حضر ما ترى ، فلم آمَنِ الموت ، فأردتُ أن يكون آخر العهد بك أن يَمَسَّ جِلدي جلدَك ؛ فدعا له رسول الله ﷺ بخير وقال له خيراً . ثم عدّل رسول الله ﷺ الصفوف ، ورجع إلى العريش ودخله ومعه أبو بكر ليس معه غيره ، ورسول الله ﷺ يُناشد ربّه ما وعده من النصر ، ويقول فيما يقول : «اللهمّ إنْ تَهْلِكْ هذه العِصابة

---

1 أثبته : أثخنه جراحاً .

2 ذفف على الجريح : أجهز عليه .

3 السيرة : 625 .

4 ل : ابن أحمد ، وهو خطأ .

اليوم ، يعني المسلمين ، لا تُعبَد بعد اليوم» ، وأبو بكر يقول : يا نبيَّ الله خَلِّ بعض مُناشدتك ربَّك ؛ فإنّ اللهَ مُنجزٌ لك ما وعدك .

[دعاء النبيّ يوم بدر]

حدّثنا محمد بن جرير قال حدّثنا محمد بن عبيد المُحاربيّ قال حدّثنا عبد الله بن المبارك عن عِكرمة بن عمّار قال حدّثني سِماكٌ الحَنَفيّ قال سمعتُ ابن عبّاس يقول : حدّثني عمر بن الخطّاب قال : لمّا كان يوم بدر ونظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وعِدتِهم وإلى أصحابه وهم نَيِّفٌ على ثلاثمائة ، استقبل الكعبة وجعل يدعو ويقول : «اللّهمّ أَنجِزْ لي ما وعدتَني . اللّهمّ إن تَهْلِك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تُعبَد في الأرض» ، فلم يزل كذلك حتى سقط رداؤُه ؛ فأخذ أبو بكر فوضع رداءَه عليه ، ثم التزمه من ورائه فقال : كفاك يا نبيَّ الله ، بأبي أنت وأُمِّي ، مناشدتك لربّك ، سيُنجزُ لك ما وعدك . فأنزل الله تعالى : ﴿إذ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فاسْتَجابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ المَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ .

حدّثنا محمد قال حدّثنا ابن وكيع قال حدّثنا الثَّقَفيّ (يعني عبد الوهَّاب) عن خالد عن عِكرمة عن ابن عبّاس : أنّ النبيّ ﷺ قال وهو في قُبَّتِه يومَ بدرٍ «اللّهمَّ أسألُك عهدَك ووَعدك . اللّهمّ إن شئتَ لم تُعبَد بعد اليوم» . قال : فأخذ أبو بكر بيده فقال : حسبُك يا نبيّ الله ، فقد ألححتَ على رَبِّك ، وهو في الدِّرع ؛ فخرج وهو يقول : ﴿سَيُهْزَمُ الجَمْعُ ويُوَلُّونَ الدُّبُرَ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ والسَّاعةُ أَدْهى وأَمَرُّ﴾ .

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق[1]

[أخذت النبي سنة ثم انتبه مبشّراً بالنصر ومحرّضاً على القتال]

قال : وقد خَفَق رسول الله ﷺ خَفْقةً وهو في العريش ، ثم انتبه فقال : «يا أبا بكر أتاك نصرُ الله ، هذا جبريل آخِذٌ بعِنان فَرَسه يقوده وعلى ثناياه النَّقْع» . قال وقد رُمِي مِهجَعٌ مولى عُمَر بن الخطّاب بسهمٍ فقُتِل ، فكان أوّلَ قتيلٍ من المسلمين . ثم رُمي حارثة بن سُراقة أحدُ بني عَدِيّ بن النجّار وهو يشرب من الحوض بسهمٍ فأصاب نَحرَه فقُتِل . ثم خرج رسول الله ﷺ إلى الناس فحرّضهم ونَفَّل كلَّ امرىءٍ ما أصاب ، وقال : «والذي نَفْسي بيده لا يُقاتلهم اليوم رجلاً فيُقتَل صابراً مُحتسِباً مُقبلاً غير مُدبرٍ إلاّ أدخله اللهُ الجنّة» .

1 السيرة : 627 وما بعدها .

[استهانة أصحاب النبي بالموت]

فقال عمير بن الحُمام أخو بني سلمة في يده تَمَرات يأكلها : بَخٍ بخ ! أما بيني وبين أن أدخلَ الجنَّة إلاّ أن يقتلَني هؤلاء ! قال : ثم قَذَف التَّمرات من يده وأخذ سيفه فقاتل القوم حتى قُتِل ، وهو يقول : [من الرجز]

رَكْضاً إلى اللهِ بغيرِ زادِ إلاّ التُّقى وعَمَلَ المَعادِ
والصَّبْرَ في اللهِ على الجِهادِ وكلُّ زادٍ عُرْضَةُ النَّفادِ
غيرَ التُّقَى والبِرِّ والرَّشادِ

حدّثنا محمد بن جرير قال حدّثنا ابن حُمَيد قال حدّثنا سلمة قال حدّثنا محمد بن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قَتادة : أنّ عَوفَ بن الحارث ، وهو ابن عَفراء ، قال : يا رسول الله ، ما يُضحك الربَّ من عبده ؟ قال : «غَمْسُه يَدَه في العدوِّ حاسراً» ؛ فنزع دِرعاً كانت عليه فقَذَفها ، ثم أخذ سيفه فقاتل القومَ حتى قُتِل .

[التقاء الفريقين وهزيمة المشركين]

حدّثنا محمد قال حدّثنا ابن حُمَيد قال حدّثنا سلمة عن ابن إسحاق قال وحدّثني محمد بن مسلم الزُّهريّ عن عبد الله بن ثعلبة بن صُعَير العُذريّ حليفِ بني زُهرة قال : لمّا التقى الناس ودنا بعضُهم من بعضٍ ، قال أبو جهل : اللّهمّ أقطَعُنا للرَّحِمِ وآتانا بما لا يُعرَف فأَحِنْهُ الغداة ؛ فكان هو المُستَفْتِحَ على نفسه . ثم إنّ رسول الله ﷺ أخذ حفنةً من الحصباء واستقبل بها قريشاً ، ثم قال : «شاهتِ الوجوه» ثم نَفَحهم بها ، وقال لأصحابه : «شُدُّوا» ؛ فكانتِ الهزيمة ، فقتَل اللهُ مَن قَتَل من صناديد قريش ، وأَسَرَ مَن أَسَر منهم . فلمّا وضع القومُ أيديَهم يأسِرون ، ورسولُ الله ﷺ في العريش ، وسعدُ بن معاذ قائمٌ على باب العريش الذي فيه رسول الله ﷺ مُتَوَشِّحاً بالسيف في نَفَرٍ من الأنصار ، يحرسون رسول الله ﷺ ، يخافون عليه كَرَّةَ العَدوّ ، رأى رسول الله ﷺ ، فيما ذُكِر لي ، في وجه سعد بن مُعاذ الكراهة فيما يصنع الناس ؛ فقال له : «كأنّك كَرِهْتَ ما يصنَع الناس» ! قال : أجَلْ يا رسول الله ! كانت أوّلَ وَقعةٍ أوقعها الله عزّ وجلّ بأهل الشِّرك ؛ فكان الإثخان في القتل أعجبَ إليّ من استبقاء الرجال .

[نهي النبيّ عن قتل جماعة أخرجوا كارهين]

حدّثنا محمد قال حدّثنا ابن حُمَيد قال حدّثنا سلَمة عن محمد بن إسحاق قال ، وحدّثني العبّاس بن عبد الله بن معبد عن بعض أهله عن ابن عبّاس[1] : أنّ رسول الله ﷺ قال لأصحابه

---

1 السيرة : 629 .

يومئذٍ : «إنّي قد عرفتُ أنّ رجالاً من بني هاشم وغيرهم قد أُخرِجوا كَرْهاً لا حاجةَ لهم بقتالنا ؛ فمَن لَقِي منكم أحداً من بني هاشم فلا يقتُلْه ، ومَن لَقِيَ أبا البَخْتَريّ [بن هشام] بن الحارث فلا يقتُله ومن لقي العبّاس بن عبد المطّلب ، عمّ رسول الله ﷺ ، فلا يقتله ، فإنّما خرج مُستكرَهاً» . قال : فقال أبو حُذيفة بن عتبة بن ربيعة : أيُقتَل آباؤنا وأبناؤنا وإخواننا وعشيرتنا ونترك العبّاس ! والله لئن لقيتُه لأُلحِمَنّه السيف ! فبلغتْ رسول الله ﷺ ، فجعل يقول لعمر بن الخطّاب : «يا أبا حَفص أما تسمع إلى قول أبي حذيفة يقول أضرِب وجهَ عمّ رسول الله ﷺ ، بالسيف» . فقال عمر : يا رسول الله ، دَعني فَلأَضْرِبنَّ عُنُقه بالسيف ، فوالله لقد نافقَ . قال عمر : والله إنّه لأوّلُ يومٍ كَناني فيه رسول الله ﷺ بأبي حفص . قال : فكان أبو حُذَيفة يقول : ما أنا بآمنٍ من تلك الكلمة التي قلتُ يومئذٍ ولا أزالُ منها خائفاً إلاّ أن تُكفِّرها عنّي الشهادة ؛ فقُتل يوم اليمامة [شهيداً] .

[سبب نهي النبي عن قتل أبي البختري]

قال : وإنّما نهى رسول الله ﷺ عن قتل أبي البختريّ ، لأنّه كان أكفَّ القوم عن رسول الله ﷺ وهو بمكّة ، كان لا يُؤْذيه ولا يبلُغه عنه بمكّة شيءٌ يكرهه ، وكان ممّن قام في نقض الصحيفة التي كتبت قريش على بني هاشم وبني المطَّلب . فلقيه المُجذَّر بن ذِياد البَلَويّ حليفُ الأنصار من بني عَدِيّ ، فقال المجذّر بن ذياد لأبي البختريّ : إنّ رسول الله ﷺ قد نهى عن قتلك ، ومع أبي البختريّ زميلٌ له خرج معه من مكّة ، وهو جُنادة بن مليحة بن زهير بن الحارث بن أسَد ، وجُنادة رجلٌ من بني ليث . واسم أبي البختري العاصي بن هشام بن الحارث بن أسد ، قال : وزميلي ؟ فقال المجذَّر : لا والله ما نحن بتاركي زميلك ؛ ما أمرنا رسول الله ﷺ إلاّ بك وحدك . قال : والله إذاً لأموتنّ أنا وهو جميعاً ! لا تتحدّث عنّي نساء قريش بين أهل مكّة أنّي تركتُ زميلي حرصاً على الحياة . فقال أبو البختريّ حين نازله المجذّر وأبَى إلاّ القتال وهو يرتجز : [من الرجز]

لن يُسْلِمَ ابنُ حُرَّةٍ أكيلَه حتّى يموتَ أو يرى سبيلَه

فاقتتلا ، فقتله المجذّر بن ذِياد . ثم أتى المجذَّر بن ذِياد رسول الله ﷺ فقال : والذي بعثك بالحقّ ، لقد جَهِدتُ عليه أن يستأسِرَ فآتيك به ، فأبى إلاّ القتالَ ، فقاتلتُه فقتلته .

[عبد الرحمن بن عوف وأميّة بن خلف]

قال محمد بن إسحاق : وحدّثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزُّبير عن أبيه ، قال : وحدّثنيه أيضاً عبد الله بن أبي بكر وغيرهما عن عبد الرحمن بن عوف قال[1] : كان أميّة بن خَلَف لي صديقاً

1 السيرة : 631 .

بمكّة . قال : وكان اسمي عبدَ عمرو ، فسُمِّيت حين أسلمتُ عبدَ الرحمن ونحن بمكّة . قال : وكان يلقاني بمكّة فيقول : يا عبد عمرو ، أَرَغِبتَ عن اسمٍ سمّاك به أبواك ؟ فأقول نعم ؛ فيقول : فإنّي لا أعرف الرحمن ، فاجعل بيني وبينك شيئاً أدعوك به ، أمّا أنت فلا تُجيبني باسمك الأوّل ، وأمّا أنا فلا أدعوك بما لا أعرف . قال : فكان إذا دعاني : يا عبدَ عمرو ، لم أجبه . فقلت : اجعَلْ بيني وبينك يا أبا عليّ ما شئت . قال : فأنت عبد الإله . فقلت نعم . قال : فكنتُ إذا مررتُ به قال : يا عبد الإله فأُجيبه فأتحدّث معه . حتى إذا كان يوم بَدرٍ ، مررتُ به وهو واقفٌ مع عليٍّ ابنه آخذاً بيده ، ومعي أدراعٌ قد سلبتُها وأنا أحملها . فلمّا رآني قال : يا عبد عمرو ، فلم أُجبه . فقال : يا عبد الإله ، قلت نعم . قال : هل لك فيّ فأنا خيرٌ لك من هذه الأدراع ؟ قلت : نعم ، هَلُمَّ إذاً . فطرحتُ الأدراعَ من يدي وأَخذتُ بيده وبيد ابنه عليٍّ ، وهو يقول : ما رأيتُ كاليوم قطُّ ، أما لكم حاجةٌ في اللبن ؟ ثم خرجتُ أمشي بينهما .

[مقتل أميّة بن خلف وابنه]

قال ابن إسحاق : وحدّثني عبد الواحد بن أبي عون عن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الرحمن بن عوف قال : قال لي أُميّة بن خَلَفٍ وأنا بينه وبين ابنه آخذ بأيديهما : يا عبد الإله ، من الرجلُ المُعْلَمُ منكم بريش نَعامةٍ في صدره ؟ قال قلت : ذلك حمزةُ بن عبد المطَّلب . قال : ذلك الذي فَعَل بنا الأفاعيل . قال عبد الرحمن : فوالله إنِّي لأقودهما إذ رآه بِلالٌ معي ، وكان هو الذي يعذّب بِلالاً بمكّة على أن يترك الإسلام ، فيُخرجه إلى رَمضاءِ مكّة إذا حَمِيتْ فيُضْجِعه على ظهره ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتُوضع على صدره ، ثم يقول : لا تزالُ هكذا حتى تفارقَ دينَ محمد ؛ فيقول بِلالٌ : أَحدٌ أَحَدٌ ، فقال بلالٌ حين رآه : رأسُ الكُفر أُميَّةُ بن خَلَفٍ ، لا نجوتُ إن نَجَوَا ! قال : قلت : أيْ بلال ، أبأسِيرَيّ ؟ قال : لا نجوتُ إن نَجَوَا ! قلت : أيْ بلالُ ، أبأسيرَيّ تُسَمِّعُ يا ابن السوداء ! قال : لا نجوتُ إن نَجَوَا ! ثم صرخ بأعلى صوته : يا أنصار الله ، رأسُ الكفر أُميّة بن خلف ، لا نجوتُ إن نَجَوَا . قال : فأحاطوا بنا حتى جعلونا في مثل المَسكَة وأنا أَذُبُّ عنه . قال : فأخلفَ رجلٌ السيفَ فضَرَب رِجْلَ ابنِه فوقع ، وصاح أُميّة صيحةً ما سمعت بمثلها قطُّ . قال قلت : انْجُ بنفسك ولا نَجاءَ ! فوالله ما أُغْني عنك شيئاً . قال : فهَبَروهما بأسيافهم حتى فرغوا منهما . قال : فكان عبد الرحمن يقول : رَحِمِ اللهُ بلالاً ؛ ذَهَب بأدراعي وفَجَعني بأسيريّ .

[قتال الملائكة في غزوة بدر]

قال ابن إسحاق حدّثني عبد الله بن أبي بكر أنّه حدّث عن ابن عبّاس قال حدّثني رجلٌ

من بني غِفار[1] قال : أقبلتُ أنا وابن عمٍّ لي حتى أصعدنا في جبلٍ يُشْرِفُ بنا على بدر ، ونحن مشركان ننتظر الوقعة على مَن تكون الدَّبْرة ؛ فننْهَب مع من يَنهَب . فبينا نحن في الجبل إذ دنتْ منّا سحابةٌ ، فسمِعنا فيها حَمحَمة الخيل ، وسمعتُ قائلاً يقول : أَقْدِمْ حَيزُومُ . قال : فأمّا ابن عمِّي فانكشف قِناعُ قلبه فمات مكانه . وأمّا أنا فكدتُ أهلِك ، ثم تماسكتُ .

قال محمد بن إسحاق حدّثني أبي إسحاق بن يسارٍ عن رجالٍ من بني مازِن بن النجّار عن أبي داود المازنيّ ، وكان شَهِد بدراً ، قال[2] : إنّي لأتْبَعُ رجلاً من المشركين يوم بدرٍ لأضربه ، إذ وقَعَ رأسُه قبل أن يصل إليه سيفي ، فعلمتُ أنّه قد قتَله غيري .

حدّثنا محمد بن جرير قال حدّثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن الحكم المِصريّ قال حدّثنا يحيى بن بُكَيْر قال حدّثني محمد بن إسحاق عن العَلاء بن كَثِير عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن المِسْوَر بن مَخْرَمة عن أبي أمامةَ بن سَهل بن حُنيف قال : قال لي أبي : يا بُنيّ ، لقد رأيتنا يومَ بدرٍ وإنّ أحدنا لَيُشيرُ إلى المُشرِكِ بسيفه فيقَع رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه السيف .

[لباس الملائكة يوم بدر وحنين]

حدّثنا محمد قال حدّثنا ابن حمَيْدٍ قال حدّثنا سلمة عن محمد قال ، وحدّثني الحسن بن عُمارَة قال أخبرنا سلَمة عن الحَكَم بن عُتَيْبة[3] عن مِقْسَم مولى عبد الله بن الحارث عن عبد الله بن عبّاس قال[4] : كانت سِيما الملائكة يوم بدرٍ عمائم بيضاً قد أرسلوها على ظهورهم ، ويوم حُنين عمائم حُمراً ، ولم تُقاتل الملائكة في يومٍ من الأيّام سوى يوم بدر ، وكانوا يكونون فيما سواه من الأيّام مَدَداً وعَدَداً ولا يضرِبون .

[مقتل أبي جهل بن هشام]

حدّثنا محمد قال حدّثنا ابن حُميد قال حدّثنا سلَمة قال ، قال محمد وحدّثني ثور بن زيد مولى بني الدِّيل عن عِكرمة مولى ابن عبّاس عن ابن عبّاس ، قال وحدّثني عبد الله بن أبي بكر ، قالا : كان معاذ بن عمرو بن الجَموح أخو بني سلمة يقول[5] : لمّا فرغ رسول الله ﷺ من غزوة بدر أمر بأبي جهل أن يُلْتَمَس في القتلى ، وقال : «اللهمّ لا يُعجِزنّك» . وكان أوّل مَن لقِي أبا

1 السيرة : 633 .
2 السيرة : 633 .
3 ل : عيينة .
4 السيرة : 633 .
5 السيرة : 634–636 .

جهل مُعاذ بن عمرو بن الجَموح ، قال : سمعتُ القوم ، وأبو جهل في مثل الحَرَجة ، وهم يقولون : أبو الحَكَم لا يُخلَصُ إليه . فلمّا سمعتها جعلتُها من شأني ، فعَمَدتُ نحوه ، فلمّا أمكنني حملتُ عليه ، فضربته ضربةً أطَنَّت[1] قدمَه بنصف ساقه ، فوالله ما شبَّهتها حين طاحت إلاّ كالنواة تَطِيح من تحت مِرضخة[2] النَّوى حين يُضرب بها . قال : وضربني ابنه عكرمة على عاتقي فطرح يدي ، فتعلَّقت بجلدةٍ من جنبي ، وأجهضني القتال عنها ؛ فلقد قاتلتُ عامّة يومي وإنِّي لأسحَبُها خلفي ، فلمّا آذتني جعلتُ عليها رجلي ثم تمطَّيتُ بها حتى طرحتها . قال : ثم عاش معاذ بعد ذلك حتى كان في زمن عثمان بن عفّان .

قال : ثم مرّ بأبي جهلٍ ، وهو عَقيرٌ[3] ، مُعَوِّذ بن عفراء ، فضربه حتى أثبته ، فتركه وبه رمقٌ ، وقاتل معوِّذ حتى قُتِل . فمرّ عبد الله بن مسعود بأبي جهل حين أمر رسول الله ﷺ أن يُلْتَمَس في القتلى ، وقال لهم رسول الله ﷺ فيما بلغني : «انظُروا إنْ خَفي عليكم في القَتْلى إلى أثر جُرح بركبته ؛ فإنِّي ازدحمتُ أنا وهو يوماً على مأدُبةٍ لعبد الله بن جُدعان ونحن غلامان وكنت أشَبَّ ، أو أشَفَّ ، منه بيسير ، فدفعته فوقع على ركبتيه فخُدِش في إحداهما خَدشاً لم يزل أثره فيها بعدُ» . فقال عبد الله بن مسعود : فوجدتُه بآخر رَمَقٍ فعرفتُه ، فوضعتُ رجلي على عنقه . قال : وقد كان ضَبَث[4] بي مرّةً بمكّة فآذاني ولَكَزني ، ثم قلت : هل أخزاك الله يا عدوّ الله ؟ قال : وبماذا أخزاني ! أَعْمَدُ[5] من رجلٍ قتلتموه !؟ لمن الدَّبرة اليوم ؟ قال : قلت : لله ولرسوله ﷺ .

حدّثنا محمد بن جرير قال حدّثنا ابن حُمَيد قال حدّثنا سلَمة عن محمد قال[6] : زعم رجالٌ من بني مخزومٍ أنّ ابن مسعود كان يقول : قال لي أبو جهل : لقد ارتقيتَ يا رُوَيْعِيَ الغنم مُرتَقًى صعباً ؛ ثم احتززتُ رأسه ، ثم جئتُ به رسول الله ﷺ ، فقلت : يا رسول الله ، هذا رأس عدوّ الله أبي جهل . فقال رسول الله ﷺ : «آللهِ الذي لا إله غيرُه» ! ، وكانت يمين رسول الله ﷺ ، قلت : نعم والله الذي لا إله غيره ، ثم ألقيتُ رأسَه بين يَدَي رسول الله ﷺ ؛ قال : فحَمِد اللهَ .

---

1 أطنت : قطعت .

2 مرضخة النوى : حجر يكسر به النوى .

3 عقير : جريح .

4 ضبث بالشيء : قبض عليه بكفّه .

5 أعمد : أعجب .

6 السيرة : 636 .

[تكليم النبي أصحاب القليب بعد موتهم]

قال محمد بن إسحاق وحدّثني يزيد بن رُومان عن عروة بن الزُّبير عن عائشة قالت[1] : لمّا أمر رسول الله ﷺ بالقتلى أن يُطرَحوا في القَليب طُرِحوا فيها إلاّ ما كان من أميّة بن خلفٍ ، فإنّه انتفخ في دِرعه فملأها ؛ فذهبوا به ليخرجوه فتزايل ، فأقرّوه وألقوا عليه ما غيّبه من التراب والحجارة . فلمّا أَلْقَوْهم في القَليب ، وقف رسول الله ﷺ فقال : «يا أهل القَليب هل وجدتُم ما وعدكم ربُّكم حقّاً فإنّي وجدتُ ما وعدني ربِّي حقّاً» . فقال له أصحابه : يا رسول الله ، أتكَلِّم قوماً موتى ؟ قال : «لقد علِموا أنَّ ما وعدهم ربُّهم حقٌّ» . قالت عائشة : والناس يقولون : «لقد سمِعوا ما قلتُ لهم» ، وإنّما قال رسول الله ﷺ : «لقد عَلِموا» .

قال ابن سحاق وحدّثني حميد الطويل عن أَنَس بن مالك قال : لمّا سمع أصحاب رسول الله ﷺ رسول الله ﷺ وهو يقول من جَوف الليل : «يا أهل القليب يا عُتبة بن ربيعة ويا شيبة بن ربيعة ويا أبا جهل بن هشام ، فعدّد مَن كان منهم في القليب ، هل وجدتم ما وعدَكم ربُّكم حقّاً فإنّي قد وجدتُ ما وعدني ربِّي حقّاً» قال المسلمون : يا رسول الله ، أتُنادي قوماً قد جَيَّفوا ! فقال : «ما أنتم بأَسْمَعَ لِما أقول منهم ، ولكنّهم لا يستطيعون أن يُجيبوني» .

قال محمد بن إسحاق وحدّثني بعض أهل العلم : أنَّ رسول الله ﷺ يوم قال هذه المقالة قال : «يا أهل القَليب بئس عشيرة النبيّ كنتم لنبيِّكم ؛ كذَّبتموني وصدّقني الناس ، وأخرجتموني وآواني الناس ، وقاتلتموني ونصرني الناس» . ثم قال : «هل وجدتم ما وَعدكم ربُّكم حقّاً» للمقالة التي قالها . ولمّا أَمَر بهم رسول الله ﷺ أن يُلقوا في القليب ، أُخِذ عُتبة فسُحب إلى القليب ، فنظر رسول الله ﷺ ، فيما بلغني ، إلى وجه أبي حذيفة بن عُتبة ، فإذا هو كئيبٌ قد تغيَّر ؛ فقال رسول الله ﷺ : «يا أبا حُذيفة لعلّك قد دخلك من شأن أبيك شيء» أو كما قال . قال فقال : لا والله يا رسول الله ما شَكَكتُ في أبي ولا في مصرعه ، ولكنّني كنتُ أعرف من أبي رأياً وفضلاً وحِلماً ، فكنتُ أرجو أن يهديه الله إلى الإسلام ، فلمّا رأيتُ ما أصابه وذكرتُ ما مات عليه من الكفر بعد الذي كنتُ أرجو له ، أحزنني ذلك . قال : فدعا رسول الله ﷺ له بخير وقال له خيراً .

[اختلاف المسلمين على الفيء]

ثم إنّ[2] رسول الله ﷺ أمر بما في العسكر ممّا جمع الناس فجُمِع ، واختلف المسلمون فيه : فقال مَن جَمَعه : هو لنا ، وقد كان رسول الله ﷺ نَفَّل كلَّ امرىء ما أصاب . فقال

1 السيرة : 638–639 ، 640 .

2 السيرة : 641–642 .

الذين كانوا يُقاتلون العدوّ ويطلبونهم : لولا نحن ما أصبتموه ، لنحن شَغَلنا القوم عنكم حتى أصبتم ما أصبتم . وقال الذين كانوا يحرسون رسول الله ﷺ مخافة أن يُخالِف إليه العدوّ : والله ما أنتم بأحقّ منّا ، ولقد رأينا أن نقتل العدوّ إذ ولاّنا الله ومَنَحَنا أكتافهم ، ولقد رأينا أن نأخذ المتاع حين لم يكن دونه مَن يمنعه ، ولكن خِفنا على رسول الله ﷺ كَرّةَ العدوّ ، فقُمنا دونه ، فما أنتم بأحقّ به منّا .

[مقتل النضر بن الحارث]

قال ابن إسحاق وحدّثني عاصم بن عُمَر بن قتادة ويزيد بن رُومان[1] : أنّ رسول الله ﷺ جمع الأسارى من المشركين ، وكانوا أربعةً وأربعين أسيراً ، وكان من القَتلى مثلُ ذلك ، وفي الأسارى عُقبة بن أبي معيطٍ ، والنَّضْر بن الحارث بن كَلَدَة ، حتّى إذا كان رسول الله ﷺ بالصَّفراء ، قُتل النَّضر بن الحارث بن كَلَدَة ، قتَله عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه .

[تعنيف سودة لسهيل بن عمرو حين أُسر]

قال محمد بن إسحاق حدّثني عبد الله بن أبي بكر عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة قال[2] : قُدِم بالأسارى حين قَدِم بهم ، وسَودة بنت زَمعة (زوج النبي ﷺ) عند آل عَفراء في مَناحَتهم على عَوْف ومُعَوِّذ ابني عفراء ، وذلك قبل أن يُضرب عليهنّ الحجاب . قال : تقول سودة : والله إنّي لعندهم إذْ أُتينا ، فقيل : هؤلاء الأسارى قد أُتي بهم ، فرُحت إلى بيتي ورسول الله ﷺ فيه ، وإذا أبو يزيد سُهيل بن عمرو في ناحية الحُجرة مجموعةً يداه إلى عنقه بحَبْل . قالت : فوالله ما ملكتُ نفسي حين رأيت أبا يزيد كذلك أن قلتُ : يا أبا يزيد ، أَعْطَيتم بأيديكم ، ألا مُتّم كِراماً ؟ فوالله ما أنبهني إلاّ قولُ رسول الله ﷺ من البيت : «يا سَودة أَعَلى الله وعلى رسوله ؟» قالت فقلت : يا رسول الله ، والذي بعثَك بالحقّ ما ملكتُ نفسي حين رأيت أبا يزيد مجموعةً يداه إلى عنقه بحبل أن قلتُ ما قلت .

[إخبار الحيسمان أهل مكّة عن قتلى بدر]

قال محمد بن إسحاق[3] : وكان أوّلُ مَن قَدِم مكّةَ بمُصاب قريش ، الحَيْسُمان بن عبد الله بن إياس بن ضُبيعة بن رُومان بن كعب بن عمرو الخُزاعيّ . قالوا : ما وراءك ؟ قال : قُتِل عُتبة بن ربيعة ، وشَيبة بن ربيعة ، وأبو الحَكَم بن هشام ، وأُميّة بن خَلَف ، وزَمعة بن الأسود ، وأبو البختريّ بن هشام ، ونُبَيْه ومُنَبِّه ابنا الحجّاج . قال : فلمّا جعل يُعَدِّد أشرافَ قريش قال

---

1 السيرة : 644 .

2 السيرة : 645 .

3 السيرة : 646 .

صفوان بن أُميّة وهو قاعدٌ في الحِجر : والله إن يَعْقِل هذا فسَلُوه عنّي . قالوا : ما فعل صفوان بن أُميّة ؟ قال : هو ذلك جالس في الحِجر ، وقد والله رأيتُ أباه وأخاه حين قُتِلا .

[أبو لهب وتخلّفه عن الحرب ثم موته]

قال محمد بن إسحاق حدّثني حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عبّاس عن عِكرمة مولى ابن عبّاس قال[1] : قال أبو رافع مولى رسول الله ﷺ : كنتُ غلاماً للعبّاس بن عبد المطّلب ، وكان الإسلام قد دَخَلَنا أهلَ البيت ، فأسلم العبّاس وأسلمت أُمّ الفضل ، وأسلمتُ ، وكان العبّاس يَهاب قومَه ، ويكره خِلافَهم ، وكان يكتُم إسلامه ، وكان ذا مالٍ كثير متفرّق في قومه ، وكان أبو لَهَبٍ عدوُّ الله قد تخلَّف عن بدر ، وبعث مكانه العاصي بن هشام بن المُغيرة ، وكذلك صَنعوا ، لم يتخلّف رجلٌ إلاّ بعث مكانه رجلاً . فلمّا جاء الخبر عن مُصاب أهل بدرٍ من قريش ، كَبَته الله وأخزاه ، ووجدنا في أنفسنا قوّةً وعزّاً ؛ وكنت رجلاً ضعيفاً ، وكنتُ أعملَ القِداح أَنحَتُها في حُجرة زَمزم ؛ فوالله إنّي لجالسٌ فيها أَنحَت القِداح ، وعندي أُمّ الفضل جالسة وقد سَرَّنا ما جاءنا من الخبر ، إذ أقبل الفاسقُ أبو لَهَبٍ يَجُرُّ رِجليه يسير حتى جلس على طُنب الحُجرة ، فكان ظهرُه إلى ظهري . فبينا هو جالس إذ قال الناس : هذا أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطّلب قد قَدِم ؛ فقال أبو لهب : هَلُـمَّ إليّ يا ابن أخي ، فعندك لعمري الخبر . فجلس إليه والنّاس قيامٌ عليه . فقال يا ابن أخي أَخبرني كيف كان أمرُ الناس ؟ قال : لا شيء والله ، إنْ كان إلاّ أنْ لَقِيناهم فأَبحناهم أكتافَنا يقتلون ويأسِرون كيف شاؤوا . وايْمُ اللهِ مع ذلك ما لُمتُ الناس ، لَقينا رجالاً بِيضاً على خيلٍ بُلقٍ بين السماء والأرض ما تُليق شيئاً ولا يقوم لها شيء . قال أبو رافع : فرفعتُ طُنُبَ الحُجرة بيدي ، ثم قلتُ : تلك واللهِ الملائكة ، فرفع أبو لَهَب يدَه فضرب وجهي ضربةً شديدة . قال : فساورتُه فاحتملني فضرب بي الأرض ، ثم بَرَك عليّ يضربني ، وكنتُ رجلاً ضعيفاً ؛ فقامت أُمّ الفضل إلى عمود من عُمُد الحُجرة فأخذتْه فضربته به ضربةً ، فشَجّتْ في رأسه شَجَّةً مُنكَرة وقالت : أتَسْتَضعفه أنْ غاب عنه سيِّده ؟ فقام مُوَلِّياً ذليلاً . فوالله ما عاش فيها إلاّ سبع ليالٍ حتى رماه الله جلّ جلاله بالعَدَسة فقتلته ؛ فلقد تركه ابناه ليلتين أو ثلاثاً لا يَدفِنانه حتّى أَنْتَن في بيته ، وكانت قريش تَتَّقي العَدَسة كما يُتّقى الطاعون ، حتى قال لهما رجلٌ من قريش ويحكما ! لا تَستَحِيـان أنّ أباكما قد أنتن في بيته لا تُغَيِّبانه ! فقالا : نخشى هذه القرحة . قال : فانطلِقا فأنا معكما . فما غسَّلوه إلاّ قَذْفاً بالماء عليه من بعيد ما يَمَسُّونه ؛ فاحتملوه فدفنوه بأعلى مكّة على جدار ، وقذفوا عليه الحجارة حتى واروْه .

1 السيرة : 646–647 .

[العباس بن عبد المطّلب وتألّم النبي لأسره]

قال محمد بن إسحاق وحدّثني العبّاس بن عبد الله بن مَعبَد عن بعض أهله عن الحَكَم بن عُتَيبة عن ابن عبّاس قال : لمّا أمسى القومُ من يوم بدرٍ ، والأسارى محبوسون في الوَثاق ، بات رسول الله ﷺ ساهراً أوّلَ ليلته . فقال له أصحابه : يا رسول الله ، ما لك لا تنام ؟ فقال : «سمعتُ تَضَوُّرَ العبّاس في وثاقه» ؛ فقاموا إلى العبّاس فأطلقوه ؛ فنام رسول الله ﷺ .

قال ابن إسحاق وحدّثني الحسن بن عُمارة عن الحكم بن عُتيبة عن ابن عبّاس قال : كان الذي أَسَر العبّاس أبو اليَسَر كعبُ بن عمرو أخو بني سَلَمة ، وكان رجلاً مجموعاً ، وكان العبّاس رجلاً جسيماً . فقال رسول الله ﷺ لأبي اليَسَر : «كيف أَسَرْتَ العبَّاس يا أبا اليَسَر» ؟ فقال : يا رسول الله ، أعانني عليه رجلٌ ما رأيته قبل ذلك ولا بعده ، هيئته كذا وكذا . فقال رسول الله ﷺ : «لقد أعانك عليه مَلَكٌ كريم» .

[طلب منه النبي الفداء وأخبره عن أمواله بمكّة]

قال ابن إسحاق عن الكلبيّ عن أبي صالح عن ابن عبّاس : أنّ رسول الله ﷺ قال للعبّاس بن عبد المطّلب حين انتُهِي به إلى المدينة : «يا عبّاس افْدِ نَفسَك ، وابنَ أخيك عَقِيل بن أبي طالب ، ونوفل بن الحارث ، وحليفك عتبة بن عمرو بن جَحْدَم أخا بني الحارث بن فِهْر ؛ فإنّك ذو مال» . فقال : يا رسول الله ، إنّي كنتُ مُسلِماً ولكنّ القومَ استكرهوني . فقال «الله أعلم بإسلامك ، إن يكن ما تذكُر حقّاً فالله يَجزِيك به ، فأمّا ظاهرُ أمرك فقد كان علينا ؛ فافْدِ نفسك» . وكان رسول الله ﷺ قد أخذ منه عشرين أوقِيّةً من ذهب . فقال العبّاس : يا رسول الله ، احسُبْها لي في فِدائي . قال : «لا ، ذلك شيء أعطاناه الله منك» . قال : فإنّه ليس لي مال . قال قال : «فأين المالُ الذي وضعته بمكّة حين خرجت من عند أُمّ الفضل بنت الحارث ليس معكما أحدٌ ، ثم قلتَ لها إن أُصِبْتُ في سَفرتي هذه فلِلْفَضْل كذا ولعبد الله كذا ولِقَثَم كذا ولعبيد الله كذا» ؟ قال : والذي بعثَك بالحقّ ما عَلِم هذا أحدٌ غيري وغيرها ، وإنّي لأعلم أنّك رسول الله . ففَدى العبّاس نفسَه وابنَ أخيه وحليفَه .

[فدت زينب زوجها فردّ عليها النبي الفداء]

قال ابن إسحاق : وحدّثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزُّبير عن أبيه عن عائشة قالت[1] : لمّا بَعَث أهلُ مكّة في فِداء أُسراهم ، بعثتْ زينب بنت رسول الله ﷺ في فداء أبي العاصي بن الربيع بمال ، وبعثت فيه بقِلادةٍ لها كانت خديجة أدخلتها بها على أبي العاصي حين بَنَى عليها . فلمّا رآها رسول الله ﷺ رَقَّ لها رِقّةً شديدة وقال : «إنْ رأيتم أن تُطلِقوا لها أسيرَها وتَرُدُّوا عليها

1 السيرة : 653 .

الذي لها فافعلوا» ! فقالوا : نعم يا رسول الله ؛ فأطلقوه وردّوا عليها الذي لها .

[رثاء الأسود بن المطّلب لأولاده]

قال ابن إسحاق : حدّثني يحيى بن عبّاد عن أبيه قال[1] : ناحت قريش على قَتلاها ، ثم قالت : لا تفعلوا فيبلُغَ ذلك محمداً وأصحابه فيَشْمَتوا بكم ، ولا تبعثوا في فِداء أَسراكم حتى تستَأْنوا بهم ، لا يتأرَّب عليكم محمد وأصحابُه في الفداء . قال : وكان الأَسود بن المطَّلب قد أُصيب له ثلاثةٌ من ولده : زَمَعَةُ وعقيل والحارث بنو الأسود ، وكان يُحِبّ أن يبكي على بَنيه . فبينا هو كذلك إذ سمع نائحةً في الليل ، فقال لغلامه وقد ذهب بصره : انظر هل أُحِلَّ النَّحيب ؟ وهل بكت قريش على قَتلاها ؟ لعلّي أبكي على أبي حَكِيمة (يعني زَمعةَ) ؛ فإنّ جَوْفي قد احترق . فلمّا رجع إليه الغلام قال : إنّما هي امرأةٌ تبكي على بعيرٍ لها أضلّته ؛ فذلك حين يقول الأسود : [من الوافر]

أتبكي أنْ أُضِلَّ لها بعيرٌ ... ويَمْنَعُها البكاءُ من الهُجودِ

ولا تَبْكي على بَكْرٍ ولَكِنْ ... على بَدْرٍ تَقاصَرتِ الجُدُودُ[2]

على بَدْرٍ سَراةَ بني هُصَيْصٍ ... ومَخْزومٍ ورَهْط أبي الوليدِ

وبَكّي إنْ بَكَيْتِ على عَقِيلٍ ... وبَكّي حارثاً أَسَدَ الأُسودِ

وبَكّيهم ولا تُسْمي جميعًا ... فما لأبي حَكِيمةَ من نَدِيدِ

أَلا قد سادَ بَعْدَهُمُ رجالٌ ... ولولا يومُ بَدْرٍ لم يَسودُوا[3]

[رثاء هند بنت عتبة أباها]

ومّما قيل في بدر من الشعر وغُنّي به قول هند بنت عُتبة ترثي أباها[4] : [من مجزوء الكامل]

صوت

مَنْ حَسَّ لي الأَخَوَيْنِ كالـ ... ـغُصْنَينِ أو مَنْ راهُما

قَرْمانِ لا يَتظالَما ... نِ ولا يُرامُ حِماهُما

وَيْلِي على أَبَوَيَّ والْـ ... ـقَبْرِ الذي واراهُما

---

1 السيرة : 647–648 .

2 في هذا البيت إقواء .

3 في هذا البيت إقواء .

4 وردت هذه الأبيات في ديوان الخنساء (طبعة دار صادر ، بيروت ، 1963) وأثبت في الحاشية أنّها تنسب لهند بنت عتبة .

لا مِثْلَ كَهْلي في الكُهُو ... لِ ولا فَتًى كَفَتاهُما

ذكر الهشاميّ أنّ الغناء لابن سريج رمل ، وفي الكتاب الكبير المنسوب إلى إسحاق أنّه للغريض ، وتمام هذه الأبيات : [من مجزوء الكامل]

أَسدانِ لا يَتَذَلَّلا ... نِ ولا يُرامُ حِماهُما
رُمْحَيْنِ خَطِّيَّيْنِ في ... كَبِدِ السماءِ تراهُما
ما خَلَّفا إذ وَدَّعا ... في سُودَدٍ شَرْواهُما
سادا بغير تَكَلُّفٍ ... عَفْواً يَفِيضُ نَداهُما

[معاظمتها الخنساء بعكاظ وشعرهما في مصابهما]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني الحارث بن أبي أُسامة قال حدّثنا محمد بن سعد عن الواقِديّ ، وأخبرني ابن أبي الأَزهر قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الواقديّ عن عبد الرحمن بن أبي الزِّنادَ قال : لمّا كانت وقعة بدرٍ ، قُتِل فيها عُتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، والوليد بن عُتبة ؛ فأقبلت هند بنت عُتبة تَرثيهم ، وبَلَغها تَسْوِيمُ[1] الخَنساء هَوْدَجَها في الموسمِ ومعاظمتها العرب بمُصيبتها بأبيها عمرو بن الشَّريد وأَخوَيها صخرٍ ومعاوية ، وأنّها جعلتْ تشهد الموسم وتبكيهم ، وقد سوّمت هودَجها براية ، وأنّها تقول : أنا أُعظم العرب مصيبةً ، وأنّ العرب قد عرفتْ لها بعض ذلك . فلمّا أُصيبت هند بما أُصيبت به وبلغها ذلك ، قالت : أنا أعظم من الخنساء مصيبةً ، وأمرتْ بهودجها فسُوِّمَ براية ، وشَهِدَت الموسم بعُكاظ ، وكانت سوقاً يجتمع فيها العرب ، فقالت : اقْرِنوا جَمَلي بجمل الخنساء ، ففعلوا . فلمّا أن دنتْ منها ، قالت لها الخنساء : مَن أنتِ يا أُخَيَّة ؟ قالت : أنا هند بنت عُتبة أعظمُ العرب مصيبةً ، وقد بلغني أنّكِ تُعاظِمين العرب بمصيبتك ، فبِمَ تُعاظِمِينَهم ؟ فقالت الخنساء : بعَمرِو بن الشَّريد ، وصخرٍ ومعاوية ابني عمرو ، وبِمَ تُعاظمينهم أنتِ ؟ قالت : بأبي عُتبة بن ربيعة ، وعَمِّي شيبة بن ربيعة ، وأخي الوليد . قالت الخنساء : أَوَ سَواءٌ هُمْ عندكِ ؟ ثم أنشدتْ تقول[2] : [من الطويل]

أُبَكِّي أبي عَمْراً بعينٍ غَزِيرَةٍ ... قليلٌ إذا نامَ الخَليُّ هُجودُها
وصِنْوَيَّ لا أَنْسى مُعاويةَ الذي ... لَه من سَراةِ الحَرَّتَيْن وُفودُها

---

1 تسويم : وضع علامة للتمييز .

2 في الديوان (طبعة دار صادر) أن هند بنت عتبة أنشدت والخنساء أجابت مع أن في مقدمة الشعر ما يفيد أن شارح الديوان إنّما ينقل عن الأغاني .

وصخراً ، ومَنْ ذا مثلُ صخرٍ إذا غَدا بساهمـة الآطـالِ قُبّاً يَقودُها[1]
فذلك يـا هندُ الرَّزِيَّـة فاعْلَمي ونيـرانُ حَـرْبٍ حين شَبَّ وَقودُها

فقالت هند تُجيبها : [من الطويل]

أَبَكِّي عَمِيدَ الأَبْطَحَيْنِ كِلَيْهِما وحاميهما مـن كلِّ باغٍ يُريدها[2]
أَبِي عُتْبَةُ الخَيْراتِ وَيْحَكِ فاعْلَمي وشَيْبةُ والحامي الذِّمارَ وليدُها
أولئكَ آلُ المَجْدِ مـن آلِ غالبٍ وفي العِـزِّ منها حين يَنْمـي عَدِيدُها

وقالت لها أيضاً يومئذٍ : [من مجزوء الكامل]

مَـنْ حَسَّ لي الأَخَوَيْنِ كالـ ـغُصْنَيـنِ أو مَـنْ راهُمـا

[لم ينكر معاوية على عبد الله بن جعفر سماعه الغناء]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال حدّثني بعض القُرَشيِّين قال : قَدِمَ عبدالله بن جعفر على معاوية وافداً ، فدخل عليه إنسانٌ ثم ذهب إلى معاوية فقال : هذا ابن جعفر يشرب النبيذ ، ويسمع الغناء ، ويُحَرِّك رأسَه عليه . فجاء معاوية مُتغيِّراً حتى دخل على ابن جعفر ، وعَزَّة المَيْلاءُ بين يديه كالشمس الطالعة في كِواء[3] البيت يُضيء بها البيت ، تُغَنِّيه على عُودها : [من الكامل]

تَبَلتْ فُؤادَكَ في الظلامِ خَريدةٌ تَشْفِي الضَّجيعَ ببارِدٍ بَسّامِ[4]

وبين يديه عُسٌّ ؛ فقال : ما هذا يا أبا جعفر ؟ قال : أقسمتُ عليك يا أمير المؤمنين لتَشْرَبَنَّ منه ، فإذا عسلٌ مَجدوحٌ بمِسْكٍ وكافور . فقال : هذا طَيِّبٌ ، فما هذا الغِناء ؟ قال : هذا شعرُ حسَّان بن ثابت في الحارث بن هشام . قال : فهل تُغَنِّي بغير هذا ؟ قال : نعم ، بالشعر الذي يأتيك به الأعرابيّ الجافي الأَدفَر ، القبيح المنظر ، فيُشافِهُك به ، فتُعطيه عليه ؛ وآخذه أنا ، فأختار محاسنه ورقيق كلامه ، فأعطيه هذه الحسنة الوجه ، اللَّيِّنة اللمس ، الطيبة الريح ، فتُرَتِّله بهذا الصوت الحسن . قال : فما تحريكُكَ رأسَك ؟ قال : أَريحيَّة أجدُها إذا سمعت الغناء ، لو سُئلت عندها لأَعطيتُ ، ولو لَقِيت لأَبْلَيت . فقال معاوية : قَبَّح اللهُ قوماً عَرَّضوني لك . ثم خرَج وبَعَث إليه بصِلَةٍ .

1 بساهمة الآطال في ل : بسلهبة الأبطال .
2 الأبطحان : بطحاء مكّة وسهل تهامة .
3 كواء : جمع كوة وهي النافذة .
4 في الظلام في في ديوان حسان : «في المنام» وتشفي الضجيع «تسقي الضجيع» .

[عمر بن أبي ربيعة ونُعْم]

صوت
من المائة المختارة

[من الخفيف]

أيُّها القلبُ لا أراكَ تُفِيقُ ... طالَما قدْ تَعَلَّقَتْكَ العَلُوقُ[1]

مَنْ يَكُنْ مِنْ هَوى حبيبٍ قريباً ... فأنا النازحُ البعيدُ السَّحِيقُ

قُضِيَ الحُبُّ بيننا فالتقينا ... وكلانا إلى اللِّقاء مَشُوقُ

الشعر في البيت الأوّل والثالث لعُمَر بن أبي ربيعة ، والبيت الثاني ليس له ، ولكن هكذا غُنّي ؛ وليس هو أيضاً مُشاكِلاً لحكاية ما في البيت الثالث . والغِناء لبابَوَيْه الكُوفيّ ، خفيف ثقيلٍ أوّل . وهذا الشعر يقوله عمر بن أبي ربيعة في امرأة من قريش ، يقال لها نعم ، كان كثيرَ الذِّكر لها في شعره . أخبرني بذلك محمد بن خَلَف بن المَرزبان عن أبي عبد الله التَّميميّ عَنِ القَحْذَمِيّ والمدائنيّ . قال : وهي التي يقول فيها :

أمِنْ آلِ نُعْمٍ أنتَ غادٍ فمُبْكِرُ

قال : وكانت تُكنى أُمَّ بَكْر ، وهي من بني جُمَحَ . وتمامُ هذه الأبيات على ما حكاه ابن المرزبان عمّن ذكرتُ : [من الخفيف]

فالتَقَيْنا ولم نَخَفْ ما لَقِينا ... ليلةَ الخَيْفِ ، والمُنى قد تَشُوقُ

وجرى بيننا فجددَ وصلا ... قُلَّبٌ حُوَّلٌ أريبٌ رفيقُ

لا تَظُنِّي أنّ التَّراسُلَ والبَذْ ... لَ لكلِّ النساء عندي يَلِيقُ

هل لكَ اليومَ إنْ نأتْ أُمُّ بَكْرٍ ... وتَوَلَّتْ إلى عَزاءٍ طريقُ

أخبرني محمد بن خَلَف بن المرزبان قال حُدِّثت عن محمد بن حُمَيد عن عبد الله بن سَوّار القاضي عن بِشْر بن المُفَضَّل قال : بلغَ عُمَرَ بنَ أبي ربيعة أنّ نُعْماً اغتسلت في غَدِيرٍ ، فأتاه فأقام عليه ، وما زال يشرب منه حتى جَفَّ .

أخبرني محمد بن خَلَف قال : قال محمد بن حبيب الراوية : بلغني أنّ نُعْماً استقبلتْ عمرَ بن أبي ربيعة في المسجد الحرام ، وفي يدها خَلُوقٌ من خلوق المسجد ، فمسحتْ به ثوبه ، ومضتْ

---

1 ديوان عمر (طبعة دار صادر) : 266 وقد تضمّن البيت الثاني الذي نفى أبو الفرج نسبته إليه ، ومع بعض اختلاف في الرواية .

وهي تضحك ؛ فقال عمر[1] : [من الخفيف]

أدخل اللهُ ربُّ موسى وعيسى جَنَّةَ الخُلْدِ مَنْ مَلانِي خَلُوقا
مسحتْه من كَفِّها في قميصي حين طافتْ بالبيت مَسْحاً رَفِيقا
غَضِبَتْ أنْ نظرتُ نحوَ نساءٍ ليس يَعْرِفْنَنِي سَلَكْنَ طريقا
وأرى بينها وبين نساء كنتُ أُهْذِي بِهِنَّ بَوْناً سَحِيقا

وهذا البيت الأوّل ممّا عِيب على عمر .

وممّا غُـنّي فيه من تشبيب عمر بنُعْمٍ هذه[2] : [من المديد]

صوت

دِينَ هذا القلبُ مِنْ نُعْمِ بسَقامٍ ليس كالسُّقْمِ
إنّ نُعْماً أَقصدتْ رجلاً آمناً بالخَيْفِ إذ تَرْمي
بشَتِيتٍ نَبْتُه رَتِلٍ طَيِّبِ الأنيابِ والطَّعْمِ
وبِوَحْفٍ مائلٍ رَجِلٍ كعناقيدَ مِن الكَرْمِ

ومنها[3] : [من مجزوء الوافر]

صوت

خَلِيلَيَّ ارْبَعا وسَلا بمَغْنى الحَيِّ قد مثِلا
بأعلى الوادِ عند البئْـ ـرِ هَيَّجَ عَبْرةً سبَلا
وقد تَغْنى به نُعْمٌ وكنت بوَصْلِها جَذِلا
لَيالِيَ لا نُحِبُّ لنا بعَيْشٍ قد مضى بَدَلا
وتَهْوانا ونَهْواها ونَعْصِي قَوْلَ مَنْ عَذَلا
وتُرْسِلُ في مُلاطَفَةٍ ونُعْمِلُ نحوَها الرُّسُلا

غنّاه الهذليّ ، ولحنُه من القَدر الأوسط من الثقيل الأوّل بالسبابة في مجرى الوُسطى عن إسحاق . وفيه لابن سُرَيج لحنان : رملٌ بالبنصر في مجراها عن إسحاق ، وخفيف ثقيلٍ

---

1 ديوان عمر بن أبي ربيعة : 270 .

2 ديوان عمر بن أبي ربيعة : 386 ورواية البيت الأول :

قد أصاب القلب من نُعْمٍ سقم داء ليس كالسقمِ

3 ديوان عمر بن أبي ربيعة : 337 .

بالوسطى عن عمرو . وفيها عن إسحاق ثاني ثقيلٍ ، ولسُلَيْم خفيف رملٍ ، جميعاً عن الهشاميّ . قال : ويقال : إنّ اللحنَ المنسوب إلى سُلَيْمٍ لِحَكَم الوادي .

ومنها من قصيدة أوّلها[1] : [من الطويل]

لقد أرسلتْ نُعْمٌ إلينا أَن ائْتِنا فأَحبِبْ بها من مُرْسِلٍ مُتَغَضِّبِ

يُغَنّى منها في قوله :

صوت

فقلتُ لِجَنّادٍ خُذِ السيفَ واشْتَمِلْ عليه بِرِفْقٍ وارْقُبِ الشمسَ تَغْرُبِ

وأَسْرِجْ لِيَ الدَّهْماءَ واعْجَلْ بِمِمْطَرِي ولا تُعْلِمَنْ حَيّاً مِنَ النّاسِ مَذْهَبِي

فلمّا التقينا سَلّمتْ وتبسَّمَتْ وقالتْ مقالَ المُعْرِضِ المُتَجَنِّبِ

أَمِنْ أجلِ واشٍ كاشحٍ بنميمةٍ مَشَى بيننا صَدَّقْتَه لم تُكَذِّبِ[2]

وقَطَّعْتَ حبلَ الوصلِ منّا ، ومَنْ يُطِعْ بذِي ودِّه قولَ المُؤَرِّشِ يُعْتَبِ[3]

صوت

[من مجزوء الكامل]

ما بالُ أهْلكِ يا رَبابُ خُزْراً كأنَّهُمُ غِضابُ

إنْ زُرْتُ أهلَكِ أَوْعَدُوا وتَهِرُّ دونَهُمُ الكلابُ

عروضه من الكامل ، الشعر لعَلَسٍ ذي جَدَنٍ الحِمْيَرِيّ ، أخبرنا بذلك محمد بن الحسن بن دريد عن عمِّه عن العبّاس بن هشام عن أبيه . والغناء لطُوَيْس ؛ ولحنُه المختار خفيف رملٍ بالبِنصر .

---

1 ديوان عمر بن أبي ربيعة : 55–56 مع بعض اختلاف في الرواية .

2 مشى في ل : جرى .

3 أرش بين القوم : أفسد .

[48] ـ نسب عَلَس ذي جَدَنٍ وأخباره

[نسبه]

هو عَلَسُ بن زيد بن الحارث بن الغَوْث بن سعد بن عوف بن عديّ بن مالك بن زيد الجُمهور بن سَهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جُشَمَ بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قَطَن بن عَريب بن زهير بن أعز بن الهمّ بن الهَمَيْسَع بن حِمْيَر بن سَبأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قحطان . وهو مَلِكٌ من ملوك حِمْيَر . ولُقِّب ذا جَدَنٍ لحسن صوته ، والجَدَن : الصوت بلغتهم ، ويقال : إنّه أوّل من تغنَّى باليمن .

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن ابن الكلبيّ وأبي مسكين قالا : إنّما سُمِّي ذا جَدَنٍ لحسن صوته .

[قبره بصنعاء وآثاره]

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال حدّثنا عبد الله بن أبي سَعْد قال حدّثنا عليُّ بن الصبّاح عن ابن الكلبيّ عن إسماعيل بن إبراهيم بن ذي الشِّعار الهمدانيّ عن حيّان بن هانيء الأَرْحَبيّ عن أبيه قال : أخبرني رجلٌ من أهل صنعاء : أنّهم حفروا حفيراً في زمن مروان ، فوقفوا على أَزَجٍ له بابٌ ، فإذا هم برجل على سريرٍ كأعظم ما يكون من الرجال ، عليه خاتمٌ من ذهب وعِصابةٌ من ذهب ، وعند رأسه لوحٌ من ذهب مكتوبٌ فيه : «أنا عَلَس ذو جَدَنٍ القَيْلُ ، لخليلي منّي النَّيْل ، ولعَدُوّي منِّي الوَيل . طلبت فأدركتُ وأنا ابن مائة سنةٍ من عمري ، وكانت الوَحشُ تأْذَنُ[1] لصوتي . وهذا سيفي ذو الكفّ عندي ، ودِرعي ذاتُ الفُروج ، ورُمْحي الهزبريّ ، وقوسي الفَجْواء[2] ، وقَرَني[3] ذاتُ الشرّ ، فيها ثلاثمائة حَشْر ، من صنعة ذي نمِر[4] ؛ أعددت ذلك لدفع الموت عنّي فخانني» . قال : فنظرنا فإذا جميعُ ذلك عنده . ووجدت هذا الخبر عن ابن الكلبيّ في بعض الكتب من غير رواية ابن عمّار ، فوجدت فيه : فإذا طولُ السيف اثنا عشر شبراً ، وعليه مكتوبٌ تحت شاربه بالمُسْنَدِ : «بِآستِ امرىء كنتَ في يده فلم يَنْتَصِر» .

انقضت أخباره .

---

1 تأذن لصوتي : تستمع ، تعبيراً عن جمال صوته .

2 القوس الفجواء : هي التي يبين وترها عن كبدها .

3 القرن : الجعبة .

4 ل : ذو نمر ، وهو واد في ديار بني كلاب .

[49] ـ أخبار طويس[1] ونسبه

[أوّل من صنع الهزج والرمل]

طُوَيْسٌ لَقبٌ ، واسمه طاووس ، مولى بني مخزوم . وهو أوّل مَن غنّى الغناء المُتقَن من المخنّثين . وهو أوّل من صنع الهزَج والرَّمَل في الإسلام . وكان يقال : أحسنُ الناس غناءً في الثَّقيل ابن مُحرِز ، وفي الرمل ابن سُرَيج ، وفي الهزج طُوَيْس . وكان الناس يضربون به المثل ، فيقال : «أَهْزَجُ من طُوَيس» .

[غنّى أبان بن عثمان فطرب وسأله عن عقيدته وسنه وشؤمه]

أخبرني محمد بن مَزْيَد بن أبي الأَزهَر والحسين بن يحيى قالا : حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن ابن الكلبيّ عن أبيه وأبي مسكين ، قال إسحاق : وحدّثني المدائنيّ والهيثم بن عَدِيّ عن صالح بن كَيْسان : أنّ أبانَ بن عثمان وفَد على عبد الملك بن مروان ، فأمَّره على الحجاز ؛ فأقبل حتى إذا دنا من المدينة تلقّاه أهلُها ، وخرج إليه أشرافُها ، فخرج معهم طُوَيْس ؛ فلمّا رآه سلَّم عليه ، ثم قال له : أيّها الأمير ، إنّي كنتُ أعطيت اللهَ عهداً لئن رأيتُك أميراً لأَخْضِبَنَّ يديّ إلى المرفَقَيْن ، ثم أَزْدُو[2] بالدُّفّ بين يديك ، ثم أَبْدى عن دُفّه وتغنّى بشعر ذي جَدَنٍ الحِمْيَريّ : [من مجزوء الكامل]

ما بالُ أهلِكِ يا ربابُ خُزْراً كأنّهمُ غِضابُ

قال : فطَرِب أبان حتى كاد أن يطير ، ثم جعل يقول له : حَسْبُك يا طاوُس ، ولا يقول له : يا طُوَيْس لِنُبْلِه في عينه ، ثم قال له : اجْلِسْ فجلس . فقال له أبان : قد زعموا أنّك كافر . فقال : جُعِلتُ فِداءَك ! والله إنّي لأَشْهَدُ أنْ لا إله إلاّ اللهُ وأنّ محمداً رسول الله ، وأُصلّي الخمس ، وأصوم شهر رمضان ، وأَحُجُّ البيت . فقال : أفأنت أكبرُ أم عمرو بن عثمان ؟ ، وكان عمرٌو أخا أبان وأمّه ، فقال له طويس : أنا والله ، جُعِلتُ فداءك ، مع جلائل نساء قومي ، أُمْسِكُ بذُيولهنّ يومَ زُفَّتْ أُمُّك المباركة إلى أبيك الطيِّب . قال : فاستحيا أبان ورمى بطَرْفه إلى الأرض .

وأخبرني بهذه القصّة إسماعيل بن يونس الشّيعيّ قال حدّثنا عُمَر بن شبَّة قال حدّثنا العُتْبيّ

---

1 تقدّم ذكر طويس وأخباره في المجلد الثالث صفحة 22 من الأغاني (ذكر طُويس وأخباره) وقد أعاد أبو الفرج بعض أخباره التي تقدّمت .

2 أزدو : أضرب .

عن أبيه بمثل هذه القصّة عن أبان وطُوَيس . وزاد فيها أنّ طُوَيْساً قال له : نَذْري أيّها الأمير ؛ قال : وما نَذْرُك ؟ قال : نذرتُ إنْ رأيتُك أميراً في هذه الدار أنْ أُغني لك وأَزدُو بِدُفّي بين يديك . فقال له : أوْفِ بنَذْرِك ؛ فإنّ الله عزّ وجلّ يقول : ﴿يُوفُونَ بالنَّذْرِ﴾ . قال : فأخرجَ يديه مخضوبتين ، وأخرج دُفَّه وتَغَنّى : [من مجزوء الكامل]

ما بالُ أهلِكِ يا ربابُ

وزاد فيه : فقال له أبان : يقولون : إنّك مشؤوم ، قال : وفوق ذلك ؛ قال : وما بلغ من شؤمك ؟ قال : وُلِدت ليلة قُبِض النبي ﷺ ، وفُطِمتُ ليلة مات أبو بكر رضي الله عنه ، واحتلمتُ ليلة قُتِل عُمَر رضوان الله عليه ، وزُفَّت إليّ أهلي ليلة قُتِل عثمان رضي الله عنه . قال : فاخرُج عنّي عليك الدَّبارُ[1] .

[أهدر دمه أمير المدينة مع المخنّثين]

أخبرني إسماعيل قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا محمد بن الوليد قال حدّثني مُصعب بن عثمان عن نوفل بن عمارة قال : خرج يحيى[2] بن الحكَم وهو أمير على المدينة ، فبَصُر بشخصٍ بالسَّبَخة ممّا يلي مسجد الأحزاب ، فلمّا نظر إلى يحيى بن الحكم جلَس ، فاستَرابَ به ، فوجَّه أعوانه في طَلَبه ؛ فأُتي به كأنّه امرأةٌ في ثياب مُصَبَّغة مصقولة وهو مُمْتَشِطٌ مُخْتَضِبٌ . فقال له أعوانه : هذا ابن نُغاش المخنَّث . فقال له : ما أحسِبُك تقرأ من كتاب الله عزّ وجلّ شيئاً ، اقرأْ أُمَّ القرآن . فقال : يا أبانا لو عرفت أُمّهنّ عرفتُ البناتِ . فقال له : أتَتَهزَّأ بالقرآن لا أُمَّ لك ! وأمر به فضُرِبت عُنُقه . وصاح في المخنَّثين : مَنْ جاء بواحدٍ منهم فله ثلاثمائة درهم . قال زَرَجون المخنَّث : فخرجتُ بعد ذلك أريد العالية ، فإذا بصوت دُفٍّ أعجبني ، فدنوتُ من الباب حتى فَهِمْتُ نَغَماتِ قومٍ آنسُ بهم ، ففتحتُه ودخلتُ ، فإذا بطُوَيْسٍ قائمٌ في يده الدُّفُّ يتغنّى ؛ فلمّا رآني قال لي : إيه يا زَرَجون ! قَتَل يحيى بنُ الحكَم ابن نُغاش ؟ قلت نعم . قال : وجَعَل في المخنَّثين ثلاثمائة درهم ؟ قلت نعم . فاندفع يغنّي : [من مجزوء الكامل]

ما بالُ أهلكِ يا ربابٌ خُزْراً كأنَّهمُ غِضابُ
إن زرتُ أهلكِ أوعدوا وتَهِرّ دونهمُ كِلابُ

ثم قال لي : ويحك ! أفمَا جعل فيّ زيادةً ولا فَضَّلني عليهم في الجُعل بفضلي شيئاً .

---

1 الدبار : الهلاك .

2 هذا الخبر ممّا كرّره أبو الفرج .

[مالك بن أنس وحسين بن دحمان الأشقر]

أخبرني محمد بن عمرو العتّابيّ قال حدّثنا محمد بن خَلَف بن المرزبان ، ولم أسمعه أنا من محمد بن خلف ، قال حدّثني إسحاق بن محمد بن أبان الكوفيّ قال حدّثني حسين بن دَحمان الأشقر قال : كنتُ بالمدينة ، فخَلا لي الطريق وسطَ النهار ، فجعلتُ أتغنّى : [من مجزوء الكامل]

ما بـــالُ أهلكِ يا رَبابُ   خُـزْراً كأنّهـمُ غِضابُ

قال : فإذا خَوْخَةٌ[1] قد فُتحت ، وإذا وجهٌ قد بدا تَتْبَعُه لحيةٌ حمراء ، فقال : يا فاسق أسأتَ التأدية ، ومنعتَ القائلة ، وأذعتَ الفاحشة ؛ ثم اندفع يغنّيه ، فظننتُ أنّ طويساً قد نُشِر بعينه ؛ فقلت له : أصلحكَ الله ! من أين لك هذا الغناء ؟ فقال : نشأتُ وأنا غلامٌ حَدَثٌ أتبَع المغنّين وآخُذ عنهم ، فقالت لي أُمّي : يا بُنيّ إنّ المُغنّي إذا كان قبيحَ الوجه لم يُلتَفت إلى غنائه ، فدَعِ الغِناء واطلب الفقه ؛ فإنّه لا يضرّ معه قُبح الوجه . فتركت المغنّين واتّبعتُ الفقهاء ، فبلغ الله بي عزّ وجلّ ما ترى . فقلت له : فأعِد جُعِلتُ فداءك ! قال : لا ولا كرامةَ ! أتريد أن تقول : أخذتُه عن مالك بن أنَسٍ ؟ وإذا هو مالك بن أنس ولم أعلم .

صوت

من المائة المختارة

[من الهزج]

لِمَنْ رَبْعٌ بذات الجَيْـ   ـشِ أمْسى دارساً خَلَقا
وقفـتُ بـه أُسائلُـــه   ومَـرّتْ عِيسُهمْ حِزَقا
عَلَـوْا بـك ظاهرَ البَيْدا   ءِ والمحـزونُ قـــد قَلِقا

[حديث انخساف الأرض بجيش يغزو الكعبة]

ذات الجيش : موضع . ذكر النبي ﷺ أنّ جيشاً يغزو الكعبة ، فيُخسَف بهم إلاّ رجلاً واحداً يُقلَب وجهُه إلى قَفاه ، فيرجع إلى قومه كذلك ، فيخبرهم الخبر . حدّثني بهذا الحديث أحمد بن محمد الجعديّ قال حدّثنا محمد بن بكّار قال حدّثنا إسماعيل بن زكريّا عن محمد بن سُوقة قال سمعتُ نافعَ بن جُبَيْر بن مُطعِم يقول حدّثتني عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : «يغزو جيشٌ الكعبة حتى إذا كانوا ببَيداء من الأرض خُسِفَ بأوّلهم وآخرهم» . قالت عائشة : فقلت يا رسول الله ، كيف يُخسف بأوّلهم وآخرهم وفيهم سواهم ومَن ليس

---

1 الخوخة : باب صغير في باب كبير .

منهم ؟ قال : «يُخسَفُ بأوّلهم وآخِرِهم ثم يُبْعثون على قَدْرِ نيّاتهم» ، الشعر للأحوص[1] ، والغناء في هذا اللحنِ المختار للدّلال المخنَّث وهو أحد مَن خَصاه ابن حَزْم ، بأمر الوليد بن عبد الملك ، مع المخنَّثين . والخبر في ذلك يُذكَرُ بعد . ولحنُه المختار من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى البِنصر في الأوّل والثالث . ولإسحاق فيه ثقيل أوّل آخر . وفيه لمالك لحنٌ من خفيف الرمل عن يونس والهشاميّ وغيرهما . وفيه رمل يُنسب إلى ابن سريج ، وهو ممّا يُشَكّ في نسبته إليه . وقيل : إنّ خفيف الرمل لابن سريج ، والرمل لمالك . وذكر حَبَشٌ أنّ فيه للدّلال خفيف ثقيل بالبِنصر أيضاً .

1 شعر الأحوص : 162 عن الأغاني .

[50] ـ ذكر الأحوص وأخباره ونسبه[1]

[نسبه]

هو الأحوص ، وقيل : إنّ اسمه عبد الله ، وإنّه لُقِّب الأحوص لحَوَصٍ[2] كان في عينيه . وهو ابن محمد بن عبد الله بن عاصم بن ثابت بن أبي الأقلَح ، واسم أبي الأقلح قيس ، بن عُصَيمة بن النعمان بن أُميَّة بن ضُبيعة بن زيد بن مالك بن عوف بن عَمْرو بن عَوف بن مالك بن الأوس . وكان يقال لبني ضُبيعة بن زيدٍ في الجاهلية : بنو كِسَرِ الذَّهب . وقال الأحوص حين نُفي إلى اليمن[3] : [من الخفيف]

بَدّل الدّهْرُ من ضُبَيْعَةَ عَكّاً ... جِيرةً وهــو يُعْقِبُ الأَبْدالا

[سبب تسمية جدّه عاصم حميّ الدبر]

وكان جدّه عاصمٌ يقال له حَمِيّ الدَّبْر ؛ وكان رسول الله ﷺ بعثَه بَعْثاً ، فقتله المشركون ؛ وأرادوا أن يصلبوه فحمتْه الدَّبْر ، وهي النَّحل ، فلم يقدروا عليه ، حتى بعثَ الله عزّ وجلّ الواديَ في الليل فاحتمله فذهب به . وفي ذلك يقول الأحوص مفتخراً[4] : [من الخفيف]

وأنا ابنُ الذي حَمَتْ لحمَه الدَّبْـ ... ـرُ قتِيلِ اللّحْيانِ يومَ الرّجيعِ

[قصّة وفد عضل والقارة وقتل البعث الذي أرسل معهم]

حدّثنا بالخبر في ذلك محمد بن جرير الطَّبريّ قال حدّثنا ابن حُمَيد قال حدّثنا سلمة بن الفضل قال حدّثنا محمد بن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة قال : قَدِم على رسول الله ﷺ بعد أُحُدٍ رهطٌ من عَضَل والقارة ، فقالوا : يا رسول الله ، إنّ فينا إسلاماً وخَيْراً ، فابعَثْ معنا نفراً من أصحابك ، يُفَقِّهونا في الدِّين ، ويُقْرِئونا القرآن ، ويُعلِّمونا شرائع الإسلام[5] ، فبعث رسول

1 ترجمة الأحوص في الشعر والشعراء (طبعة دار الثقافة ، بيروت) : 424–426 والمؤتلف : 48 والخزانة 2 : 15–20 ، 52–55 والسمط : 73 وطبقات ابن سلام : 534 والموشح : 187 وانظر بروكلمان 1 : 196 وقد نقل ابن حمدون من شعره وأخباره 27 فقرة في مواضع متفرّقة من التذكرة الحمدونية . وقد جمع شعره د . إبراهيم السامرائي وأعاد جمعه عادل سليمان جمال (الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ، 1970) وعليه نعتمد .

2 الحوص : ضيق في مؤخّر العينين أو في إحداهما .

3 شعر الأحوص : 177 .

4 شعر الأحوص : 157 .

5 ل : شعائر .

الله ﷺ معهم نفراً ستّةً من أصحابه : مَرْثَد بن أبي مرثَدٍ الغَنَويّ حليفَ حمزة بن عبد المطّلب ، وخالد بن البُكَير حليفَ بني عَدِيّ بن كعب ، وعاصم بن ثابت بن أبي الأَقلح أخا بني عمرو بن عوف ، وخُبَيب بن عديّ أخا بني جَحجَبى بن كُلفة بن عمرو بن عوف ، وزيد بن الدَّثِنَّة أخا بني بياضة بن عامر ، وعبد الله بن طارقٍ حليفاً لبني ظَفَر من بَليّ ، وأَمَّر رسول الله ﷺ عليهم مَرْثَدَ بن أبي مَرْثَدٍ ، فخرجوا مع القوم ، حتّى إذا كانوا على الرَّجيع (ماء لهذيل بناحية من الحجاز من صدر الهَدْأة) غدروا بهم ، واستصرخوا عليهم هُذَيلاً ، فلم يَرُعِ القوم وهم في رحالهم إلاّ بالرِّجال في أيديهم السيوف قد غَشُوهم ؛ فأخذوا أسيافهم ليقاتلوا القوم ؛ فقالوا : [إنّا] والله ما نُريد قَتلكم ، ولكنّا نريد أن نُصيب بكم شيئاً من أهل مكّة ، ولكم عهدُ اللهِ وميثاقه ألاّ نقتلكم . فأمّا مَرْثَدُ بن أبي مَرْثَد ، وخالدُ بن البُكَيْر ، وعاصمُ بن ثابت بن أبي الأَقلح فقالوا : إنّا والله لا نقبل من مُشركٍ عهداً ولا عقداً أبداً ! فقاتلوهم حتى قتلوهم جميعاً . وأمّا زيد بن الدَّثِنَّة ، وخُبَيْب بن عديّ ، وعبد الله بن طارق فلانُوا ورَقُّوا ورغِبوا في الحياة وأَعطَوْا بأيديهم ؛ فأَسروهم ، ثم خرجوا بهم إلى مكّة ليَبيعوهم بها ؛ حتى إذا كانوا بالظَّهران انتزع عبدالله بن طارق يده من القِرانِ ، ثم أخذ سيفَه واستأْخر عن القوم ، فرَمَوه بالحجارة حتى قتلوه ، فقَبرُه بالظَّهران . وأمّا خُبَيب بن عَدِيّ وزيد بن الدَّثِنَّة ، فقَدِموا بهما مكّة فباعوهما . فابتاع خُبَيباً حُجَيْر بن أبي إهابٍ التَّميميّ حليفُ بني نوفل لعُقبة بن الحارث بن عامر بن نوفل ، وكان حُجَيْرٌ أخا الحارث بن عامر بن نوفل لأمّه ، ليقتله بأبيه . وأمّا زيد بن الدَّثِنَّة فابتاعه صَفوان بن أُميَّة ليقتله بأُميّة بن خَلَف أبيه . وقد كانت هُذَيْل حين قُتِل عاصم بن ثابت قد أرادوا رأسه ليبيعوه من سُلافةَ بنت سَعد بن شُهَيد ، وكانت قد نَذَرتْ حين قَتَل عاصمٌ ابنَها يومَ أُحُدٍ لئن قَدَرتْ على رأس عاصمٍ لتَشْرَبَنَّ في قِحفه الخَمر ، فمنعته الدَّبْر . فلمّا حالت بينهم وبينه قالوا : دعوه حتى يُمْسي ، فتذهب عنه فنأخذه . فبعث الله عزّ وجلّ الوادي فاحتمل عاصماً فذهب به . وكان عاصم قد أعطى الله عزّ وجلّ عهداً لا يَمَسُّه مشركٌ أبداً ولا يَمَسّ مشركاً أبداً تَنَجُّساً منه . فكان عمر بن الخطّاب رضي الله عنه يقول حين بلغه أنّ الدَّبْرَ منعته : «عجباً لحفظ الله عزّ وجلّ العبدَ المؤمن ! كان عاصم نَذَر ألاّ يَمَسَّه مشركٌ ولا يَمَسُّ مشركاً أبداً في حياته ، فمنعَه الله بعد مماته كما امتنع منه في حياته !» .

[رواية أُخرى عن البعث ومصيره]

قال محمد بن جرير : وأمّا غير ابن إسحاق ، فإنّه قصّ من خبر هذه السَّرِيَّة غير الذي قصّه غيره : من ذلك ما حدّثنا أبو كُرَيْبٌ قال حدّثنا جعفر بن عَون العمريّ قال حدّثنا إبراهيم بن إسماعيل عن عُمَرَ أو عمرو بن أُسيدٍ عن أبي هُرَيرة : أنّ رسول الله ﷺ بعث عشرة رهطٍ ،

وأمَّر عليهم عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح ، فخرجوا ، حتى إذا كانوا بالهَدْأة ذُكِروا لِحَيٍّ من هذيل يقال لهم بنو لَحيان ، فبعثوا إليهم مائة رجلٍ رامياً ، فوجدوا مأْكَلَهم حيث أكلوا التمر ، فقالوا : نَوى يَثْرِب ! ثم اتَّبعوا آثارهم ؛ حتى إذا أَحَسَّ بهم عاصم وأصحابه التجؤوا إلى جبل ، فأحاط بهم الآخرون فاستنزلوهم ، وأعطوهم العهد . فقال عاصم : والله لا أنزل على عهد كافرٍ ، اللهمَّ أَخبِرْ نبيَّك عنَّا . ونَزَل إليهم ابن الدَّثِنَة البَياضيّ ، وخُبَيبٌ ، ورجلٌ آخر ؛ فأطلق القوم أوتار قسيِّهم ، ثم أَوثَقوهم ، فجرحوا رجلاً من الثلاثة ، فقال : هذا والله أوّلُ الغَدر ، والله لا أَتبَعُكم ، فضربوه وقتلوه ؛ وانطلقوا بخُبَيْبٍ وابن الدَّثِنَة إلى مكّة ، فدفعوا خُبيباً إلى بني الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد منافٍ ، وكان خبيبٌ هو الذي قتل الحارث بأُحُدٍ . فبينما خُبَيْبٌ عند بنات الحارث ، استعار من إحدى بنات الحارث موسى لِيَستَحِدّ بها للقتل ، فما راع المرأة ولها صبيٌّ يدرُج إلاّ خُبَيب قد أجلس الصبيَّ على فخذه والموسى بيده ، فصاحت المرأة ؛ فقال خبيب : أتحسبين أنّي أقتُله ! إنّ الغَدْرَ ليس من شأننا . قال : فقالت المرأة بعدُ : ما رأيتُ أسيراً قطُّ خيراً من خبيبٍ ، لقد رأيته وما بمكّة من ثمرةٍ وإنّ في يده لقِطْفاً من عِنَبٍ يأكله ، إنْ كان إلاّ رزقاً رزقَه الله خبيباً . وبعثَ حيٌّ من قيس إلى عاصم ليُؤتَوْا من لحمه بشيء ، وقد كان لعاصمٍ فيهم آثار[1] بأُحُدٍ ، فبعَث الله عليه دَبراً فحمَتْ لحمَه فلم يستطيعوا أن يأخذوا من لحمه شيئاً . فلمّا خرجوا بخُبَيب من الحَرَم ليقتلوه ، قال : ذَرُوني أُصَلِّ ركعتين ، فتركوه فصلَّى ركعتين ، فجرتْ سُنّةً لمن قُتِل صَبْراً أن يُصلّي ركعتين ، ثم قال : لولا أن يقال جَزِعَ لَزِدْتُ ، وما أُبالي[2] :

عَلى أيِّ شِقٍّ كان لله مَصْرَعي

ثم قال : [من الطويل]

وذلك في ذاتِ الإلهِ وإنْ يَشَأْ ... يُبارِكْ على أوصالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ

اللّهمّ أَحْصِهم عدداً[3] ، وخُذهُم بِدَداً . ثم خرج به أبو سَروعة بن الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف فضربه فقتله .

حدّثنا محمد قال حدّثنا أبو كُرَيبٍ قال حدّثنا جعفر بن عون عن إبراهيم بن إسماعيل ، قال

1 ل : أوتار وهي جمع وتر ، وآثار : جمع ثأر .

2 من قصيدة نسبها ابن هشام إلى خبيب مطلعها :

لقد جمع الأحزاب حولي وألبوا ... قبائلهم واستجمعوا كل مجمع

3 أحصهم عدداً : أهلكهم فلا يبقى من عددهم أحد .

وأخبرني جعفر بن عمرو بن أُميَّة عن أبيه عن جدّه : أنّ رسول الله ﷺ بعثه وحده عيناً إلى قريش . قال : فجئتُ إلى خشبة خُبَيْب وأنا أتخوّف العيون ، فرَقِيتُ فيها ، فحللتُ خُبَيباً فوقع إلى الأرض ، فانتبذتُ[1] غير بعيدٍ ، ثم التفتُّ فلم أَرَ لخُبَيْبٍ أثراً ، فكأنّما الأرض ابتلعته ، فلم تَظهرُ لخبيب رِمّةٌ حتى الساعة .

قال محمد بن جرير : وأمّا زيد بن الدَّثِنَّة ، فإنّ صفوان بن أُميّة بعثَ به ، فيما حدّثنا ابن حُمَيد قال حدّثنا سلمة عن ابن إسحاق ، مع مولًى له يقال له نسطاس إلى التّنْعيم ، فأخرجه من الحَرَم ليقتله ؛ واجتمع إليه رهطٌ من قريش فيهم أبو سفيان بن حرب ؛ فقال له أبو سفيان حين قُدِّم ليُقتَل : أَنشُدُكَ اللهَ يا زيد ، أتُحِبُ أنّ محمداً عندنا الآن مكانك فنضرب عُنُقه وأنّك في أهلك ؟ فقال : والله ما أُحِبُّ أنّ محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تُصيبه شوكةٌ تُؤذيه وأنا جالسٌ في أهلي ! قال يقول أبو سفيان : ما رأيت من الناس أحداً يُحِبُّ أحداً كحُبِّ أصحاب محمدٍ محمداً ؛ ثم قتله نِسْطاس .

[نزول عبد الله وأبي أحمد ابني جحش على عاصم بن ثابت]

أخبرني أحمد بن الجعد قال حدّثنا محمد بن إسحاق المُسَيَّبيّ قال حدّثنا محمد بن فُلَيْح عن موسى بن عقبة عن ابن شهابٍ قال : نزل عبد الله وأبو أحمد ابنا جحشٍ ، حين قدِما مهاجرين ، على عاصم بن ثابت ، وكنيته أبو سليمان .

[شعر لعاصم بن ثابت وكنيته]

وقال عاصم : [من الرجز]

أبو سليمانَ وريشُ المُقْعَدِ ومُجْنأ من جلدِ ثورٍ أَجْرَدِ[2]

وذكر لنا الحِرْميّ بن أبي العلاء عن الزُّبير أنّ عاصماً ، فيما قيل ، كان يُكنى أبا سفيان .

قال : وقال في يوم الرَّجِيع : [من الرجز]

أنا أبو سُفيانَ مِثْلي راما أَضْرِبُ كَبْشَ العارِضِ القَدَّاما[3]

[كنية الأحوص واسم أمّه وبعض صفاته]

أخبرني الحِرْميُّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنا إسماعيل بن عبد الله عن إسماعيل بن إبراهيم بن عُقبة عن عمّه قال : كُنية الأحوص أبو محمد . وأُمُّه أُثَيْلَة بنت عُمَيْر بن مَخْشيٍّ ؛ وكان أحمر أحوص العينين .

---

1 ل : فاستدرت .

2 المقعد : فرخ النسر وقيل اسم رجل كان يريش السهام . المجنأ : الترس ليس فيه حديد .

3 كبش : رئيس . والعارض : الجيش . والقدّام : الذي يتقدّم في الشرف .

[رأي الفرزدق في شعره]

قال الزّبير فحدّثني محمد بن يحيى قال : قَدِم الفرزدق المدينة ، ثم خرج منها ، فسُئل عن شُعرائها ، فقال : رأيتُ بها شاعرَيْن وعَجِبتُ لهما : أحدُهما أُخْضَرُ يسكن خارجاً من بُطحان[1] (يريد ابن هرمة) ؛ والآخر أحمرُ كأنّه وَحَرَةٌ على بُرودةٍ في شعره (يريد الأحوص) . والوَحَرَةُ : يَعْسُوبٌ أحمر ينزل الأنبار[2] .

[هجاؤه لابنه]

وقال الأحوص يهجو نفسه ويذكر حَوَصَه[3] : [من الرجز]

أَقْبِحْ بـه مـن وَلَـدٍ وأَشْقِحِ مِثْـلِ جُـرَيِّ الكلب لم يُفَقِّحِ

إنْ يَـرَ سُوءًا لم يَقُمْ فيَنْبَحِ بالبابِ عند حاجةِ المُسْتَفْتِحِ[4]

قال الزّبير : ولم يبقَ للأحوص من وَلَدِه غيرُ رجلين .

[طبقته في الشعر عند ابن سلام]

قال الزّبير : وجعل محمد بن سلاّم الأحوص ، وابن قيس الرُّقيّات ، ونُصَيباً ، وجميل بن معمَرٍ طبقةً سادسةً من شعراء الإسلام[5] ، وجعله بعد ابن قَيس ، وبعد نُصَيْب . قال أبو الفرج : والأحوص ، لولا ما وضع به نفسَه من دَنِيء الأخلاق والأفعال ، أشَدُّ تقدُّماً منهم عند جماعة أهل الحجاز وأكثر الرُّواة ؛ وهو أَسمحُ طبعاً ، وأسهل كلاماً ، وأَصَحُّ معنًى منهم ؛ ولشِعرِه رونقٌ وديباجةٌ صافية وحلاوة وعذوبةُ ألفاظٍ ليست لواحدٍ منهم . وكان قليلَ المروءة والدِّين ، هجّاءً للناس ، مأْبوناً فيما يُروى عنه .

[جلده سليمان بن عبد الملك]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال حدّثني أبو عبيدة أنّ جماعةً من أهل المدينة أخبروه : أنّ السبب في جَلْدِ سليمان بن عبد الملك ، أو الوليد بن عبد الملك إيّاه ونفيِه له ، أنّ شهوداً شهِدوا عليه عنده أنّه قال : إذا أخذتُ جريري[6] لم أُبالِ أيَّ الثلاثة لَقِيتُ ناكحاً أو منكوحاً أو زانياً . قالوا : وانضاف إلى ذلك أنّ سُكَيْنة بنت الحسين رضي الله عنهما فَخَرتْ يوماً برسول الله ﷺ ففاخرها بقصيدته التي يقول فيها : [من الخفيف]

---

1 بطحان : واد بالمدينة .

2 ل : يلزم البثار .

3 البيتان في مجموع شعره : 90 وفي الحيوان للجاحظ 1 : 254–255 أنّهما لأبي الأحوص يهجو فيهما ابنه .

4 هذه رواية الجاحظ ، والشطر الثاني في الديوان «بالبابِ عند خلقه المستقبح» .

5 شعراء الطبقة السادسة عند ابن سلام هم : عبيد الله بن قيس الرقيات والأحوص وجميل ونصيب .

6 الجرير : الزمام .

ليس جهــلٌ أُتيـتُـهِ ببَديعِ

فزاده ذلك حَنَقاً عليه وغيظاً حتّى نفاه .

[فخرت سكينة بالنبيّ ففاخرها بجدّه وخاله]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة : أنّ الأحوص كان يوماً عند سُكينة ، فأذّن المؤذِّن ، فلمّا قال : أَشهَدُ أنْ لا إله إلاّ الله ، أَشهد أنّ محمداً رسول الله ، فخَرَتْ سُكينةُ بما سمعت ؛ فقال الأحوص[1] : [من الخفيف]

فخَرتْ وانتمتْ فقلتُ ذَرِيني ليس جهــلٌ أُتيتِـه بِبَديعِ
فأنا ابنُ الذي حَمَتْ لَحْمَه الدَّبْــ ـرُ قتيلِ اللّحْيانِ يومَ الرَّجِيعِ
غَسَّلتْ خاليَ الملائكــةُ الأبْــ ـرارُ مَيْتاً طُوبَى له مِن صَرِيعِ

قال أبو زيد : وقد لَعَمري فَخَر بفَخْرٍ لو على غيرِ سُكَينة فخَر به ؛ وبأبي سُكينة ﷺ حمتْ أباه الدَّبـرُ وغسَّلتْ خالَه الملائكة .

[هجاؤه لابن حزم عامل المدينة]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني محمد بن يحيى عن أيُّوب بن عُمَر عن أبيه قال : لّما جاء ابن حَزْمٍ عملَه من قِبَل سليمان بن عبد الملك على المدينة والحجّ ، جاءه ابن أبي جَهم بن حذيفة وحميد بن عبد الرحمن بن عوف وسُراقة ، فدخلوا عليه فقالوا له : إيه يا ابن حَزْم ! ما الذي جاء بك ؟ قال : استعملني والله أمير المؤمنين على المدينة على رغم أنْفِ من رَغِمَ أنفُه . فقال له ابن أبي جهم : يا ابن حزم ، فإنّي أوّلُ مَنْ يَرْغَمُ من ذلك أنفُه . قال فقال ابن حزم : صادقٌ ، واللهُ يُحِبّ الصادقين . فقال الأحوص[2] : [من الطويل]

سليمانُ إذْ وَلاَّكَ رَبُّك حُكْمَنا وسُلطانَنا فاحْكُمْ إذا قلتَ واعْدِلِ
يَــؤُمُّ حَجيجَ المسلمين ابنُ فَرْتَنى فهَبْ ذاكَ حَجّــاً ليس بالمُتَقبَّلِ

فقال ابن أبي عتيق للأحوص : الحمد لله يا أحوص ، إذْ لم أُحُجَّ ذلك العامَ بنعمة ربِّي وشُكره . قال : الحمدُ لله الذي صَرَف ذلك عنك يا ابن أبي بكرٍ الصِّدِّيق ، فلم يُضْلِلْ دِينَك ، ولم تُعنِّ نَفسك ، وتَرَ ما يَغِيظُك ويَغِيظ المسلمين معك .

[تعرّض لخبازيّ الوليد فأمر عامل المدينة بجلده]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني عبد الرحمن بن عبد الله عن عمِّه موسى بن

---

1 شعر الأحوص : 157 .

2 شعر الأحوص : 178 .

عبد العزيز قال : وَفَد الأحوص على الوليد بن عبد الملك وامتدحه ، فأنزله منزلاً ، وأمر بمَطْبَخِهِ أن يُمال عليه ؛ ونزل على الوليد بن عبد الملك شُعَيب بن عبد الله بن عمرو بن العاصي ، فكان الأَحوص يُراود وُصَفاءَ للوليد خَبَّازين عن أنفسهم ويُريدهم أن يفعلوا به . وكان شُعَيبٌ قد غَضِب على مولًى له ونحاه . فلمّا خاف الأَحوص أن يفتضح بمُراودته الغلمان ، اندسَّ لمولى شُعَيب ذلك فقال : ادخُلْ على أمير المؤمنين فاذْكُرْ له أنّ شُعيباً أزادك عن نفسك ، ففعل المولى ذلك . فالتفت الوليد إلى شُعَيب فقال : ما يقول هذا ؟ فقال : لكلامه غَوْرٌ يا أمير المؤمنين ، فاشْدُد به يَدَك يصدُقْك . فشدد عليه ، فقال : أَمَرني بذلك الأَحوص . فقال قَيِّم الخبّازين : أصلحك الله ! إنَّ الأَحوص يُراود الخبّازين[1] عن أنفسهم . فأرسل به الوليد إلى ابن حَزْمٍ بالمدينة ، وأمره أن يجلده مائةً ، ويَصُبَّ على رأسه زيتاً ، ويُقيمَه على البُلُسِ[2] ؛ ففعل ذلك به . فقال وهو على البُلُس أبياتَه التي يقول فيها : [من الكامل]

ما مِنْ مُصيبةِ نَكْبَةٍ أُمْنى بها إلاّ تُشَرِّفُني وتَرْفَعُ شاني

[شعره الذي أنشده حين شهر به]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عُمَر بن شَبّة قال حدّثني أَيُّوب بن عمر قال أخبرني عبد الله بن عمران بن أبي فَرْوَةَ قال : رأيتُ الأَحوص حين وَقَفه ابنُ حَزْمٍ على البُلُس في سوق المدينة وإنّه لَيَصيح ويقول[3] : [من الكامل]

ما مِنْ مُصيبةِ نَكبَةٍ أُمْنَى بها إلاّ تُعَظِّمُني وترفَعُ شاني
وتَزولُ حين تزولُ عن مُتَخَمِّطٍ تُخْشى بَوادِرُه على الأَقرانِ[4]
إنِّي إذا خَفِيَ اللِّئامُ رأيتَني كالشمسِ لا تَخفى بكلِّ مكانِ

[شعره في هجو ابن حزم]

قال : وهجا الأَحوصُ ابن حزمٍ بشعرٍ كثيرٍ ، منه[5] : [من الطويل]

أقولُ وأبصرت ابنَ حَزْمِ بنِ فَرْتَنى وُقوفاً له بالمأزِمَيْنِ القبائلُ

---

1 ل : غلمانك .

2 البلس : غرائر كبار تُحشى بالتبن ويجعل عليها من يراد التنكيل والتشهير به .

3 شعره : 203 . وقد وردت الأبيات في مصادر عديدة بروايات مختلفة . انظر مثل الحماسية رقم 54 في شرح المرزوقي .

4 متخمط : متكبّر .

5 شعر الأحوص : 165 .

تُرى فَرْتَنى كانتْ بما بَلغَ ابنُها   مُصَدِّقَــةً لــو قــال ذلك قائلُ

أخبرني الحِرْميُّ قال حدّثنا الزُّبير عن أبي عبيدة قال : كلُّ أَمَةٍ يقال لها فَرْتَنى . وأخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سَلاّم قال : فَرْتَنى : الأَمَةُ بنت الأَمَة ، قال الزُّبير : فقال ابن حَزْمٍ حين سمع قولَ الأَحوص فيه «ابن فَرْتَنى» لرجلٍ من قومه له علمٌ : أنحنُ من ولد فَرْتَنى ؟ أَوَتعرِفُها ؟ فقال : لا والله ؛ قال : ولا أنا أعلَمُ والله ذلك ! ولقد عَضَهني به ، ولو كانت ولَدَتْني لم أَجْهَل ذلك .

قال الزُّبير : وحدّثني عَمِّي مُصْعَبٌ عن عبد الله بن محمد بن عُمارة قال : فَرْتَنى : أمٌّ لهم في الجاهلية من بَلْقَيْنِ ، كانوا يُسَبُّون بها ، لا أدري ما أَمْرُها ، قد طرحوها من كتاب النَّسب ، وهي أُمّ خالد بنت خالد بن سِنان بن وَهْب بن لَوْذانَ السَّاعِدِيّة أُمّ بني حَزْم .

أخبرني الحِرْميُّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني عبد الملك بن عبد العزيز عن يوسف بن الماجِشون : أنّ الأحوص قال لابن حزمٍ[1] : [من الطويل]

لَعَمْري لقد أجرى ابنُ حَزْمِ بنِ فَرْتَنى   إلى غايــةٍ فيهــا السِّمامُ المُثَمَّلُ[2]

وقد قلتُ مهلاً آلَ حَزْمِ بنِ فَرْتَنى   ففي ظُلْمِنا صابٌ مُمِــرٌّ وحَنْظَلُ

وهي طويلة . وقال أيضاً[3] : [من البسيط]

أَهْوى أُمَيَّةَ إنْ شَطَّتْ وإنْ قَرُبتْ   يوماً وأُهْدِي لها نُصْحِي وأَشْعارِي

ولو وردتُ عليها الفَيضَ ما حَفَلتْ   ولا شَفَتْ عَطَشي من مائه الجارِي

لا تَــأْوِيَنَّ لِحَزْمِــيٍّ رأيتَ به   ضُرّاً ولو طُرِحَ الحَزْمِــيُّ في النّارِ

الناخِسِينَ بمَرْوانٍ بذِي خُشُبٍ   والمُقْحِمِينَ على عثمانَ في الدّارِ

[دفع عنه بنو زريق فمدحهم]

أخبرنا الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني جماعةٌ من مشايخ الأنصار : أنّ ابن حَزْمٍ لمّا جلَد الأحوص ووقَفَه على البُلُس يضربه ، جاءه بنو زُرَيق فدفعوا عنه ، واحتملوه من أعلى البُلُس . فقال في ذلك ، قال ابن الزُّبير : أَنشدنيه عبد الملك بن الماجِشون عن يوسف بن أبي سلمة الماجشون[4] : [من البسيط]

إمّا تُصِبْني المَنايــا وهْــيَ لاحقةٌ   وكلُّ جَنْبٍ لــه قد حُمَّ مُضْطَجعُ

---

1 شعر الأحوص : 172 .
2 السمام المثمل : السم المقوّى بالسلع أو الذي طال نقعه .
3 شعر الأحوص : 131-132 .
4 شعر الأحوص : 143 عن الأغاني .

فقد جَزَيْتُ بني حَـزْمٍ بظُلْمِهِمُ وقد جزيتُ زُرَيْقاً بالذي صنعوا
قـومٌ أبى طَبَعَ الأخلاق أوّلُهمْ فهُمْ على ذاك من أخلاقهم طُبِعوا[1]
وإنْ أُناسٌ وَنَوْا عن كلِّ مَكْرُمَـةٍ وضاقَ باعُهُمُ عن وُسْعِهِمْ وَسِعوا
إنّي رأيتُ غداةَ السُّوق مَحضَرَهُمْ إذْ نحـنُ ننظر مـا يُتْلى ونَسْتَمِعُ

[نفاه ابن حزم إلى دَهْلك وشعره في ذلك]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني عُمَر بن أبي بكر المؤمّليّ قال حدّثني غيرُ واحدٍ من أهل العلم : أنّ أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم جَلَد الأحوصَ في الخُنْثِ ، وطاف به وغرَّبه إلى دَهْلَكَ في محْمِلٍ عُرْياناً . فقال الأَحْوَصُ وهو يُطافُ به : [من الكامل]

مـا مِنْ مُصيبةِ نَكْبَةٍ أُبْلَى بها

الأبيات . وزاد فيها : [من الكامل]

إنّي على مـا قد تَرَوْن محسَّد أَنْـمي عـلى البَغضاءِ والشَّنَآنِ
أصبحتُ للأنصارِ فيما نابَهم خَلَفـاً وللشُّعَراء مـن حَسّانِ

قال الزُّبير : وممّا ضُرِب فيه أيضاً قولُه[2] : [من الطويل]

شَرُّ الحِزامِيِّينَ ذو السِّنّ منهـمُ وخيرُ الحِزامِيِّـين يَعْدِلُـه الكَلْبُ
فإنْ جئتَ شيخاً من حِزامٍ وجدتَه من النَّوْكِ والتقصير ليس لـه قلبُ
فلَـوْ سَبَّنـي عَـوْنٌ إذاً لَسَبَبْتُه بشِعْرِيَ أو بعضُ الأولَى جَدُّهُمْ كَعْبُ

عون ، يعني عون بن محمد بن عليّ بن أبي طالب عليه رضوان الله . وكعب ، يعني كَعب بن لؤيّ : [من الطويل]

أولئـك أكفـاءٌ لبيتـي بُيوتُهُـمْ ولا تستوي الأَعْلاثُ والأَقْدُحُ القُضْبُ

[أعانه فتى من بني جحجبى فدعا عليه]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني محمد بن ثابتٍ الأنصاريّ عن محمد بن فَضالة قال : كان الأحوص بن محمد الأنصاريّ قد أوسع قومه هِجاء فملأهم شرّاً ، فلم يبقَ له فيهم صديقٌ ، إلاّ فتًى من بني جَحجَبى . فلمّا أراد الأحوص الخروج إلى يزيد بن عبد الملك ، نهض الفتى في جَهازه وقام بحوائجه وشَيَّعه ؛ فلمّا كان بسقاية سليمان وركب الأحوص

1 طبع : الدنس والعيب ، وكل شين في دين أو دنيا فهو طبع .
2 شعر الأحوص : 73 .

مَحمِلَه ، أقبل على الفتى فقال : لا أَخلَفَ الله عليك بخير ؛ فقال : مَهْ ! غفر الله لك ! قال الأحوص : لا والله أو أُعَلِّقها حرباً ! يعني قُباءَ وبني عمرو بن عوف .

[هجا معن بن حميد الأنصاريّ فعفا عنه]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني محمد بن يحيى قال قال غسّان بن عبد الحميد : أقبل الأحوص حتى وقف على مَعن بن حميد الأنصاريّ ، أحد بني عمرو بن عوف بن جَحْجَبى ، فقال[1] : [من الطويل]

رأيتُـــك مَزْهُـــوّاً كأنّ أباكُـــــمُ صُهَيْبَةَ أَمْسى خيرَ عَـوْفٍ مُرَكّبا
تُقِـــرُّ بكـــم كُوثـــى إذا مـــا نُسِبْتُمُ وتُنكرُكم عَمْرُو بن عَوْفٍ بن جَحْجَبى[2]
عليكَ بأدنى الخَطْبِ إنْ أنت نِلْتَـهُ وأَقْصِرْ فلا يَذْهَبْ بك التِّيهُ مَذْهَبا[3]

فقام إليه بنوه ومواليه ؛ فقال : دَعوا الكلب ، خَلُّوا عنه ، لا يمَسَّه أحدٌ منكم ؛ فانصرف . حتى إذا كان عند أحجار المِراءِ بقُباءَ[4] لَقِيه ابن أبي جرير أحد بني العَجلان ، وكان شديداً ضابطاً ؛ فقال له الأحوصُ : [من الطويل]

إنّ بقَـــومٍ سَوَّدُوكَ لَحاجَـــةً إلى سَيِّد لـــو يَظْفَرون بسَيِّدِ[5]

فألقى ثيابه وأخذ بحَلق الأحوص ، ومع الأحوص راويته ، وجاء الناس ليخلِّصوه ، فحلف لئن خَلَّصه أحدٌ من يديه ليأخُذَنَّه ولَيَدَعَنّ الأحوص ؛ فخنقه حتى استرخى ، وتركه حتى أفاق ؛ ثم قال له : كلُّ مملوكٍ لي حُرٌّ ، لئن سُمِع أو سَمِعتُ هذا البيت من أحدٍ من الناس لأضربنّك ضربةً بسيفي أُريد بها نفسَك ولو كنتَ تحت أستار الكعبة . فأقبل الأحوص على راويته فقال : إنّ هذا مجنون ، ولم يسمع هذا البيت غيرُك ؛ فإيّاك أن يسمعه منك خَلْق .

[لقي عباد بن حمزة ومحمد بن مصعب فتهدّداه إن هجاهما]

أخبرني الحِرْميّ والطُّوسيّ قالا حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني بعض أصحابنا : أنّ الأحوص مرّ بعبّاد بن حمزة بن عبد الله بن الزبير ومحمد بن مصعب بن الزُّبير بخَيمَتَي[6] أمّ

---

1 شعر الأحوص : 81 .
2 كوثى : محلة بمكّة لبني عبد الدار .
3 التيه في ل : اللؤم .
4 ل : المزيقيا .
5 لحاجة في ل : لفاقة . هذا البيت في القسم المنسوب إلى الأحوص : 219 ، وهو في الخزانة 1 : 165 لأبي نخيلة .
6 خيمة أمّ معبد (ويقال بئر أم معبد) : موضع بين مكّة والمدينة نزل الرسول ﷺ وأبو بكر أثناء هجرتهما .

معبد ، وهما يريدان الحجَّ مَرجعه من عند يزيد بن عبد الملك ، وهو على نجيبٍ له فارهٍ ورَحْل فاخرٍ وبزة مرتفعة ، فحدّثهما أنّه قَدِم على يزيد بن عبد الملك ، فأجازه وكساه وأخدَمه ؛ فلم يَرَهما يَهشّان لذلك . فجعل يقول : خَيْمَتي أُمِّ معبد ، عبّاد ومحمد ، كأنّه يَرُوض القوافي للشعر يريد قوله . فقال له محمد بن مصعب : إنّي أراك في تهيئة شعر وقَوافٍ وأراكَ تُريد أن تهجوَنا ؛ وكلُّ مملوك لي حُرٌّ لئن هجوتَنا بشيء إنْ لم أضربْك بالسيف مجتهداً على نفسك . فقال الأحوصُ : جعلني الله فداك ! إنّي أخاف أن تُسمِعَ هذا فيّ عدوّاً فيقول شعراً يهجوكما به فيَنْحَلُنِيه ، وأنا أبرئكما الساعة ، كلُّ مملوكٍ لي حُرٌّ إن هجوتُكما ببيت شعرٍ أبداً .

[رفض محمد بن عباد صحبته في طريقه إلى مكّة]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني عمِّي مُصعب قال حدّثنا الزُّبير بن خُبَيب عن أبيه خُبيب بن ثابت قال : خرجنا مع محمد بن عبّاد بن عبد الله بن الزبير إلى العُمرة ، فإنّا لَبِقُرب قُدَيد إذ لحِقنا الأحوص الشاعر على جملٍ برَحل ؛ فقال : الحمدُ لله الذي وفّقكم لي ، ما أُحِبُّ أنّكم غيرُكم ، وما زلت أُحَرِّكُ في آثاركم مذ رُفِعتم لي ؛ فقد ازددت بكم غبطةً . فأقبل عليه محمد ، وكان صاحب جدٍّ يكره الباطل وأهلَه ، فقال : لكنّا والله ما اغتبطنا بك ولا نُحِبُّ مسايرتك ، فتقدّم عنّا أو تأخّر . فقال : والله ما رأيتُ كاليوم جواباً ! قال : هو ذاك . قال : وكان محمد صاحب جدّ يكره الباطل وأهله ، فأشفقنا ممّا صنع ، ومعه عدّة من آل الزُّبير ، فلم يقدِر أحدٌ منهم أن يرُدَّ عليه . قال : وتقدّم الأحوص ، ولم يكن لي شأنٌ غير أن أعتذر إليه . فلمّا هبطنا من المُشَلَّل[1] على خيمتَي أم معبد سمعتُ الأحوص يُهَمْهِم بشيء ، فتفهّمتُه فإذا هو يقول : خيمتَيْ أمّ معبد ، محمد ، كأنّه يُهيّيء القوافي ، فأمسكتُ راحلتي حتى جاءني محمد ، فقلت : إنّي سمعتُ هذا يُهيّيء لك القوافي ، فإمّا أذِنتَ لنا أن نعتذر إليه ونُرضِيه ، وإمّا خلّيتَ بيننا وبينه فنضربه ؛ فإنّا لا نُصادفه في أخلى من هذا المكان . قال : كلاّ ! إنّ سعد بن مصعب قد أخذ عليه ألاّ يهجو زبيريّاً أبداً ، فإن فعل رجوتُ أن يُخزِيَه الله ، دَعه .

[هجا سعد بن مصعب فلمّا أراد ضربه حلف له ألاّ يهجو زبيريّاً]

قال الزُّبير : وأمّا خبره مع سعد بن مصعب ، فحدّثني به عمِّي مصعب قال أخبرني يحيى بن الزُّبير بن عبّاد أو مصعب بن عثمان ، شَكٌّ : أيُّهما حدّثه ، قال : كانت أَمَةُ الملك بنت حمزة بن عبد الله بن الزُّبير ، تحت سعد بن مُصعب بن الزُّبير ، وكان فيهم مأتمٌ ، فاتّهمته بامرأةٍ ، فغارت عليه وفضحته . فقال الأحوص يُمازحه[2] : [من الطويل]

---

1 جبل يهبط منه إلى قديد .

2 شعر الأحوص : 84–85 عن الأغاني .

وليس بسَعْدِ النّارِ مَــنْ تزعُمونه ولكنّ سَعْدَ النارِ سعدُ بن مُصْعَبِ
ألم تَــرَ أنّ القومَ ليلــةَ نَوْحِهِمْ بَغَــوْهُ فألفَــوْهُ على شَرِّ مَرْكَبِ
فمــا يَبتغــــي بالغَــيِّ لا دَرَّ دَرُّه وفي بيتِــه مثــلُ الغَــزالِ المُرَبَّبِ

قال : وسعدُ النار رجلٌ يقال له سعد حضنة ، وهو الذي جدّد لزياد بن عبيد الله الحارثيّ الكتابَ الذي في جدار المسجد ، وهو آياتٌ من القرآن أحسَبُ أنّ منها ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ والإِحْسانِ وإيتاءِ ذِي القُرْبى ويَنْهى عَنِ الفَحْشاءِ والمُنْكَرِ والبَغْي﴾ . فلمّا فرغ منه قال لزياد : أَعطِني أَجْري . فقال له زياد : انتظِر ، فإذا رأيتَنا نعمل بما كتبتَ ، فخُذْ أجرك .

قال : فعمِلَ سعد بن مصعبٍ سُفرةً ، وقال للأحوص : اذْهَب بنا إلى سَدّ عبيد الله بن عمر نَتَغَدَّ عليه ، ونشرب من مائه ، ونستَنقِع فيه ؛ فذهب معه . فلمّا صارا إلى الماء ، أمر غلمانه أن يربطوه وأراد ضربه ، وقال : ما جَزِعتُ من هجائك إيّايَ ، ولكن ما ذكرُكَ زوجتي ؟ فقال له : يا سعدُ ، إنّك لتَعلم أنّك إن ضربتني لم أَكفُفْ عن الهجاء ، ولكن خيرٌ لك من ذلك : أَحلِفُ لك بما يُرضيك ألاّ أهجوكَ ولا أحداً من آل الزُّبير أبداً ؛ فأحلَفه وتركه .

[هجا مجمع بن يزيد فسبّه]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني مصعبٌ عمّي عن مصعب بن عثمان قال : قال الأحوص لمُجَمِّع بن يزيد بن جارية[1] : [من الطويل]

وجُمِّعْتَ من أشياءَ شَتّى خبيثةٍ فسُمِّيتَ لمّا جئتَ منها مُجَمِّعا

فقال له مجمِّع : إنّي لا أُحسن الشعر ، ثم أخذ كُرْنافةً[2] فغَمَسها في ماءٍ فغاصتْ ، ثم رفع يده عنها فطفتْ ، فقال : هكذا والله كانت تصنَع خالاتُك السَّواحِرُ .

[طلب من أمّ ليث أن تدخله إلى جارة لها فأبت فعرّض بها في شعره]

أخبرني الحِرْميّ قال وحدّثنا الزُّبير قال : كانت امرأةٌ يقال لها أُمُّ لَيْث امرأة صِدق ، فكانت قد فتحت بينها وبين جارةٍ لها من الأنصار خَوخة ، وكانت الأَنصاريّة من أجملِ أنصاريّةٍ خُلِقَتْ . فكلَّم الأحوص أمَّ ليثٍ أن تُدخله في بيتها يكلِّم الأنصاريّة من الخوخة التي فتحت بينها وبينها ، فأبت ؛ فقال : أما لأُكافِئنَّك ، ثم قال[3] : [من البسيط]

1 شعر الأحوص : 151 .
2 الكرنافة : ما يتبقّى في جذع النخلة بعد قطع السعف .
3 شعر الأحوص : 82 .

هيهاتَ منكَ بنو عَمْرٍو ومَساكنُهمْ إذا تَشَتَّيْتَ قِنَّسْرِيــنَ أو حَلَبــا
قامتْ تراءى وقد جَدّ الرحيلُ بنا بــين السَّقيفةِ والبابِ الذي نُقِبا
إنّـــي لَمانِحُهـــا ودِّي ومُتَّخِـذٌ بـأُمِّ لَيْـثٍ إلى معروفِهـا سَبَبا

فلمّا بلغتِ الأبياتُ زوجَ المرأة ، سَدّ الخوخة ؛ فاعتذرت إليه أُمّ ليث ، فأبى أن يقبَل ويُصدّقها . فكانت أُمّ ليث تدعو على الأحوص .

[وعده مخزوميّ أن يعينه عند الوليد ثم أخلف]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثني عُمَر بن شبَّة قال حدّثني أبي قال : ركِب الأحوص إلى الوليد بن عبد الملك قبل ضرب ابن حَزْمٍ إيّاه ، فلقِيَه رجلٌ من بني مخزوم يقال له محمد بن عُتبة ، فوعَده أن يُعينه . فلمّا دخل على الوليد قال ويحك ؛ ما هذا الذي رُمِيتَ به يا أحوص ؟ قال : والله يا أمير المؤمنين ، لو كان الذي رماني به ابن حزمٍ من أمر الدِّين لاجتنبتُه ، فكيف وهو من أكبر مَعاصي الله ؛ فقال ابن عتبة : يا أمير المؤمنين ، إنّ من فضل ابن حزمٍ وعَدْلِه كذا وكذا وأثنى عليه . فقال الأحوص : هذا والله كما قال الشاعر : [من الطويل]

وكنتَ كذئبِ السَّوْءِ لَمّا رأى دَماً بصاحبه يومــاً أحــالَ على الدَّمِ

[شكاه أهل المدينة فنفي إلى دَهْلك ثم استعطف عمر بن عبد العزيز فلم يعطف عليه]

فأمّا خبره في بقيّة أيّام سليمان بن عبد الملك وعُمَر بن عبد العزيز ، فأخبرني به أبو خليفة الفضلُ بن الحُباب [الجُمَحيّ] قال حدّثنا عون بن محمد بن سلاّم قال حدّثني أبي عمّن حدّثه عن الزُّهريّ ، وأخبرني به الطُّوسيّ والحِرْمِيّ بن أبي العلاء قالا حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني عَمِّي مُصعب عن مصعب بن عثمان قال : كان الأَحوص يَنْسُب بنساءٍ ذواتِ أخطار من أهل المدينة ، ويتغنّى في شعره معبد ومالك . ويَشِيع ذلك في الناس ، فنُهي فلم يَنْتَهِ ؛ فشُكي إلى عامل سليمان بن عبد الملك على المدينة وسألوه الكتاب فيه إليه ، ففعل ذلك . فكتب سليمان إلى عامله يأمره أن يضربه مائة سوطٍ ويُقيمَه على البُلُس للناس . ثم يُصيِّره إلى دَهْلك ففعل ذلك به ؛ فثوى هناك سلطان سليمان بن عبد الملك . ثم وَلِي عمر بن عبد العزيز ؛ فكتب إليه يستأذنه في القدوم ويمدحه ؛ فأبى أن يأذَن له . وكتب فيما كتب إليه به[1] : [من الطويل]

أيــا راكبــاً إمّا عَرَضْتَ فبَلِّغَنْ هُدِيــتَ أميرَ المؤمنـين رسائــلي

---

1 شعر الأحوص : 180 .

وقُـلْ لأبــي حَفْصٍ إذا مـا لَقِيتَهُ ⁂ لقـد كنـت نَفّاعـاً قليلَ الغوائلِ
وكيف تــرى للعيشِ طِيباً ولَـذَّةً ⁂ وخالُك أمسَى مُوثَقاً في الحبائلِ !

هذه الأبيات من رواية الزُّبير وحده ، ولم يذكرها ابن سَلاَّم ، قال : فأتى رجالٌ من الأنصار عُمَرَ بن عبد العزيز ، فكلَّموه فيه وسألوه أن يُقْدِمَه ، وقالوا له : قد عرفتَ نَسَبَه وموضعَه وقديمَه ، وقد أُخْرِجَ إلى أرض الشِّرْك ، فنطلب إليك أن تردَّه إلى حَرَم رسول الله ﷺ ودارِ قومه . فقال لهم عمر : فمَنِ الذي يقول[1] : [من الطويل]

فمـا هُــوَ إلاّ أن أَراها فُجاءَةً ⁂ فأُبْهَتَ حتّى مـا أكادُ أُجِيبُ

قالوا : الأحوص . قال : فمن الذي يقول[2] : [من الطويل]

أَدُورُ ولولا أنْ أَرى أمَّ جَعْفَرٍ ⁂ بأبياتكم ما دُرْتُ حيثُ أدورُ
وما كنتُ زَوَّاراً ولكِنَّ ذا الهوى ⁂ إذا لم يـزرْ لا بُـدَّ أنْ سَيَزُورُ

قالوا : الأحوص . قال : فمن الذي يقول[3] : [من المنسرح]

كأنّ لُبْنَى صَبيرُ غاديــةٍ ⁂ أو دُمْيَةٌ زُيِّنَتْ بها البِيَعُ
اللهُ بيني وبين قَـيِّمِهــا ⁂ يَفِــرُّ منِّـــي بها وأَتَّبِعُ

قالوا : الأحوص . قال : بَلِ اللهُ بين قَـيِّمها وبينه . قال : فمن الذي يقول[4] : [من الطويل]

ستَبْقى لها في مُضْمَرِ القلبِ والحَشا ⁂ سريرةُ حُبٍّ يومَ تُبْلَـى السَّرائرُ

قالوا : الأحوص . قال : إنّ الفاسق عنها يومئذٍ لمشغولٌ ، والله لا أَرُدُّه ما كان لي سلطان . قال : فمكث هناك بقيّة ولاية عُمَرَ وصَدراً من ولاية يزيد بن عبد الملك .

[غنّت حبابة يزيد بن عبد الملك بشعر فلما علم أنّه للأحوص أطلقه وأجازه]

قال : فبينا يزيد وجاريته حبابة ذاتَ ليلةٍ على سطح تُغَنِّيه بشعر الأحوص ، قال لها : مَنْ يقول هذا الشعر ؟ قالت : لا وعينيك ما أدري ! قال : وقد كان ذهب من الليل شَطْرُه ، فقال : ابعثوا إلى ابن شِهابٍ الزُّهريّ ، فعسى أن يكون عنده علمٌ من ذلك . فأُتِي الزهريّ فقُرِع عليه بابُه فخرج مُرَوَّعاً إلى يزيد . فلمّا صعِد إليه قال له يزيد : لا تُرَعْ ، لم نَدْعُك إلاّ لخير ، اجلِس ، مَن يقول هذا الشعر ؟ قال : الأحوص بن محمد يا أمير المؤمنين . قال : ما فَعَل ؟ قال : قد طال حبسُه

1 شعر الأحوص (القسم الثاني) : 213 وينسب إلى كثيرين غير الأحوص .
2 شعر الأحوص : 125 .
3 شعر الأحوص : 143-144 .
4 شعر الأحوص : 118 .

بدَهْلك . قال : قد عَجِبْتُ لعُمَر كيف أغفلَه . ثم أمر بتخلية سبيله ، ووهب له أربعمائة دينار . فأقبل الزُّهريّ من ليلته إلى قومه من الأنصار فبَشَّرهم بذلك .

[عتابه لعمر بن عبد العزيز]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثنا محمد بن إسماعيل ومحمد بن زيد الأنصاريّ قالا : لّما وَلِي عمر بن عبد العزيز الخلافة أدنى زيد بن أسلم ، وجفا الأحوص . فقال له الأحوص[1] : [من الطويل]

ألستَ أبا حَفْصٍ هُدِيتَ مُخَبِّري ... أفي الحَقِّ أَنْ أُقْصَى ويُدْنى ابنُ أَسْلَما

فقال عمر : ذلك هو الحقّ .

قال الزُّبير : وأنشدنيها عبد الملك بن الماجِشون عن يوسف بن الماجِشون : [من الطويل]

ألا صِلَةُ الأرحامِ أدنى إلى التُّقَى ... وأظهرُ في أكفائه لو تَكَرَّما

فما تركَ الصُّنْعُ الذي قد صنعتَه ... ولا الغيظُ منِّي ليس جِلْداً وأَعْظُما

وكنّا ذَوِي قُرْبَى لديك فأصبحتْ ... قرابتُنا ثَدْياً أَجَدَّ مُصَرَّما[2]

وكنتَ وما أَمَّلْتُ منك كَبارقٍ ... لَوى قَطْرَه من بعد ما كان غَيَّما

وقد كنتَ أَرْجى الناسِ عندي مَوَدّةً ... ليالِيَ كان الظنُّ غَيْباً مُرَجَّما

أَعُدُّك حِرْزاً إن جَنيتُ ظُلامةً ... ومالاً ثَرِيّاً حين أحمِلُ مَغْرَما

تَدارَكْ بعُتْبَى عاتباً ذا قَرابَةٍ ... طَوى الغيظَ لم يَفْتَحْ بسُخْط له فَما

[قيل إنّه دسّ إلى حبابة الشعر الذي غنّت يزيد به]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال : كتب إليّ إسحاق بن إبراهيم أنّ أبا عبيدة حدّثه : أنّ الأحوص لم يَزَلْ مقيماً بدَهْلَك حتى مات عمر بن عبد العزيز ، فدَسّ إلى حبابة فغنَّت يزيد بأبيات له ، قال أبو عبيدة : أظنّها قوله[3] : [من الخفيف]

صوت

أيُّهذا المُخَبِّري عن يزيدٍ ... بصَلاحٍ فِداكَ أهلي ومالي

ما أُبالي إذا يزيدُ بَقِي لي ... مَنْ تَوَلَّتْ به صُروفُ الليالي

---

1 شعر الأحوص : 197 .

2 الثدي الأجد : لا لبن فيه .

3 شعر الأحوص : 184 .

لم يجنِّسه . كذا جاء في الخبر أنّها غنَّته به ، ولم يذكر طريقته . قال أبو عبيدة : أُراه عَرّض بعمر بن عبد العزيز ولم يَقدِر أن يصرِّح مع بني مروان ، فقال : مَنْ يقول هذا ؟ قالت : الأحوص ، وهوّنتْ أمره ، وكلَّمته في أمانه فأمَّنه . فلمّا أصبح حضر فاستأذنت له ، ثمّ أعطاه مائة ألف درهم .

أخبرنا الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن الهيثم بن عَدِيّ عن صالح بن حسّان : أنّ الأحوص دَسَّ إلى حبابة ، فغنَّت يزيد قوله[1] : [من الطويل]

كريمُ قُرَيْشٍ حين يُنْسَبُ والذي ... أقرَّتْ لـه بالمُلْكِ كَهْلاً وأَمْرَدا

وليس وإن أعطاك في اليوم مانِعاً ... إذا عُدْتَ من أضعاف أُضعافِه غَدا[2]

أهان تِلادَ المـالِ في الحمدِ إنَّه ... إمامُ هُدًى يجري على مـا تَعَوَّدا

تَشرَّفَ مجـداً مـن أبيه وجَدّه ... وقـد وَرِثـا بُنْيانَ مجدٍ تَشَيّدا[3]

فقال يزيد : ويلك يا حبابة ! مَن هذا من قريش ؟ قالت : ومَنْ يكون ؟ أنت هو يا أمير المؤمنين . فقال : ومن قال هذا الشعر ؟ قالت : الأحوص يمدح به أميرَ المؤمنين ؛ فأمر به أمير المؤمنين أن يُقْدَمَ عليه من دَهْلَكَ ، وأمر له بمالٍ وكُسْوة .

[أخبره يزيد بن عبد الملك بأنّه معجب بشعر له في مدحهم]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني بعض أهل العلم قال : دخل الأحوص على يزيد بن عبد الملك وهو خليفةٌ ؛ فقال له يزيد : والله لو لم تَمُتَّ إلينا بحُرمة ، ولا تَوَسَّلتَ بدالَّة ، ولا جَدَّدْتَ لنا مَدحاً ، غيرَ أنّك مُقتصِرٌ على البيتين اللذين قلتَهما فينا ، لكنتَ مُستوجباً لجزيل الصِّلَةِ منّي حيث تقول[4] : [من الطويل]

وإنّي لأَستحيِيكُمُ أنْ يقودَني ... إلى غيرِكم من سائرِ الناس مَطْمَعُ

وأنْ أَجْتَدي للنفعِ غيرَك منهمُ ... وأنت إمـامٌ للرعيّـةِ مَقْنَـعُ

قال : وهذه قصيدةٌ مدَح بها عمر بن عبد العزيز .

[لمّا ولي يزيد بعث إليه فأكرمه فمدحه]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني عبد الرحمن بن عبد الله الزُّهريّ قال حدّثني

1 من قصيدة ضمّت 31 بيتاً ؛ شعره : 98- 104 .

2 الشطر الأول في رواية الديوان : «وليس عطاء كان منه بمانع» .

3 تشرف مجداً في الديوان : «تردى بمجد» .

4 شعر الأحوص : 141 .

عمر بن موسى بن عبد العزيز قال : لمّا وَلِي يزيد بن عبد الملك بعث إلى الأحوص ، فأُقْدِم عليه ، فأكرمه وأجازه بثلاثين ألفَ درهم . فلمّا قَدِم قُباء صَبَّ المالَ على نِطْعٍ ودعا جماعةً من قومه ، وقال : إنّي قد عَمِلتُ لكم طعاماً . فلمّا دخلوا عليه كشَف لهم عن ذلك المال ، وقال : ﴿أَفَسِحْرٌ هذا أَمْ أَنْتُمْ لا تُبْصِرُون﴾ .

قال الزُّبير : وقال في يزيد بن عبد الملك يمدحه حينئذٍ بهذه القصيدة[1] : [من الخفيف]

صَرَمتْ حَبْلَك الغداةَ نَوارُ ... إنّ صَرْماً لكلِّ حبلٍ قُصارُ

وهي طويلة ، يقول فيها :

مَنْ يَكُنْ سائلاً فإنّ يزيداً ... مَلِكٌ مِنْ عَطائه الإكثارُ

عمَّ معروفُه فعَزَّ به الدِّيـ ... ـنُ وذَلَّتْ لِمُلْكِه الكُفّارُ

وأقامَ الصِّراطَ فابتهجَ الحْـ ... ـقُّ منيراً كما أنارَ النَّهارُ

ومن هذه القصيدة بيتان يُغنَّى فيهما ، وهما : [من الخفيف]

صوت

بَشَرٌ لو يَدِبُّ ذَرٌّ عليه ... كان فيه من مَشْيِه آثارُ

إنّ أَرْوى إذا تذكَّر أرْوى ... قَلْبُه كاد قلبُه يُستَطارُ

غنَّت فيه عَرِيبُ لحناً من الثقيل الأوّل بالبنصر ، وذكر ابنُ المكّي أنّه لجدّه يحيى .

[أراد أن يكيد عند يزيد لابن حزم فلم يقبل منه وأهانه]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني عمّي مُصعب عن مُصعب بن عثمان قال : حَجّ يزيد بن عبد الملك فتزوّج بنت عون بن محمد بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وأَصدَقها مالاً كثيراً ؛ فكتب الوليد بن عبد الملك إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم : إنّه بلغ أميرَ المؤمنين أنّ يزيدَ بن عبد الملك قد تزوّج بنتَ عون بن محمد بن عليّ بن أبي طالب وأَصدَقها مالاً كثيراً ، ولا أُراه فعل ذلك إلاّ وهو يراها خيراً منه ، قَبَّح الله رأيَه ؛ فإذا جاءك كتابي هذا فادْعُ عوناً فاقبِض المال منه ؛ فإنْ لم يدفعه إليك فاضربه بالسِّياط حتى تستَوفيه منه ثم افسَخْ نِكاحه . فأرسل أبو بكر بن محمد بن عمرو إلى عون بن محمد وطالبه بالمال . فقال له : ليس عندي شيءٌ وقد فرّقته . فقال له أبو بكر : إنّ أمير المؤمنين أمَرَني إن لم تدفعه إليّ كلَّه أن أضربَك بالسِّياط ثم لا أرفعَها عنك حتى أَستوفِيَه منك . فصاح به يزيد : تعال إليّ ،

---

1 شعر الأحوص : 123 .

فجاءه ؛ فقال له فيما بينه وبينه : كأنّك خَشِيتَ أن أُسْلِمَك إليه ، ادفَع إليه المال ولا تُعَرِّض له نفسك ؛ فإنّه إنْ دفعه إليّ رددتُه عليك ، وإن لم يَرُدَّه عليّ أخلفتُه عليك ، ففعل . فلمّا وَلِيَ يزيد بن عبد الملك ، كتب في أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حَزم وفي الأحوص ، فحُملا إليه ، لِما بين أبي بكر والأحوص من العداوة ؛ وكان أبو بكر قد ضرب الأحوص وغرَّبه إلى دَهْلك وأبو بكر مع عمر بن عبد العزيز ، وعمر إذ ذاك على المدينة . فلمّا صارا بباب يزيد أُذِن للأحوص ، فرفع أبو بكر يديه يدعو ، فلم يَخفِضهُما حتى خرج الغِلمان بالأحوص مُلَبَّباً مكسور الأنف ، وإذ هو لمّا دخل على يزيد قال له : أصلحك الله ؛ هذا ابن حَزمٍ الذي سفَّه رأيَك وردّ نِكاحك . فقال يزيد : كذبتَ ! عليك لعنةُ الله وعلى مَن يقول ذلك ! اكسِروا أنفَه ، وأمر به فأُخرج مُلَبَّباً .

[قصّته مع عبد الحكم بن عمرو الجمحيّ]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني عبد الرحمن بن عبد الله عن عبد الله بن عمرو الجُمحيّ قال : كان عبد الحكم بن عمرو بن عبد الله بن صفوان الجُمحيّ قد اتّخذ بيتاً فجعل فيه شِطْرَنْجاتٍ ونَرْداتٍ وقِرقاتٍ ودفاتر فيها من كلّ علم ، وجعل في الجدار أوتاداً ، فمَن جاء علَّق ثيابه على وتِدٍ منها ، ثم جرَّ دفتراً فقرأه ، وأخذ بعض ما يُلعَب به فلعِب به مع بعضهم . قال : فإنّ عبد الحكم يوماً لَفي المسجد الحرام إذا فتًى داخلٌ من باب الحَنَّاطين إلى باب بني جُمَحَ ، عليه ثوبان مُعَصفران مَدلُوكان وعلى أُذنه ضِغْثُ ريحانٍ وعليه رَدعُ الخَلوق ، فأقبل يَشُقُّ الناس حتى جلس إلى عبد الحَكَم بن عمرو بن عبد الله ؛ فجعل مَن رآه يقول : ماذا صُبَّ عليه من هذا ؟ ألم يَجِدْ أحداً يجلس إليه غيرَه ؛ ويقول بعضهم : فأيّ شيء يقوله له عبد الحكم وهو أكرمُ من أن يَجبَه مَن يقعُد إليه ! فتحدّث إليه ساعةً ثم أهوى فشبَّك يده في يد عبد الحَكَم وقام يَشُقُّ المسجد حتّى خرج من باب الحَنَّاطين ، قال عبد الحكم : فقلت في نفسي : ماذا سَلَّط الله عليّ منك ! رآني معك نصْفُ الناس في المسجد ونصفُهم في الحَنَّاطين ، حتّى دخل مع عبد الحكم بيتَه ، فعلَّق رداءَه على وَتِدٍ وحَلَّ أزرارَه واجْتَرَّ الشِّطْرَنْجَ وقال : مَن يلعب ؟ فبينا هو كذلك إذ دخل الأبْجَرُ المغنِّي ، فقال له : أي زِنديق ما جاء بك إلى هاهنا ؟ وجعل يشتُمه ويُمازحه . فقال له عبد الحكم : أتشتُم رجلاً في منزلي ! فقال : أتعرِفه ؟ هذا الأحوص . فاعتنقه عبد الحكم وحيّاه . وقال له : أمّا إذ كنت الأحوص فقد هان عليّ ما فعلتَ .

[خطب عبد الملك بن مروان أهل المدينة وتمثّل بشعر له]

أخبرني الطُّوسيّ والحِرْميّ قالا حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني حميد بن عبد العزيز عن

أبيه قال : لمّا قَدِم عبد الملك بن مَروان حاجاً سنة خمس وسبعين ، وذلك بعد ما اجتمع الناس عليه بعامين ، جلس على المِنبر فشتَم أهلَ المدينة ووبَّخهم ، ثم قال : إنِّي والله يا أهلَ المدينة قد بلوتُكم فوجدتكم تَنْفَسُون القليلَ وتحسُدون على الكثير ، وما وجدتُ لكم مثلاً إلاّ ما قال مُخَنَّثكُم وأخوكم الأحوص[1] : [من الطويل]

وكَمْ نزلتْ بي من خُطُوبٍ مُهِمّةٍ ... خَذَلْتُمْ عليها ثمّ لم أتَخَشَّعِ
فأدْبَرَ عنّي شَرُّها لم أُبَلْ بها ... ولم أَدْعُكُمْ في كَرْبِها المُتَطَلَّعِ

فقام إليه نوفل بن مُساحِق فقال : يا أمير المؤمنين ، أقررنا بالذَّنب وطلبنا المعذرة ؛ فعُدْ بحِلْمِك ، فذلك ما يُشْبِهُنا منك ويُشْبِهُك منّا ؛ فقد قال مَنْ ذكرتَ من بعد بيتيه الأوّلين : [من الطويل]

وإنّي لَمُسْتَأْنٍ ومُنْتَظِرٌ بكم ... وإنْ لم تقولوا في المُلِمّاتِ دَعْ دَعِ[2]
أُؤمِّلُ منكم أنْ تَرَوْا غيرَ رأيكم ... وشيكاً وكيما تَنْزِعُوا خيرَ مَنْزَعِ

[أثر أهل دهلك عنه الشعر وعن عراك بن مالك الفقه]

أخبرني الحِرْميّ والطُّوسيّ قالا حدّثنا الزُّبير قال حدّثني محمد بن الضحّاك عن المُنذر بن عبد الله الحِزاميّ : أنّ عِراك بن مالك كان من أشدّ أصحاب عمر بن عبد العزيز على بني مروان في انتزاع ما حازوا من الفَيْء والمَظالم من أيديهم . فلمّا وَلِيَ يزيد بن عبد الملك وَلّى عبد الواحد بن عبد الله النَّصْريّ المدينة ، فقرّبَ عِراك بن مالك وقال : صاحبُ الرجل الصالح ، وكان لا يقطع أمراً دونه ، وكان يجلس معه على سريره . فبينا هو معه إذ أتاه كتابُ يزيد بن عبد الملك : أنِ ابعَثْ مع عِراك بن مالك حَرَسيّاً حتى يُنزله أرض دَهلَكَ وخُذْ من عِراكٍ حمولتَه . فقال لحَرَسيٍّ بين يديه وعِراكٌ معه على السرير : خُذْ بيد عِراكٍ فابتَعْ من ماله راحلةً ثم تَوَجَّهْ به نحو دَهْلَكَ حتى تُقِرَّه فيها ؛ ففعل ذلك الحرسيّ . قال : وأَقْدَم الأحوص ؛ فمدحه الأحوصُ ؛ فأكرمه وأعطاه . قال : فأهلُ دَهْلَكَ يأْثُرون الشعرَ عن الأحوص ، والفِقْه عن عِراك بن مالك .

[كاد له الجراح الحكميّ بأذربيجان لهجائه يزيد بن المهلّب]

أخبرني أبو خليفة الفَضْلُ بن الحُباب عن محمد بن سَلاّم عن أبي الغَرّاف عمّن يَثِق به قال : بعثَ يزيد بن عبد الملك حين قُتِل يزيد بن المهلّب في الشعراء ، فأمر بهجاء يزيد بن المهلّب ،

---

1 شعر الأحوص : 154 مع اختلاف طفيف في الرواية .

2 بكم في ل : معاً .

منهم الفرزدق وكُثَيِّرٌ والأحوص . فقال الفرزدق : لقدِ امتدحتُ[1] بني المهلَّب بمدائح ما امتدحتُ بمثلها أحداً ، وإنّه لقبيحٌ بمثلي أن يُكذّب نفسه على كِبر السِّنّ ، فَلْيُعفِني أمير المؤمنين ؛ قال : فأعفاه . وقال كُثَيِّرٌ : إنّي أكره أن أُعَرِّضَ نفسي لشعراء أهل العراق إن هجوتُ بني المهلَّب . وأمّا الأحوص فإنّه هجاهم . ثم بعث به يزيد بن عبد الملك إلى الجرَّاح بن عبد الله الحَكَميّ وهو بأذربيجان ، وقد كان بلغ الجرّاح هجاءُ الأحوص بني المهلّب ، فبعث إليه بزِقٍّ من خمرٍ فأُدخِل منزل الأحوص ، ثم بعث إليه خيلاً فدخلتْ منزلَه فصبُّوا الخمر على رأسه ثم أخرجوه على رؤوس الناس فأتو به الجرّاح ، فأمر بحَلقِ رأسه ولحيته ، وضربه الحَدَّ بين أوجُه الرجال ، وهو يقول : ليس هكذا تُضرَب الحدود ؛ فجعل الجرّاح يقول : أجَلْ ! ولكن لِما تعلَم . ثم كتب إلى يزيد بن عبد الملك يعتذر فأغضى له عليها .

[رأي أبي الفرج فيه]

قال أبو الفرج الأصبهانيّ[2] : وليس ما جرى من ذكر الأحوص إرادةً للغَضِّ منه في شعره ، ولكنّا ذكرنا من كلِّ ما يُؤْثَـرُ عنه ما تُعْرَفُ به حاله من تقدُّمٍ وتأخُّرٍ ، وفضيلةٍ ونقصٍ ؛ فأمّا تفضيلُه وتقدُّمه في الشعر فمُتَعالَم مشهور ، وشِعرُه يُنْبِىء عن نفسه ويدُلّ على فضله فيه وتقدُّمه وحُسنِ رونقه وتَهَذُّبِه وصَفائه .

[رأى الفرزدق وجرير في نسيبه]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء والطُّوسيّ قالا حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثنا عبد الملك بن عبد العزيز قال حدّثني عبد الله بن مُسلم بن جُنْدَب الهُذَليّ قال حدّثنا شيخٌ لنا من هُذَيل كان خالاً للفرزدق من بعض أطرافه قال : سمعتُ بالفرزدق وجرير على باب الحجّاج ، فقلتُ : لو تَعرّضتُ ابن أُختِنا ! فامتطيتُ إليه بعيراً ، حتى وجدتُهما قبل أن يَخلُصا ، ولكلٍّ واحدٍ منهما شيعةٌ ؛ فكنتُ في شيعة الفرزدق ؛ فقام الآذن يوماً فقال : أين جرير ؟ فقال جرير : هذا أبو فراس ؛ فأظهرتْ شيعتُه لَوْمَه وأسَرَّته . فقال الآذِن : أين الفرزدق ؟ فقام فدخل . فقالوا لجرير : أتُناوِئه وتُهاجيه وتُشاخِصُه ، ثم تُبَدَّى عليه فتأبى وتُبَدِّيه ؟ ! قضيتَ له على نفسك ؛ فقال لهم : إنّه نزْرُ القول ، ولم يَنْشَب أن يَنفَد ما عنده وما قال فيه فيُفاخره ويرفَع نفسه عليه ؛ فما جئتُ به بعدُ حُمِدْتُ عليه واستُحسِن . فقال قائلُهم : لقد نظرتَ نَظَراً بعيداً . قال : فما نَشِبوا أنْ خرج الآذِن فصاح : أين جرير ؟ فقام جرير فدخل . قال : فدخلتُ ، فإذا ما مدحه به الفرزدق قد نفِد ، وإذا هو يقول : [من الكامل]

---

1 ل : مدحت .

2 ل : مؤلّف هذا الكتاب .

أينَ الذين بِهِمْ تُسامي دارِماً ... أَمْ مَنْ إلى سَلَفَيْ طُهَيَّةَ تجعلُ

قال : وعِمامته على رأسه مثل المِنْسَف ، فصِحتُ من ورائه[1] : [من الكامل]

هذا ابنُ يوسُفَ فاعْلَموا وتَفَهَّموا ... بَرِحَ الخَفاءُ فليس حين تَناجِي

مَنْ سَدّ مُطَّلَعَ النِّفاقِ عليكُمُ ... أَمْ مَنْ يَصُولُ كصَوْلَةِ الحجَّاجِ

أم مَنْ يَغارُ على النِّساء حفيظةً ... إذ لا يَثِقْنَ بغَيْرةِ الأزواجِ

قُلْ لِلْجَبَانِ إذا تأخَّر سَرْجُهُ ... هل أنتَ من شَرَكِ المَنِيَّةِ ناجي

قال : وما تشبيبها ؟ وطرِب : فقال جرير : [من الكامل]

لَجَّ الهَوى بفُؤادِك المِلْجاجِ ... فاحْبِسْ بتُوضِحَ باكِرَ الأَحْداجِ

وأَمَّرها ، أو قال : أمضاها . فقال : أَعْطُوه كذا وكذا ؛ فاستقللت ذلك . فقال الهُذَليّ : وكان جريرٌ عربيّاً قَرَوِيّاً ، فقال للحجّاج : قد أمر لي الأمير بما لم يُفهَم عنه ، فلو دعا كاتباً وكتب بما أمَر به الأمير ؛ فدعا كاتباً واحتاط فيه بأكثر من ضِعفه ، وأعطى الفرزدق أيضاً . قال الهُذليّ : فجئتُ الفرزدق فأمر لي بستّين ديناراً وعبدٍ ، ودخلتُ على رُواته فوجدتُهم يُعَدِّلون ما انحرف من شِعره ، فأخذتُ من شعره ما أردتُ . ثم قلتُ له : يا أبا فِراس ، مَن أشعر الناس ؟ قال : أشعرُ الناس بعدي ابنُ المَراغة . قلت : فمَنْ أنْسبُ الناس ؟ قال الذي يقول[2] : [من الكامل]

لِي ليلتانِ فليلةٌ مَعْسُولةٌ ... أَلْقَى الحبيبَ بها بِنَجْمِ الأَسْعُدِ

ومُرِيحةٌ هَمِّي عليَّ كأنَّني ... حتى الصَّباحِ مُعَلَّقٌ بالفَرْقَدِ

قلت : ذاك الأحوص . قال : ذاك هو . قال الهذليّ : ثم أتيتُ جريراً فجعلتُ أستقلّ عنده ما أعطاني صاحبي أَستَخرِج به منه ؛ فقال : كم أعطاك ابنُ أُختِك ؟ فأخبرته . فقال : ولك

1 انظر ديوان جرير (طبعة صادر ، 1964) : 73–74 هناك اختلاف كبير في الرواية والترتيب ويبدو أنّ البيت الأوّل قد لُفّق من بيتين في هذه القصيدة :

إنّ ابن يوسف فاعلموا وتيقّنوا ... ماضي البصيرة واضح المنهاج

فاستوسقوا وتبيّنوا سبل الهدى ... ودعوا النجيّ فليس حين تناجي

ومطلع القصيدة في الديوان :

هاج الهوى بفؤادك المهتاج ... فانظر بتوضح باكر الأحداج

2 شعر الأحوص : 109 وهما من أبيات سترِد فيما بعد مطلعها :

يا للرجال لوجدك المتجدّد ... ولما تؤمل من عقيلة في غد

مثله ؛ فأعطاني ستّين ديناراً وعبداً . قال : وجئتُ رُواتَه وهم يُقَوِّمون ما انحرف من شعره وما فيه من السِّناد ، فأخذتُ منه ما أردت ، ثم قلتُ : يا أبا حَزْرَةَ ، مَن أَنْسَبُ الناس ؟ قال الذي يقول[1] : [من المنسرح]

يا ليتَ شِعْرِي عَمَّنْ كَلِفْتُ به ... من خَثْعَمٍ إذ نأَيْتُ ما صَنَعوا

قومٌ يَحُلُّون بالسَّدِير وبالـ ... ـحِيرَةِ منهم مَرْأىً ومُسْتَمَعُ

أَنْ شَطَّتِ الدارُ عن دِيارِهِمُ ... أأمسكوا بالوِصال أم قَطَعُوا

بل هُمْ على خَيْرِ ما عَهِدْتُ وما ... ذلكَ إلاّ التأميلُ والطَّمَعُ

قلت : ومَن هو ؟ قال : الأحوص . فاجتمعا على أن الأحوص أنسبُ الناس .

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

منها الأبيات التي يقول فيها الأحوص : [من الكامل]

لي ليلتان فليلةٌ معسولةٌ

وأوّل ما يُغنّى به فيها : [من الكامل]

صوت

يا لَلرَّجالِ لِوَجْدِكَ المُتَجَدِّدِ ... ولِمَا تُؤَمِّلُ من عَقِيلةَ في غَدِ

ترجو مَواعِدَ بَعْثُ آدمَ دونها ... كانتْ خَبالاً للفؤادِ المُقصَدِ

هل تذكُرين عَقِيلُ أو أَنْساكِهِ ... بَعْدِي تَقَلُّبُ ذا الزَّمانِ المُفْسِدِ

يومي ويَوْمَكِ بالعَقِيقِ إذِ الهَوى ... منّا جَمِيعُ الشَّمْلِ لم يَتَبَدَّدِ

لي ليلتانِ فليلةٌ معسولةٌ ... أَلقَى الحبيبَ بها بنَجْمِ الأَسْعُدِ

ومُرِيحةٌ هَمِّي عليّ كأنَّني ... حتَّى الصباحِ مُعَلَّقٌ بالفَرْقَدِ

عروضه من الكامل . يقال : يا لِلرّجال ويا لَلرجال بالكسر والفتح وفي الحديث أنّ عمر رضي الله عنه صاح لَمّا طُعِن : يا لله يا للمسلمين . وقوله «في غد» ، يريد فيما بعد وفي باقي الدهر ؛ قال الله سبحانه : ﴿سَيَعْلَمُونَ غداً مَنِ الكَذَّابُ الأَشِرُ﴾ . والخَبَل والخَبالُ : النُّقصان من الشيء . والمُخَبَّل ، أصلُه مأخوذ من النقص لأنّه ناقص العقل . والمعسولة : الحُلْوة المشتهاة .

الشعر للأحوص . والغناء في البيت الأوّل والثاني لمالك خفيف رمل بالبنصر عن الهشاميّ

---

1 شعر الأحوص : 144 عن الأغاني .

وحَبَش . وفي الثالث والرابع لسليمان أخي بابَوَيْهِ ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو . وفيهما وفي الخامس والسادس لحن لابن سُرَيج ذكره يونس ولم يجنّسه . وذكر حمّاد بن إسحاق عن أبيه أنّ لَمعبدٍ في الأبيات كلّها لحناً وأنّه من صحيح غنائه ، ولم يُجنِّسه .

[سألت امرأة ابناً للأحوص عن شعر له]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أيّوب بن عَباية قال : بلغني أنّ ابناً للأحوصِ بن محمد الشاعر دخل على امرأةٍ شريفةٍ ، وأخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزّبير بن بَكّار قال حدّثني إبراهيم بن زيد عن عَنْبَسَة بن سعيد بن العاصي قال أخبرني أَشْعَبُ بن جُبَيْر قال : حضرتِ امرأةٌ شريفةٌ ودخل عليها ابن الأحوص بن محمد الشاعر ؛ فقالت له : أتروي قولَ أبيك : [من الكامل]

لي ليلتــانِ فليلـةٌ معسولـةٌ ... ألقَى الحبيبَ بها بنجم الأَسْعُدِ
ومُريحـةٌ هَمِّـي عـليّ كأنّني ... حتّى الصباحِ معلّـقٌ بالفَرْقَدِ

قال نعم . قالت : أتدري أيّ الليلتين التي يبيت فيها معلّقا بالفَرقد ؟ قال : لا والله . قالت : هي ليلة أُمِّك التي يبيت معها فيها . قال إبراهيم في خبره : فقلتُ لأشعب : يا أبا العلاء ، فأيُّ ليلتيه المعسولة ؟ فقال[1] : [من الطويل]

سَتُبْدِي لك الأيّامُ ما كنتَ جاهلاً ... ويأتِيـكَ بالأخبارِ مَـنْ لم تُزَوِّدِ

هي ليلة الإسراف[2] ، ولا تسأل عمّا بعدها .

[ما قاله ابن جندب حين أنشد شعر الأحوص]

أخبرني عبد العزيز ابن بنت الماجشون قال : أُنشِدَ ابن جُندبٍ قول الأحوص : [من الكامل]

لي ليلتـانِ فليلـــةٌ معسولـةٌ ... ألْقَى الحبيبَ بها بنجم الأَسْعُدِ
ومُريحـــةٌ هَمّـي عليّ كأنّني ... حتّى الصباحِ معلّـقٌ بالفَرْقَدِ

فقال : أمَا إنّ الله يعلم أنّ الليلة المريحة هَمِّي لألذُّ الليلتين عندي . قال الحِرْميّ بن أبي العلاء : وذلك لِكَلَفِه بالغزَل والشّوق والحنين وتَمَنّي اللقاء .

[من هي عقيلة التي شغف بها الأحوص]

وللأحوص مع عقيلة هذه أخبارٌ قد ذُكِرت في مواضع أُخَرَ . وعقيلة امرأة من وَلَد عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه . وقد ذكر الزّبير عن ابن بنت الماجشون عن خاله أنّ عقيلة هذه هي سُكَينة بنت الحسين عليهما السلام ، كَنى عنها بعقيلة .

---

1 هذا البيت من معلّقة طرفة .

2 ل : الأشراف .

[أعجب أبو عبيدة بن محمد بن عمّار ببيت له]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني عمر بن أبي بكر المؤمِّلي : أنّ إنساناً أُنشد عند إبراهيم بن هشام وهو والي المدينة قول الأَحوص : [من البسيط]

إذْ أنتِ فينا لِمَنْ يَنْهاكِ عاصيةٌ وإذْ أُجُرُّ إليكم سادراً رَسَني

فوثب أبو عبيدة بن عمّار بن ياسرٍ قائماً ثم أُرخى رِداءه ومضى يمشي على تلك الحال ويَجُرّه حتى بلغ العِرضَ ثم رجع . فقال له إبراهيم بن هشام حين جلس : ما شأنُك ؟ فقال : أيّها الأمير ، إنّي سمعتُ هذا البيتَ مرّةً فأعجبني ، فحلفتُ لا أسمَعُه إلاّ جَرَرْتُ رَسَني[1] .

نسبة هذا البيت وما غُنِّي[2] فيه من الشعر

صوت

[من البسيط]

سَقْياً لِرَبْعِك من رَبْعٍ بذِي سَلَمٍ وللزَّمانِ به إذ ذاكَ من زَمَنِ
إذْ أنتِ فينا لمن يَنْهاكِ عاصيةٌ وإذ أُجُرُّ إليكم سادِراً رَسَني

عروضه من البسيط . غنَّى ابن سُريج في هذين البيتين لحناً من الثقيل الأوّل بالوسطى عن عمرو . وذكر إسحاق فيه لحناً من الثقيل الأوّل بالسبابة في مجرى الوسطى ولم ينسبه إلى أحد ، وذكر حَبَشٌ أنّه للغريض .

[كان حمّاد الراوية يفضّله على الشعراء في النسيب]

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سَلاّم عن سالم بن أبي السَّحماء[3] وكان صاحب حمّادٍ الراوية : أنّ حمّاداً كان يقدِّم الأحوص في النَّسيب .

[هجا رجلاً فاستعدى عليه الفرزدق وجريراً فلم ينصراه فعاد فصالحه]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنا عمر بن أبي سليمان عن يوسف بن أبي سليمان بن عُنيزة قال : هجا الأحوص رجلاً من الأنصار من بني حرامٍ يقال له ابن بشير ، وكان كثير المال ؛ فغضِب من ذلك ، فخرج حتّى قدِم على الفرزدق بالبصرة وأهدى إليه وألطفه ، فقبِل منه ، ثـم جلسا يتحدّثـان ؛ فقـال الفرزدق : ممّن أنت ؟ قال : من الأنصار .

1 شعر الأحوص : 203 .
2 ل : ومن غنّى .
3 ل : السمحاء .

قال : ما أَقدمك ؟ قال : جئتُ مستجيراً بالله عزّ وجلّ ثم بك من رجلٍ هجاني . قال : قد أجارك الله منه وكفاك مُؤنته ، فأين أنت عن الأحوص ؟ قال : هو الذي هجاني . فأطرق ساعةً ثم قال : أليس هو الذي يقول[1] : [من الطويل]

ألا قِفْ بِرَسْمِ الدَّارِ فاسْتَنْطِقِ الرّسْما … فقَـدْ هـاجَ أحزاني وذَكَّرَني نُعْما

قال بلى . قال : فلا والله لا أهجو رجلاً هذا شِعره أبداً . فخرج ابن بشير فاشترى أَفضَل من الشِّراء الأوّل من الهدايا ، فقَدِم بها على جرير ؛ فأخذها وقال له : ما أَقدَمَك ؟ قال : جئت مستجيراً بالله وبك من رجلٍ هجاني . فقال : قد أجارك الله عزّ وجلّ منه وكفاكَ ، أين أنت عن ابن عَمِّك الأَحوص بن محمد ؟ قال : هو الذي هجاني . قال : فأطرق ساعةً ثم قال : أليس هو الذي يقول[2] : [من الطويل]

تَمَشَّى بشَتْمِي في أَكاريسِ مالكٍ … تُشِيدُ به كالكَلْبِ إذ يَنْبَحُ النَّجْما[3]

فما أنا بالمخْسُوسِ في جِذْمِ مالكٍ … ولا بالمُسَمَّى ثم يَلْتَزِمُ الإسْما

ولكـنّ بيتي إنْ سألتَ وجدتَـه … تَوَسَّط منها العِزَّ والحَسَبَ الضَّخْما[4]

قال : بلى والله . قال : فلا والله لا أهجو شاعراً هذا شعره . قال : فاشترى أفضل من تلك الهدايا وقَدِم على الأحوص فأهداها إليه وصالحَه .

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

[من الطويل]

ألا قِفْ بِرَسْمِ الدَّارِ فاستنْطِقِ الرّسْما … فقد هاجَ أحزاني وذكَّرني نُعْمَى

فبِـتُّ كأنِّي شاربٌ من مُدامَـةٍ … إذا أذهبتْ هَمّاً أتاحتْ لـه هَمَّا

غنّاه إبراهيم الموصليّ خفيف رملٍ بالوسطى عن الهشاميّ . وذكر عبد الله بن العبّاس الرَّبيعيّ أنّه له .

---

1 شعر الأحوص : 194 .

2 شعرالأحوص : 193–194 .

3 رواية الديوان :

وكنت وشتمي في أرومة مالك … بسبي به كالكلب إذ ينبح النجما

والأكاريس : جمع كرس وهو الجماعة من الناس .

4 بيتي في الديوان : أبي .

[أُنشد أبو السائب المخزوميّ شعراً له فطرِب]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثني الزُّبير قال حدّثني عبد الملك بن عبد العزيز قال : قال لي أبو السائب المخزوميّ : أنشِدني للأحوص ؛ فأنشدته قوله[1] : [من الكامل]

قالتْ وقلتُ تَحَرَّجِي وصِلِي حَبْلَ امْرِىءٍ بوصالكم صَبٍّ
واصِلْ إذاً بَعْــلِي فقُلْتُ لها الغَدْرُ شيءٌ ليس مــن ضَرْبي

صوت

[من الكامل]

ثِنْتــانِ لا أدنـــو لِوَصْلِهمـــا عِرْسُ الخليلِ وجارةُ الجَنْبِ
أمّا الخليــلُ فلستُ فاجعَــه والجــارُ أوصــاني بــه رَبِّي
عُوجُـوا كـذا نَذْكُرْ لغانيةٍ بعضَ الحديثِ مَطِيَّكم صَحْبِي
ونَقُلْ لها فِيــمَ الصُّدودُ ولَمْ نُذْنِبْ بَلَ انتِ بَدَأْتِ بالذَّنْبِ
إنْ تُقْبِــلي نُقْبِــلْ ونُنْزِلكم مِنّا بــدار السَّهْــلِ والرُّحْبِ
أو تُدْبِــري تكــدُرْ مَعيشَتُنــا وتُصَدِّعــي مُتَلائــمَ الشَّعْبِ

غنّى في «ثِنتان لا أدنو» والذي بعده ابنُ جامع ثقيلاً أوّل بالوسطى . وغنّى في «عُوجُوا كذا نذكر لغانيةٍ» والأبيات التي بعده ابنُ مُحرز لحناً من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل مطلقاً في مجرى البِنصر ، قال : فأقبل عليّ أبو السائب فقال : يا ابن أخي ، هذا والله المُحِبُّ عَيْناً لا الذي يقول : [من الوافر]

وكنتُ إذا خليلٌ رامَ صُرْمِي وجدتُ ورايَ مُنْفَسَحاً عَرِيضاً

اذهَب فلا صَحِبك[2] الله ولا وسَّع عليك (يعني قائل هذا البيت) .

[سأل المهديّ عن أنسب بيت فأجاب رجل من شعره فأجازه]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثني الزُّبير قال حدّثنا خالد بن وضّاح قال حدّثني عبد الأعلى بن عبد الله بن محمد بن صفوان الجُمَحيّ قال : حملتُ دَيْنا بعسكر المهديّ ، فركب المهديّ بين أبي عبيد الله وعمر بن بَزيع ، وأنا وراءه في موكبه على بِرذَوْنٍ قَطُوف ؛ فقال : ما أَنْسَبُ بيتٍ قالتْه العرب ؟ فقال له أبو عبيد الله : قولُ امرىء القيس : [من الطويل]

1 شعر الأحوص : 82- 84 .
2 ل : أصبحك .

وما ذَرَفَتْ عَيْناكِ إلاّ لِتَضْرِبي ... بسَهْمَيْكِ في أعشارِ قَلبٍ مُقَتَّلِ[1]

فقال : هذا أعرابيٌّ قُحٌّ . فقال عمر بن بزيع : قول كُثَيِّرٍ يا أمير المؤمنين : [من الطويل]

أُريدُ لأَنْسى ذِكْرَها فكأنَّما ... تَمَثَّلُ لي لَيْلَى بكلِّ سَبيلِ

فقال : ما هذا بشيءٍ ، ومالَه يريد أن يَنْسى ذِكرها حتى تَمَثَّل له ؟ فقلتُ : عندي حاجتُك يا أمير المؤمنين جعلني الله فداك ! قال : الحَقْ بي . قلتُ : لا لَحاقَ بي ، ليس ذلك في دابَّتي . قال : احمِلوه على دابَّة . قلت : هذا أوّلُ الفَتح ؛ فحُمِلت على دابّة ، فلَحِقت . فقال : ما عندك ؟ فقلت : قول الأحوص : [من الطويل]

إذا قلتُ إنِّي مُشْتَفٍ بِلِقائها ... فحُمّ التلاقي بيننا زادَني سُقْما

فقال : أحسنَ والله ! اقْضُوا عنه دَينَه ؛ فقُضِي عنِّي دَيْني .

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني

منها الشعر الذي هو : [من الطويل]

أريد لأَنْسى ذِكرَها فكأنَّما ... تَمَثَّلُ لي لَيْلَى بكلِّ سبيلِ

وقال[2] : [من الطويل]

صوت

ألا حَيِّيا لَيْلَى أجَدّ رَحِيلي ... وآذَنَ أصحابـي غَـداً بِقُفُولِ

ولم أَرَ مِـن لَيْلَى نَوالاً أَعُدُّهُ ... ألا رُبَّما طالبتُ غيرَ مُنِيلِ

أُريد لأَنْسى ذِكْرَها فكأنَّما ... تَمَثَّلُ لي لَيْلَى بكلِّ سبيلِ

وليس خَلِيلي بالمَلولِ ولا الذي ... إذا غِبْتُ عنه باعَني بخليلِ

ولكنْ خَليلي مَنْ يَدومُ وِصالُهُ ... ويَحْفَظُ سِرِّي عند كلِّ دَخِيلِ

عروضه من الطويل ، الشعر لكُثيِّر . والغناء في ثلاثة الأبيات الأوَل لإبراهيم ، ولحنُه من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر . ولابنه إسحاق في :

وليس خليلي بالمَلُول ولا الذي

ثقيلٌ آخرُ بالوسطى .

1 لتضربي في ل : لتقدحي . والبيت من معلّقة امرىء القيس .

2 ديوان كثير : 108 .

[حديث ابن سلام عن كثير وجميل]

أخبرني أبو خليفة قال حدّثنا محمد بن سلاّم ، وأخبرني الحِرْمِيّ قال حدّثنا الزُّبير عن محمد بن سَلاَّم قال : كان لِكُـثَـيِّرٍ في النَّسيب حظٌّ وافر ، وجميلٌ مقدَّمٌ عليه وعلى أصحاب النسيب جميعاً ، ولكثيِّر من فنون الشّعر ما ليس لجميل . وكان كثيِّر راوية جميل ، وكان جميلٌ صادقَ الصَّبابة والعِشق ، ولم يكن كثيِّر بعاشق ، وكان يتقوّل . قال : وكان الناس يستحسنون بيت كثيِّر في النسيب : [من الطويل]

أُريد لأنْسى ذِكْرَها فكأنّما تَمَثَّـلُ لي لَيْلَى بكـلِّ سبيلِ

قال : وقد رأيتُ مَنْ يُفضِّل عليه بيتَ جميلٍ[1] : [من الطويل]

خليلَيّ فيما عِشْتُما هل رأيتُما قَتِيلاً بَكى من حُبِّ قاتِلِه قَبلي

[حديث ابن مصعب الزبيريّ عن كثير]

قرأت في كتابٍ منسوبٍ إلى أحمد بن يحيى البَلاذُرِيّ : وذكر إسحاق بن إبراهيم الموصليّ أنّ عبد الله بن مُصعبٍ الزُّبيريّ كان يوماً يذكُر شعرَ كُثَيِّرٍ ويَصِف تفضيل أهل الحجاز إيّاه ، إلى أن انتهى إلى هذا البيت . قال إسحاق : فقلتُ له : إنّ الناس يَعِيبُون عليه هذا المعنى ويقولون : ما لَه يُريد أن ينساها ؟ فتبسَّم ابن مُصعَبٍ ثم قال : إنَّكم يا أُهلَ العراق لَتقولون ذلك .

[سئل كثيّر عن أنسب بيت قاله فأجاب]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني أبو يحيى الزُّهريّ قال حدّثني الهِزَبْريّ قال : قيل لكثيِّر : ما أنسب بيتٍ قلتَه ؟ قال : الناس يقولون : [من الطويل]

أُريـد لأَنْسى ذِكْرَها فكأَنَّما تَمَثَّـلُ لي لَيْلَى بكلِّ سبيلِ

وأنسبُ عندي منه قولي : [من الطويل]

وقُـلْ أُمُّ عَمْـرٍ داؤه وشفاؤه لديها وريَّاها الشِّفاءُ مِنَ الخَبلِ[2]

وقد قيل : إنّ بعض هذه الأبيات للمتوكِّل اللَّيْثيّ .

[قال محرز بن جعفر إنّ الشعر في الأنصار]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني عثمان ، قال الحرميّ : أَحْسِبه ابن عبد الرحمن

---

1 ديوان جميل : 99 .

2 «لديها وريّاها الشفاء من الخبل» في ل : «لديها ورياها إليه طبيب» .

المخزوميّ ، قال حدّثنا إبراهيم بن أبي عبد الله قال : قيل لُمحرز بن جعفر : أنت صاحبُ شِعْرٍ ، ونَراك تَلزَم الأنصار ، وليس هناك منه شيء ؛ قال : بلى والله ، إنّ هناك لَلشعرَ عين الشِّعر ، وكيف لا يكون الشعر هناك وصاحبهم الأحوص الذي يقول[1] : [من الطويل]

يقولون لو ماتتْ لقد غاض حُبُّهُ وذلك حِينُ الفاجِعاتِ وحِيني
لَعَمْرُك إنِّي إنْ تُحَـمَّ وفاتُها بصُحْبةِ مَنْ يَبقَى لَغَيْرُ ضَنِينِ

وهو الذي يقول[2] : [من الطويل]

وإنِّي لِمكْرامٌ لسادات مالكٍ وإنِّي لِنَوْكى مالكٍ لَسَبُوبُ
وإنِّي على الحِلْمِ الذي من سَجِيَّتي لحَمَّالُ أضْغانٍ لَـهُـنّ طَلُوبُ

[ما قاله الأحوص من الشعر في مرض موته]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثني الزُّبير قال حدّثني عمِّي مُصعب قال حدّثني يحيى بن الزبير بن عبَّاد بن حمزة بن عبد الله بن الزُّبير ، قال الزُّبير وحدّثني عليُّ بن صالح عن عامر بن صالح : أنّ الأحوص قال في مرضه الذي مات فيه ، وقال عامر بن صالح : حين هرب من عبد الواحد النَّصْريّ إلى البصرة[3] : [من البسيط]

يا بِشْرُ يا رُبَّ مَحْزونٍ بمَصْرَعنا وشامِتٍ جَذِلٍ مـا مَسَّه الحَزَنُ
وما شَماتُ امْرىءٍ إن ماتَ صاحبُه وقـد يَـرى أنَّه بالموتِ مُرْتَهَنُ
يا بشْرُ هُـبِّـي فـإنّ النَّوْمَ أرَّقَهُ نأْيٌ مُشِتٌّ وأرضٌ غيرُها الوَطَنُ

---

1 شعر الأحوص : 205 .
2 شعر الأحوص : 80 .
3 شعر الأحوص : 202 .

[51] ـ ذكر خبر الدَّلال وقصّته حين خُصِيَ ومَن خُصِيَ معه والسبب في ذلك وسائر أخباره

[اسمه وكنيته]

الدَّلال اسمه ناقِد[1] ، وكُنيته أبو زيد[2] ، وهو مدنيٌّ مولى بني فَهْم .

وأخبرني عليُّ بن عبد العزيز عن ابن خُرداذْبهْ قال : قال إسحاق : لم يكنْ في المخنَّثين أحسن وجهاً ولا أنظفُ ثوباً ولا أظرفُ من الدَّلال . قال : وهو أحد مَن خَصاه ابنُ حَزْمٍ . فلمّا فُعِل ذلك به قال : الآن تَمَّ الخُنْث .

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أبي عبد الله مصعب الزُّبيريّ قال : الدَّلال مولى عائشة بنت سعيد بن العاص .

[كان ظريفاً صاحب نوادر]

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أبي عبد الله مصعَب الزُّبيريّ قال : كان الدَّلال من أهل المدينة ، ولم يكن أهلُها يَعُدُّون في الظُّرفاء وأصحاب النوادر من المخنَّثين بها إلاّ ثلاثةً : طُوَيْسٌ ، والدَّلال ، وهِنبٌ[3] ؛ فكان هِنب أقدمهم ، والدلال أصغرهم . ولم يكن بعد طُوَيس أظرفُ من الدَّلال ولا أكثرُ مُلَحاً .

قال إسحاق : وحدّثني هشام بن المُرِّيّة عن جرير ، وكانا نديمين مدنيَّين ، قال : ما ذكرتُ الدَّلالَ قطُّ إلاّ ضحكتُ لكثرة نوادره . قال : وكان نَزرَ الحديث ، فإذا تكلَّم أضحك الثَّكلى ، وكان ضاحك السنّ ، وصنعَته نَزرةٌ جيِّدة ، ولم يكن يغنِّي إلاّ غناءً مُضْعَفاً ، يعني كثيرَ العمل .

[كان أهل المدينة يفخرون به]

قال إسحاق : وحدّثني أيُّوب بن عَباية قال : شَهِدتُ أهلَ المدينة إذا ذكروا الدَّلالَ وأحاديثَه ، طوّلوا رقابَهم وفَخَروا به ؛ فعلمتُ أنّ ذلك لفضيلةٍ كانت فيه .

[كان يلازم النساء]

قال وحدّثني ابن جامع عن يونس قال : كان الدَّلال مُبْتَلًى بالنساء والكَوْن معهنّ ، وكان

---

1 ل : نافذ .

2 ل : يزيد .

3 ل : وهيت .

يُطلَبُ فلا يُقْدَرُ عليه ، وكان بديعَ الغِناء صحيحَه حَسَن الجِرم[1] .

[سبب لقبه ، وتوسّطه بين الرجال والنساء]

قال إسحاق وحدّثني الزُّبيريّ قال : إنّما لُقِّبَ بالدّلال لشَكله وحُسن دَلِّه وظَرفه وحلاوة مَنطِقه وحُسن وجهه وإشارته . وكان مشغوفاً بمخالطة النساء يكثر وَصْفِهنّ للرجال . وكان[2] مَن أراد خِطبةَ امرأةٍ سأله عنها وعن غيرها ، فلا يزال يصف له النساء واحدةً فواحدةً حتى ينتهي إلى وصف ما يُعجبه ؛ ثم يتوسَّط بينه وبين من يُعجبه منهنّ حتى يتزوّجها ؛ فكان يُشاغِل كلَّ مَن جالسه عن الغِناء بتلك الأحاديث كراهةً منه للغناء .

قال إسحاق وحدّثني مُصعب الزُّبيريّ قال : أنا أعلمُ خَلقِ الله بالسبب الذي من أجله خُصِي الدّلال ؛ وذلك أنّه كان القادم يَقدَمُ المدينة ، فيسأل عن المرأة يتزوّجها فيُدَلُّ على الدّلال ؛ فإذا جاءه قال له : صِفْ لي مَن تعرف من النساء للتزويج ؛ فلا يزال يصِف له واحدةً بعد واحدة حتى ينتهي إلى ما يُوافق هواه ؛ فيقول : كيف لي بهذه ؟ فيقول : مَهْرُها كذا وكذا ؛ فإذا رضي بذلك أتاها الدّلال ، فقال لها : إنّي قد أَصبتُ لكِ رجلاً من حالِه وقِصّته وهيئته ويساره ولا عهد له بالنساء ، وإنّما قَدِم بلدَنا آنفاً ؛ فلا يزال بذلك يُشوِّقها ويُحَرِّكها حتى تُطيعه ؛ فيأتي الرجل فيُعلمه أنّه قد أَحكم له ما أراد . فإذا سُوِّيَ الأمر وتزوّجته المرأة ، قال لها : قد آن لهذا الرجل أن يدخل بك ، والليلة موعده ، وأنت مُغتلمةٌ شَبِقة جامَّة ؛ فساعة يدخل عليك[3] قد دَفَقت عليه مثلَ سَيْل العَرِم ، فيقذَرُكِ ولا يُعاوِدُك ، وتكونين من أشأم النساء على نفسك وغيرك . فتقول : فكيف أصنع ؟ فيقول : أنتِ أعلمُ بدواء حِرِكِ[4] ودائه وما يُسَكِّن غُلْمتَك . فتقول : أنت أعرَف . فيقول : ما أجد له شيئاً أَشفى من النَّيْك . فيقول لها : إن لم تَخافي الفضيحة فابعثي إلى بعض الزُّنوج حتى يقضي بعض وَطَرِك ويَكُفَّ عاديةَ حِرِك ؛ فتقول له : ويلك ؛ ولا كلَّ هذا ! فلا تزال المُحاورة بينهما حتى يقول لها : فكما جاء[5] عليَّ أقوم ، فأُخَفِّفك وأنا والله إلى التخفيف أحوجُ . فتفرَح المرأة فتقول : هذا أمرٌ مستور ، فيَنِيكها ؛ حتى إذا قضى لَذَّته منها ، قال لها : أمّا أنتِ فقد استرحتِ وأمِنْتِ العيبَ ، وبَقِيتُ أنا . ثم يجيء إلى الزوج فيقول له : قد واعدُتها أن تدخل عليك الليلة ، وأنت رجلٌ

1 الجرم هنا : الصوت أو جهارته .

2 ل : وكل .

3 ل : يجامعك .

4 ل : فرجك .

5 ل : حكم .

عَزَبٌ ، ونساءُ المدينة خاصّة يُردن المُطاولة في الجِماع[1] ، وكأنّي بك كما تُدخله عليها تُفرغ وتقوم ، فتُبغِضُك وتَمْقُتُك ولا تُعاودك بعدها ولو أعطيتها الدنيا ، ولا تنظر في وجهك بعدها . فلا يزال في مثل هذا القول حتى يعلم أنّه قد هاجتْ شهوته ؛ فيقول له : كيف أعمل ؟ قال : تطلُب زَنْجيّةً فتَنيكها مرّتين أو ثلاثاً حتى تَسكن غُلْمتُك ؛ فإذا دخلتَ الليلة إلى أهلك لم تجد[2] أمرُك إلاّ جميلاً . فيقول له ذاك : أعوذُ بالله من هذه الحال ، أزِناً وزنجيّة ؟ لا والله لا أفعل ! فإذا أكثر محاورته قال له : فكما جاء عليّ قُمْ فنِكْني أنا حتى تَسْكُن غُلمتك وشَبَقُك ؛ فيفرَح فيَنيكه مرّةً أو مرّتين . فيقول له : قد استوى أمرُك الآن وطابت نفسك ، وتدخل على زوجتك فتَنيكها نَيْكاً يملؤها سروراً ولَذّة . فيَنيكُ المرأةَ قبل زوجها ، ويَنيكه الرجل قبل امرأته . فكان ذلك دأبَه ، إلى أن بلغ خبره سليمان بن عبد الملك ، وكان غَيُوراً شديد الغَيرة ، فكتب بأن يُخصى هو وسائرُ المخنَّثين [بالمدينة ومكّة] ، وقال : إنّ هؤلاء يدخلون على نساء قريش ويُفسِدونهنّ . فورد الكتاب على ابن حَزْمٍ فخصاهم . هذه رواية إسحاق عن الزُّبيريّ . والسبب في هذا أيضاً مختلفٌ فيه ، وليس كلُّ الرواة يَرْوون ذلك كما رواه مُصعب[3] .

[رواية أُخرى في السبب الذي خُصي من أجله الدلال وسائر المخنّثين بالمدينة]

فممّا رُوِي من أمرهم ما أخبرني به أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ، وهذا الخبر أصحُّ ما رُوِي في ذلك إسناداً ، قال أخبرنا أبو زيد عمر بن شَبَّة عن مَعْن بن عيسى ، هكذا رواه الجوهريّ ، وأخبرنا به إسماعيل بن يونس قال حدّثني عمر بن شبّة قال حدّثني أبو غسّان قال : قال ابن جَناح حدّثني مَعْنُ بن عيسى عن عبد الرحمن بن أبي الزّناد عن أبيه وعن محمد بن مَعْنٍ الغِفاريّ قالا : كان سبب ما خُصِي له المخنَّثون بالمدينة أنّ سليمان بن عبد الملك كان في نادية له يَسمر ليلةً على ظهر سطح ، فتفرّق عنه جلساؤه ، فدعا بوضُوء فجاءت به جاريةٌ له . فبينا هي تصبّ عليه إذ أومأ بيده وأشار بها مرّتين أو ثلاثاً ، فلم تَصُبَّ عليه ؛ فأنكر ذلك فرفع رأسه ، فإذا هي مُصغية بسمعها إلى ناحية العسكر ، وإذا صوت رجل يغنّي ، فأنصتَ له حتى سمع جميعَ ما تَغَنّى به . فلمّا أصبح أذِن للناس ، ثم أجرى ذِكْرَ الغِناء فلَيّن فيه حتى ظنّ القوم أنّه يشتهيه ويريده ، فأفاضُوا فيه بالتّسهيل وذِكْرِ مَن كان يسمعه . فقال سليمان : فهل بقي أحد يُسمَع منه الغناء ؟ فقال رجل من القوم : عندي يا أمير المؤمنين

---

1 ل : النيك .

2 ل : يجيء .

3 ل : مصعب الزبيري .

رجلانِ من أهل أُيْلَة مُجيدان مُحكِمان . قال : وأين منزلُك ؟ فأومأ إلى الناحية التي كان الغناء منها . قال : فابعَثْ إليهما ، ففعل . فوجد الرسول أحدهما ، فأدخله على سليمان ؛ فقال : ما اسمُك ؟ قال : سُمَير ؛ فسأله عن الغِناء ، فاعترف به . فقال : متى عهدُك به ؟ قال : الليلة الماضية . قال : وأين كنتَ ؟ فأشار إلى الناحية التي سَمِع سليمان منها الغناء . قال : فما غنَّيت به ؟ فأخبره بالشعرَ الذي سمعه سليمان . فأقبل على القوم فقال : هَدَر الجملُ فضَبِعَتِ الناقة ، ونَبَّ التيسُ فشَكِرَتِ الشاةُ ، وهدَر الحمام فزافت الحمامة ، وغنّى الرجل فطَرِبتِ المرأة ، ثم أمر به فخُصِي . وسأل عن الغناء أين أصلُه ؟ فقيل : بالمدينة في المخنَّثين ، وهم أئمّتُه والحُذّاق فيه . فكتب إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حَزم الأنصاريّ ، وكان عامِلَه عليها ، أن اخْصِ مَن قِبَلَك من المخنّثين المغنّين ، فزعمَ موسى بن جعفر بن أبي كَثِير قال أخبرني بعض الكُتّاب قال : قرأت كتابَ سليمان في الديوان ، فرأيتُ على الخاء نقطةً كتمرة العَجوة . قال : ومَن لا يعلم يقول : إنّه صَحَّف القارىء ، وكانت أَحْصِ ، قال : فتتبَّعهم ابن حزم فخَصى منهم تسعةً ؛ فمنهم الدّلال ، وطَرِيفٌ ، وحَبِيبٌ نَوْمةُ الضُّحى . وقال بعضهم حين خُصِي : سَلِم الخاتن والمختون . وهذا كلام يقوله الصبيّ إذا خُتِن .

قال : فزعم ابن أبي ثابت الأعرج قال أخبرني حمّاد بن نَشِيط الحَسَنيّ قال : أقبلْنا من مكّة ومعنا بَدَراقُس وهو الذي خَتَنَهم ، وكان غلامُه قد أعانه على خِصائهم ، فنزلنا على حبيبٍ نومةِ الضُّحى ، فاحتفل لنا وأكرمنا . فقال له ثابت : مَن أنت ؟ قال : يا ابن أخي أتجهلُني وأنت وَلِيتَ خِتاني ! أو قال : وأنت ختنتني . قال : واسوءتاه ! وأيُّهم أنت ؟ قال أنا حبيب . قال ثابت : فاجتنبت طعامه وخِفتُ أن يسمني [1] . قال : وجعلتْ لحيةُ الدّلال بعد سنة أو سنتين تتناثر . وأمّا ابن الكلبيّ فإنّه ذكر عن أبي مِسْكِين ولَقِيطٍ أن أيمَن كتب بإحصاء مَن في المدينة من المخنَّثين ليعرفهم ، فيُوفِد عليه مَن يختاره للوِفادة ؛ فظَنّ الوالي أنّه يُريد الخصاء ، فخصاهم .

أخبرني وكيع قال حدّثني أبو أيُّوب المدينيّ قال حدّثني محمد بن سلاّم قال حدّثني ابن جُعْدُبة ، ونسختُ أنا من كتاب أحمد بن الحارث الخرّاز عن المَدِينيّ عن ابن جُعْدُبة واللفظُ له : أنّ الذي هاج سليمان بن عبد الملك على ما صنعه بمن كان بالمدينة من المخنَّثين ، أنّه كان مستلقياً على فراشه في الليل ، وجاريةٌ له إلى جنبه ، وعليها غِلالةٌ ورِداءٌ مُعَصْفَران ، وعليها وِشاحان من ذهب ، وفي عُنُقها فصلانِ من لؤلؤ وزَبَرجد وياقوت ، وكان سليمان بها

1 ل : فاجتنب طعامه وخاف أن يسمّه .

مشغوفاً ، وفي عسكره رجلٌ يقال له سُمَير الأَيْليّ يغنّي ، فلم يفكّر سليمان في غنائِه شُغْلاً بها وإقبالاً عليها ، وهي لاهيةٌ عنه لا تُجيبه مُصغيةٌ إلى الرجل ، حتى طال ذلك عليه ، فحوّل وجهه عنها مُغضَباً ، ثم عاد إلى ما كان مشغولاً عن فهمه بها ، فسمِع سُمَيْراً يغنّي بأحسن صوت وأطيب نغمة : [من البسيط]

صوت

محجوبـةٌ سَمِعتْ صوتـي فأَرّقَها   من آخـر اللَّيل حتى شَفَّها السَّهَرُ

تُدْني على جِيدِهـا ثِنْيَيْ مُعَصْفَرةٍ   والحَلْيُ منهـا على لَبّاتـها خَصِرُ

في ليلة النصفِ ما يدري مُضاجِعُها   أوجهُها عنـده أبهـى أَمِ القمرُ

ويروى :   أوجهُهـا مـا يَرى أم وجهُها القمرُ

لَوْ خُلِّيَتْ لَمَشتْ نَحْوي على قَدَمٍ   تكاد مـن رِقَّـةٍ للمشي تَنْفَطِرُ

الغناء لسُمَيْر الأَيْليّ ، رمل مطلق بالبنصر عن حَبَش . وأخبرني ذُكاء وجه الرُّزّة أنّه سمِع فيه لحناً للدّلال من الثقيل الأوّل ، فلم يَشكُك سليمان أَنّ الذي بها ممّا سمعتْ ، وأنّها تهوى سُمَيراً ؛ فوجّه من وقته مَن أحضره وحبسه ، ودعا لها بسيف ونِطْع ، وقال : واللهِ لَتَصْدُقِنّي أو لأضرِبَنّ عنقِك ! قالت : سَلني عمّا تريد . قال : أخبريني عمّا بينك وبين هذا الرجل . قالت : والله ما أعرفه ولا رأيته قطُّ ، وأنا جاريةٌ مَنْشَئي الحجاز ، ومن هناك حُمِلتُ إليك ، وواللهِ ما أعرف بهذه البلاد أحداً سواك . فرقّ لها ، وأحضر الرجلَ فسأله ، وتلطّف له في المسألة ، فلم يجد بينه وبينها سبيلاً ، ولم تَطِبْ نفسه بتخليته سَوِيّاً فخصاه ؛ وكتب في المخنّثين بمثل ذلك . هذه الرواية الصحيحة .

[أسف ابن أبي عتيق لخصاء الدلال]

وقد أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني عمّي قال : قيل للوليد بن عبد الملك : إنّ نساء قريش يدخل عليهنّ المخنّثون بالمدينة ، وقد قال رسول الله ﷺ : «لا يدخل عليكنّ هؤلاء» . فكتب إلى ابن حَزْم الأنصاريّ أنِ اخْصِهم ، فخصاهم . فمرّ ابن أبي عتيق فقال : أَخَصَيتم الدَّلال ! أما والله لقد كان يُحسن : [من الهزج]

لِمَنْ رَبْعٌ بذات الجَيْـ   ـش أمسَى دارساً خَلَقا

تأبَّد بعـد ساكنـه   فأصبـح أهلُـه فِرَقا

وقفـتُ بـه أُسائلُـه   ومَـرّتْ عِيسُهم حِزَقا

ثم ذهب ثم رجع ، فقال : إنّما أعني خفيفَه ، لستُ أعني ثقيلَه .

[أسف الماجشون لذلك]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن الواقديّ عن ابن الماجشون : أنّ خليفةَ صاحبَ الشُّرطة لمّا خُصي المخنَّثون مرّ بأبيه الماجِشون وهو في حلقته ؛ فصاح به : تعالَ ، فجاءه ؛ فقال : أَخَصَيتم الدَّلال ؟ قال نعم . قال : أما إنّه كان يُجيد : [من الهزج]

لِمَنْ ربعٌ بذات الجيـ ـش أمسى دارساً خَلَقا

ثم مضى غيرَ بعيد فردّه ، ثم قال : أستغفر الله ؛ إنّما أعني هزجه لا ثقيلَه .

[أضحك الناس في الصلاة]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال حدّثني حمزة النَّوفليّ قال : صلّى الدَّلال المخنَّث إلى جانبي في المسجد ، فضَرَطَ ضرطةً هائلةً سمعها مَن في المسجد ، فرفعنا رؤوسنا وهو ساجد ، وهو يقول في سجوده رافعاً بذلك صوته : سَبَّح لك أعلايَ وأسفلي ؛ فلم يبقَ في المسجد أحدٌ إلاّ فُتِن وقطع صلاتَه بالضحك .

[طرب شيخ في مجلس ابن جعفر للغناء]

أخبرني الحسين عن حمّاد عن أبيه عن المدائنيّ عن أشياخه : أنّ عبد الله بن جعفر قال لصديق له : لو غَنَّتْك جاريتي فلانة : [من الهزج]

لِمَنْ رَبْعٌ بذات الجيـ ـش أمسى دارساً خَلَقا

لَمَا أدركتَ دُكَّانك . فقال : جُعِلتُ فِداك ، قد وجبتْ جُنوبُها فكُلوا منها وأَطعِموا البائس الفقير . فقال عبد الله : يا غلام ، مُرْ فلانة أن تخرج ؛ فخرجتْ معها عُودُها . فقال عبد الله : إنّ هذا الشيخ يكره السماع . فقالت : وَيحه ! لو كَرِهَ الطعام والشرابَ كان أقرب له إلى الصواب ! فقال الشيخ : فكيف ذاك وبهما الحياة ؟ فقالت : إنّهما ربّما قتلا وهذا لا يقتُل . فقال عبد الله غنّي : [من الهزج]

لِمَنْ ربعٌ بذات الجيـ ـش أمسَى دارساً خَلَقا

فغنَّت ؛ فجعل الشيخ يصفّق ويرقُص ويقول :

هذا أوانُ الشَّدِّ فاشْتَدِّي زِيَمْ

ويحرِّك رأسه ويدور حتى وقع[1] مغشيّاً عليه ، وعبد الله بن جعفر يضحك منه .

[غنّى الدلال الغمر بن يزيد فطرب]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عُمَر بن شبَّة قال حدّثني أبو غسَّان قال : مرّ

1 ل : سقط .

الغَمر بن يزيد بن عبد الملك حاجّاً ، فغنّاه الدّلال : [من البسيط]

بانتْ سُعادُ وأمسى حَبْلُها انصَرَما واحْتَلَّت الغَمْرَ فالأجراعَ من إضما

فقال له الغمر : أحسنتَ والله ، وغلبتَ فيه ابن سريج ! فقال له الدّلال : نعمةُ الله عليّ فيه أعظمُ من ذلك . قال : وما هي ؟ قال : السُّمعة ، لا يسمَعه أحدٌ إلاّ عَلِم أنّه غناء مُخَنَّثٍ حقّاً .

نسبة هذا الصوت[1] : [من البسيط]

صوت

بانتْ سعادُ وأمسى حبلُها انصرما واحتلّتِ الغَمْرَ فالأجراعَ من إضَما[2]

إحْدى بَليّ ومـا هامَ الفؤادُ بها إلاّ السَّفاهَ وإلاّ ذِكْـرةً حُلُما

هَلاَّ سألتِ بني ذُبْيانَ ما حَسَبي إذا الدُّخانُ تَغَشَّى الأشمط البَرَما

الشعر للنابغة الذبيانيّ ، والغناء للدّلال خفيف ثقيل أوّلَ بالوسطى عن الهشاميّ . وفيه خفيف ثقيلٍ بالبِنصر لمعبد عن عمرو بن بانة . وفيه لابن سريج ثقيلٌ أوّل بالبنصر عن حبش . وفيه لَنشيطٍ ثاني ثقيلٍ بالبنصر عنه . وذكر الهِشاميّ أنّ لحن مَعبَدٍ ثقيلٌ أوّل ، وذكر حمّاد أنّه للغَريض . وفيه لجَميلَة ودَحمان لحنانِ ، ويقال : إنّهما جميعاً من الثقيل الأوّل .

[احتكم إليه شيعي ومرجىء]

أخبرني الحسين بن يحيى قال أخبرنا حمّاد بن إسحاق إجازةً عن أبيه عن المَدائنيّ قال : اختصم شيعيٌّ ومُرجِىء ، فجعلا بينهما أوّل مَن يطلُع ، فطلَع الدّلال . فقالا لـه : أبا زَيد ، أيُّهما خيرٌ : الشّيعيّ أمِ المُرجِىء ؟ فقال : لا أدري إلاّ أنّ أعلايَ شيعيّ وأسفلي مُرجِىء !

[هرب من المدينة إلى مكّة]

قال إسحاق قال المدائنيّ وأخبرني أبو مسكينٍ عن فَلَيْح بن سليمان قال : كان الدّلال ملازماً لأُمّ سعيد الأسلميّة وبنتٍ ليحيى بن الحَكَم بن أبي العاصي ، وكانتا من أَمْجَن النساء ، كانتا تخرُجان فتركبان الفرسين فتستبقان عليهما حتى تبدوَ خَلاخِيلُهما . فقال معاوية لمروان بن الحَكَم : اكْفِني بنتَ أخيك ؛ فقال : أفعل . فاستزارها ، وأمر ببئر فحُفِرَتْ في طريقها ، وغُطِّيتْ بحَصِيرٍ ، فلمّا مشتْ عليه سقطتْ في البئر فكانت قبرَها . وطُلِب الدّلال

---

1 ديوان النابغة (تحقيق أبو الفضل إبراهيم) : 61-62 .

2 انصرما في الديوان : انجذما . الغمر في الديوان : الشرع .

فهرَب إلى مكّة . فقال له نساء أهلِ مكّة : قتلتَ نساء أهل المدينة وجئتَ لتقتلنا ! فقال : واللهِ ما قَتَلهنّ إلاّ الحُكاك . فقلن : اعزُبْ أخزاك الله ، ولا أدنى بك [دارا ، ولا آذانا بك] ! قال : فمَنْ لَكُنّ بعدي يدلّ على دائكنّ ويعلَم موضع شِفائكنّ ؟ والله ما زنيتُ قطُّ ولا زُني بي ، وإنّي لأشتهي ما تشتهي نساؤكم ورجالكم .

[كان الماجشون يقرّب الدلال ويستحسن غناءه]

قال إسحاق وحدّثني الواقديّ عن ابن الماجشون قال : كان أبي يُعجبه الدّلال ويستحسن غناءه ويُدنيه ويُقرّبه ، ولم أَرَه أنا ، فسمعتُ أبي يقول : غنّاني الدّلال يوماً بشعر مجنون بني عامر ، فلقد خفْتُ الفتنة على نفسي . فقلت : يا أبتِ ، وأيَّ شعر تَغَنّى ؟ قال قوله[1] : [من الطويل]

صوت

عَسى اللهُ أنْ يُجْري المَوَدّةَ بيننا ... ويُوصِلَ حبلاً منكمُ بحِباليا

فكَمْ من خَليلَيْ جَفْوةٍ قد تَقاطَعا ... على الدَّهرِ لَمّا أنْ أطالا التَّلاقِيا[2]

وإنّي لفي كَرْبٍ وأنتِ خَلِيّةٌ ... لقد فارقتْ في الوصفِ حالُكِ حاليا

عتبتُ فما أعتبتِني بمودّةٍ ... ورُمْتُ فما أسعفتني بسؤاليا

الغناء في هذا الشعر للغريض ثقيلٌ أوّل بالوسطى ، ولا أعرف فيه لحناً غيره . وذكر حمّاد في أخبار الدّلال أنّه للدّلال ، ولم يجنسه .

[غرر بمخّة المخنّث فعابث خثيم بن عراك صاحب الشرطة]

قال إسحاق وحدّثني الواقديّ عن عثمان بن إبراهيم الحاطبيّ قال : قَدِم مخنَّث من مكّة يقال له مُخّة ، فجاء إلى الدّلال فقال : يا أبا زيد ، دُلّني على بعض مُخَنَّثي أهل المدينة أُكايدْه وأُمازِحْه ثم أُجاذِبْه . قال : قد وجدته لك ، وكان خُثَيم بن عِراك بن مالكٍ صاحبِ شُرطة زِياد بن عبيد الله الحارثيّ جارَه ، وقد خرج في ذلك الوقت ليصلّي في المسجد ، فأومأ إلى خُثَيم فقال : الْحَقْه في المسجد ؛ فإنّه يقوم فيه فيُصلّي لِيُرائيَ الناس ، فإنّك ستظفر بما تريد منه . فدخل المسجد وجلس إلى جنب ابن عِراك ، فقال : عَجّلي بصلاتك لا صلّى اللهُ عليكِ ! فقال خُثَيم : سبحانَ الله ! فقال المخنَّث : سبَّحتِ في جامعةٍ قرّاصةٍ ، انصرفي حتى أتحدّث معكِ . فانصرف خُثَيم من صلاته ، ودعا بالشُّرَط والسِّياط فقال : خُذُوه فأخذوه ، فضربه مائةً وحبسه .

---

1 ديوان مجنون ليلى ، 311 عن الأغاني .

2 تقاطعا في ل : تواصلا ، ولا معنى له .

[أضحك الناس في الصلاة فتهدّده الوالي]

أخبرني الحسين عن حمّاد عن أبيه قال : صلّى الدّلال يوماً خلْفَ الإمام بمكّة ، فقرأ : ﴿وما لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ؛ فقال الدّلال : لا أدري والله ؛ فضَحِك أكثرُ الناس وقطعوا الصلاة . فلمّا قضى الوالي صلاتَه دعا به وقال له : ويلك ! ألا تدَعُ هذا المجونَ والسَّفَهَ ! فقال له : قد كان عندي أنّك تعبد الله ، فلمّا سمعتُك تستفهم ، ظننتُ أنّك قد تشكّكت في ربّك فتثبّتُّك . فقال له : أنا شككت في ربّي وأنت تثبّتني ! اذهَبْ لعنك الله ؛ ولا تُعاوِد فأُبالغَ والله في عقوبتك !

[قصّته مع رجل زوّجه امرأة لم يدخل بها]

قال إسحاق وحدّثني الواقديّ عن عثمان بن إبراهيم قال[1] : سأل رجلٌ الدّلال أنْ يزوّجه امرأةً فزوّجه . فلمّا أعطاها صَداقَها وجاء بها إليه فدخلت عليه ، قام إليها فواقعها ، فضَرَطتْ قبل أن يطأها ، فكَسِلَ عنها الرجلُ ومَقَتَها وأَمَر بها فأُخرجَتْ ، وبعث إلى الدّلال ، فعرّفه ما جرى عليه . فقال له الدّلال : فديتُك ! هذا كلُّه من عِزّة نفسها . قال : دعني منك ؛ فإنّي قد أبغضتها ، فاردد عليّ دراهمي ، فرَدّ بعضها . فقال له : لِمَ رددتَ بعضها وقد خرجتْ كما دخلت ؟ قال : للرَّوعة التي أدخلتَها على استِها . فضحِك وقال له : اذهَب فأنت أقضى الناس وأفقَهُهم .

[سكر مع فتية من قريش فأراد الأمير أن يحدّه ثم عفا عنه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أبو أيُّوب المَدِينيّ قال حدّثني محمد بن سلاّم عن أبيه قال وأخبرني به الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن محمد بن سلاّم عن أبيه قال : إنّ الدّلال خرج يوماً مع فِتيةٍ من قريش في نزهةٍ لهم ، وكان معهم غلامٌ جميلُ الوجه ، فأعجبه ؛ وعلِم القوم بذلك ، فقالوا : قد ظَفِرنا به بقيّة يومنا ، وكان لا يصبِر في مجلس حتّى ينقضي ، وينصرف عنه استثقالاً لمحادثة الرجال ومحبّةً في محادثة النساء . فغَمزوا الغلام عليه ؛ وفَطِن لذلك فغضِب ، وقام لينصرف ؛ فأقسم الغلام عليه والقوم جميعاً فجلس . وكان معهم شرابٌ فشرِبوا ، وسَقَوْه وحَمَلوا عليه لئلاّ يبرَح[2] ، ثم سألوه أن يُغنّيهم فغنّاهم : [من الطويل]

صوت

زُبَيْرِيّـةٌ بالعَـرْجِ منهـا منـازِلٌ ... وبالخَيْفِ من أدنـى مَنازِلها رَسْمُ

---

1 نقل ابن حمدون هذه الحكاية في التذكرة 9 : 423 (رقم 1007) .

2 ل : يخرج .

أُسائِــلُ عنهــا كلَّ رَكْــبٍ لَقِيتُه ... ومالي بهــا مِــن بعد مَكَّتِنا عِلْمُ
أيا صاحبَ الخَيْماتِ من بَطْنِ أَرْثَدٍ ... إلى النخلِ من وَدّانَ ما فعلتْ نُعْمُ[1]
فإنْ تَكُ حَرْبٌ بين قومي وقومِها ... فإنِّــي لهــا في كلِّ نائــرةٍ سِلْمُ[2]

ذكر يحيى المكّيّ وعمرو بن بانة أنّ الغِناء في هذا الشعر لمعبد ثاني ثقيل بالوسطى ، وذكر غيرهما أنّه للدّلال . وفيه لُمخارق رملٌ . وذكر إسحاق هذا اللحن في طريقة الثقيل الثاني ولم ينسبه إلى أحد ، قال : فاسْتُطِير القومُ فرحاً وسروراً وعلا نَعِيرُهم ؛ فنَذِر بهم السُّلطان ، وتعادتِ الأشراط[3] ، فأحسُّوا بالطَّلَب فهربوا ؛ وبقي الغلام والدَّلال ما يُطيقان بَراحاً من السُّكْر ؛ فأُخِذا فأُتِيَ بهما أمير المدينة . فقال للدَّلال : يا فاسق ؛ فقال له : مِن فمِك إلى السماء . قال : جَؤُوا فَكَّه ؛ قال : وعُنُقَه أيضاً . قال : يا عدوّ الله ! أما وَسِعَك بيتُك حتى خرجتَ بهذا الغلام إلى الصحراء تفسُق به ! فقال : لو علمتُ أنّك تغارُ علينا وتشتهي أن نفسُق سِرّاً ما خرجتُ من بيتي . قال : جَرِّدوه واضربوه حدّاً . قال : وما ينفعك من ذلك ؛ وأنا والله أُضْرَب في كلِّ يوم حدوداً . قال : ومَن يتولّى ذلك منك ؟ قال : أُيُورُ المسلمين . قال : ابطَحوه على وجهه واجلسوا على ظهره . قال : أحسَب أنّ الأمير قد اشتهى أن يرى كيف أُناك . قال : أقيموه لعنه الله واشهَروه في المدينة مع الغلام . فأُخْرِجا يُدار بهما في السِّكَك . فقيل له : ما هذا يا دلالُ ؟ قال : اشتهى الأمير أن يجمع بين الرأسين ، فجمع بيني وبين هذا الغلام ونادى علينا ، ولو قيل له الآن : إنّك قوّاد غضِب ! فبلغ قولُه الوالي فقال : خَلُّوا سبيلَهما ، لعنة الله عليهما !

[شهادة معبد في غناء الدلال]

قال إسحاق في خبره خاصّةً ، ولم يذكره أبو أيُّوب ، فحدّثني أبي عن ابن جامع عن سِياطٍ قال : سمعت يونسَ يقول قال لي معبدٌ : ما ذكرت غناء الدّلال في هذا الشعر : [من الطويل]

زُبَيْرِيَّةٌ بالعَــرْجِ منهــا مَنازِلٌ

إلاّ جدّد لي سروراً ، ولَوَدِدْتُ أنّي كنت سبقتُه إليه لحُسنه عندي . قال يونس : فقلت له : ما بلغَ من حُسنه عندك ؟ قال : يكفيك أنّي لم أسمعْ أحسنَ منه قطُّ .

[ما كان بينه مع بعض المخنّثين وبين عبد الرحمن بن حسّان]

أخبرني الحسين عن حمّاد عن أبيه عن الهيثم بن عَدِيّ عن صالح بن حسّان قال : كان

1 أرثد في ل : أربد .
2 نائرة : عداوة .
3 تعادت الأشراط : أخذ رجال الشرطة يعدون .

بالمدينة عُرس ، فاتَّفق فيه الدَّلال وطُوَيْس والوليد المخنَّث ، فدخل عبد الرحمن بن حسَّان ، فلمّا رآهم قال : ما كنتُ لأجلسَ في مجلس فيه هؤلاء . فقال له طُوَيْس : قد علمتَ يا عبد الرحمن نِكايتي فيك وأنّ جَرْحي إيّاك لم يندمل ؛ يعني خبرَه معه بحضرة عبد الله بن جعفر ، وذِكْرَه لعَمّته الفارِعة ، فاربَح نفسَك وأَقبِلْ على شأنك ؛ فإنّه لا قيامَ لك بمن يَفْهَمك فَهْمي . وقال له الدَّلال : يا أخا الأنصار ! إنّ أبا عبد النَّعيم أعلَمُ بك منّي ، وسأُعْلِمك بعض ما أعلم به . ثم اندفع ونَقَر بالدُّفّ ، وكلُّهم ينقُر بدُفِّه معه ، فتغنّى : [من الطويل]

صوت

أتهجُر يا إنسانُ مَنْ أنتَ عاشقُهْ ... ومَنْ أنت مشتاقٌ إليه وشائقُهْ

وريمٍ أحَمِّ المقلتين مُوَشَّحٍ ... زَرابِيُّه مبثوثةٌ ونَمارِقُهْ

ترى الرَّقْمَ والدِّيباجَ في بيته معاً ... كما زيَّن الروضَ الأنيقَ حدائقُهْ[1]

وسِرب ظباء تَرْتَعِي جانبَ الحِمى ... إلى الجوّ فالخَبْتَيْنِ بِيضٌ عَقائقُهْ

وما مِنْ حِمًى في الناس إلاّ لنا حِمًى ... وإلاّ لنا غَرْبِيُّهُ ومَشارِقُهْ

فاستضحك عبد الرحمن وقال : اللّهمَّ غَفْراً ، وجلس .

لحن الدَّلال في هذه الأبيات هزج بالبنصر عن يحيى المكيّ وحمّاد .

[استدعاه سليمان بن عبد الملك سرّاً فغنّاه ثم أعاده إلى الحجاز مكرّماً]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أبي عبد الله الجُمَحيّ عن محمد بن عثمان عن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قال : سمعتُ عَمّي عُتْبة يقول حدّثني مولًى للوليد بن عبد الملك قال : كان الدَّلالُ ظريفاً جميلاً حسنَ البيان ، مِن أَحْضَر الناس جواباً وأحَجِّهم ؛ وكان سليمان بن عبد الملك قد رقّ له حين خُصِي غَلَطاً ، فوجَّه إليه مولًى له وقال له : جئني به سِرّاً ، وكانت تبلُغه نوادرُه وطِيبُه ، وحذَّر رسولَه أن يعلَم بذلك أحدٌ . فنَفَذ المولى إليه وأعلمه ما أُمرَه به ، وأمَرَ بالكِتْمان وحَذَّره أن يَقِفَ على مقصده أحد ، ففعل . وخرج به إلى الشام ، فلمّا قَدِم أنزله المولى منزلَه وأعلم سليمان بمكانه ؛ فدعا به ليلاً فقال : ويلَكَ ما خَبَرُك ؟ فقال : جُبِبْتُ من القُبُل مرّةً أُخرى يا أمير المؤمنين ، فهل تريد أن تَجُبَّني المرّة من الدُّبُر ! فضحك وقال : اعزُب أخزاك الله ؛ ثم قال له : غَنِّ . فقال : لا أُحسِن إلاّ بالدُّفّ . فأمر فأُتـي له بدُفّ ؛ فغنّى في شعر العَرْجيّ[2] : [من الطويل]

---

1 الأنيق في ل : الأثيث .

2 ديوان العرجيّ : 89–92 .

أفي رسْمِ دارٍ دَمْعُــكَ المُتحَــدِّرُ سَفاهاً وما استنطاقُ ما ليس يُخبِرُ
تغيَّر ذاك الربعُ مــن بعــد جِــدَّةٍ وكلُّ جديـــدٍ مَـــرّةً متغيِّرُ
لأسماءَ إذ قلبـي بأسمـاءَ مُغْـرَمٌ ومـا ذِكْرُ أسمـاءَ الجميلةِ مُهْجَرُ
ومَمْشى ثَلاثٍ بعد هَدْءٍ كَواعبٍ كمثل الدُّمَى بل هُنَّ من ذاك أنضَرُ
فَسلَّمْنَ تسليمـاً خفيّاً وسَقَّطَتْ مَصاعِبةٌ ظُلَّعٌ مِــنَ السيرِ حُسَّرُ
لها أَرَجٌ من زاهـرِ البَقْلِ والثَّرى وبُرْدٌ إذا مـا باشر الجِلْدَ يَخْصَرُ
فقالـتْ لِتِرْبَيْها الغــداةَ تَبَقَّيا بعـينٍ ولا تَسْتبعِدا حـين أُبْصِرُ
ولا تُظْهِـرا بُرْدَيْكمـا وعليكمـا كِساءان من خَـزٍّ بنَقْشٍ وأخضرُ
فعَدِّي فمـا هـذا العتابُ بنافعٍ هوايَ ولا مُرْجِي الهوى حين يُقْصِرُ

فقال له سليمان : حُقَّ لك يا دَلالُ أن يقال لك الدّلال ! أحسنتَ وأجملتَ ! فواللهِ ما أدري أيّ أمرَيْك أعجب : أَسُرْعة جوابك وجودة فهمك أم حُسن غِنائك ، بل جميعاً عَجَب ؛ وأمر له بصِلة سنيّة . فأقام عنده شهراً يشرب على غِنائه ، ثم سرَّحه إلى الحجاز مُكرّماً .

[قصّته مع شامي من قوّاد هشام أراد أن يتزوّج من المدينة]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن الأصمعيّ قال : حَجّ هشام بن عبد الملك ، فلمّا قدِم المدينة نزل رجل من أشراف أهل الشام وقوّادهم بجنب دار الدلال ، فكان الشاميّ يسمع غِناء الدّلال ويُصغي إليه ويصعد فوق السطح ليقرُب من الصوت ؛ ثم بعث إلى الدلال : إمّا أن تزورنا وإمّا أن نزورك ؛ فبعث إليه الدّلال : بل تزورنا . فتهيّأ الشامي ومضى إليه ، وكان للشامي غِلمان رُوقَةٌ ، فمضى معه بغلامين منهم كأنّهما دُرّتان . فغنّاه الدّلال : [من منهوك الكامل]

قــد كنتُ آمُلُ فيكـمُ أمَـلاً والمـرءُ ليس بمُـدْرِكٍ أَمَلَـهْ
حتى بــدا لي منكـم خُلُفٌ فزجرتُ قلبي عن هوًى جَهِلَهْ[1]
ليس الفتـى بمُخَلَّـدٍ أبـداً حَقّـاً وليس بفائـتٍ أَجَلَـهْ
حَـيٌّ العمُـودَ ومَن بِعَقْوتِه وقَفا العمُودِ وإن جَـلا أهلُـهْ

قال : فاستحسن الشاميّ غِناءه ، وقال له : زدني ؛ فقال : أوما يكفيك ما سمعت ؟ قال :

1 عن هوى في ل : فارعوى .

لا والله ما يكفيني . قال : فإنّ لي إليك حاجةً . قال : وما هي ؟ قال : تبيعني أحد هذين الغلامين أو كليهما . قال : اخترْ أيّـهما شئت ؛ فاختار أحدهما . فقال الشامي : هو لك ؛ فقبِله الدلال ، ثم غنّاه : [من الطويل]

دَعَتْني دَواعٍ من أُرَيَّا فهيَّجتْ   هوًى كان قِدْماً من فؤادِ طَروبِ
لعلَّ زماناً قد مضى أن يعودَ لي   فتَغفِرَ أَرْوَى عند ذاك ذُنوبي
سَبَتْني أُرَيّا يـوم نَعْف مُحَسِّرٍ   بوجـهٍ جميلٍ للقلوبِ سَلُوبِ

فقال له الشاميّ : أحسنتَ ! ثم قال له : أيّها الرجل الجميل ، إن لي إليك حاجة . قال : وما هي ؟ قال : أريـد وصيفةً وُلِـدتْ في حِجْرٍ صالح ، ونشأت في خير ، جميلة الوجه مجدولة ، وضِيئةً ، جَعدةً ، في بياض مُشْرَبةً حمرةً ، حسنة القامة ، سَبطةً ، أسيلةَ الخدّ ، عَذبة اللسان ، لها شِكْلٌ ودَلٌّ[1] ، تملأ العين والنفس . فقال له الدّلال : قد أصبتُها لك ، فما لي عليك إن دَلَلْتُك ؟ قال : غلامي هذا . قال : إذا رأيتَها وقَبلتَها[2] فالغلام لي ؟ قال نعم . فأتى امرأةً كَنى عن اسمها ، فقال لها : جُعِلتُ فِداك ! إنّه نزل بقُرْبي رجلٌ من أهل الشام من قوّاد هشام له ظرفٌ وسخاء ، وجاءني زائراً فأكرمتُه ، ورأيت معه غلامين كأنّـهما الشمس الطالعة والقمر المنير والكواكب الزاهرة ، ما وقعتْ عيني على مثلهما ولا ينطلق لساني بوصفهما ، فوَهَب لي أحدهما والآخر عنده ؛ وإن لم يَصِل إليّ فنفسي خارجة . قالت : فتُريد ماذا ؟ قال : طَلَب منّي وصيفةً يشتريها على صِفةٍ لا أعلمها في أحدٍ إلاّ في فلانة بنتِك ، فهل لك أن تُريها له ؟ قالت : وكيف لك بأن يدفع الغلام إليك إذا رآها ؟ قال : فإنّي قد شرطتُ عليه ذلك عند النظر لا عند البيع . قالت : فشأنك ولا يعلم أحدٌ بذلك . فمضى الدّلال فجاء الشاميّ معه . فلمّا صار إلى المرأة أدخلته ، فإذا هو بحَجَلةٍ وفيها امرأة على سرير مُشْرِفٍ بَرْزةٌ جميلةٌ ، فوُضِع له كرسيٌّ فجلس . فقالت له : أمِن العرب أنت ؟ قال نعم . قالت : من أيِّهم ؟ قال : من خُزاعة . قالت : مرحباً بك وأهلاً ، أيَّ شيء طلبتَ ؟ فوصَف الصفة ؛ فقالت : أصبتها ، وأصغَتْ إلى جاريةٍ لها فدخلت فمكثت هنيهةً ثم خرجت ؛ فنظرتْ إليها المرأة فقالت لها : أيْ حبيبتي ، اخرُجي ؛ فخرجتْ وصيفةٌ ما رأى الرّاؤون مثلَها . فقالت لها : أَقبلي فأقبلت ، ثم قالت لها : أَدبري ، فأدبرت تملأ العين والنفس ؛ فما بقي منها شيء إلاّ وضع يده عليه . فقالت : أتُحِبُّ أن نؤزِّرها لك ؟ قال نعم . قالت : أي حبيبتي ائتزِري ، فضَمَّها الإزار

1 ل : متكلّم ودلال .
2 ل : وقلبتها .

وظهرت محاسنها الخفيّة ، وضرب بيده على عجيزتها وصَدرها . ثم قالت : أتُحِبّ أن نُجَرِّدها لك ؟ قال نعم . أي حبيبتي وَضِّحي ؛ فألقت إزارها فإذا أحسن خلق الله كأنّها سبيكة . فقالت : يا أخا أهل الشام كيف رأيتَ ؟ قال : مُنْية المتمنّي[1] . قال : بكم تقولين ؟ قالت : ليس يوم النظر يوم البيع ، ولكن تعود غداً حتى نبايعك ولا تنصرف إلاّ على الرِّضى ، فانصرف من عندها . فقال له الدّلال : أرَضِيتَ ؟ قال : نعم ، ما كنت أحسب أنّ مثل هذه في الدنيا ؛ فإن الصفة لَتَقْصُر دونها . ثم دفع إليه الغلام الثاني . فلمّا كان من الغد قال له الشاميّ : امْضِ بنا ، فمَضَيا حتى قَرَعا الباب ؛ فأُذِن لهما ، فدخلا وسلّما ، ورحَّبت المرأة بهما ، ثم قالت للشاميّ : اعطِنا ما تبذُل ؛ قال : ما لها عندي ثمنٌ إلاّ وهي أكبر منه ، فقولي يا أَمَة الله . قالت : بل قُلْ ؛ فإنّا لم نُوطئك أعقابنا ونحن نريد خِلافَك وأنت لها رِضاً . قال : ثلاثة آلاف دينار . فقالت : والله لَقُبْلةٌ من هذه خيرٌ من ثلاثة آلاف دينار . قال : بأربعة آلاف دينار . قالت : غَفَر الله لك ! أَعطِنا أيُّها الرجل . قال : والله ما معي غيرها ، ولو كان لزدتُك ، إلاّ رقيقٌ ودوابٌ وخُرْثيٌّ[2] أحمله إليك . قالت : ما أَراك إلاّ صادقاً ، أتدري مَن هذه ؟ قال : تُخبريني . قالت : هذه ابنتي فلانة بنت فلان ، وأنا فلانة بنت فلان ، وقد كنتُ أردتُ أن أَعرض عليك وصيفةً عندي ، فأحببتُ إذا رأيتَ غداً غلظ أهل الشام وجفاءهم ، ذكرتَ ابنتي فعلمت أنّكم في غير شيء ، قُمْ راشداً . فقال للدّلال : خدعتَني ! قال : أوَلا تَرضى أن ترى ما رأيتَ من مثلها وتَهَبَ مائة غلام مثل غلامك ؟ قال : أمّا هذا فنعم . وخرجا من عندها .

نسبة ما عَرَفتُ نسبته من الغناء المذكور في هذا الخبر

صوت

[من الكامل]

قــد كنتُ آمُلُ فيكمُ أَمَــلاً والمـرءُ ليس بمُـدْرِكٍ أَمَلَهْ

حتــى بــدا لي منكمُ خُلُفٌ فزجرتُ قلبي عن هوًى جَهِلَهْ[3]

الشعر للمُغيرة بن عمرو بن عثمان ، والغناء للدّلال ، ولحنُه من القَدْر الأوسط من الثقيل الأوّل بالبنصر في مجراها ؛ وجدتُه في بعض كتب إسحاق بخطّ يده هكذا .

1 ل : منتهى المتمنى .

2 خرثى : متاع البيت وأثاثه .

3 عن هوى في ل : فارعوى .

وذكر عليّ بن يحيى المنجّم أنّ هذا اللحن في هذه الطريقة لابن سُرَيج ، وأنّ لحن الدّلال خفيف ثاني ثقيلٍ نَشيد . وذكر أحمد بن المكّيّ أنّ لحن الدّلال ثاني ثقيلٍ بالوسطى ، ولحنَ ابن سُرَيج ثقيلٌ أوّل . وفيه لُمتيَّمَ وعَرِيبَ خفيفاً ثقيلٍ ، المُطلَق المُسْجَحُ منهما لعَريب .

ومنها : [من الطويل]

صوت

دعتْني دَواعٍ من أُرَيًّا فهيَّجَتْ هوًى كان قِدْماً من فُؤادٍ طَرُوبِ

سبتْني أُرَيًّا يومَ نَعْفِ مُحَسِّرٍ بوجـهٍ صبيحٍ للقلوبِ سَلُوبِ

لعلّ زماناً قد مضى أن يعودَ لي وتَغْفِرَ أَرْوَى عنـد ذاك ذُنوبي

الغناء للدّلال خفيفُ ثقيلٍ أوّلَ بالوسطى في مجراها من رواية حمّاد عن أبيه ، وذكر يحيى المكيّ أنّه لابن سُرَيج .

[غنّى نائلة بنت عمّار الكلبيّ فأجازته]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أبي قَبيصة قال : جاء الدّلال يوماً إلى منزل نائلة بنت عمّار الكلبيّ ، وكانت عند معاوية فطلّقها ، فقَرَع الباب فلم يُفتح له ؛ فغنّى في شعر مجنون بن عامرٍ ونَقَر بدُفّه : [من الطويل]

خَليلَـيَّ لا واللهِ مـا أَمْلِكُ البُكا إذا عَلَـمٌ مـن أرضِ لَيْلَى بَدا لِيا

خليلَـيَّ إنْ بانُـوا بلَيْلَى فهَيِّئـا لِيَ النَّعْشَ والأكفانَ واستَغْفِرا لِيا

فخرج حَشَمُها فزجروه وقالوا : تَنحَّ عن الباب . وسمِعَت الجَلَبة[1] فقالت : ما هذه الضجَّة بالباب ؟ فقالوا : الدّلال . فقالت : ائذَنوا له . فلمّا دخل عليها شقّ ثيابه وطرح التراب على رأسه وصاح بوَيْلِه وحَرَبه ؛ فقالت له : الويل ويلك ! ما دَهاك ؟ وما أَمْرُك ؟ قال : ضربني حَشَمُكِ . قالت : ولِمَ ؟ قال : غنَّيْتُ صوتاً أُريد أن أُسْمِعَكِ إيّاه ، لأدخل إليكِ ؛ فقالت : أُفٍّ لهم وتُفّ ! نحن نبلُغ لك ما تُحِبُّ ونُحسن تأديبهم . يا جارية هاتي ثياباً مقطوعة . فلمّا طُرِحت عليه جلس . فقالت : ما حاجتك ؟ قال : لا أسألُك حاجةً حتّى أُغنّيَك . قالت : فذاك إليك ؛ فاندفع يُغنّي شعرَ جميل[2] : [من الخفيف]

ارْحَميني فقد بَليتُ فحَسْبي بعضُ ذا الدّاءِ يا بُثَيْنةُ حَسْبي

---

1 ل : الضجّة .

2 ديوان جميل (طبعة دار صادر) : 22 .

لامَني فيكِ يا بثينةُ صَحْبي ... لا تَلُوموا قد أقْرح الحُبُّ قلبي
زعَم الناس أنّ دائيَ طِبّي ... أنتِ واللهِ يا بثينةُ طِبّي[1]

ثم جلس فقال : هل من طعام ؟ قالت : عليَّ بالمائدة ؛ فأُتي بها كأنّها كانت مهيَّأة عليها أنواع الأطعمة ، فأكل ، ثم قال : هل من شرابٍ ؟ قالت : أمّا نبيذٌ فلا ، ولكن غيره . فأُتي بأنواع الأشربة ، فشَرِب من جميعها . ثم قال : هل من فاكهة ؟ فأُتي بأنواع الفواكه فتفكَّه ، ثم قال : حاجتي خمسةُ آلاف درهمٍ ، وخمسُ حُللٍ من حلل معاوية ، وخمس حلل من حلل حبيب بن مسلمة ، وخمس حلل من حلل النعمان بن بشير . فقالت : وما أردت بهذا ؟ قال : هو ذاك ، والله ما أرضى ببعضٍ دون بعضٍ ، فإمّا الحاجة وإمّا الردّ . فدعت له بما سأل ، فقبضه وقام . فلمّا توسَّط الدار غنّى ونَقَر بدُفِّه[2] : [من الخفيف]

ليتَ شِعْري أَجَفْوةٌ أم دَلالٌ ... أمْ عَدُوٌّ أتى بُثَيْنةَ بعدي
فمُريني أُطِعْكِ في كلِّ أمرٍ ... أنت واللهِ أوجهُ الناسِ عندي

وكانت نائلة عند معاوية ، فقال لفاختِة بنت قَرَظة : اذهبي فانظُري إليها ، فذهبت فنظرتْ إليها ، فقالت له : ما رأيت مثلها ، ولكنّي رأيت تحت سُرَّتها خالاً لَيُوضَعَنّ منه رأس زوجها في حجرها . فطلّقها معاوية ؛ فتزوّجها بعده رجلان : أحدهما حبيب بن مسلمة ، والآخر النعمان بن بشير ؛ فقُتِل أحدهما فوُضِع رأسه في حجرها .

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني

صوت[3]

[من الطويل]

خليلَيَّ لا واللهِ ما أَمْلكُ البُكا ... إذا عَلَمٌ من أرضِ لَيْلَى بَدا لِيا
خليلَيَّ إنْ بانُوا بلَيْلَى فَهيِّئا ... لي النَّعْشَ والأكفانَ واستغفِرا لِيا[4]
أمضروبةٌ لَيْلَى على أنْ أزورها ... ومتَّخَذ ذنباً لها أنْ تَرانِيا
خليلَيَّ لا واللهِ ما أملكُ الذي ... قضى اللهُ في لَيْلَى ولا ما قضَى لِيا

1 يا بثينة في ل : يا حميتك .
2 ديوان جميل (طبعة دار صادر) : 49 .
3 الأبيات من مواضع متفرّقة من اليائية المنسوبة للمجنون في ديوانه : 297 .
4 فهيّئا في ل : فقربا .

قَضاها لغيري وابتلاني بحُبِّها ... فهلاَّ بشيءٍ غير لَيْلَى ابتلانِيا

الشعر للمجنون ، والغناء لابن محرز ثاني ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق . وذكر الهشاميّ أنّ فيه لحناً لمعبد ثقيلاً أوّل لا يشكّ فيه . قال : وقد قال قوم : إنّه منحول يحيى المكيّ . وفيه لإبراهيم خفيف ثقيل عن الهشاميّ أيضاً . وفيه ليحيى المكيّ رملٌ من رواية ابنه أحمد . وفيه خفيف رملٍ عن أحمد بن عبيد لا يُعرَف صانعه .

ومنها : [من الخفيف]

صوت

ليتَ شِعْرِي أَجَفْوةٌ أم دَلالٌ ... أم عَـدُوٌّ أتـى بثينةَ بعدي

فمُرِينـي أُطِعْـكِ في كلِّ أمرٍ ... أنتِ واللهِ أوجُه الناسِ عندي

الشعر لجميل ، والغناء لابن محرز خفيف ثقيلٍ بالسّبابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لعَلُّويَه خفيف ثقيلٍ آخر . وذكر عمرو بن بانة أنّ فيه خفيف ثقيل بالوسطى لمعبد . وذكر إسحاق أن فيه رملاً بالبنصر في مجراها ولم ينسُبه إلى أحد ، وذكر الهشاميّ أنّه لمالك . وفيه لُمتيَّم خفيف رملٍ . وفيه لعريب ثقيل أوّل [بالبنصر] . وذكر حبش أنّ فيه للغريض ثقيلاً أوّل بالبنصر . ولمعبد فيه ثقيل أوّل بالوسطى . وذكر ابن المكيّ أنّ فيه خفيف ثقيلٍ لمالك وعَلُّويَهْ .

[غنّى في زفاف ابنة عبد الله بن جعفر]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن المدائنيّ عن عَوانة بن الحَكَم قال : لمّا أراد عبد الله بن جعفر إهداء بنته إلى الحَجَّاج ، كان ابن أبي عتيق عنده ، فجاءه الدّلال متعرِّضاً فاستأذن . فقال له ابن جعفر : لقد جئتنا يا دلال في وقت حاجتنا إليك . قال : ذلك قصدتُ . فقال له ابن أبي عتيق : غَنِّنا ؛ فقال ابن جعفر : ليس وقتَ ذلك ، نحن في شغل عن هذا . فقال ابن أبي عتيق : وربِّ الكعبة لَيُغَنِّيَنَّ . فقال له ابن جعفر : هات . فغَنَّى ونَقَر بالدُّفِّ ، والهوادج والرَّواحل[1] قد هُيِّئت ، وصُيِّرَت بنت ابن جعفر فيها مع جَواريها والمشيِّعين لها : [من المنسرح]

يا صاحِ لو كنتَ عالِماً خَبِراً ... بمـا يُلاقِـي المُحِبُّ لم تَلُمْهْ

لا ذنبَ لي في مُقَرَّطٍ حَسَنٍ ... أعجبنـي دَلُّـهُ ومُبْتَسَمُهْ[2]

شيمتُـه البُخْـلُ والبِعـادُ لنا ... يا حَبَّذا هُـوْ وحَبَّـذا شِيَمُهْ

مُضَمَّـخٌ بـالعَبِيرِ عارِضُـهْ ... طُوبَى لِمَنْ شَمَّه ومَنْ لَثَمُهْ

1 ل : الرمائل .

2 مقرط في ل : مقرطق .

قال : ولابن محرز في هذا الشعر لحن أجود من لحن الدّلال ، فطَرِب ابن جعفر وابن أبي عتيق . وقال له ابن جعفر : زِدني وطَرِب . فأعاد اللحن ثلاثاً ثم غنّى[1] : [من مجزوء الكامل]

بَكَرَ العواذِلُ في الصَّبا ... ح يَلُمْنَنِي وأَلُومُهُنَّهْ
ويَقُلْنَ شيبٌ قد عَلا ... كَ وقد كَبِرْتَ فقُلْتُ إنَّهْ

ومضتْ بنتُ ابن جعفر ، فاتّبعها يُغنّيها بهذا الشعر ، ولعبد آل الهذليّ فيه لحن وهو أحسنها[2] : [من الكامل]

إنّ الخَلِيطَ أَجَدّ فاحتملا ... وأراد غَيْظَكَ بالذي فَعَلا[3]
فوقفتُ أنظرُ بعضَ شأنِهِمُ ... والنَّفْسُ ممّا تأمُلُ الأَمَلا
وإذا البِغالُ تُشَدُّ صافِنَةً ... وإذا الحُداةُ قَدَ ازمَعُوا الرِّحَلا
فهناك كاد الشَّوْقُ يقتلني ... لَوْ أنَّ شوقاً قبلَه قَتَلا

فدَمَعت عينا عبد الله بن جعفر ، وقال للدّلال : حسبُك ؛ فقد أوجعت قلبي ؛ وقال لهم : امضوا في حفظ الله على خير طائر وأيمَن نَقيبة .

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

[من مجزوء الكامل]

بَكَرَ العواذلُ في الصَّبا ... ح يَلُمْنَنِي وأَلُومُهُنَّهْ
ويقلنَ شيبٌ قد علا ... كَ وقد كَبِرْتَ فقلتُ إنَّهْ
لا بُدَّ من شيبٍ فدَعْـ ... ـنَ ولا تُطِلْنَ مَلامَكُنَّهْ
يَمْشِينَ كالبَقَرِ الثِّقا ... لِ عَمَدْنَ نحو مُراجِهِنَّهْ
يَحْفَيْنَ في المَمْشَى القَريـ ... ـبِ إذا يُرِدْنَ صَدِيقَهُنَّهْ

الشعر لابن قيس الرقيّات ، والغناء لابن مِسجَح خفيف ثقيلٍ أوّل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه ثقيل أوّل للغريض عن الهشاميّ . وفيه خفيف ثقيلٍ آخر بالوسطى ليعقوب بن هَبّار عن الهشاميّ ودَنانيرَ ، وذكر حَبَشٌ أنّه ليعقوب .

ومنها : [من الطويل]

---

1 ديوان ابن قيس الرقيات (طبعة دار صادر) : 66–67 .

2 ديوان عمر (طبعة دار صادر) : 326 مع اختلاف كبير في الرواية .

3 وأراد في ل : وازداد .

صوت

إنّ الخليطَ أَجدّ فاحتملا وأراد غيظَك بالذي فعلا[1]

الأبيات الأربعة .

الشعر لعُمَر بن أبي ربيعة ، والغناء للغريض ثقيل أوّلُ بالسبّابة عن يحيى المكيّ . وفيه ليحيى أيضاً ثقيلٌ أوّل بالوسطى من رواية أحمد ابنه ، وذكر حبشٌ أنّ هذا اللحن لبسباسة بنت معبدٍ .

[سأله ابن أبي ربيعة الغناء في شعر له فغنّاه فأجازه]

أخبرني الحسين عن حمّاد عن أبيه عن عثمان بن حفص الثّقفيّ قال : كان للدّلال صوتٌ يُغنّي به ويُجيده ، وكان عُمَر بن أبي ربيعة سأله الغناء فيه وأعطاه مائة دينار ففعل ، وهو قول عمر[2] : [من الطويل]

صوت

ألم تَسْأَلِ الأَطــلالَ والمتَربَّعــا ببطــنِ حُلَيَّــاتٍ دَوارِسَ بَلْقَعا

إلى السَّرْحِ من وادي المُغَمَّسِ بُدِّلَتْ مَعالِمُه وَبْــلاً ونَكْبــاءَ زَعْزَعا

وقَرَّبْــنَ أسبابَ الهَـوى لِمُتَيَّمٍ يقِيس ذِراعــاً كُلَّما قِسْنَ إصْبَعا

فقلتُ لِمُطْرِيهِــنّ في الحُسْنِ إنّما ضَرَرْتَ فهل تَسْطِيعُ نَفْعاً فتَنْفَعا

الشعر لعمر بن أبي ربيعة ، والغناء للغريض فيه لحنان : أحدهما في الأوّل والثاني من الأبيات ثقيل أوّل بالبنصر عن عمرو ، والآخر في الثالث والرابع ثاني ثقيل بالبنصر . وفي هذين البيتين الآخرين لابن سريج ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وفي الأوّل والثاني للهُذليّ خفيف ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو . وفيهما لابن جامع رملٌ بالوسطى عنه أيضاً . وقال يونس : لمالكٍ فيه لحنانِ ، ولمعبدٍ لحنٌ واحد .

[روى هشام بن المريّة عن جرير صوتين له]

أخبرني الحسين عن حمّاد عن أبيه قال حدّثني هشام بن المريَّة قال : كنّا نعرف للدّلال صوتين عجيبين ، وكان جريرٌ يُغنّي بهما فأَعجَبُ من حُسنِهما ، فأخذتُهما عنه وأنا أُغنّي بهما . فأمّا أحدُهما فإنّه يُفرِح القلب . والآخر يُرقِص كلَّ مَن سمِعَه . فأمّا الذي يُفرِح القلب فلابن سريج فيه أيضاً لحنٌ حسنٌ وهو : [من الكامل]

---

1 وأراد في ل : وازداد .

2 تقدّم هذا الشعر في الجزء الأوّل ، ص 103 ، 130 .

ولقد جرى لك يومَ سَرْحةِ مالكٍ ممّا تَعَيَّفُ سانحٌ وبَرِيحُ
أَحْوى القَوادِمِ بالبياض مُلَمَّعٌ قَلِقُ المَواقِعِ بالفِراقِ يَصِيحُ
الحُبُّ أبغضُه إليَّ أقلُّه صَرِّحْ بذاك فراحَتي التَّصْرِيحُ
بانتْ عُوَيْمةُ فالفؤادُ قَرِيحُ ودموعُ عينِك في الرِّداءِ سُفُوحُ

والآخر : [من مجزوء الرمل]

كلّما أبصرتُ وجهاً حَسَناً قلتُ خليلي
فإذا ما لم يَكُنْهُ صِحْتُ وَيْلي وعَوِيلي
فصِلي حبلَ مُحِبٍّ لكُمُ جِدٍّ وَصُولِ
وانظُري لا تَخذُلِيهِ إنّه غيرُ خَذُولِ

نسبة هذين الصوتين

للدّلال في الشعر الأوّل الذي أوّله : [من الكامل]

ولقد جرى لك يومَ سَرْحةِ مالكٍ

خفيف ثقيل بالوسطى . وفيه لابن سريج ثقيل أوّلُ عن الهشاميّ . وقال حبشٌ : إنّ للدّلال فيه لحنين : خفيف ثقيل أوّل وخفيف رملٍ . وأوّلُ خفيف الرَّمَل : [من الكامل]

بانتْ عويمةُ فالفؤادُ قَرِيحُ

وذكر أنّ لحن ابن سريج ثاني ثقيل ، وأنّ لابن مسجح فيه أيضاً خفيف ثقيلٍ .

والصوت الثاني الذي أوّله : [من مجزوء الرمل]

كلّما أبصرتُ وجهاً حَسَناً قلتُ خليلي

الغناء فيه لعَطَرَّد خفيف ثقيل بالوسطى عن حبش ، ويقال إنّه للدّلال . وفيه ليونس خفيف رملٍ . وفيه لإبراهيم الموصليّ خفيف ثقيلٍ أوّل بالبنصر عن عمرو .

[شرب النبيذ وكان لا يشربه فسكر حتى خلع ثيابه]

أخبرني الحسين عن حمّاد عن أبيه عن مصعب بن عبد الله الزّبيريّ قال : كان الدّلال لا يشرب النبيذ ، فخرج مع قومٍ إلى منتزهٍ لهم ومعهم نبيذٌ ، فشربوا ولم يشرب منه ، وسَقَوه عَسَلاً مجدوحاً ، وكان كلّما تغافل صيَّروا في شرابه النبيذ فلا يُنكره ، وكثُر ذلك حتى سَكِر وطَرِب ، وقال : اسقوني من شرابكم ، فسَقَوه حتى ثمِل ، وغنّاهم في شعر الأحوص[1] : [من البسيط]

1 شعر الأحوص : 128 .

طاف الخيالُ وطاف الهَمُّ فاعتكَرا عنـد الفراشِ فباتَ الهَمُّ مُحْتَضِرا
أُراقِـبُ النَّجْـمَ كالحَيْرانِ مُرْتَقِباً وقَلَّصَ النـومُ عن عينيّ فانْشَمرا
من لوعةٍ أورثتْ قَرْحاً على كَبِدي يوماً فأصبَح منها القلبُ مُنْفَطِرا
ومَنْ يَبِتْ مُضْمِراً هَمّاً كما ضَمِنَتْ منّي الضُّلوعُ يَبِتْ مُسْتَبْطِناً غِيرا

فاستحسنه القوم وطَرِبوا وشَرِبوا . ثم غنّاهم : [من المتقارب]

طَرِبْتَ وهاجَـك مَنْ تَذَّكِرْ ومَـنْ لستَ من حُبِّـه تَعْتَذِرْ
فإنْ نِلتُ منهـا الذي أُرتجي فـذاك لَعَمْـري الذي أَنْـتَظِرْ
وإلاّ صبرتُ فـــلا مُفْحِشاً عليهـــا بِسوءٍ ولا مُبْتَهِـرْ[1]

لحن الدّلال في هذا الشعر خفيف ثقيلٍ أوّل بالبنصر عن حبش . قال : وذكر قوم أنّه للغريض ، قال : وسَكِر حتى خلع ثيابه ونام عرياناً ، فغطّاه القوم بثيابهم وحملوه إلى منزله ليلاً فنوَّموه وانصرفوا عنه . فأصبح وقد تقيّأ ولوّث ثيابه بقَيئه ، فأنكر نفسه ، وحلف ألاّ يُغنّي أبداً ولا يُعاشر مَن يشرب النبيذ ؛ فوفى بذلك إلى أن مات . وكان يُجالس المَشْيَخةَ والأشراف فيُفيض معهم في أخبار الناس وأيّامهم حتى قضى نَحبَه .

[انقضت أخبار الدَّلال] .

وممّا في شعر الأحوص من المائة المختارة

صوت من المائة المختارة[2]

[من البسيط]

يا دِينَ قَلْبِك منها لستَ ذاكِرَها إلاّ تَرَقْرَقَ مـاءُ العينِ أو دَمَعا[3]
أدعـــو إلى هَجْرِها قلبي فيَتْبَعُني حتى إذا قلتُ هـذا صادقٌ نَزَعا
لا أستطيعُ نُزوعـاً عن مَحَبَّتها أو يَصْنَعَ الحُبُّ بي فوق الذي صنَعا
كَمْ مِنْ دَنِيٍّ لها قـد صرتُ أَتْبَعُه ولو سلا القلبُ عنها صارَ لي تَبَعا
وزادَني كَلَفاً في الحُبِّ أنْ مُنِعَتْ وحَبُّ شيءٍ إلى الإنسانِ ما مُنِعا

---

1 مبتهر في ل : منتهر .
2 هذه الأبيات ممّا ينسب إلى الأحوص (انظر ديوانه : 152–153) وللمجنون (انظر ديوانه : 200–201) .
3 دين هنا : داء .

الشعر للأحوص ، والغناء ليحيى بن واصلٍ المكيّ ، وهو رجلٌ قليل الصنعة غير مشهور ، ولا وجدتُ له خبراً فأذكره . ولحنه المختار ثقيل أوّل بالوسطى في مجراها عن إسحاق . وذكر يونس أنّ فيه لحناً لمعبد ولم يجنّسه .

[محبوبة الأحوص في كبرها]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثنا مُطَرِّف بن عبد الله المدنيّ[1] [قال] حدّثني أبي عن جدّي قال : بينا أطوفُ بالبيت ومعي أبي ، إذا بعجوزٍ كبيرة يضرب أحد لَحْيَيْها الآخر .

فقال لي أبي : أتعرف هذه ؟ قلت : لا ، ومَن هي ؟ قال : هذه التي يقول فيها الأحوص : [من البسيط]

يا سَلْمَ ليت لساناً تَنْطِقين به قبلَ الذي نالني من حُبِّكم قُطِعا

يلومني فيكِ أقوامٌ أُجالسهم فما أُبالي أطارَ اللومُ أم وَقَعا

أدعو إلى هَجْرِها قلبي فيَتْبَعُني حتّى إذا قلتُ هذا صادقٌ نَزَعا

قال : فقلت له : يا أبتِ ، ما أرى أنّه كان في هذه خيرٌ قطُّ . فضحك ثم قال : يا بُنَيّ هكذا يصنَع الدهرُ بأهله .

حدّثنا به وكيع قال حدّثنا ابن أبي سعد قال حدّثنا إبراهيم بن المنذر قال حدّثنا أبو خُوَيلد مُطرِّف بن عبد الله المدنيّ[1] عن أبيه ، ولم يقل عن جدّه ، وذكر الخبر مثل الذي قبله .

صوت

من المائة المختارة

[من الكامل]

كالبَيْضِ بالأُدْحِيّ يلمَعُ في الضُّحى فالحُسْنُ حسنٌ والنَّعيمُ نعيمُ

حُلّينَ من دُرِّ البُحورِ كأنّه فوق النُّحورِ إذا يلوحُ نُجومُ

الأُدحِيّ : المواضع التي يبيض فيها النّعام ، واحدتها أُدْحِيّة . وذكر أبو عمرو الشَّيْبانيّ أنّ الأدحيّ البَيْضُ نفسه . ويقال فيه أُدْحِيٌّ وأَداحٍ أيضاً .

الشعر لطُرَيْح بن إسماعيل الثّقفيّ ، والغناء لأبي سعيد مولى فائد ، ولحنه المختار من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه للهُذَليّ خفيف ثقيلٍ من رواية الهشاميّ . وقد سمعنا مَن يغنّي فيه لحناً من خفيف الرَّمَل ، ولستُ أعرف لمن هو .

---

1 ل : الهذلي .

[52] ـ ذكر طريح وأخباره ونسبه[1]

[نسبه]

هو ، فيما أخبرني به محمد بن الحسن بن دريد عن عمّه عن ابن الكلبيّ في كتاب النسب إجازةً ، وأخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى عن أبي أيُّوب المَدِينيّ عن ابن عائشة ومحمد بن سَلاَّم ومُصْعَب الزّبيريّ ، قال : طُرَيْح بن إسماعيل بن عبيد بن أَسِيد بن عِلاج بن أبي سَلَمة بن عبد العُزَّى بن عَنَزة بن عَوف بن قَسِيّ ، وهو ثَقِيف ، بن مُنَبِّه بن بَكْر بن هَوازن بن منصور بن عِكْرِمة بن خَصَفَةَ بن قَيس بن عَيْلان بن مُضَر .

[ثقيف والخلاف في نسبه]

قال ابن الكلبيّ : ومن النسَّابين مَنْ يذكُر أنّ ثقيفاً هو قَسيّ بن مُنَبِّه بن النَّبِيت بن منصور بن يَقدُمَ بن أَفْصَى بن دُعْمِيّ بن إيّاد بن نِزار . ويقال : إنّ ثقيفاً كان عبداً لأبي رِغال ، وكان أصلُه من قوم نَجَوا من ثَمود ، فانتمى بعد ذلك إلى قيس . ورُوِي عن عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وكرَّم وجهَه : أنّه مرّ بثَقِيف ، فتغامزوا به ؛ فرجَع إليهم فقال لهم : يا عَبيد أبي رِغال ، إنّما كان أبوكم عبداً له فهرَب منه ، فثَقِفَه بعد ذلك ، ثم انتمى إلى قيس .

وقال الحجَّاج في خُطبة خَطَبها بالكوفة : بَلَغني أنّكم تقولون إنّ ثقيفاً من بقيّة ثمود ويلكم ! وهل نجا من ثَمود إلاّ خِيارُهم ومَن آمن بصالح فبَقِيَ معه عليه السلام ! ثم قال : قال الله تعالى : ﴿وثَمُودَ فَما أَبْقى﴾ . فبلغ ذلك الحسنَ البصريّ : فتضاحك ثم قال : حَكَم لُكَعُ لنفسه ، إنّما قال عزّ وجلّ : ﴿فما أبقى﴾ أي لم يُبْقِهم بل أهلكهم . فرُفِع ذلك إلى الحجّاج فطلَبه ، فتوارى عنه حتى هلك الحجّاج . وهذا كان سبب تَواريه منه . ذكر ابن الكلبيُّ أنّه بلغه عن الحسن .

وكان حمّادٌ الراوية يذكر أنّ أبا رِغالٍ أبو ثَقيف كلِّها ، وأنّه من بقيّة ثمود ، وأنّه كان مَلِكاً بالطائف ، فكان يَظْلِم رعيّته . فمرّ بامرأةٍ تُرضع صبيّاً يتيماً بلَبَنِ عَنْزٍ لها ، فأخذها منها ، وكانت سنة مُجْدِبة ؛ فبَقِي الصبيُّ بلا مُرْضِعة فمات ، فرماه الله بقارِعةٍ فأهلكه ، فرجمتِ

---

1 ترجمة طريح في الشعر والشعراء : (طبعة دار الثقافة ، بيروت) : 568 ومعجم الأدباء (تحقيق احسان عبّاس ، طبعة دار الغرب الإسلامي ، بيروت) : 1458 وابن عساكر 8 : 506 والوافي 16 : 432 وأورد ابن حمدون مختارات من شعره وبعض أخباره في مواضع متفرّقة من التذكرة (انظر الفهرس) . وقد جمع د . نوري حمودي القيسي شعره في الجزء الثالث من «شعراء أمويون» مطبعة المجمع العلمي العراقي ، 1982 .

العربُ قبرَه ، وهو بين مكّة والطائف . وقيل : بل كان قائدَ الفيل ودليلَ الحبشة لّما غَزَوا الكعبة ، فهلك فيمن هلكَ منهم ، فدُفن بين مكّة والطائف ؛ فمرّ النبيّ ﷺ بقبره ، فأَمَر برَجْمه فرُجِم ؛ فكان ذلك سُنّةً .

قال ابن الكلبيّ وأخبرني أبي عن أبي صالح عن ابن عبّاس قال : كان ثقيف والنَّخَع من إياد ؛ فثقيفٌ قَسيّ بن مُنَبِّه بن النَّبيت بن يَقْدُمَ بن أَقصى بن دعْميّ بن إيَاد . والنَّخَع ابن عمرو بن الطمنان[1] بن عبد مَناةَ بن يَقدُم بن أَقصى ، فخرجا ومعهما عَنْزٌ لهما لَبون يشربا لبنها ، فعرَض لها مُصَدِّقٌ[2] لملك اليمن فأراد أخذَها ؛ فقالا له : إنّما نعيش بدَرِّها ؛ فأبى أن يدَعها ؛ فرماه أحدُهما فقتله . ثم قال لصاحبه : إنّه لا يحملني وإيّاك أرض . فأمَّا النَّخعُ فمضى إلى بِيشَةَ فأقام بها ونزل القَسيُّ موضعاً قريباً من الطائف ؛ فرأى جاريةً ترعى غنماً لعامر بن الظَّرب العَدوانيّ ، فطَمِع فيها ، وقال : أقتل الجارية ثم أَحْوي الغنم : فأنكرتِ الجارية مَنظَره ، فقالت له : إنّي أراك تُريد قتلي وأَخْذَ الغنم ، وهذا شيءٌ إن فعلتَه قتِلتَ وأُخِذَتِ الغنم منك ، وأظنّك غريباً جائعاً ؛ فدلَّته على مولاها . فأتاه واستجار به فزوّجه بنته ، وأقام بالطائف . فقيل : للهِ دَرُّه ما أَثقفَه حين ثَقِف عامراً فأجاره . وكان قد مرَّ بيهوديّة بوادي القُرى حين قُتل المصدّق ، فأعطتْه قُضبان كَرْمٍ فغَرَسها بالطائف فأطعمتْه ونفعته .

قال ابن الكلبيّ في خبرٍ طويل ذكَرَه : كان قَسِيٌّ مقيماً باليمن ، فضاق عليه موضعه ونبا به ، فأتى الطائف ، وهو يومئذٍ منازلُ فَهْمٍ وعَدوان ابني عمرو بن قيس بن عيلان ، فانتهى إلى الظَّرِب العدوانيّ ، وهو أبو عامر بن الظَّرِب ، فوجده نائماً تحت شجرة[3] ، فأيقظه وقال : مَنْ أنت ؟ قال : أنا الظَّرِب . قال : عليَّ أَلِيَّةٌ إن لم أقتُلْك أو تُحالِفني وتُزَوِّجْني[4] ابنتَك ، ففعل . وانصرف الظَّرِب وقَسِيٌّ معه ، فلقِيه ابنه عامر بن الظَّرِب فقال : مَنْ هذا معك يا أبتِ ؟ فقصَّ قِصَّته . قال عامرٌ : للهِ أبوه ! لقد ثَقِفَ أمرَه ؛ فسُمِّي يومئذٍ ثقيفاً . قال : وعُيِّر الظَّرِبُ تزويجَه قَسِيّاً ، وقيل : زوّجتَ عبداً . فسار إلى الكُهَّان يسألهم ، فانتهى إلى شِقِّ ابن صَعْب البَجَليّ وكان أقربهم منه . فلمّا انتهى إليه قال : إنّا قد جئناك في أمر فما هو ؟ قال : جئتم في قَسِيّ ، وقَسِيٌّ عبد إيّاد ، أَبَقَ ليلةَ الواد ، في وَجٍّ ذاتِ الأنداد ، فوَالى سَعْداً ليُفاد ، ثم لَوَى بغير مَعاد . (يعني سعد بن قيس بن عيلان بن مُضَر) . قال : ثم توجّه إلى سَطِيح الذِّئبيّ (حَيٌّ

1 ل : الظبيان .

2 المصدق : جامع الزكاة والصدقة .

3 ل : صخرة .

4 تحلف لي لتزوجني .

من غسان ، ويقال : إنّهم حَيٌّ من قُضاعة نُزولٌ في غسّان) ، فقال : إنّا جئناك في أمر فما هو ؟ قال : جئتم في قَسيٍّ ، وقَسيٌّ من وَلَد ثَمود القديم ، ولدتْه أُمُّه بصَحراء بريم ، فالتقطه إيادٌ وهو عديم ، فاستعبده وهو مليم . فرجع الظَّرِب وهو لا يدري ما يصنع[1] في أمره ، وقد وَكَّد عليه في الحِلْف والتزويج ؛ وكانوا على كُفْرهم يُوفُون بالقول . فلهذا يقول مَن قال : إنّ ثقيفاً من ثمود ؛ لأنّ إيّاداً من ثَمود .

قال : وقد قيل : إنّ حرباً كانت بين إيّادٍ وبين قيس ، وكان رئيسُهم عامر بن الظَّرِب ، فظَفِرتْ بهم قيس ، فنفتهم إلى ثمود وأنكروا أن يكونوا من نِزار .

قال : وقال عامر بن الظَّرِب في ذلك : [من الرجز]

قالتْ إيادٌ قد رأينا نَسَبا ... في ابْنَيْ نِزارٍ ورأينا غلَبا
سيرِي إيادُ قد رأينا عَجَبا ... لا أصلُكم منّا فسامِي الطَّلَبا
دارَ ثَمُودٍ إذْ رأيتِ السَّبَبا

قال : وقد رُوي عن الأعمش أنّ عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ، قال على المِنبر بالكوفة وذكر ثقيفاً : لقد هممتُ أن أَضعَ على ثقيفٍ الجِزية ؛ لأنّ ثقيفاً كان عبداً لصالح نبيّ الله عليه السلام ، وإنّه سرّحه إلى عاملٍ له على الصدقة ، فبعث العاملُ معه بها ، فهرَب واستوطن الحَرَمَ ، وإنّ أَوْلى الناس بصالح محمد ﷺ ، وإنّي أُشْهِدُكم أنّي قد رددتهم إلى الرِّقّ .

قال : وبلغنا أنّ ابن عبّاس قال ، وذُكِر عنده ثقيف ، فقال : هو قَسيّ بن مُنَبِّه ، وكان عبداً لامرأةِ صالح نبيّ الله ﷺ ، وهي الهَيْجُمانة بنت سعد ، فوَهَبتْه لصالح ، وإنّه سرّحه إلى عاملٍ له على الصَّدقة ؛ ثم ذكر باقيَ خبره مثلَ ما قال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه . وقال فيه : إنّه مرّ برجل معه غنمٌ ومعه ابن له صغير ماتت أُمّه فهو يرضع من شاةٍ ليست في الغنم لَبُونٌ غيرُها ، فأخذ الشاة ؛ فناشده الله ، وأعطاه عَشْراً فأبى ، فأعطاه جميعَ الغنم فأبى . فلمّا رأى ذلك تَنحَّى ، ثم نَثَل كنانَتَه فرماه ففلق قلبَه ؛ فقيل له : قتلتَ رسولَ رسولِ الله صالح . فأتى صالحاً فقصَّ عليه قِصَّته ؛ فقال : أبعده الله ؛ فقد كنتُ أنتظر هذا منه ؛ فرُجِم قبرُه ، فإلى اليوم والليلة يُرْجَم ، وهو أبو رِغال .

قال : وبلغنا عن عبد الله بن عبّاس أنّ رسول الله ﷺ حين انصرف من الطائف مرّ بقبر أبي رِغال فقال : «هذا قبر أبي رِغال وهو أبو ثقيف كان في الحَرَم فمنعه الله عزّ وجلّ ، فلمّا خرج منه رماه الله وفيه عمودٌ من ذهب» ، فابتدره المسلمون فأخرجوه .

---

1 ل : يأتي .

قال : وروى عمرو بن عبيد عن الحسن أنّه سُئل عن جُرْهُم : هل بقي منهم أحد ؟ قال : ما أدري ، غير أنّه لم يبقَ من ثمودَ إلاّ ثقيف في قَيْس عَيلان ، وبنو لَجأ في طَيِّىء ، والطُّفاوة في بني أَعْصُرَ .

قال عمرو بن عبيد وقال الحسن : ذُكِرت القبائل عند النبيّ ﷺ ، فقال : «قبائل تنتمي إلى العرب وليسوا من العرب حِمْيَر من تُبَّع وجُرْهُمٌ من عاد وثقيف من ثمود» .

قال : ورُوِي عن قَتادةَ أنّ رجلين جاءا إلى عمران بن حُصين . فقال لهما : ممّن أنتما ؟ قالا : من ثقيف . فقال لهما : أتزعمان أنّ ثقيفاً من إياد» قالا نعم . قال : فإن إيّاداً من ثمود ؛ فشقّ ذلك عليهما . فقال لهما : أساءكما قَولي ؟ قالا : نعم والله . قال : فإنّ الله أنجى من ثمود صالحاً والذين آمنوا معه ؛ فأنتم إنْ شاء الله من ذُرِّيّة مَن آمن ، وإنْ كان أبو رِغالٍ قد أتى ما بلغكما . قالا له : فما اسمُ أبي رِغال ؛ فإن الناس قد اختلفوا علينا في اسمه : ؟ قال : قَسيّ بن مُنبّه .

قال : وروى الزُّهريّ أنّ النبيّ ﷺ قال : «مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يُحِبّ ثقيفاً ، ومَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يُبغِض الأنصار» .

قال : وبلَغَنا عنه عليه الصلاة والسلام أنّه قال : «بنو هاشمٍ والأنصار حِلْفان وبنو أُميّة وثَقيف حِلْفان» .

قال : وفي ثقيف يقول حسّان بن ثابت رضي الله تعالى عنه[1] : [من الوافر]

إذا الثَّقَفيُّ فاخـركم فقولوا ... هَلُـمَّ نَعُـدّ شأنَ أبي رِغالِ

أبوكـم أخبثُ الآبـاءِ قِدْماً ... وأنتـم مُشْبِهـوه عـلى مثالِ

عَبيـد الفِـزر أورثهـم بَنيـه ... وولّـى عنهـمُ أُخْـرى الليالي

[أم طريح ونسبها]

وأُمُّ طُرَيح بنت عبد الله بن سِباع بن عبد العُزّى بن نَضْلة بن غُبْشان من خُزاعة ، وهم حُلفاء بني زُهرة بن كِلاب بن مُرَّة بن كعب بن لُؤيّ . وسِباع بن عبد العُزّى هو الذي قتله حَمزة بن عبد المطّلب يوم أُحد . ولمّا بَرَز إليه سِباع قال له حمزة : هَلُمَّ إليّ يا ابنَ مُقَطِّعة البُظور ، وكانت أُمّه تَفعَل ذلك وتَقْبَلُ[2] نساءَ قريش بمكّة ، فحَمِيَ وَحْشيٌّ لقوله وغضِب لسباع ، فرمى حمزة بحربته فقتله ، رحمةُ الله عليه ، وقد كُتب ذلك في خبر غَزاة أُحُدٍ في بعض هذا الكتاب .

1 ديوان حسان 1 : 167 مع اختلاف كبير في الرواية .

2 تقبل : تولّد ، ومنه القابلة .

[كنيته]

ويُكنى طُرَيح أبا الصَّلْت ؛ كُني بذلك لابنٍ كان له اسمه صَلْتٌ . وله يقول[1] : [من الكامل]

يا صَلْتُ إنّ أباكَ رَهْنُ مَنِيّةٍ مكتوبةٍ لا بُدّ أنْ يلقاها
سَلَفتْ سَوالِفُها بأَنْفُسِ مَنْ مَضى وكذاك يَتْبَعُ باقياً أُخْراها
والدّهرُ يُوشِك أن يُفَرِّقَ رَيْبُه بالموتِ أو رِحَلٍ تَشِتُّ نَواها[2]
لا بُدَّ بينكما فتُسْمِع دَعْوةً أو تَستجيب لدعوةٍ تُدْعاها

[طرح ابنه الصلت إلى أخواله بعد موت أمّه]

وأخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى إجازةً قال أخبرني أبو الحسن الكاتب : أنّ أُمّ الصَّلْت بن طُرَيح ماتت وهو صغير ، فطَرَحه طريح إلى أخواله بعد موت أُمّه . وفيه يقول[3] : [من الكامل]

باتَ الخيالُ من الصُّلَيْتِ مُؤَرِّقي يَفْرِي السَّراةَ مع الرَّبابِ المُلْثِقِ[4]
ما راعني إلاّ بياضُ وُجَيْهِهِ تحتَ الدُّجُنَّةِ كالسِّراجِ المُشْرِقِ

[نشأ في دولة بني أميّة وأدرك دولة بني العبّاس]

ونشأ طُرَيح في دولة بني أُميّة ، واستفرغ شعرَه في الوليد بن يزيد ، وأدرك دولة بني العبّاس ، ومات في أيّام المهديّ[5] ؛ وكان الوليد له مُكرماً مُقَدِّماً ؛ لانقطاعه إليه ولخؤولته في ثقيف .

فأخبرني محمد بن خَلَفٍ وكيع قال حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثني أحمد بن حمّاد بن الجَميل عن العُتْبيّ عن سَهْم بن عبد الحميد قال أخبرني طُرَيح بن إسماعيل الثَّقَفيّ قال : خُصِصْت بالوليد بن يزيد حتى صِرتُ أخلو معه . فقلت له ذات يومٍ وأنا معه في مَشْرَبَةٍ : يا أمير المؤمنين ، خالك يُحِبُّ أن تعلم شيئاً من خُلُقه . قال : وما هو ؟ قلتُ : لم أشرب شراباً قطُّ ممزوجاً إلاّ من لبن أو عسل . قال : قد عرفتُ ذاك ولم يباعِدك من قلبي . قال : ودخلتُ يوماً إليه وعنده الأُمويّون ، فقال لي : إليّ يا خالي ، وأقعدني إلى جانبه ، ثم أُتي بشراب فشَرب . ثم ناولني القَدَحَ ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين قد أعلمتك رأيي في الشراب . قال : ليس لذلك أعطيتك ، إنّما دفعته إليك لتُناوله الغلام ، وغضِب . فرفع القوم

---

1 شعر طريح : 314 .
2 ريبه في ل : بينهم .
3 شعر طريح : 308 .
4 الملثق : الذي يسبب البلل .
5 ل : الهادي وهو خطأ .

أيديهم كأنّ صاعقةً نزلتْ على الخِوان ؛ فذهبتُ أقوم ، فقال : اقعُد . فلمّا خلا البيت افترى عليّ ، ثم قال : يا عاضَّ كذا وكذا ! أردتَ أن تفضَحني ، ولولا أنّك خالي لضربتُك ألفَ سَوْط ! ثم نهى الحاجب عن إدخالي ، وقَطَع عنّي أرزاقي . فمكثتُ ما شاء الله . ثم دخلت عليه يوماً متنكّراً ، فلم يشعُرْ إلاّ وأنا بين يديه وأنا أقول[1] : [من البسيط]

يا ابنَ الخلائفِ ما لي بعدَ تَقْرِبةٍ … إليك أَقْصَى وفي حالَيْكَ لي عَجَبُ
ما لي أُذادُ وأُقصى حينَ أَقْصِدُكم … كما توقِّيَ من ذي الغرّة الجَرَبُ[2]
كأنّني لم يكن بيني وبينكم … إلٌّ ولا خُلّةٌ تُرعى ولا نَسبُ
لو كان بالوُدّ يدني منك أزلفَني … بِقربك الودُّ والإشفاقُ والحَدَبُ
وكنتُ دون رجالٍ قد جعلتهم … دوني إذ ما رأوني مقبلاً قَطَبوا
إنْ يَسْمَعوا الخيرَ يُخْفُوهُ وإنْ سَمِعوا … شَرّاً أذاعُوا وإن لم يَسمعوا كَذَبوا[3]
رأَوْا صُدودَك عنّي في اللّقاءِ فقد … تحدَّثوا أنَّ حبلي منكَ مُنْقَضِبُ
فذو الشَّماتةِ مسرورٌ بهَيْضَتِنا … وذو النَّصيحةِ والإشفاقِ مكتئبُ[4]

قال : فتبسّم وأمرني بالجلوس فجلست . ورجع إليّ وقال : إيّاك أن تُعاوِد . وتمام هذه القصيدة : [من البسيط]

أين الذّمامةُ والحَقُّ الذي نزلتْ … بحِفْظه وبتعظيمٍ له الكُتُبُ
وحَوْكِيَ الشِّعْرَ أُصْفيهِ وأَنْظِمُه … نظمَ القلائدِ فيها الدُّرُّ والذهبُ
وإنَّ سُخْطَكَ شيءٌ لم أُناجِ به … نفسي ولم يك ممّا كنتُ أكتسِبُ
لكن أتاك بقَوْلٍ كاذبٍ أَثِمٍ … قومٌ بَغَوْني فنالوا فيَّ ما طلبوا
وما عَهِدْتُك فيما زَلَّ تَقْطَعُ ذا … قُرْبَى ولا تدفَع الحقَّ الذي يجبُ
ولا تَوَجَّعُ من حَقٍّ تحمَّلُه … ولا تَتَبَّعُ بالتكديرِ ما تَهَبُ
فقد تقرّبتُ جهداً من رِضاك بما … كانت تُنالُ به من مثلك القُرَبُ
فغيرَ دَفْعِكَ حَقّي وارتفاضِكَ لي … وَطَيِّكَ الكَشْحَ عنّي كنت أحتسبُ

1 شعر طريح : 293–295 .
2 وأقصى في ل : وأنهى .
3 أذاعو في ل : أذيع .
4 بهيضتنا في ل : بفعلهم .

أَمُشْمِتٌ بـيَ أقوامـاً صُدُورُهُمُ ... عليَّ فيـك إلى الأذقانِ تَـلْتَهِبُ
قد كنتُ أحسَب أنّي قد لجأتُ إلى ... حِـرْزٍ وألاّ يَضُرُّوني وإنْ أَلَبُوا
إنّ التي صُنْتُها عن مَعْشَرٍ طَلَبوا ... منّي إليّ الذي لم يُنجِحِ الطَّلَبُ
أخلصتُها لك إخلاصَ امرىءٍ علمِ الأ ... قوامُ أنْ ليس إلاّ فيـك يَرْتَغبُ
أصبحتَ تدفعهـا منّـي وأُعْطِفُها ... عليكَ وَهْيَ لمن يُحْبَى بها رَغَبُ
فإنْ وصلتَ فأهلُ العُرْفِ أنت وإن ... تَدْفَعْ يَدَيَّ فـلي بُقْيـا ومُنْقَلَبُ
إنّي كريمُ كِرامٍ عِشْتُ في أَدَبٍ ... نَفى العيوبَ ومَلْكُ الشِّيمةِ الأَدَبُ[1]
قـد يعلَمـون بأنَّ العُسْرَ منقطعٌ ... يومـاً وأنَّ الغِنى لا بـدّ منقلبُ
فمالُهُمْ حُبُسٌ في الحـقّ مُرْتَهَنٌ ... مثل الغنائم تُحْوى ثم تُنْتَـهَبُ
ومـا على جارِهـمْ ألاّ يكونَ لـه ... إذا تَكَـنَّفَـه أبياتُهـم نَشَبُ
لا يَفرحون إذا ما الدَّهْرُ طاوعَهم ... يوماً بيُسرٍ ولا يَشْكونَ إنْ نُكِبوا
فارقتُ قومي فلم أعتَضْ بهم عِوَضاً ... والدَّهرُ يُحْدِثُ أحداثاً لها نُوَبُ

[رواية المدائنيّ في ذلك]

وأمّا المدائنيّ فقال : كان الوليد بن يزيد يُكرم طُرَيحاً ، وكانت له منه منزلةٌ قريبةٌ ومكانةٌ ، وكان يُدْني مجلسه ، وجعله أوّلَ داخلٍ وآخِرَ خارج ، ولم يكن يَصْدُر إلاّ عن رأيه . فاستفرغ مديحَه كلَّه وعامّة شعره فيه ؛ فحسده ناسٌ من أهل بيت الوليد . وقَدِم حمّاد الراوية على التَّفِئة[2] الشامَ ، فشَكَوْا ذلك إليه وقالوا : واللهِ لقد ذهب طُرَيح بالأمير ، فما نالنا منه ليلٌ ولا نهار . فقال حمّاد : ابغُوني مَن يُنشِد الأمير بيتين من شعر ، فأُسقِط منزلتَه . فطلبوا إلى الخَصيّ الذي كان يقوم على رأس الوليد ، وجعلوا له عشرة آلاف درهم على أن يُنْشِدَهما الأمير في خَلْوة ، فإذا سأله مِن قولِ مَن ذا ؟ قال : مِن قولِ طُرَيح ؛ فأجابهم الخَصيّ إلى ذلك ، وعَلَّموه البيتين . فلمّا كان ذاتَ يوم دخل طُرَيح على الوليد وفُتح البابُ وأُذِن للناس فجلسوا طويلاً ثم نهضوا ، وبَقِي طُرَيح مع الوليد وهو وليّ عهد ؛ ثم دعا بغدائه فتَغَدّيا جميعاً . ثم إنّ طُرَيحاً خرج وركب إلى منزله ، وترك الوليد في مجلسه ليس معه أحدٌ ، فاستلقى على فراشه . واغتنم الخَصيّ خَلْوَته فاندفع يُنشِد : [من البسيط]

1 ملك الشيمة : قوامها .

2 التفئة : الحين والزمان .

سِيرِي رِكابي إلى مَنْ تَسْعَدِين به فقد أقمتِ بدار الهُونِ مـا صَلَحا
سِيري إلى سَيِّـدٍ سَمْحٍ خلائقُه ضخمِ الدَّسِيعةِ قَرْمٍ يحمِل المِدَحا

فأصغى الوليدُ إلى الخصِيّ بسَمْعه وأعاد الخَصيّ غيرَ مرّة ؛ ثم قال الوليد : ويحك يا غلام ؛ مِن قول مَن هذا ؟ قال : من قـول طُرَيح . فغضِب الوليد حتى امتلأ غيظاً ، ثم قال : وَالَهْفا على أُمٍّ لم تَلِدني ! قد جعلته أَوَّل داخلٍ وآخرَ خارجٍ ، ثم يزعمُ أنّ هشاماً يحمل المِدَحَ ولا أَحمِلها ! ثم قال : عليّ بالحاجب ، فأتاه . فقال : لا أعلم ما أَذِنتُ لطُرَيح ولا رأيتُه على وجه الأرض ؛ فإن حاوَلَك فاخْطَفْه بالسيف . فلمّا كان العَشيُّ وصُلِّيتِ العصرُ ، جاء طُريح للساعة التي كان يؤْذَن له فيها ، فدنا من الباب ليدخل . فقال له الحاجبُ : وراءَك ! فقال : ما لكَ ! هل دخل على وليّ العهد أحدٌ بعدي ؟ قال : لا ! ولكن ساعةَ ولَّيْتَ من عنده دعاني فأمرَني ألاَّ آذَنَ لك ، وإنْ حاوَلتني في ذلك[1] خطِفْتُك بالسيف . فقال : لك عشرةُ آلاف درهم وأْذَنْ لي في الدخول عليه . فقال له الحاجب : والله لو أَعطيتَني خَراجَ العِراق ما أَذِنتُ لك في ذلك ، وليس لك من خير في الدخول عليه فارجع . فقال : ويحـك ! هل تعلم مَن دَهاني عنده ؟ قال الحاجب : لا والله ! لقـد دخلتُ عليه وما عنده أحدٌ ، ولكنّ الله يُحْدِث ما يشاء في الليل والنهار . قال : فرجع طُرَيح وأقام بباب الوليد سنةً لا يخلُص إليه ولا يقدر على الدخول عليه . وأراد الرجوع إلى بلده وقومه فقال : والله إنّ هذا لعجزٌ بي أن أرجعَ من غير أن ألقى وليَّ العهد فأعلَمَ مَنْ دَهاني عنده . ورأى أُناساً كانوا له أعداءً قد فرِحوا بما كان من أمره ، فكانوا يدخلون على الوليد ويحدِّثونه ويصدُرُ عن رأيهم . فلم يَزَل يَلْطُف بالحاجب ويُمَنِّيه ؛ حتى قال له الحاجب : أمّا إذْ أطلتَ المُقامَ فإنّي أكره أن تنصرف على حالك هذه ، ولكنّ الأمير إذا كان يوم كذا وكذا دخل الحَمَّامَ ، ثم أَمَر بسريره فأُبرز ، وليس عليه يومئذٍ حِجابٌ ؛ فإذا كان ذلك اليوم أعلمتُك فتكون قد دخلتَ عليه وظَفِرتَ بحاجتك وأكونُ أنا على حالِ عُذْرٍ . فلمّا كان ذلك اليومُ ، دخل الحَمَّام وأَمَر بسريره فأُبْرِز وجلس عليه ، وأَذِن للناس فدخلوا عليه ، والوليدُ ينظر إلى مَنْ أقبل . وبعث الحاجبُ إلى طُرَيح ، فأقبَلَ وقد تَتَامَّ الناس . فلمّا نظر الوليد إليه من بعيدٍ صرَف عنه وجهَـه ، واستحيا أن يردَّه من بين الناس ؛ فدنا فسلَّم فلم يَرُدَّ عليه السلام . فقال طُرَيح يستعطفه ويتضرَّع إليه[2] : [من الكامل]

نام الخَلِيُّ مـن الهُمومِ وبات لي ليـلٌ أُكابِـدُه وهَـمٌّ مُضْلِعُ

---

1 ل : الاذن .

2 شعر طريح : 304–305 .

وسَهِرتُ لا أَسْرِي ولا في لَـذّةٍ أَرَقـي وأَغْفَـل مـا لَقِيتُ الهُجَّعُ
أَبغِي وجوه مَخارِجي مـن تُهْمةٍ أَزَمـتْ عليّ وسُدَّ منهـا المَطْلَعُ
جزعـاً لمَعْتَبةِ الوَليـدِ ولم أكُنْ من قبلِ ذاك من الحوادثِ أَجْزَعُ
يا ابنَ الخلائفِ إنّ سُخْطَك لامرئٍ أمسيتَ عِصْمتَـه بـلاءٌ مُفْظِعُ
فَلانْزِعـنّ عـن الذي لم تَهْـوَه إنْ كان لي ورأيـتُ ذلك مَنْزِعُ
فاعْطِفْ فِـداك أبي عليّ تَوَسُّعاً وفضيلـةً فعـلى الفضيلـةِ تتبُع
فلقـد كفـاكَ وزاد ما قد نالني إن كنتَ لي ببلاء ضُـرٍّ تَقْنَعُ
سِمَةٌ لذاك عليَّ جِسْمٌ شاحبٌ بـادٍ تَحَسُّرُه ولـونٌ أَسْفَعُ
إنْ كنتَ في ذنبٍ عتبتَ فإنّني عمّـا كَرِهـتَ لنازعٌ متصرِّعُ
ويئستُ منك فكلُّ عُسْرٍ باسطٌ كفّــاً إليّ وكلُّ يُسْرٍ أَقْطَعُ
من بعد أَخْذِي من حِبالك بالذي قــد كنتُ أحسَبُ أنّه لا يُقْطَعُ
فاربُبْ صنيعَك بـي فإنّ بأعينٍ للكاشحين وسَمْعِهم ما تصنَعُ
أَدَفعتَني حتى انقطعتُ وسُدِّدتْ عنّي الوجوهُ ولم يكن لي مَدْفَعُ
ورُجيتُ واتُّقِيَتْ يدايَ وقيل قد أمسَى يَضُـرُّ إذا أحـبَّ وينفَعُ
ودخلتُ في حَرَم الذِّمام وحاطَني خَفَـرٌ أخـذتُ بـه وعهدٌ مُولِعُ
أفهادِمٌ مـا قــد بنيتَ وخافضٌ شَرَفي وأنــتَ لِغيرِ ذلك أوسَعُ
أفلا خَشِيتَ شَماتَ قومٍ فُتَّهم سَبْقاً وأنفسُهم عليــك تَقَطَّعُ
وفَضَلتَ في الحَسبِ الأَشَمِّ عليهم وصنعتَ في الأقوامِ ما لم يصنعوا
فكـأنَّ آنُفَهـمْ بكـلِّ صنيعةٍ أسديتها وجميل فِعْلٍ تُجْدَعُ
وَدُّوا لَـوَ آنَّهـمُ ينـال أُكُفَّهمْ شَلَلٌ وأنَّكَ عـن صَنِيعِك تَنْزَعُ
أو تَسْتَليـمُ فيجعلونــك أُسْوةً وأبى المَـلامَ لك النَّدى والمَوْضِعُ[1]

قال : فقرّبه وأدناه ، وضحك إليه ، وعاد له إلى ما كان عليه .

[عاتبه المنصور في شعر مدح به الوليد فأحسن الاعتذار]

أخبرني حبيب بن نصر المُهَلَّبيّ قال حدّثنا عبد الله بن شَبيب قال حدّثنا محمد بن عبد الله بن حمزة بن عُتبة اللَّهبيّ عن أبيه[2] : أنّ طُرَيحاً دخل على أبي جعفر المنصور وهو في الشُّعراء ؛ فقال

1 تستليم : تفعل ما تستحقّ عليه اللوم .

2 هذا الخبر ممّا أورده ابن حمدون في التذكرة 8 : الفقرة 485 .

له : لا حَيّاك الله ولا بيّاك ! أَمَا اتَّقيت الله ، ويلك ! حيث تقول للوليد بن يزيد : [من المنسرح]

لو قلتَ للسيلِ دَعْ طريقَك والـ ـموجُ عليـه كالهَضْـبِ يَعْتَلِجُ
لساخَ وارتـدّ أو لكانَ لـه في سائـرِ الأرضِ عنك مُنْعَرَجُ[1]

فقال له طُرَيح : قد علم الله عزّ وجلّ أنّي قلتُ ذاك ويدي ممدودة إليه عزّ وجلّ ، وإيّاه تبارك وتعالى عَنَيتُ . فقال المنصور : يا ربيع ، أما ترى هذا التخلّص !

[دخل على الوليد فمدحه فطرب وأجازه]

نسختُ من كتاب أحمد بن الحارث ممّا أجاز لي أبو أحمد الجريريّ روايته عنه : حدّثنا المَدائنيّ : أنّ الوليد جلَس يوماً في مجلس له عامٍّ ، ودخل إليه أهلُ بيته ومَواليه والشعراء وأصحابُ الحوائج فقضاها ، وكان أشرفَ يومٍ رُئي له ؛ فقام بعض الشعراء فأنشد ، ثم وثب طريح ، وهو عن يسار الوليد ، وكان أهلُ بيته عن يمينه ، وأخوالُه عن شِماله وهو فيهم ، فأنشده[2] : [من المنسرح]

صوت

أنـتَ ابنُ مُسْلَنْطِحِ البِطاحِ ولم تُطْرِقْ عليك الحُنـيُّ والوُلُجُ
طوبَى لفَرْعَيْكَ مـن هنا وهنا طُوبَـى لأعراقـك التي تَشِجُ
لو قلتَ للسيل دَعْ طريقَك والـ ـموجُ عليـه كالهَضْبِ يعتلِجُ
لساخَ وارتـدَّ أو لكان لـه في سائـرِ الأرضِ عنـك مُنْعَرَجُ

فطرِب الوليد بن يزيد حتّى رُئي الارتياح فيه ، وأمر له بخمسين ألف درهم .

[ولاؤه ، وكان مغنّياً وشاعراً]

وقال : ما أرى أحداً منكم يجيئني اليوم بمثل ما قال خالي ، فلا يُنْشِدْني أحدٌ بعده شيئاً ؛ وأمر لسائر الشعراء بصلات وانصرفوا ، واحتبس طُرَيحاً عنده ، وأمر ابنَ عائشة فغنّى في هذا الشعر .

نسبة هذا الصوت

[من المنسرح]

أنتَ ابنُ مُسْلَنْطِحِ البِطاحِ ولم تُطْرِقْ عليـك الحُنِيُّ والوُلُجُ

الأبيات الأربعة . عروضه من المنسرح ، غنّاه ابن عائشة ، ولحنُه رمل مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق .

---

1 سائر في ل : ساحة .

2 شعر طريح : 296 .

[طلب إليه المهدي أن يغنّيه صوتاً له فغنّاه غيره واعتذر عنه]

المسلنطح من البطاح : ما اتّسع واستوى سطحُه منها . وتُطرِق عليك : تُطْبِق عليك وتغطِّيك وتضيِّق مكانك ؛ يقال : طرقتِ الحادثةُ بكذا وكذا إذا أتتْ بأمر ضيِّق مُعْضِل . والوشيج : أصول النبت ؛ يقال : أعراقك واشجةٌ في الكرم ، أي نابتة فيه . قال الشاعر[1] : [من الطويل]

وهل يُنبِتُ الخَطِّيَّ إلاّ وَشِيجُه وتَنْبُت إلاّ في مَغارسها النَّخْلُ

يعني أنّه كريم الأبوين من قريش وثقيف . وقد ردّد طُرَيح هذا المعنى في الوليد ، فقال في كلمة له[2] : [من الكامل]

واعتامَ كَهْلُك من ثَقِيفٍ كُفْأَه فتنازعاكَ فأنت جَوْهَرُ جوهرِ[3]
فنَمَتْ فروعُ القَرْيَتَيْن قُصَيُّها وقَسِيُّها بك في الأشمّ الأكبرِ

والحُنيّ : ما انخفض من الأرض ، والواحدة حَناً ، والجمع حُنيّ مثل عَصاً وعُصِيّ . والوُلج : كلّ متّسع في الوادي ، الواحدةُ ولَجةٌ . ويقال : الوَلَجات بين الجبال مثل الرِّحاب . أي لم تكن بين الحُنِيِّ ولا الوُلُج فيخفى مكانُك ، أي لستَ في موضع خفيٍّ من الحسب . وقال أبو عبيدة : سمِع عمر بن الخطّاب رضي الله عنه رجلاً يقول لآخر يفخَر عليه : أنا ابن مُسْلَنْطِح البِطاح ، وابن كذا وكذا ؛ فقال له عمر : إنْ كان لك عقلٌ فلك أصلٌ ، وإن كان لك خُلُقٌ فلك شَرَفٌ ، وإن كان لك تقوى فلكَ كَرَمٌ ، وإلاّ فذاك الحِمار خيرٌ منك . أحَبُّكم إلينا قبل أن نراكم أَحْسَنُكم سَمْتاً ، فإذا تكلّمتم فأَبْيَنُكم مَنْطقاً ، فإذا اختبرناكم فأحسنُكم فعْلاً .

وقوله : «لو قلتَ للسيل دَعْ طريقَك» ، يقول : أنت مَلِكُ هذا الأَبْطح والمُطاع فيه . فكلُّ مَن تأمُره يُطيعك فيه ، حتى لو أمرتَ السَّيْلَ بالانصراف عنه لفَعَل لنفوذ أمرك . وإنّما ضَرب هذا مثلاً وجعله مبالغةً ؛ لأنّه لا شيءَ أشدّ تعذُّراً من هذا وشبهه ، فإذا صَرَفه كان على كلّ شيء سواه أقدر . وقوله : «لساخ» أي لغاض[4] في الأرض . «وارتد» أي عدل عن طريقه ، وإن لم يجدْ إلى ذلك سبيلاً كان له منعرجٌ عنك إلى سائر الأرض .

---

1 هو زهير بن أبي سلمى .
2 شعر طريح : 303 .
3 اعتام : اختار .
4 ل : لغاب .

[غضب الوليد على ابن عائشة فلمّا غنّاه في شعره طرب ورضي عنه]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّادٍ عن أبيه قال إسحاق وحدّثني به الواقِديّ عن أبي الزّناد عن إبراهيم بن عطيّة : أنّ الوليد بن يزيد لمّا وَلِي الخلافةَ بعث إلى المغنّين بالمدينة ومكّة فأشخصهم إليه ، وأمَرهم أن يتفرّقوا ولا يدخلوا نهاراً لئلاّ يُعْرَفوا ، وكان إذ ذاك يتستّر في أمره ولا يُظهره . فسبقهم ابنُ عائشة فدخل نهاراً وشُهِر أمْرُه ، فحبسه الوليد وأَمَر به فقُيِّد ، وأُذِن للمغنِّين وفيهم مَعبدٌ ، فدخلوا عليه دَخَلات . ثم إنّه جمعهم ليلةً فغنَّوا له حتى طَرِب وطابت نفسه . فلمّا رأى ذلك منه مَعبدٌ قال لهم : أخوكم ابن عائشة فيما قد علِمتم ، فاطلُبوا فيه . ثم قال : يا أمير المؤمنين ، كيف ترى مَجْلِسَنا هذا ؟ قال : حَسَناً لذيذا . قال : فكيف لو رأيتَ ابنَ عائشة وسَمِعتَ ما عنده ؟ قال : فعليَّ به . فطلع ابنُ عائشة يرسُف في قَيْده . فلمّا نظر إليه الوليد ، اندفع ابن عائشة فغنّاه في شعر طُرَيح ، والصنعةُ فيه له : [من المنسرح]

أنتَ ابنُ مُسْلَنْطِح البِطاحِ ولم ... تُطْـرِقْ عليك الحُنِيُّ والوُلُجُ

فصاح الوليد : اكسِروا قَيْدَه وفُكّوا عنه ؛ فلم يَزَلْ عنده أثيراً مُكرماً .

[غنّى مسلمة بن محمد بن هشام من شعره فتذكّر قومه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن أبي سَعد عن الحِزاميّ عن عثمان بن حَفص عن إبراهيم بن عبد السّلام بن أبي الحارث الذي يقول له عمر بن أبي ربيعة : [من الرمل]

يا أبـا الحارث قلبـي طائرٌ ... فأْتَمِـرْ أمْـرَ رَشِيـدٍ مُؤْتَمَنْ[1]

قال : واللهِ إنّي لقاعدٌ مع مسلمة بن محمد بن هشام إذ مرّ به ابن جُوان بن عُمَر بن أبي ربيعة ، وكان يغنّي ؛ فقال له : اجْلِس يا ابن أخي غنّنا . فجلس فغنّى : [من المنسرح]

أنتَ ابن مُسْلَنْطِح البِطاحِ ولم ... تطْرِقْ عليـك الحُنِيُّ والوُلُجُ

فقال له : يا ابن أخي ، ما أنت وهذا حين تَغَنّاه ، ولا حَظَّ لك فيه ! هذا قاله طُرَيح فينا :

إذِ النَّاسُ ناسٌ والزَّمانُ زمانُ

وممّا في المائة الصوت المختارة من الأغاني من أشعار طُرَيح بن إسماعيل التي مدح بها الوليد بن يزيد[2] :

1 فأتمر في ل : فاستمع .

2 شعر طريح : 298 .

صوت
من المائة المختارة

[من المنسرح]

وَيْحِي غَـداً إنْ غَدا عليَّ بما أحْذَرُ من لَوْعـةِ الفِراقِ غَدُ
وكيف صَبْرِي وقد تجاوبَ بالـ ـفُرْقَةِ مِنْها الغُـراب والصُّرَدُ

الشعر لطُرَيح بن إسماعيل، والغناء لابن مِشْعَب الطائفيّ، ولحنُه المختار من الرَّمَل بالوسطى.

[53] ـ ذكر ابن مِشعبٍ وأخباره[1]

[أصله]

هو رجلٌ من أهل الطائف مولًى لثَقيف ، وقيل : إنّه من أنفُسهم ، وانتقل إلى مكّة فكان بها . وإيّاه يعني العَرجيّ بقوله[2] : [من الكامل]

بِفناءِ بيتِك وابنُ مِشْعَبَ حاضرٌ ... في سامرٍ عَطِرٍ وليلٍ مُقْمِرِ
فتَلازَما عند الفِراقِ صبابةً ... أَخْذَ الغَريمِ بفضلِ ثوبِ المُعْسِرِ

[كان عامة الغناء الذي ينسب إلى أهل مكّة له]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال : ابن مِشْعب مُغَنٍّ من أهل الطائف ، وكان من أحسن الناس غِناءً ، وكان في زمن ابن سُرَيج والأَعرَج ؛ وعامّةُ الغِناء الذي يُنسَب إلى أهل مكّة له ، وقد تفرّق غِناؤه ، فنُسِب بعضه إلى ابن سُريج ، وبعضُه إلى الهُذَليّين ، وبعضه إلى ابن مُحرِز . قال : ومن غنائه الذي يُنسب إلى ابن مُحرِزٍ : [من الكامل]

يا دارَ عاتِكةَ التي بالأَزْهَرِ

ومنه أيضاً[3] : [من المنسرح]

أقفرَ ممّن يَحُلُّه السَّنَدُ ... فالمُنْحَنى فالعَقِيقُ فالجُمُدُ[4]

[اشتهى مريض أن يغنّي في شعر العرجي الذي ورد فيه اسمه]

أخبرني الحسين قال قال حمّاد وحدّثني أبي قال : مَرِض رجلٌ من أهل المدينة بالشام ، فعاده جيرانُه وقالوا له : ما تشتهي ؟ قال : أشتهي إنساناً يَضَع فمه على أُذُني ويُغَنّيني في بيتَيْ العرجيّ : [من الكامل]

بِفناءِ بَيْتِك وابنُ مِشْعَبَ حاضرٌ ... في سامرٍ عَطِرٍ وليلٍ مُقْمِرِ
فَتَلازَما عند الفِراقِ صبابةً ... أَخْذَ الغريمِ بفضل ثوبِ المُعْسِرِ

---

1 أقحم أبو الفرج هذه الترجمة الموجزة لابن مشعب في وسط ترجمة طريح .
2 ديوان العرجي : 177 .
3 شعر طريح : 297–300 .
4 الجمد : جبل بنجد والسند : ماء بتهامة .

نسبة ما في هذه الأخبار من الأغاني

[من الكامل]

يـا دارَ عاتِكـةَ التـي بالأزْهَـرِ ... أو فوقَـه بقَفـا الكَثِيبِ الأحمرِ

بفِناءِ بيتِك وابنُ مِشْعَبَ حاضرٌ ... في سامـرٍ عَطِـرٍ وليـلٍ مُقْمِرِ

فتلازمـا عنـدَ الفـراقِ صبابةً ... أَخْذَ الغريمِ بفضلِ ثـوبِ المُعْسِرِ

الشعر للعرجيّ ، والغناء لابن محرزٍ خفيف ثقيل أوّل بالبنصر ، وذكر إسحاق أنّه لابن مِشعَب . وذكر حبشٌ أنّ فيه لابن المكيّ هزَجاً خفيفاً بالبنصر .

وأمّا الصوت الآخَر الذي أوّلُه :

أقفـرَ ممّـن يَحُلُّـه السَّنَدُ

فإنّه الصوت الذي ذكرناه الذي فيه اللحن المختار ، وهو أوّلُ قصيدة طُرَيح التي منها : [من المنسرح]

وَيْحي غداً إنْ غَدا علـيّ بما ... أكره مـن لَوْعـةِ الفِراقِ غدُ

وليس يُغَنَّى فيه في زماننا هذا . وهذه القصيدة طويلة يمدَح فيها طُرَيح الوليد بن يزيد ، يقول فيها : [من المنسرح]

لم يَبْقَ فيها من المَعارِفِ بعـ ... ـد الحَـيّ إلاّ الرَّمادُ والوَتَدُ

وعَرصةٌ نَكَّرتْ مَعالِمَها الـ ... ـريحُ بها مَسْجِدٌ ومُنْتَضَدُ[1]

[أُنشد المنصور قصيدة طريح الدالية فمدحها]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال حدّثني محمد بن خَلَفٍ القارىء قال أخبرنا هارون بن محمد ، وأخبرنا به وكيع ، وأظنّه هو الذي كَنى عنه يحيى بن عليّ ، فقال : محمد بن خَلَفٍ القارىء ، قال حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدّثني عليّ بن عبد الله اللَّهبيّ قال حدّثنا أبي عن أبيه قال : أُنشِد المنصور هذه القصيدة ، فقال للربيع : أسمعت أحداً من الشعراء ذكر في باقي مَعالم الحَيِّ المسجد غير طُرَيح ؛ . وهذه القصيدة من جيّد قصائد طُرَيح ، يقول فيها : [من المنسرح]

1 معالمها في ل : معارفها . منتضد : مجتمع ومقام .

لم أَنْسَ سلمى ولا لَيالِيَنا بالحَزْنِ إذْ عيشُنا بها رَغَدُ
إذْ نحنُ في مَيْعة الشَّبابِ وإذْ أيّامُنا تلك غَضّةٌ جُدُدُ
في عيشةٍ كالفِرندِ عازبةِ الشّـ ـقوةِ خَضْراءَ غُصْنُها خَضَدُ
نُحْسَدُ فيها على النَّعيم وما يُولَعُ إلاّ بالنَّعْمةِ الحَسَدُ
أيّامَ سَلْمى غَريرةٌ أُنُفٌ كأنَّها خُوطُ بانةٍ رُؤُدُ[1]
وَيْحِي غَداً إنْ غَدا عليّ بما أكره من لَوْعةِ الفِراق غَدُ
قد كنتُ أبكي من الفراقِ وحَيَّـ ـانا جميعٌ ودارُنا صَدَدُ
فكيف صَبْرِي وقد تَجاوَبَ بالـ ـفُرقةِ منها الغُرابُ والصُّرَدُ
دَعْ عنك سَلْمى لغير مَقْلِيَةٍ وعُدَّ مَدْحاً بُيوتُه شُرُدُ
للأَفْضَل الأَفْضَل الخليفةِ عبـ ـد الله من دون شَأْوِه صُعُدُ
في وجهه النُّورُ يُسْتَبانُ كما لاح سِراجُ النَّهارِ إذ يَقِدُ
يمضي على خير ما يقول ولا يُخالف ميعادَه إذا يَعِدُ
من مَعْشَرٍ لا يَشَمُّ مَنْ خَذَلُوا عِزّاً ولا يُسْتَذَلُّ مَنْ رَفَدُوا
بِيضٌ عظامُ الحلومِ حَدُّهُمُ ماضٍ حُسامٌ وخيرُهم عَتَدُ[2]
أنت إمامُ الهدى الذي أصلَحَ الـ ـله به الناسَ بعدما فَسَدوا
لَمّا أتى الناسَ أنّ مُلْكَهُمُ إليكَ قد صار أمره سجَدوا
واستبشروا بالرضا تَباشُرَهم بالخُلْدِ لو قيل إنّكم خُلُدُ
وعَجَّ بالحمدِ أهلُ أرضِك حتـ ـى كاد يَهْتَزّ فرحةً أُحُدُ
واستقبل الناسُ عِيشةً أُنُفاً إنْ تبقَ فيها لهم فقد سَعِدوا
رُزِقتَ من ودِّهم وطاعتهم ما لم يَجِدْه لِوالدٍ وَلَدُ
أَثْلَجَهمْ منك أنَّهم عَلِموا أنّك فيما وَلِيتَ مُجتهِدُ
وأنّ ما قد صنعتَ من حَسَنٍ مِصْداقُ ما كنتَ مَرّةً تَعِدُ
أَلَّفْتَ أهواءَهمْ فأصبحتِ الأَ ضغانُ سِلْماً وماتتِ الحِقَدُ

1 غريرة : قليلة التجربة . أنف : عذراء . خوط : غصن . رؤد : الغصن الرطب الرخص .

2 عتد : حاضر معد .

كنتُ أرى أنّ ما وجدتُ من الـ ـفَرْحةِ لم يلــقَ مثلَــه أُحَدُ
حتــى رأيــتُ العبادَ كلَّهــمُ قد وجدُوا من هواك ما أَجِدُ

صوت

قــد طلب الناسُ ما بلغتَ فما نالوا ولا قاربوا وقــد جَهَدوا
يرفَعُــك اللهُ بالتَّكرُّمِ والــ ـتَّقوى فتعلو وأنــت مُقْتَصِدُ
حَسْبُ امرىءٍ من غِنًى تَقَرُّبُهُ منك وإن لم يكن لــه سَبَدُ
فأنت أمْنٌ لمن يخــاف وللـ ـمَخْذولِ أودى نصيرُه عَضُدُ

غنّى في هذه الأبيات الأربعة إبراهيم خفيف ثقيل بالبنصر .

كلُّ امرىءٍ ذي يدٍ تُعَــدّ عليـ ـه منك معلومــة يَـدٌ ويدُ
فهم ملوكٌ مــا لم يَرَوْكَ فإنْ داناهُمُ منــكَ منزلٌ خَمَدوا
تعروهــم رِعْــدةٌ لديــكَ كما قَفْقَفَ تحــت الدُّجُنَّةِ الصَّرِدُ
لا خوفَ ظُلْمٍ ولا قِلَى خُلُقٍ إلاّ جَــلالاً كَساكَــهُ الصَّمَدُ
وأنت غَمْرُ النَّدى إذا هَبَط الـ ـزُّوّارُ أرضاً تَحُلُّهــا حَمِدُوا
فهــم رِفاقٌ فرُفقــةٌ صَدَرتْ عنــكَ بغُنْــمٍ ورُفْقــةٌ تَرِدُ
إنْ حالَ دهرٌ بهم فإنّك لا تَنْفَكُّ عن حالِك التي عَهِدُوا
قــد صدّق اللهُ مادِحِيك فما في قولهــم فِرْيــةٌ ولا فَنَدُ

[ذكاء جعفر بن يحيى وعلمه بالأشعار والألحان]

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثني الحسين بن يحيى قال : سمعتُ إسحاق بن إبراهيم الموصليّ يحلف بالله الذي لا إله إلاّ هو إنّه ما رأى أذكى من جعفر بن يحيى قطُّ ، ولا أفطنَ ، ولا أعلمَ بكلِّ شيء ، ولا أفصحَ لساناً ، ولا أبلغَ في مكاتبةٍ . قال : ولقد كنّا يوماً عند الرشيد ، فغنَّى أبي لحناً في شعر طُرَيح بن إسماعيل ، وهو : [من المنسرح]

قــد طلب الناسُ ما بلغتَ فما نالوا ولا قاربوا وقــد جَهَدُوا

فاستحسن الرشيد اللحنَ والشعرَ واستعاده ووصَل أبي عليه . وكان اللحن في طريقة خَفيف الثقيل الأوّل . فقال جعفر بن يحيى : قد والله يا سيِّدي أحسنَ ، ولكنّ اللحنَ مأخوذٌ من لحن الدَّلال الذي غنّاه في شعر أبي زُبَيد : [من الخفيف]

مَنْ يَرَ العِيرَ لابن أَروَى على ظَهْـ ـرِ المَرْوري حُداتُهُـنَّ عِجالُ[1]

وأمّا الشعر فنقله طُرَيح من قول[2] زُهير : [من الطويل]

سعى بعدَهم قومٌ لكي يُدركوهُمُ فلـم يَبْـلُغُوا ولم يُلاموا ولم يأْلُـوا

قال إسحاق : فعجبتُ والله من عِلْمه بالألحان والأشعار ، وإذا اللحن يُشْبِه لحنَ الدَّلال ، قال : وكذلك الشعر ؛ فاغتممت أنّي لم أكن فَهِمتُ اللحن ، وكان ذلك أشدّ عليّ من ذَهاب أمر الشعر عليّ ، وأنا والله مع ذلك أُغنّي الصوتين وأحفَظ الشعرين . قال الحسين : ولحنُ الدَّلال في شعر أبي زُبَيْد هذا من خَفيف الثقيل أيضاً .

[صادف طريح أبا ورقاء في سفر فأنس به وذكر له قصّته مع أعرابيّ عاشق]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى إجازةً قال حدّثني أبو الحسن البَلاذُريّ أحمد بن يحيى وأبو أيُّوب المَدِينيّ ؛ قال البَلاذُريّ وحدّثني الحِرمازِيّ ، وقال أبو أيّوب وحدّثونا عن الحِرْمازيّ قال حدّثني أبو القَعقاع سهل بن عبد الحميد عن أبي وَرْقاء الحَنَفيّ قال : خرجتُ من الكوفة أُريد بغداد ، فلمّا صِرْتُ إلى أوّل خانٍ نزلتُه ، بَسط غِلماننا وهيّؤوا غَداءهم ، ولم يجيء أحدٌ بعدُ ، إذ رمانا البابُ برجل فاره البِرْذَون حَسَنِ الهيئة ، فصِحْتُ بالغلمان ، فأخذوا دابّته فدَفعها إليهم ، ودعوتُ بالغَداء ، فبسط يدَه غير محتشم ، وجعلتُ لا أُكرمه بشيء إلاّ قَبِلَه . ثم جاء غلمانُه بعد ساعة في ثَقَلٍ سَرِيّ وهيئة حسنة . فتناسَبْنا فإذا الرجلُ طُرَيْحُ بن إسماعيل الثَّقفيّ . فلمّا ارتحلنا ارتحلنا في قافلة غَنَّاء لا يُدْرِكُ طَرَفاها . قال : فقال لي : ما حاجتُنا إلى زِحام الناس وليستْ بنا إليهم وحْشة[3] ولا علينا خوف ! نتقدّمهم بيوم فيخلو لنا الطريق ونُصادف الخاناتِ فارغةً ونُودِعُ أنفسَنا إلى أن يُوافُوا . قلتُ : ذلك إليك . قال : فأصبحنا الغَدَ فنزلنا الخان فتغدّينا وإلى جانبنا نهرٌ ظَليل ؛ فقال : هلْ لك أن نستنقع فيه ؟ فقلتُ له : شأنَك . فلمّا سَرا ثيابَه[4] إذا ما بين عُصْعُصِه إلى عُنُقه ذاهبٌ ، وفي جنبيه أمثالُ الجرذان ، فوقَع في نفسي منه شيءٌ . فنظر إليّ ففَطِن وتبسّم ، ثم قال : قد رأيتُ ذُعرَك ممّا رأيتَ ؛ وحديثُ هـذا إذا سِرْنـا العَشيَّة إن شاء الله تعالى أُحدّثك بـه . قال : فلمّا ركبنا قلت : الحديثَ ! قال : نعم ! قَدِمتُ من عند الوليد بن يزيد بالدُّنيا ، وكتب إلى يوسف بن عُمر مع فَرّاش فملأَ يَدَيْ أصحابي ، فخرجتُ أُبادِر الطائف . فلمّا امتدّ لي الطريقُ وليس يصحَبني فيه

---

1 المرورى : جمع مروراة وهي الفلاة المستوية .

2 ل : شعر .

3 ل : حاجة .

4 سرا ثيابه : ألقاها .

خَلْقٌ ، عَنّ لي أعرابيٌّ على بعير له ، فحدّثني ، فإذا هو حسنُ الحديث ، وروى لي الشِّعْرَ فإذا هو راوية ، وأنشدني لنفسه فإذا هو شاعر . فقلت له : من أين أقبلتَ ؟ قال : لا أدري . قلت : فأين تُريد ؟ فذكر قِصّةً يُخْبِر فيها أنّه عاشق لمُرَيّةٍ قد أفسدتْ عليه عقلَه ، وسترها عنه أهلُها وجفاه أهلُه ، فإنّما يستريح إلى الطريق ينحدر مع مُنْحَدِريه ويُصْعِد مع مُصْعِديه . قلت : فأين هي ؟ قال : غداً ننزل بإزائها . فلمّا نزلنا أراني ظَرِباً[1] على يسار الطريق ، فقال لي : أترى ذلك الظَّرِبَ ؟ قلت : أراه . قال : فإنّها في مَسقطه . قال : فأدركتني أريحيّةُ الشباب ، فقلتُ : أنا والله آتيها برسالتك . قال : فخرجت وأتيت الظَّرِبَ ، وإذا بيتٌ حَرِيدٌ[2] ، وإذا فيه امرأةٌ جميلةٌ ظريفةٌ ؛ فذكرتُه لها ، فزَفَرتْ زفرةً كادت أضلاعُها تَسَاقَطُ . ثم قالت : أَوحَيٌّ هو ؟ قلت : نعم ، تركتُه في رَحْلي وراء هذا الظَّرِب ، ونحن بائتون ومُصْبحون . فقالت : يا أبي أرى لك وجهاً يدلُّ على خير ، فهل لك في الأَجْر ؟ فقلت : فقيرٌ والله إليه . قالت : فالبَسْ ثيابي وكُنْ مكاني ودَعْني حتى آتِيَه ، وذلك مُغَيْرِبانَ الشمس . قلت : أفعلُ . قالت : إنّك إذا أظلمتَ أتاك زوجي في هَجْمةٍ من إبله ، فإذا بركتْ أتاك وقال : يا فاجرة يا هَنتاه ، فيُوسِعُكَ شتماً فأَوْسِعْه صمتاً ، ثم يقول : اقْمَعي سِقاءَك ، فضَعِ القِمَعَ في هذا السِّقاء حتّى يُحْقَنَ فيه ، وإيّاكَ وهذا الآخرَ فإنّه واهي الأسفلِ . قال : فجاء ففعلتُ ما أمرتْني به ، ثم قال : اقمَعي سِقاءَك ، فحيَّنني[3] اللهُ ، فتركتُ الصحيحَ وقَمَعتُ الواهيَ ، فما شعرَ إلاّ باللبن بين رجليه ، فعَمَد إلى رِشاءٍ من قِدٍّ مَرْبوع ، فثَناه باثنين فصار على ثَمانِ قُوًى ، ثم جعلَ لا يتّقي منّي رأساً ولا رِجلاً ولا جَنْباً ، فخَشِيتُ أنْ يبدوَ له وجهي ، فتكون الأُخرى ، فألزمتُ وجهي الأرض ، فعمِل بظَهْري ما ترى .

---

1 الظرب : الرابية الصغيرة .

2 حريد : معتزل .

3 حيَّنني الله : لم يوفقني إلى الصواب .

[54] ـ ذكر أخبار أبي سعيد مولى فائد ونسبه

[ولاؤه ، وكان مغنّياً وشاعراً]

أبو سَعيد مولى فائد . وفائدٌ مولى عَمْرو بن عثمان بن عَفّان رضي الله تعالى عنه . وذكر ابن خُرْداذْبَه أنّ اسم أبي سعيد إبراهيم . وهو يُعْرَف في الشعراء بابن أبي سِنَة مولى بني أُميّة ، وفي المغنِّين بأبي سعيد مولى فائد . وكان شاعراً مُجيداً ومُغَنِّياً ، وناسكاً بعد ذلك ، فاضلاً مقبولَ الشهادة بالمدينة مُعَدَّلا . وعُمِّر إلى خلافة الرشيد ، ولقِيه إبراهيم بن المَهْديّ وإسحاقُ الموصليّ وذووهما . وله قصائد جِياد في مَراثي بني أُميّةٍ الذين قتلهم عبدُ الله وداوُد ابنا عليّ بن عبد الله بن العبّاس ، يُذْكر هاهنا في موضعه منها ما تسوق الأحاديث ذِكْره .

[طلب إليه المهديّ أن يغنّيه صوتاً له فغنّاه غيره واعتذر عنه]

أخبرني عليّ بن عبد العزيز عن عُبيد الله بن عبد الله عن إسحاق ، وأخبرني الحسين بن يحيى عن ابن أبي الأَزْهَر عن حَمّاد عن أبيه ، وأخبرنا به يحيى بن عليّ عن أخيه أحمد بن عليّ عن عافيةَ بن شَبيب عن أبي جعفر الأَسَديّ عن إسحاق ، قال يحيى خاصّةً في خبره : قال إسحاق : حَجَجْتُ مع الرشيد ، فلمّا قَرُبتُ من مكّة استأذنته في التقدُّم فأذِنَ لي ، فدخلتُ مكّة ، فسألتُ عن أبي سعيد مولى فائد ، فقيل لي : هو في المسجد الحَرام . فأتيتُ المسجد فسألتُ عنه ، فدُلِلْتُ عليه ، فإذا هو قائمٌ يصلّي ، فجئتُ فجلستُ قريباً منه . فلمّا فَرِغ قال لي : يا فتى ، أَلكَ حاجةً ؟ قلتُ : نعم ، تُغنِّيني : «لقد طفتُ سبعاً» . هذه رواية يحيى بن عليّ . وأمّا الباقون فإنّهم ذكروا عن إسحاق أنّ المَهْديّ قال هذا لأبي سعيد وأَمَره أن يُغَنِّيَ له : [من الطويل]

لقد طُفْتُ سبعاً قلتُ لمّا قَضَيْتُها ... أَلا ليتَ هذا لا عَلَيَّ ولا لِيا

ورفَق به وأدنى مجلسَه ، وقد كان نَسَك ؛ فقال : أَوَ أُغَنِّيك يا أمير المؤمنين أحسنَ منه ؟ قال : أنتَ وذاك . فغَنّى : [من الخفيف]

إنّ هذا الطويلَ من آلِ حَفْصٍ ... نَشَرَ المَجْدَ بعد ما كان ماتا
وبَناهُ على أساسٍ وَثيقٍ ... وعِمادٍ قد أُثْبِتَتْ إثباتا
مثلَ ما قد بنى له أوّلُوه ... وكذا يُشْبِهُ البُناةُ البُناتا

الشعر والغناء لأبي سعيد مولى فائد ، فأحسن . فقال له المهديّ : أحسنتَ يا أبا سعيد !

فغَنِّني «لقد طفتُ سبعاً» . قال : أَوَ أغَنِّيك أحسن[1] منه ؟ قال : أنت وذاك . فغنّاه : [من الكامل]

قَدِمِ الطويلُ فأشرقتْ واستبشرتْ ... أرضُ الحجازِ وبانَ في الأشجارِ

إنّ الطويلَ مِن آل حَفْصٍ فاعلموا ... سادَ الحضورَ وسادَ في الأسفارِ

فأحسنَ فيه . فقال : غَنِّني «لقد طفتُ سبعا» . قال : أَوَ أغَنِّيك أحسنَ منه ؟ قال : فغَنِّني . فغنّاه : [من الخفيف]

أيُّها السائلُ الذي يَخْبِطُ الأر ... ضَ دع النـاسَ أجمعين وراكا

وأْتِ هذا الطويلَ مِنْ آل حَفْصٍ ... إنْ تخوّفتَ عَيْلةً أو هلاكا

فأحسن فيه . فقال له : غَنِّني «لقد طفت سبعاً» ، فقد أحسنت فيما غنَّيت ، ولكنّا نُحِبّ أن تُغَنِّي[2] ما دعوناك إليه . فقال : لا سبيلَ إلى ذلك يا أمير المؤمنين ؛ لأنّي رأيت رسولَ الله ﷺ في مَنامي وفي يده شيءٌ لا أدري ما هو ، وقد رفعه ليضربَني به وهو يقول : يا أبا سعيد ، لقد طفتُ سبعاً ، لقد طفتُ سبعاً ، سبعاً طُفْتَ ! ما صنعت بأُمّتي في هذا الصوت ! فقلت له : بأبي أنت وأُمّي اغفر لي ، فوالذي بَعَثك بالحقّ واصطفاك بالنبوّة لا غَنَّيتُ هذا الصوت أبداً ؛ فردّ يدَه ثم قال : عفا الله عنك إذاً ! ثم انتبهتُ . وما كنتُ لأُعْطِيَ رسولَ الله ﷺ شيئاً في مَنامي فأرجعَ عنه في يَقظَتي . فبكى المهديّ وقال : أحسنتَ يا أبا سعيدٍ أحسن الله إليك ! لا تَعُدْ في غنائه ، وحَباه وكساه وأَمَر بردّه إلى الحجاز . فقال له أبو سعيد : ولكن اسمَعْه يا أميرَ المؤمنين من مَنَّةَ جاريةِ البرامكة . وأظُنّ حكايةَ مَنْ حكى ذلك عن المهديّ غلطاً ؛ لأنّ مَنَّةَ جاريةَ البرامكة لم تكن في أيّام المهديّ ، وإنما نشأتْ وعُرِفتْ في أيّام الرشيد .

وقد حدّثني أحمد بن جعفر جَحظةُ قال حدّثني هِبَةُ الله بن إبراهيم بنِ المهديّ عن أبيه أنّه هو الذي لَقِي أبا سعيد مولى فائد وجاراه هذه القِصّة . وذكر ذلك أيضاً حَمّاد بنُ إسحاق عن إبراهيم بن المهديّ . وقد يجوز أن يكون إبراهيم بن المهديّ وإسحاق سألاه عن هذا الصوت فأجابهما فيه بمثل ما أجاب المهديّ . وأمّا خبرُ إبراهيم بن المهديّ خاصّةً فله مَعانٍ غيرُ هذه ، والصوت الذي سأله عنه غيرُ هذا ؛ وسيُذْكر بعد انقضاء هذه الأخبار لئلاّ تنقطع .

1 ل : خيراً .

2 ل : تغنينا .

[أراده إبراهيم بن المهديّ على الذهاب إلى بغداد فأبى]

وأخبرني إسماعيل بن يونس الشِّيعيّ قال حدّثنا عُمَر بن شَبَّة : أنّ إبراهيم بنَ المهديّ لَقي أبا سعيد مولى فائدٍ ؛ وذكر الخبرَ بمثل الذي قبله ، وزاد فيه : فقال له : اشْخَصْ معي إلى بغداد ، فلم يفعل . فقال : ما كنت لآخذُكَ بما لا تُحِبّ ، ولو كان غيرُك لأكرهتُه على ما أحِبُّ ، ولكن دُلَّني على مَنْ ينوب عنك . فدَلَّه على ابن جامِع ، وقال له : عليكَ بغلامٍ من بني سَهْمٍ قد أخذ عنّي وعن نُظَرائي وتخرّج ، وهو كما تُحِبّ . فأخذه إبراهيم معه فأقدمه بغداد ؛ فهو الذي كان سبب وروده إيّاها .

نسبة ما في هذه الأخبار من الأغاني

صوت

من المائة المختارة

[من الطويل]

لقد طُفْتُ سبعاً قلتُ لمّا قَضَيْتُها ... أَلا ليتَ هـذا لا عَلَيَّ ولا لِيا

يُسائلني صَحْبي فما أَعقِلُ الذي ... يقولون من ذِكْرٍ لليلى اعترانِيا

عروضه من الطويل . ذكر يحيى بن عليّ أنّ الشعر والغِناء لأبي سعيد مولى فائد ، وذكر غيرُه أنّ الشعر للمجنون . ولحنُه خفيف رَمَلٍ بالبنصر وهو المختار . وذكر حبشٌ أنّ فيه لإبراهيم خفيفَ رَمَلٍ آخَر . والذي ذكر يحيى بن عليّ من أنّ الشعر لأبي سعيد مولى فائد هو الصحيح .

أخبرني عمّي عن الكُرانيّ عن عيسى بن إسماعيل عن القَحْذَميّ أنّه أنشده لأبي سعيدٍ مولى فائد . قال عمّي : وأنشدني هذا الشعر أيضاً أحمد بن أبي طاهر عن أبي دِعامة لأبي سعيد . وبعد هذين البيتين اللّذين مَضَيا هذه الأبيات : [من الطويل]

إذا جئتَ بابَ الشِّعْبِ شِعْبِ ابن عامرٍ ... فأَقْرِىء غـزالَ الشِّعْبِ مِنّي سَلامِيا

وقُلْ لغزالِ الشِّعْب هـل أنتَ نازلٌ ... بشِعْبِكَ أم هل يُصْبِحُ القلبَ ثاويا

لقـد زادني الحُجَّـاجُ شوقـاً إليكمُ ... وقـد كنتُ قبل اليـومِ لِلْحَجِّ قاليا

ومـا نظرتْ عيني إلى وجـه قـادمٍ ... مـن الحَـجِّ إلاّ بَـلَّ دَمْعي ردائيا

في البيت الأوّل من هذه الأبيات ، وهو :

إذا جئت باب الشعب شعب ابن عامر

[لحن] لابن جامع خفيفُ رَمَلٍ عن الهشاميّ .

ومنها : [من الخفيف]

صوت

إنّ هذا الطويلَ مِنْ آل حَفْصٍ ... نَشَر المجدَ بعد ما كان ماتا
وبناه على أساسٍ وَثِيقٍ ... وعِمادٍ قد أُثْبِتَتْ إثباتا
مثلَ ما قد بنى له أوّلُوه ... وكذا يُشْبِه البُناةُ البُناتا

عروضه من الخفيف ، الشعر والغناء لأبي سعيد مولى فائد ، ولحنُه رَمَلٌ مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق .

ومنها : [من الكامل]

صوت

قَدِم الطويلُ فأشرقتْ لقدومه ... أرضُ الحجاز وَبانَ في الأشجارِ
إنّ الطويلَ من ال حفصٍ فاعلموا ... سادَ الحُضورَ وسادَ في الأسفارِ

الشعر والغناء لأبي سعيد .

ومنها : [من الخفيف]

صوت

أيُّها الطالبُ الذي يَخْبِطُ الأرْ ... ضَ دَعِ الناسَ أجمعين وراكا
وأتِ هذا الطويلَ من آل حَفصٍ ... إن تخوّفتَ عَيْلةً أو هلاكا

عروضه من الخفيف ، الشعر لأبي سعيدٍ مولى فائد ؛ وقيل : إنّه للدّارميّ . والغناء لأبي سعيد خفيف ثقيلٍ . وفيه للدّارميّ ثاني ثقيل .

الطويل من آل حفص الذي عناه الشعراءُ في هذه الأشعار ، هو عبد الله بن عبد الحميد بن حفص ، وقيل : ابن أبي حفص بن المُغيرة المَخزوميّ ، وكان مُمدَّحاً .

[مدحه لعبد الله بن عبد الحميد المخزوميّ]

فأخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى إجازةً عن أبي أيُّوب المَدِينيّ قال حدّثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ عن عمّه : أنّ عبد الله بن عبد الحميد المخزوميّ ، كان يُعطي الشعراءَ فيُجزِل ، وكان مُوسراً ، وكان سبب يَساره ما صار إليه من أُمّ سَلَمَة المخزوميّة امرأةِ أبي العبّاس السفّاح ؛ فإنّه تزوّجها بعده ، فصار إليه منها مالٌ عظيم ، فكان يتسمّح به ويَتَفَتّى[1] ويتّسع في العطايا . وكانت أُمّ سلَمة مائلةً إليه ، فأعطتْه ما لا يُدرى ما هو ، ثم إنّها اتّهمته

---

1 يتفتى : يتسخّى .

بجاريةٍ لها فاحتجبتْ عنه ، فلم تَعُدْ إليه حتّى مات . وكان جميلَ الوجه طويلاً . وفيه يقول أبو سعيدٍ مولى فائد : [من الخفيف]

إنّ هذا الطويلَ من آل حفصٍ نشر المجدَ بعد ما كان ماتا

وفيه يقول الدّارميّ : [من الخفيف]

أيّها السائلُ الذي يَخْبِطُ الأر ضَ دَعِ الناسَ أجمعين وراكا
وأْتِ هذا الطويلَ من آل حَفْصٍ إنّ تخوّفتَ عَيْلةً أو هلاكا

وفيه يقول الدّارميّ أيضاً : [من منهوك الكامل]

صوت

إنّ الطويلَ إذا حَلَلْتَ به يوماً كفاك مؤونة الثِّقْلِ

ويروى : ابن الطويل إذا حللت به

وحللتَ في دَعَةٍ وفي كَنَفٍ رَحْبِ الفِناء ومنزلٍ سَهلِ

غنّاه ابن عبّاد الكاتب ، ولحنُه من الثقيل الأوّل بالبنصر عن ابن المكيّ .

[غنّى إبراهيم بن المهديّ في المسجد]

فأمّا خبرُ إبراهيم بن المهديّ مع أبي سعيدٍ مولى فائد الذي قلنا إنّه يُذْكَر هاهنا ، فأخبرني به الحسن بن عليّ قال حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثني القَطِرانيّ المغنّي قال حدّثني ابن جَبْر قال : سمعتُ إبراهيم بن المهديّ يقول : كنت بمكّة في المسجد الحرام ، فإذا شيخٌ قد طلع وقد قَلَب إحدى نعليه على الأُخرى وقام يصلّي ؛ فسألتُ عنه فقيل لي : هذا أبو سعيد مولى فائد . فقلتُ لبعض الغِلْمان : احْصِبْه فحصَبَه ؛ فأقبل عليه وقال : ما يظنّ أحدُكم إذا دخل المسجدَ إلاّ أنّه له . فقلت للغلام : قُلْ له : يقول لك مولاي : أبْلُغْني ؛ فقال ذلك له . فقال له أبو سعيد : مَنْ مولاك حفظه الله ؟ قال : مولاي إبراهيم بن المهديّ ، فمن أنت ؟ قال : أنا أبو سعيد مولى فائد ؛ وقام فجلس بين يديّ ، وقال : لا والله ، بأبي أنت وأُمّي ، ما عرفتُك ! فقلت : لا عليك ! أخبِرْني عن هذا الصوت : [من المتقارب]

أفاضَ المدامعَ قَتْلى كُدىً وقَتْلى بكُثْوةَ لم تُرْمَسِ[1]

قال : هو لي . قلت : وربّ هذه البَنِيَّةِ لا تَبْرحُ حتى تغنّيه . قال : ورَبّ هذه البنيّة لا

1 كدى : (بضم الكاف) موضع بأسفل مكّة ، وبفتحها : ثنية بالطائف . وكداء : اسم لعرفات أو جبل بمكّة . ولعلّ المقصود إذ سترد أبيات أخرى بهذا اللفظ «كداء» . كُثوة : موضع .

تبرح حتى تسمعَه . قال : ثم قَلَب إحدى نعليه وأخذ بِعَقب الأُخرى ، وجعل يقرع بحرفها على الأُخرى ويُغَنِّيه حتّى أتى عليه ، فأخذتُه منه . قال ابن جَبْر : وأخذتُه أنا من إبراهيم بن المهديّ .

[ردّ محمد بن عمران القاضي شهادته ثم قبلها]

أخبرني رِضوان بن أحمد الصَّيْدلانيّ قال حدّثنا يوسف بن إبراهيم قال حدّثني أبو إسحاق إبراهيم بن المهديّ قال حدّثني دنية المَدَنيّ صاحب العبّاسة بنت المهديّ ، وكان آدبَ مَنْ قَدِم علينا من أهل الحجاز : أنّ أبا سعيدٍ مولى فائد حضَر مجلسَ محمد بن عِمران التَّيْميّ قاضي المدينة لأبي جعفر ، وكان مقدّماً لأبي سعيد . فقال له ابن عمران التيميّ : يا أبا سعيد أنت القائل : [من الطويل]

لقد طفتُ سبعاً قلتُ لمّا قضيتُها ... ألا ليتَ هـذا لا عَلَـيَّ ولا لِيا

فقال : إي لَعَمْرُ أبيك . وإنّي لأُدْمِجه إدماجاً من لؤلؤ . فردّ محمد بن عمران شهادته في ذلك المجلس . وقام أبو سعيد من مجلسه مُغضَباً وحلَف ألاّ يشهَدَ عنده أبداً . فأنكر أهل المدينة على ابن عمْران ردَّه شهادتـه ، وقالوا : عَرَّضتَ حقوقَنا للتَّوى[1] وأموالنا للتلف ؛ لأنا كنّا نُشْهِد هذا الرجلَ لعِلْمِنا بما كنت عليه والقضاةُ قبلك من الثقة به وتقديمه وتعديله . فنَدِم ابنُ عمران بعد ذلك على ردّ شهادته ، ووَجَّه إليه يسأله حضور مجلسه والشهادة عنده ليقضي بشهادته ؛ فامتنع ، وذكر أنّه لا يقدِر على حضور مجلسه ليمينٍ لزمتْه إن حضرَه حَنِثَ . قال : فكان ابنُ عمران بعد ذلك ، إذا ادّعى أحدٌ عنده شهادةَ أبي سعيدٍ ، صار إليه إلى منزله أو مكانه من المسجد حتى يسمَع منه ويسأله عمّا يَشهد به فيُخبره . وكان محمد بن عمران كثير اللَّحمْ ، عظيم البطن ، كبيرَ العجيزة ، صغير القدمين ، دقيق الساقين ، يشتدّ عليه المشي ، فكان كثيراً ما يقول : لقد أتعبني هذا الصوت «لقد طفتُ سبعاً» وأضرَّ بي ضرراً طويلاً شديداً . وأنا رجلٌ ثَقالٌ ، بتردّدي إلى أبي سعيد لأسمعَ شهادتَه .

[ردّ المطّلب بن حنطب شهادته فقال له شعراً فقبلها]

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكُرانيّ قال حدّثنا النَّضْر بن عمرو عن الهيثم بن عديٍّ قال : كان المُطَّلب بن عبد الله بن حنطب قاضياً على مكّة ، فشَهِد عنده أبو سعيد مولى فائد بشهادة ؛ فقال له المطَّلب : [ويحك !] ألستَ الذي يقول : [من الطويل]

لقد طفتُ سبعاً قلتُ لمّا قضيتُها ... ألا ليـت هــذا لا عـليَّ ولا ليا

1 التوى : الهلاك .

لا قَبِلتُ لك شهادةً أبداً . فقال له أبو سعيد : أنا والله الذي أقول : [من الطويل]

كأنّ وُجوهَ الحَنْطَبِيِّين في الدُّجَى ... قناديلُ تَسْقيها السَّلِيطَ الهياكلُ

فقال الحنطبيّ : إنّك ما علمتك إلاّ دَبّاباً حول البيت في الظُّلم ، مُدْمناً للطَّواف به في الليل والنهار ؛ وقَبِل شهادته .

نسبة الصوت المذكور قبل هذا ، الذي في حديث إبراهيم بن المهديّ وخبره

صوت

[من المتقارب]

أفــاضَ المدامِــعَ قَتْلَى كُدىً ... وقَتْـــلى بكُثْـوةَ لم تُرْمَسِ

وقَتْـــلى بِـوَجٍّ وباللاَّبَتَيــ ... ـنِ من يَثْرِبٍ خيرُ ما أَنْفُسِ[1]

وبالزَّابِيَيْنِ نفـــوسٌ ثَـوَتْ ... وأُخْـرى بنهـرِ أبي فُطْرِسِ[2]

أولئك قومـي أناختْ بهـم ... نوائـبُ مـــن زَمَـنٍ مُتْعِسِ

إذا رَكِبـوا زيَّنـوا المَوْكِبَيْنِ ... وإن جَلَسوا الزَّيْنُ في المجلسِ

همُ أضرعوني لريبِ الزَّمانِ ... وهُمْ أَلصَقوا الرَّغْمَ بالمَعْطِسِ

عروضه من المتقارب ، الشعر للعَبَليّ ، واسمه عبد الله بن عُمَر ، ويُكْنى أبا عدِيّ ، وله أخبار تُذْكر مفردةً في موضعها إن شاء الله . والغناء لأبي سعيدٍ مولى فائد ، ولحنه من الثقيل الثاني بالسبّابة في مجرى البِنصر . وقصيدةُ العبليّ أوّلُها :

تقــولُ أُمامــةُ لمّــا رأتْ ... نُشُوزى عن المَضْجَعِ الأَنفَسِ

[أنشد العبليّ عبد الله بن حسن شعره في رثاء قومه فبكى]

نسختُ من كتاب الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار ، وأخبرني الأخفش عن المُبَرِّد عن المُغيرة بن محمد المُهَلَّبيّ عن الزُّبير عن سليمان بن عيّاش السَّعديّ قال : جاء عبد الله بن عُمَر العَبَليّ إلى سُوَيقة[3] وهو طريدُ بني العبّاس ؛ وذلك بعَقِب أيّام بني أُميّة وابتداء خروج مُلكهم إلى بني العبّاس ، فقصد عبد الله وحسناً ابنَيْ الحسن بن

---

1 وجّ : واد بالطائف . اللابتان : حرتا المدينة .

2 الزابيان : لعلّهما الزاب الأعلى والزاب الأسفل في العراق . نهر أبي فطرس : قرب الرملة بفلسطين .

3 سويقة : موضع بالمدينة .

حَسنٍ بسُويقة ؛ فاستنشده عبد الله بن حسنٍ شيئاً من شعره فأنشده ؛ فقال له : أُريد أن تُنْشِدَني شيئاً مّما رثيت به قومك ؛ فأنشده قوله : [من المتقارب]

تقــول أمامــــةُ لّمــا رأتْ نُشُوزي عن المَضْجَعِ الأَنْفَسِ
وقِلَّــةَ نَوْمــي على مضجعي لــدى هَجْمةِ الأَعيُنِ النُّعَّسِ
أبي مـا عَراكَ ؟ فقلتُ الهُمومَ عَــرَوْنَ أباكِ فــلا تُبْلِسي
عَــرَوْنَ أبــاكِ فحبَّسْنَه من الـذُّلِّ في شرِّ مـــا مَحْبِسِ
لِفَقْــدِ الأحِبَّـــةِ إذ نالهـــا سِهامٌ مــن الحَــدَث المُبْئِسِ
رمتْهـــا المَنُــونُ بــلا نُكَّلٍ ولا طـائشاتٍ ولا نُــكَّسِ
بأَسْهُمِها المُتْلِفــاتِ النفــوسِ متى ما تُصِبْ مُهْجةً تَخْلِسِ
فصَرَّعْنَهمْ في نَواحــي البلادِ مُلَقًّــى بــأرْضٍ ولم يُرْسَسِ[1]
تَقِــيٌّ أُصيــــبَ وأثوابُـــه مــن العَيْبِ والعارِ لم تَدْنَسِ[2]
وآخَـــرُ قــد دُسَّ في حُفْرةٍ وآخَــر قــد طــار لم يُحْسَسِ
إذا عَــنّ ذِكْرُهُــمُ لم يَنَــمْ أبــوكِ وأَوْحَشَ في المَجْلِسِ
فــذاكَ الذي غالنــي فاعلمي ولا تسألي بامــرىءٍ مُتْعَسِ
أذلُّـــوا قَناتــي لِمــن رامَها وقــد أَلْصَقُوا الرَّغَم بالمَعْطِسِ

قال : فرأيتُ عبد الله بن حسنٍ وإنّ دموعه لتجري على خَدّه .

[غنّى الرشيد وكان مغضباً فسكن غضبه]

وقد أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائنيّ عن إبراهيم بن رباح قال : عُمِّرَ أبو سعيد بن أبي سِنّة مولى بني أُميّة وهو مولى فائد مولى عمرو بن عثمان إلى أيّام الرشيد ؛ فلمّا حجّ أحضرَه فقال : أَنْشِدني قصيدتك :

تقــولُ أُمامــةُ لّمــا رأتْ

فاندفع فغنّاه قبل أن يُنْشِده الشعرَ لحنه في أبيات منها ، أوّلها :

أفــاضَ المدامــعَ قَتْلى كُدًى

1 يرسس في ل : يرمس .
2 تقي يروى أيضاً : نقي .

وكان الرشيد مُغضباً فسكنَ غَضبُه وطَرِب ، فقال : أنشِدني القصيدة . فقال : يا أمير المؤمنين ، كان القومُ مَواليّ وأنعموا عليّ ، فرثيتُهم[1] ولم أَهْجُ أحداً ؛ فتركه .

[كان ابن الأعرابيّ ينشد شعر العبليّ فصحّفه فردّه أبو هفان]

أخبرني محمد بن يحيى قال حدّثنا الحَزَنْبَل قال : كنّا عند ابن الأعرابيّ وحضَر معنا أبو هِفان ، فأنشدنا ابن الأعرابيّ عمّن أنشده قال : قال ابن أبي سبة العَبَليّ : [من المتقارب]

أفاضَ المدامعَ قَتْلى كذا   وقَتْلى بكبوة لم تُرْمَسِ

فغَمَز أبو هفَّان رجلاً وقال له : قُل له : ما معنى «كذا» ؟ قال : يريد كثرتهم فلمّا قُمنا قال لي أبو هِفّان : أسمِعتَ إلى هذا المُعجب الرَّقِيع ! صَحَّفَ اسم الرجل . هو ابن أبي سنّة ، فقال : ابن أبي سبَّة ؛ وصحَّف في بيت واحدٍ موضعين ، فقال : «قَتْلى كذا» وهو كُدًى ، و«قتلى بكبوة» وهو بكُثْوةَ . وأغلظُ عليّ من هذا أنّه يفسِّر تصحيفَه بوجهٍ وَقاحٍ . وهذا الشعر الذي غنّاه أبو سعيد يقوله أبو عَدِيّ عبد الله بن عُمَر العَبَليّ فيمن قَتَله عبد الله بن عليّ بنهر أبي فُطْرُس وأبو العبّاس السفّاح أمير المؤمنين بعدهم من بني أُميّة . وخبرُهم والوقائع التي كانت بينهم مشهورةٌ يطول ذكرُها جدّاً . ونذكر هاهنا ما يُسْتَحسَنُ منها .

---

1 هنا ينسب أبو الفرج القصيدة إلى أبي سعيد وكان قبل قليل قد نسبها إلى عبد الله بن عمر العبلي .

[55] ـ ذكر مَنْ قتل أبو العبّاس السفّاح من بني أميّة

[مقتل مروان بن محمد]

أخبرني محمد بن يحيى قال حدّثني مُسَبِّح بن حاتم العُكْلِيّ قال حدّثني الجَهْم بن السَّبَّاق عن صالح بن ميمون مولى عبد الصمد بن عليّ ، قال : لمّا استمرّت الهزيمةُ بمروان ، أقام عبد الله بن عليّ بالرَّقّة ، وأنفذ أخاه عبدَ الصمد في طلبه فصار إلى دمشق ، وأتبعه جيشاً عليهم أبو إسماعيل عامرٌ الطويل من قوّاد خُراسان ، فلحقه وقد جاز مصرَ في قرية تُدعى بُوصِيرَ ، فقتله ، وذلك يومَ الأحد لثلاث بَقِين من ذي الحجّة ، ووجّه برأسه إلى عبد الله بن عليّ ، فأنفذه عبد الله بن عليّ إلى أبي العبّاس . فلمّا وُضِع بين يديه خرّ لله ساجداً ، ثم رفع رأسه وقال : الحمد لله الذي أظهرني عليك وأظفرني بك ولم يُبْقِ ثأري قِبلَكَ وقِبَلَ رَهْطِك أعداءِ الدّين ؛ ثم تمثّل قول ذي الإصبع العدوانيّ[1] : [من البسيط]

لو يَشربون دَمي لم يُرْوِ شاربَهم ولا دِماؤهمُ للغَيْظِ تُرْوِيني

[أمّن عبد الله بن علي ابن مسلمة بن عبد الملك فأبى وقاتل حتى قتل]

أخبرني محمد بن خَلَفٍ وَكِيعٌ قال حدّثني محمد بن يزيد قال : نظر عبدُ الله بن عليّ إلى فتًى عليه أُبَّهةُ الشَّرَف وهو يُقاتل مُسْتَنْتِلاً[2] ، فناداه : يا فتى ، لك الأمانُ ولو كنتَ مروان بن محمد . فقال : إلاّ أَكُنْه فلستُ بدونه . قال : فلك الأمانُ مَن كنتَ . فأطرق ثم قال : [من المتقارب]

أَذُلَّ الحياةِ وكُرْهَ المَماتِ وكُلاًّ أرى لك شَرّاً وَبيلا[3]

ويروى : وكلاًّ أراه طعاماً وَبِيلا

فإنْ لم يكن غيرُ إحداهما فسَيْراً إلى الموتِ سَيْراً جَميلا

ثم قاتل حتى قُتل . قال : فإذا هو ابن مسلمة بن عبد الملك بن مروان .

[اجتمع عند السفّاح جماعة من بني أميّة فأنشده سديف شعراً يغريه بهم فقتلهم]

أخبرني عمّي قال حدّثني محمد بن سعد الكُرانيّ قال حدّثني النَّضْر بن عمرو عن المُعَيطيّ ، وأخبرنا محمد بن خَلَفٍ وكيعٌ قال قال أبو السائب سَلْم بن جُنادَةَ السُّوائيّ سمعتُ أبا

---

1 البيت من المفضلية رقم 31 وقد ورد في المفضليات وأمالي القالي بضمير المخاطب .

2 ل : مستقتلاً .

3 لك في ل : ذاك .

نُعَيْم الفضلَ بن دُكَيْن يقول : دخل سُدَيْفٌ ، وهو مولًى لآل أبي لَهَبٍ ، على أبي العبّاس بالحِيرة . هكذا قال وَكيع . وقال الكُرانيّ في خبره واللفظ له : كان أبو العبّاس جالساً في مجلسه على سريره وبنو هاشم دونه على الكراسي ، وبنو أُميّة على الوسائد قد ثُنِيتْ لهم ، وكانوا في أيّام دَولتهم يجلِسون هم والخلفاء منهم على السرير ، ويجلس بنو هاشم على الكراسي ؛ فدخل الحاجبُ فقال : يا أمير المؤمنين ، بالباب رجلٌ حِجازيّ أسود راكبٌ على نَجيبٍ متلثّمٌ يستأذن ولا يُخبِر باسمه ، ويحلِف ألاّ يَحْسِرَ اللِّثام عن وجهه حتى يراك . قال : هذا مولاي سُدَيف ، يدخل ، فدخل . فلمّا نظر إلى أبي العبّاس وبنو أُميّة حولَه ، حَدَر اللِّثام عن وجهه وأنشأ يقول[1] : [من الخفيف]

أصبح المُلْكُ ثابتَ الآساسِ ... بالبَهاليل من بني العبّاسِ
بالصدورِ المُقَدَّمين قديماً ... والرُّؤوسِ القَماقِم الرُّؤّاسِ
يا أميرَ المُطَهَّرِينَ مِنَ الذَّ ... مّ ويا رأسَ منتهى كلِّ راسِ
أنت مَهْدِيُّ هاشمٍ وهُداها ... كم أُناسٍ رَجَوْكَ بعد إياسِ[2]
لا تُقِيلَنّ عبدَ شَمْسٍ عِثاراً ... واقطَعَنْ كلَّ رَقْلةٍ وغِراسِ
أَنْزِلُوها بحيث أنزلَها الـ ... ـلهُ بدارِ الهَوانِ والإتْعاسِ
خَوفُهم أظهرَ التَّوَدُّدَ منهمْ ... وبهم منكمُ كحَزِّ المَواسي
أَقْصِهم أيُّها الخليفةُ واحْسِمْ ... عنك بالسَّيف شَأْفَةَ الأَرْجاسِ
واذْكُرَنْ مَصْرَعَ الحُسَيْنِ وزَيْدٍ ... وقَتيلٍ بجانبِ المِهْراسِ[3]
والإمامِ الذي بَحرّان أُمْسَى ... رَهْنَ قبرٍ في غُرْبةٍ وتَناسي[4]

---

1 في الكامل للمبرد (3 : 1367) والعقد الفريد (4 : 486) أنّ الذي أنشد هذه الأبيات هو شبل بن عبد الله مولى بني هاشم ، وأنّ شعر سديف :

لا يغرنك ما ترى من أناس ... إن تحت البطون داء دويا

غير أنّ المخاطب عند المبرد هو عبد الله بن علي (عمّ السفاح) وفي العقد أبو العباس السفاح . وقد نقل ابن حمدون هذا الخبر والشعر .

2 إياس في ل : أناس .

3 القتيل بجانب المهراس ، هو حمزة بن عبد المطّلب ، ونسب قتله إلى بني أميّة ، كما قال المبرّد ، لأنّ أبا سفيان كان قائد قريش يوم أُحد . والمهراس ماء قريب من أُحد .

4 والأمام الذي بحران : هو إبراهيم الإمام قُتل في أيام مروان بن محمد وكان رأس الدعوة العباسية .

فلقـــد ساءني وساءَ سَوائــي   قُرْبُـهمْ من نَمارِقٍ وكَراسِي
نِعْمَ كَلْبُ الهِراشِ مولاك لولا   أَوَدٌ مـــن حبائـــلِ الإفلاسِ[1]

فتغيّر لونُ أبي العبّاس وأخذه زَمَعٌ[2] ورِعْدة ؛ فالتفتَ بعضُ وَلَد سليمانَ بن عبد الملك إلى رجلٍ منهم ، وكان إلى جَنْبه ، فقال : قَتَلَنا واللهِ العبدُ . ثم أقبل أبو العبّاس عليهم فقال : يا بَني الفَواعل ، أرى قَتْلاكم من أهلي قد سَلَفوا وأنتم أحياءٌ تتلذّذون في الدنيا ؟ خُذُوهم ! فأخذتْهم الخُراسانيّة بالكافر كوبات ، فأُهْمِدوا ، إلاّ ما كان من عبد العزيز بن عُمَر بن عبد العزيز فإنّه استجار بداود بن عليّ وقال له : إنّ أبي لم يكن كآبائهم وقد علِمتَ صنيعتَه إليكم ، فأجارَه واستوهبه من السّفاح ، وقال لـه : قد علمتَ يا أمير المؤمنين صنيعَ أبيه إلينا . فوَهَبه له وقال له : لا تُريني وجهَه ، وليكن بحيث تأمَنُه ؛ وكتب إلى عُمّاله في النواحي بقَتْل بني أُمَيّة .

[سبب قتل السفاح لبني أميّة وتشفّيه فيهم]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني أحمد بن سعيد الدِّمشقيّ قال حدّثنا الزُّبير بن بَكّار عن عمِّه : أنّ سبب قَتْل بني أُميّة : أنّ السفاح أُنْشِد قصيدةً مُدِح بها ، فأقبل على بعضهم فقال : أين هذا ممّا مُدحْتم به ؟ فقال : هيهاتَ ! لا يقول واللهِ أحدٌ فيكم مثل قول ابن قيس الرُّقيات فينا[3] :   [من المنسرح]

ما نَقَمُوا من بني أُميَّة إلاّ   أنَّـهمْ يَحْلُمـون إنْ غَضِبوا
وأنَّـهُم مَعْدِنُ المُلـوكِ ولا   تَصْلُـحُ إلاّ عليهـمُ العَرَبُ

فقال له : يا ماصَّ كذا من أُمّه ، أوَ إنّ الخلافة لَفي نفسِك بعدُ ؟ خُذُوهم ! فأُخِذُوا فقُتِلوا .

[بسط السفاح على قتلاهم بساطاً تغدّى عليه]

أخبرني عمِّي عن الكُرانيّ عن النَّضْر بن عمرو عن المُعَيْطيّ : أنّ أبا العبّاس دعا بالغداء حين قُتِلوا ، وأمَر ببساطٍ فبُسِط عليهم ، وجلس فوقه يأكل وهم يضطربون تحته . فلمّا فرغ من الأكل قال : ما أعلَمُني أكلتُ أكلةً قطُّ أهْنأَ ولا أطيَبَ لنفسي منها . فلمّا فرغ قال : جُرُّوا بأرجلهم ؛ فألْقُوا في الطريق يلعَنُهم الناس أمواتاً كما لعنوهم أحياء . قال : فرأيت الكِلاب تجرّ بأرْجُلِهم وعليهم سَراويلاتُ الوَشْي حتى أنْتَنوا ؛ ثم حُفِرتْ لهم بئر فأُلْقُوا فيها .

---

1 يروى أيضاً «نعم شبل الهراش مولاك شبل» ممّا يقوي نسبة الأبيات إلى شبل بن عبد الله .

2 زمع : رعدة شديدة .

3 ديوان ابن قيس الرقيات (طبعة دار صادر) : 4 .

[أوغر ابن هرمة صدر داود بن عليّ على بعض الأمويين في مجلسه]

أخبرني عُمَر بن عبد الله بن جميل العَتَكيّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني محمد بن مَعْنٍ الغِفاريّ عن أبيه قال : لمّا أقبلَ داود بن عليّ من مكّة أقبل معه بنو حسنٍ جميعاً وحسينُ بن عليّ بن حسين وعليُّ بن عُمَر بن عليّ بن حسين وجعفرُ بن محمد والأرْقَطُ محمد بن عبد الله وحسين بن زيد ومحمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان وعبد الله بن عنبسة بن سعيد بن العاصي وعُروة وسعيد ابنا خالد بن سعيد بن عمرو بن عثمان ، فعُمِل لداود مجلسٌ بالرُّوَيْثة[1] ، فجلس عليه هو والهاشميّون ، وجلس الأُمويُّون تحتهم ؛ فأنشده إبراهيم بن هَرْمة قصيدةً يقول فيها : [من البسيط]

فَلا عَفا اللهُ عن مَرْوانَ مَظْلِمةً ... ولا أُميَّة بئس المجلسُ النّادي

كانوا كعادٍ فأمسَى اللهُ أهلكهم ... بمثلِ ما أهلكَ الغاوين من عادِ

فلن يُكَذِّبَني مـن هاشمٍ أحدٌ ... فيما أقول ولو أكثرتُ تَعدادِي

قال : فنبَذ داود نحو ابن عنبسة ضحكةً كالكِشرة . فلمّا قام قال عبد الله [بن حسن] لأخيه حسن : أما رأيتَ ضَحْكتَه إلى ابن عَنْبسةَ ! الحمد لله الذي صَرَفها عن أخي (يعني العثمانيّ) . قال : فما هو إلاّ أنْ قَدِم المدينة حتّى قتل ابنَ عَنْبسة .

[استحلف عبد الله بن حسن داود بن عليّ ألاّ يقتل أخويه محمداً والقاسم]

قال محمد بن مَعنٍ حدّثني محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان قال : استحلف أخي عبدُ الله بن حسنٍ داودَ بن عليّ ، وقد حجّ معه سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، بطلاق امرأتِه مُلَيْكة بنتِ داود بن حسن ألاّ يقتل أَخَويه محمداً والقاسم ابنَيْ عبدِ الله . قال : فكنتُ أختلف إليه آمناً وهو يقتل بني أُميّة ، وكان يكره أن يراني أهلُ خُراسان ولا يستطيع إليَّ سبيلاً ليمينه . فاستدناني يوماً فدنوتُ منه ، فقال : ما أكثَرَ الغَفْلَةَ وأقلَّ الحَزْمَةَ ! فأخبرتُ بها عبدَ الله بن حسن ؛ فقال : يا ابنَ أمّ ، تَغَيَّبْ عن الرجل ؛ فتغيَّبت عنه حتى مات .

[أنشد سديف السفّاح شعراً وعنده رجال من بني أُميّة فأمر بقتلهم]

أخبرني الحسن بن عليّ ومحمد بن يحيى قالا حدّثنا الحارث بن أبي أُسامة قال حدّثني إسماعيل بن إبراهيم عن الهيثم بن بِشْر مولى محمد بن عليّ قال : أَنْشَدَ سُدَيْفٌ أبا العبّاس ، وعنده رجالٌ من بني أُمَيَّة ، قوله : [من الخفيف]

يا ابنَ عَمّ النبيّ أنت ضياءٌ ... إسْتَبَنّا بـك اليقينَ الجَلِيّا

1 الرويثة : موضع على ليلة من المدينة .

فلَّما بلغ قوله :

جَرِّدِ السَّيْفَ وارْفَعِ العَفْوَ حتَّى ... لا ترى فوق ظهرها أُمَوِيا

لا يَغُرَّنْكَ ما ترى من رجالٍ ... إنّ تحت الضُّلوع داء دَوِيَّا

بَطَن البُغْضُ في القديمِ فأضحَى ... ثاوياً في قلوبهم مَطْوِيَّا

وهي طويلة ، قال : يا سُدَيف ، خُلِق الإنسان من عَجَلٍ ، ثم قال : [من البسيط]

أحيا الضغائنَ آباءٌ لنا سَلَفُوا ... فلنْ تَبِيدَ وللآباء أبناءُ

ثم أَمَر بمن عنده منهم فقُتِلوا .

[حضر سليمان بن عليّ جماعة من بني أميّة فأمر بقتلهم]

أخبرني أحمد بن عُبَيد الله بن عمّار قال حدّثني عليّ بن محمد بن سليمان النَّوْفليّ عن أبيه عن عمومته : أنّهم حضروا سليمانَ بن عليّ بالبَصرة ، وقد حضره جماعةٌ من بني أُميّة عليهم الثِّياب المَوْشيّة المرتفعة ، فكأنِّي أنظر إلى أحدهم وقد اسودّ شيبٌ في عارضَيْه من الغالِية ، فأمَر بهم فقتِلوا وجُرُّوا بأرْجُلِهم ، فأُلْقُوا على الطريق ، وإنّ عليهم لسَراويلات الوَشْي والكِلاب تجرّ بأرجلِهم .

[وفد عمرو بن معاوية على سليمان بن عليّ يسأله الأمان فأجابه إليه]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني محمد بن عبد الله بن عمرو قال أخبرني طارق بن المبارك عن أبيه قال : جاءني رسولُ عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة ، فقال لي : يقول لك عمرو : قد جاءتْ هذه الدولة وأنا حديث السنّ كثيرُ العِيال منتشر المال ، فما أكون في قبيلة إلاّ شُهِرَ أَمْري وعُرِفتُ ، وقد اعتزمتُ على أن أَفْدِيَ حُرَمي بنفسي ؛ وأنا صائرٌ إلى باب الأمير سليمان بن عليّ ، فصِرْ إليّ . فوافيتُه فإذا عليه طَيْلَسانٌ مُطْبَقٌ أبيضُ وسَراويلُ وَشْيٍ مسدول ، فقلت : يا سبحان الله ! ما تصنع الحداثة بأهلها ! أبهذا اللباس تلقى هؤلاء القوم لِما تُريد لقاءَهم فيه ! فقال : لا والله ، ولكنّه ليس عندي ثوبٌ إلاّ أَشْهَر ممّا ترى . فأعطيتُه طَيلساني وأخذتُ طيلسانه ولَوَيْتُ سَراويلَه إلى رُكبتيه ؛ فدخل ثم خرج مسروراً . فقلت له : حَدِّثني ما جرى بينك وبين الأمير . قال : دخلتُ عليه ولم نَتَراءَ قطُّ ، فقلت : أصلح الله الأمير ! لفظتْني البلاد إليك ، ودَلّني فضلُك عليك ؛ فإمّا قتلتني غانِماً ، وإمّا رَدَدْتَني سالِماً . فقال : ومَنْ أنت ؟ ما أعرِفك ؛ فانتسبتُ له . فقال : مرحباً بك ، اقْعُد فتكلَّم آمناً غانِماً ؛ ثم أقبل عليّ فقال : ما حاجتك يا ابن أخي ؟ فقلت : إنّ الحُرَمَ اللواتي أنت أقرب الناس إليهنّ معنا وأولى الناس بهنّ بعدَنا ، قد خِفْنَ لخوفنا ، ومَن خاف خِيفَ عليه . فوالله ما أجابني إلاّ بدموعه على خَدَّيْه ؛ ثم قال : يا ابن أخي ، يَحْقِن اللهُ دَمَك ، ويحفظك

في حُرَمك ، ويُوَفِّر عليك مالَك . وواللهِ لو أمكنني ذلك في جميع قومك لفعلتُ ، فكُنْ مُتوارياً كظاهر ، وآمِناً كخائف ، ولتَأْتِني رِقاعُك . قال : فكنتُ واللهِ أكتب إليه كما يكتب الرجل إلى أبيه وعمّه . قال : فلمّا فرَغ من الحديث رددتُ عليه طيلسانه ؛ فقال : مَهلاً ، فإنّ ثيابنا إذ فارقتْنا لن ترجع إلينا .

[شعر لسديف في تحريض السفاح على بني أميّة]

أخبرني أحمد بن عبد الله قال حدّثنا أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عُمَر بن شبّة قال : قال سديفٌ لأبي العبّاس يَحُضُّه على بني أُميّة ويذكر مَن قَتَل مروانُ وبنو أُميّة من قومه : [من الخفيف]

كيف بالعفو عنهمُ وقَدِيماً ... قتلوكم وهَتَّكُوا الحُرُماتِ
أين زيدٌ وأين يحيى بنُ زيدٍ ... يا لَها من مُصيبةٍ وتِراتِ
والإمامُ الذي أُصيبَ بَحرّا ... نَ إمامُ الهُدى ورأسُ الثِّقاتِ
قتلوا آلَ أحمدٍ لا عفا الذَّنْـ ... ـبَ لمروانَ غافرُ السَّيِّئاتِ[1]

[شعر لرجل من شيعة بني العبّاس في التحريض على بني أميّة]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال : أنشدني محمد بن يزيد لرجلٍ من شيعة بني العبّاس يُحرِّضهم على بني أُميّة : [من البسيط]

إيّاكُم أنْ تَلينوا لاعتذارهُم ... فليس ذلك إلاّ الخَوْفُ والطَّمَعُ
لو أنَّهم أمِنوا أبْدَوْا عداوتَهمْ ... لكنّهم قُمِعوا بالذلِّ فانْقَمَعُوا
أليس في ألفِ شهرٍ قد مضتْ لهمُ ... سقَوْكُمُ جُرَعاً من بعدها جُرَعُ
حتى إذا ما انقضتْ أيّامُ مُدّتِهمُ ... مَتُّوا إليكم بالارحامِ التي قَطَعوا
هيهاتَ لا بدّ أن يُسْقَوْا بكأسهمُ ... ريًّا وأن يَحْصُدوا الزَّرْعَ الذي زَرَعوا
إنّا وإخوانَنا الأنصارَ شيعتُكمُ ... إذا تفرّقت الأهواءُ والشِّيَعُ
إيَّاكُمُ أن يقولَ الناسُ إنَّهمُ ... قد مُلِّكوا ثم ما ضَرُّوا ولا نَفَعُوا

[رواية أُخرى في تحريض سديف للسفاح]

وذكر ابن المعتزّ : أنّ جعفر بن إبراهيم حدّثه عن إسحاق بن منصور عن أبي الخَصيب في قصّة سُدَيف بمثل ما ذكره الكُرانيّ عن النضر بن عمرو عن المُعَيطيّ ، إلاّ أنّه قال فيها : فلمّا أنشده ذلك التفتَ إليه أبو الغَمْر سليمان بن هشام فقال : يا ماصَّ بَظْرِ أُمّه ! أتَجبَهُنا بهذا

1 الذنب في ل : الله .

ونحن سَرواتُ الناس ! فغَضِب أبو العبّاس ؛ وكان سليمان بن هشام صديقه قديماً وحديثاً يقضي حوائجه في أيّامهم ويَبَرُّه ؛ فلم يلتفت إلى ذلك ، وصاح بالخُراسانيّة : خُذُوهم ؛ فقُتِلوا جميعاً إلاّ سليمان بن هشام . فأقبل عليه السفّاح فقال : يا أبا الغَمْر ، ما أرى لك في الحياة بعد هؤلاء خيراً . قال : لا والله . فقال : اقتُلوه ، وكان إلى جَنبه ، فقُتِل ؛ وصُلبوا في بُستانه ، حتى تأذّى جلساؤه بروائحهم ، فكلّموه في ذلك ، فقال : والله لهذا ألَذُّ عندي من شَمّ المسْك والعنبر ، غيظاً عليهم وحَنَقاً .

نسبة ما في هذه الأخبار من الغناء

صوت

[من الخفيف]

أصبح الدِّينُ ثابتَ الآساسِ بالبَهاليلِ من بني العبَّاسِ[1]
بالصُّدُورِ المُقَدَّمين قديماً والرُّؤوسُ القَماقِمِ الرُّؤاسِ

عروضه من الخفيف ، الشعر لسُدَيف . والغناء لعَطَرَّد رَمل بالبنصر عن حَبَشٍ . قال : وفيه لَحَكَمٍ الواديّ ثاني ثقيلٌ . وفيه ثقيلٌ أوّل مجهول .

وممّا قاله أبو سعيد مولى فائد ولحنه من الثقيل الأوّل بالبنصر من رواية عمرو بن بانة وإسحاق وغيرهما في قَتلى بني أُميّة وغَنّى فيه : [من المتقارب]

صوت

بكيتُ وماذا يَرُدّ البُكاءْ وقَلَّ البُكاءُ لقَتْلَى كُداءْ
أُصيبوا معاً فَتَوَلَّوْا معاً كذلك كانوا معاً في رَخاءْ
بكتْ لهمُ الأرضُ من بعدهم وناحَتْ عليهم نجومُ السماءْ
وكانوا الضياءَ فلمّا انقضى الـ ـزَّمانُ بقومي تولّى الضياءْ

عروضه من المتقارب ، الشعر والغناء لأبي سعيدٍ مولى فائد .

وممّا قاله فيهم وغَنّى فيه على أنّه قد نُسِب إلى غيره : [من الخفيف]

صوت

أثَّـر الدهـر في رجـالي فقَلُّوا بعـد جَمْعٍ فراحَ عَظْمي مَهِيضا[2]

1 الدين تقدم برواية «الملك» ، ص 241 .
2 رجالي في ل : الرجال .

مـــا تذكَّرتُهـــم فتَمْلِـــك عَيْنِي فَيْضَ غَرْبٍ وحُـقَّ لي أن تَفِيضا

الشعر والغناء لأبي سعيد خفيف ثقيلٍ بالوسطى عن ابن المكيّ والهشاميّ . وروى الشِّيعيّ عن عمر بن شبّة عن إسحاق أنّ الشعر لسُدَيف والغناء للغريض ، ولعلّه وَهَمٌ .

ومنها : [من الطويل]

صوت

أولئك قَوْمــي بعدَ عِـزٍّ ومَنْعةٍ تَفانَوْا فإلاَّ تَذْرِفِ العينُ أَكْمَدِ

كأَنَّهـمُ لا نـاسَ للموتِ غيرُهم وإن كان فيهم مُنصِفاً غيرَ مُعْتَدي

الشعر والغناء لأبي سعيد . وفيه لحن لمُتَيَّمَ .

[ركب المأمون إلى جبل الثلج فغنّاه علويه بشعر ندب فيه بني أميّة]

أخبرني عبد الله بن الربيع قال حدّثنا أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم قال حدّثني عمّي طَيّاب بن إبراهيم قال : رَكِب المأمون بدمشق يتصيَّد حتى بلغ جبلَ الثلج ، فوقف في بعض الطريق على بركة عظيمة في جوانبها أربعُ سَرَواتٍ لم يُرَ أحسن منها ولا أعظم ، فنزل المأمون وجعل ينظر إلى آثار بني أميّة ويَعْجَب منها ويذكُرهم ، ثم دعا بطَبَقٍ عليه بَزْماوَرد[1] ورِطل نبيذ ؛ فقام عَلُّويَه فغنَّى : [من الطويل]

أولئك قَوْمي بعدَ عِـزٍّ ومَنْعةٍ تَفانَوْا فإلاَّ تَذْرِفِ العينُ أَكْمَدِ

قال : فغَضِب المأمون وأَمَر برفع الطبق ، وقال : يا ابن الزانية ! ألم يكن لك وقتٌ تبكي فيه على قومك إلاّ هذا الوقت ! قال : نعم أبكي عليهم ! مولاكم زِرْياب يركب معهم في مائة غُلامٍ ، وأنا مولاهم معكم أموت جوعاً ! فقام المأمون فركِب وانصرف الناس ، وغَضِب على عَلُّويَه عشرين يوماً ؛ فكلَّمه فيه عبّاس أخو بَحر ؛ فرَضِي عنه ، ووَصله بعشرين ألفَ درهم .

صوت
من المائة المختارة[2]

[من الطويل]

مَهاةٌ لَوَ آنَّ الذَّرَّ تَمْشي ضِعافُه على مَتْنِها بَضَّتْ مَدارِجُه دَما[3]

---

1 بزماورد : طعام من اللحم المقلي بالزبد والبيض .

2 ديوان حميد (طبعة دار صادر ، بيروت) : 90–105 وهي من قصيدة تتألّف من مائة وثلاثين بيتاً .

3 رواية الديوان مطابقة لرواية الأصمعي .

فقُلْنَ لها قُومي فدَيْناكِ فارْكَبِي ... فأومَتْ بَلا لا غيرَ أنْ تَتَكَلَّما[1]

عروضه من الطويل . بَضَّتْ : سالتْ . يقول : لو مَشى الذرُّ على جِلْدها لجرى منه الدمّ من رِقّته . وروى الأصمعيّ : [من الطويل]

مُنَعَّمَةٌ لـو يُصْبِحُ الذَّرُّ سارياً ... على مَتْنِها بَضَّتْ مَدارِجُه دَما

الشعر لحُمَيْد بن ثَورٍ الهلاليّ ، والغناء في اللحن المختار لفُلَيْح بن أبي العَوراء ، ولحنُه من الثقيل الأوّل بالوسطى . وذكر عمرو بن بانة أنّ لحن فُلَيْح من خفيف الثقيل الأوّل بالوسطى ، وأنّ الثقيل الأوّل للهُذَليّ .

وممّا يُغَنَّى فيه من هذه القصيدة : [من الطويل]

صوت

إذا شئتُ غَنَّتْني بأجزاعِ بِيشَةٍ ... أوِ النَّخْلِ من تَثْلِيثَ أو مِنْ يَلَمْلَما[2]

مُطَوَّقَـــةٌ طَوْقـاً وليس بحِلْيَـةٍ ... ولا ضَرْبِ صَوّاغٍ بكَفَّيْهِ دِرْهَما[3]

تُبَكِّي على فَرْخٍ لهـا ثمّ تَغْتَدي ... مُوَلَّهةً تبغـي لـه الدَّهْرَ مَطْعَما[4]

تُؤَمِّـلُ منــه مُؤْنِساً لانفرادهـا ... وتَبْكي عليـه إنْ زَقـا أو تَرَنَّما

غنَّاه محمد الرَّفّ خفيفَ رملٍ بالوسطى .

---

1 الشطر الثاني في الديوان : «فقالت ألا لا غير أمّاً تكلما» وفي عيون الأخبار «فأومت بلا لا غير ما أن تكلما» .

2 بيشة وتثليث ويلملم : أسماء مواضع والأخيرة ميقات أهل اليمن . ويروى بأجراع بدلاً من بأجزاع ، وبالرزن بدلاً من النخل ، ويبنبم أو يبمبم بدلاً من يلملم .

3 مطوقة في الديوان : تطوق .

4 لم يرِد هذان البيتان في الديوان ولا في الزيادات .

[56] ـ ذكر حُمَيد بن ثور ونسبه وأخباره[1]

[نسبه]

هو حُمَيد بن ثَور بن عبد الله بن عامر بن أبي ربيعة بن نَهيك بن هِلال بن عامِر بن صَعصَعَة بن معاوية بن بَكْر بن هوازِن بن منصور بن عِكرِمة بن خَصَفة بن قيس بن عيلان بن مُضَر بن نِزار . وهو من شعراء الإسلام . وقَرَنه ابن سَلاَّم بِنَهشل ابن حَرِّيّ وأَوس[2] بن مَغراء .

[هو مخضرم أدرك عمر بن الخطاب]

وقد أدرك حُمَيد بن ثور عُمَر بن الخطّاب رضي الله عنه ، وقال الشعر في أيّامه . وقد أدرك الجاهليّة أيضاً .

[نهى عمر الشعراء عن التشبيب فقال شعراً]

أخبرنا وكيع قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد وعبد الله بن شَبيب قالا حدّثنا إبراهيم بن المنذر الحِزاميّ قال حدّثني محمد بن فَضالة النحويّ قال : تقدّم عمر بن الخطّاب رضي الله عنه إلى الشعراء ألاَّ يُشَبِّب أحدٌ بامرأة إلاّ جَلَده . فقال حُمَيد بن ثور ، وكانت له صحبة ، فذكر شعراً فيه : [من الطويل]

أَبَى اللهُ إلاَّ أنَّ سَرْحَةَ مالكٍ ... على كُلِّ أفنانِ العِضاهِ تَرُوقُ[3]

فقد ذهبتْ عَرضاً وما فوق طُولها ... مِنَ السَّرْحِ إلاَّ عَشَّةٌ وسَحُوقُ

العَشَّة : القليلة الأغصان والورق . والسَّحوق : الطويلة المفرطة .

---

1 ترجمة حميد بن ثور الهلالي في كتب الصحابة وطبقات ابن سلام 2 : 583 والشعر والشعراء 306–310 وشرح شواهد المغني : 73 والوافي 13 : 193 ومعجم الأدباء (تحقيق إحسان عبّاس) : 1222–1225 وسمط اللآلي : 376 وتهذيب ابن عساكر 4 : 456 . وقد صنع الميمني ديوانه ثم نشرته دار صادر ، بيروت بإشراف د . محمد يوسف نجم وإلى هذه الطبعة نشير . وقد تضمّنت التذكرة الحمدونية عدّة مختارات من شعره في مواضع متفرّقة ، وتجد مختارات أخرى في الكامل للمبرد وأمالي القالي وغيرهما .

2 عدّ ابن سلام في طبقاته أوس بن مغراء في الطبقة الثالثة وعدّ حميد بن ثور ونهشل بن حريّ والأشهب بن رميلة وعمر بن لجأ في الطبقة الرابعة (انظر طبقات فحول الشعراء ، تحقيق العلاّمة الأستاذ محمود محمد شاكر : 570 و583) .

3 السرحة : الشجرة الطويلة ويكنى بها الشعراء عن المرأة . والأبيات من مواضع متفرّقة من قصيدة تتألّف من 46 بيتاً (الديوان : 65–71) .

فلا الظِّلَّ مِنْ بَرْدِ الضُّحى تستَطِيعُه ولا الفَيْءَ من بَرْدِ العَشِيِّ تَذُوقُ[1]
فهَلْ أنا إنْ عَلَّلْتُ نَفْسي بِسَرْحَةٍ مِنَ السَّرْحِ موجـودٌ عليَّ طريقُ

وهي قصيدة طويلة أوّلها : [من الطويل]

نـأتْ أُمُّ عَمْرٍ فالفُـؤادُ مَشُوقُ يَحِـنُّ إليهـا والهـاً ويَتُـوقُ

صوت

وفيها ممّا يُغَنَّى فيه :

سَقى السَّرْحةَ المِحْلالَ والأَبْرَقَ الذي بـه السَّرْحُ غيثٌ دائمٌ وبُروقُ
وهلْ أنا إنْ عَلَّلْتُ نفسي بِسَرْحةٍ مِـنَ السَّرْحِ موجودٌ عـليّ طريقُ[2]

غنّاه إسحاق ، ولحنه ثاني ثقيلٍ بالوسطى .

[وفد على بعض خلفاء بني أُميّة بشعر فوصله]

أخبرنا الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير عن عَمِّه قال[3] : وَفَد حُمَيْد بن ثَور على بعض خُلفاء بني أُميّة ؛ فقال له : ما جاء بك ؟ فقال : [من الطويل]

أتاكَ بِيَ اللهُ الذي فوق مَنْ تَرى وخيرٌ ومعـروفٌ عليـك دليلُ
ومَطْوِيَّـةُ الأَقْرابِ أمّا نهارُهـا فنَـصٌّ وأمّـا ليلُهـا فذَمِيـلُ[4]
ويَطْوِي عليَّ اللَّيْلُ حِضْنَيْهِ إنَّني لذاك إذا هاب الرجالُ فَعُولُ[5]

فوصله وصرفه شاكراً .

1 الظل : ما كان من أوّل النهار إلى الزوال . الفيء : ما كان من الزوال إلى الليل .
2 موجود في الديوان : مسدود .
3 ديوان حميد : 78 وفي الحاشية أنّ الصواب نسبتها إلى حميد الأرقط .
4 الأقراب : جمع قُرب وهو الخاصرة . فنص في ل : فرقل . ويروى : فسبت ، وكلها أنواع من السير .
5 لذاك في ل : أراك .

[57] ـ أخبار فليح بن أبي العوراء

[هو مولى بني مخزوم وأحد مغنّي الدولة العبّاسية]

فُلَيْحٌ رجل من أهل مكّة ، مولًى لبني مخزوم ، ولم يقع إلينا اسمُ أبيه . وهو أحد مغنّي الدولة العبّاسية ، له محلٌّ كبير من صناعته ، وموضع جليل . وكان إسحاق إذا عدّ مَنْ سَمِع من المُحْسنين ذكَره فيهم وبدأ به . وهو أحد الثلاثة الذين اختاروا المائةَ الصوتِ للرشيد .

[مدح إسحاق الموصليّ غناءه]

أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال حدّثني ابن المكّيّ عن أبيه عن إسحاق قال : ما سمعتُ أحسنَ غناءً من فُلَيْح بن أبي العوراء وابن جامع : فقلتُ له : فأبو إسحاق ؟ (يعني أباه) ؛ فقال : كان هذان لا يُحسنان غير الغناء ، وكان أبو إسحاق فيه مثلهما ، ويزيد عليهما فنوناً من الأدب والرواية لا يُداخِلانه فيها .

[كان يحكي الأوائل فيصيب ويحسن]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا يزيد بن محمد[1] المُهلَّبيّ قال : قال لي إسحاق : أحسنُ مَنْ سمعتُ غناءً عَطَرَّد وفُلَيح .

وكان فليح أحد الموصوفين بحسن الغناء المسموع في أيّامه ، وهو أحدُ مَن كان يَحكي الأوائلَ فيُصيب ويُحسن .

[أمره الرشيد بتعليم ابن صدقة صوتاً له]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثني محمد بن محمد العَنْبسيّ قال حدّثني محمد بن الوليد الزُّبيريّ قال : سمعتُ كَثِيرَ بن المُحَوَّل يقول : كان مُغَنِّيان بالمدينة يقال لأحدهما فُلَيح بن أبي العوراء ، والآخر سليمان بن سُلَيم ؛ فخرج إليهما رسول الرشيد يقول لفُليح غِناؤك من حَلَق أبي صدقة[2] أحسن منه من حَلقك ، فعَلِّمْه إيّاه ، قال : وكان يغنّي صوتا يُجيده ، وهو :

خيرُ ما نَشْرَبُها بالبُكَرْ

قال : فقال فُليح للرسول : قُلْ له : حَسْبُك . قال : فسمعنا ضَحِكَه من وراء الستارة .

---

1 ل : محمد بن يزيد .

2 سيترجم له أبو الفرج فيما بعد .

[كانت ترفع الستارة بينه وبين المهديّ دون سائر المغنِّين]

أخبرني رضوان بن أحمد الصيدلانيّ قال حدّثنا يوسف بن إبراهيم قال حدّثني أبو إسحاق إبراهيم بن المهديّ قال حدّثنا الفضل بن الربيع : أنّ المهديّ كان يسمع المغنِّين جميعاً ، ويحضُرون مجلسَه ، فيُغنُّونه من وراء الستارة لا يرون له وجهاً إلاّ فُلَيْح بن أبي العَوراء ؛ فإنّ عبد الله بن مُصعَب الزُّبيريّ كان يُرَوِّيه شعرَه ويغنّي فيه في مدائحه للمهديّ ؛ فدسَّ في أضعافها بيتين يسأله فيهما أن ينادمه ، وسأل فليحاً أن يغنِّيهما في أضعاف أغانيه ، وهما : [من الخفيف]

صوت

يا أمينَ الإلــهِ في الشَّرْقِ والغَرْ ... بِ على الخَلْقِ وابنَ عَمِّ الرَّسُولِ

مجلساً بالعَشِيِّ عنـدك في المَيْـ ... ـدانِ أبغِي والإذْنَ لي في الوُصُولِ

فغنّاه فُلَيْح إيّاهما . فقال المهديّ : يا فضلُ ، أَجِبْ عبدَ الله إلى ما سأل ، وأحْضِرْه مجلسي إذا حَضَره أهلي ومَواليّ وجلستُ لهم ، وزِدْه على ذلك أن ترفع بيني وبين راويته فُلَيْح السِّتارة ؛ فكان فُلَيْح أوّل مُغنٍّ عاين وجهَه في مجلسهم .

[دعاه محمد بن سليمان بن عليّ أوّل دخوله بغداد ووصله]

أخبرني رضوان قال حدّثني يوسف بن إبراهيم قال حدّثني بعد قُدومي فُسْطاط مِصْر زيادُ بن أبي الخطّاب كاتب مسرورٍ خادمِ الرشيد ، قال : سمعتُ محبوبَ بن الهَفْتِيّ يحدّث أبي ، قال : دعاني محمد بن سليمان بن عليٍّ ، فقال لي : قد قَدِم فُلَيْحٌ من الحجاز ونزل عند مسجد ابن رَغبان ، فصِرْ إليه ، فأَعْلِمْه أنّه إن جاءني قبلَ أن يدخلَ إلى الرشيد ، خلعتُ عليه خِلعةً سريَّة من ثيابي ووهبتُ له خمسة آلاف درهم . فمضيتُ إليه فخبَّرته بذلك ؛ فأجابني إليه إجابة مسرورٍ به نشيطٍ له . وخرج معي ، فعَدَل إلى حَمَّامٍ كان بقُربه ، فدعا القَيِّمَ فأعطاه درهمين وسأله أن يجيئه بشيءٍ يأكله ونبيذٍ يشربه ؛ فجاءه برأسٍ كأنّه رأسُ عِجلٍ ونبيذٍ دُوشابيّ[1] غليظ مسحوريّ رديء . فقلت له : لا تفعل ، وجَهَدتُ به ألاّ يأكل ولا يشرب إلاّ عند محمد بن سليمان ؛ فلم يلتفت إليّ ، وأكل من ذلك الرأسَ وشرب من ذلك النبيذِ الغليظ حتّى طابت نفسه ، وغنّى وغنّى القيِّم معه مَلِيّاً ؛ ثم خاطب القيِّمَ بما أغضبه ، وتَلاحَيا وتَواثَبا ؛ فأخذ القيِّم شيئاً فضربه به على رأسه فشجّه حتّى جرى دمُه . فلمّا رأى الدمَ على وجهه اضطرب وجَزِع وقام يغسِل جُرحه ،

1 الدوشاب : نبيذ التمر . والمسحوري : الفاسد .

ودعا بصوفة مُحرَقة وزيت ، وعَصَبه وتعمَّم وقـام معي . فلمّا دخلنا دارَ محمد بن سليمان ، ورأى الفرشَ والآلةَ وحضر الطعام فرأى سَرْوَه وطِيبَه ، وحضر النبيذ وآلته ، ومدّتِ الستائرُ وغنَّى الجواري ، أقبل عليّ وقال : يا مجنون ! سألتك بالله أيّما أحقُّ بالعربدة وأوْلى : مجلِسُ القَيِّم أم مجلس[1] الأمير ؟ فقلت : وكأنّه لا بُدَّ من عربدة ؟ قال : لا ، والله مالي منها بُدٌّ ، فأخرجتُها من رأسي هناك . فقلت : أمّا على هذا الشرط فالذي فعلتَ أجودُ . فسألني محمد عمّا كنّا فيه فأخبرته ؛ فضَحِك ضحكاً كثيراً ، وقال : هذا الحديث والله أظرفُ وأطيب من كلِّ غِناء ، وخلَع عليه وأعطاه خمسة آلاف درهم .

[اتّفق مع حكم الوادي على إسقاط ابن جامع عند يحيى بن خالد]

قال هارون بن محمد وحدّثني حمّاد بن إسحاق قال حدّثني أبو إسحاق القرمطي قال حدّثنا مُدرِكةُ بن يزيد قال : قال لي فُلَيْح بن أبي العوراء : بعث يحيى بن خالد إليّ وإلى حَكَمٍ الواديّ وإلى ابن جامع ، فأتيناه . فقلت لحكمَ : إنْ قَعَد ابنُ جامع معنا فعاوِنّي عليه لنكسره . فلمّا صرْنا إلى الغِناء غنَّى حكم ؛ فصِحتُ وقلتُ : هكذا والله يكون الغناء ! ثم غنَّيت ، ففعل لي حكم مثلَ ذلك . وغنَّى ابن جامع فما كنّا معه في شيء . فلمّا كان العَشيُّ أرسل إلى جاريته دنانير : إنّ أصحابك عندنا ، فهل لك أن تخرُجي إلينا ؟ فخرجتْ وخرج معها وصائف ؛ فأقبل عليها يقول لها من حيث يَظُنّ أنّا لا نسمع : ليس في القـوم أنْزَهُ نفساً من فُلَيْح . ثم أشار إلى غلام لـه : أنِ ائْتِ كلَّ إنسان بألفَيْ درهم ، فجاء بها ؛ فدفع إلى ابن جامع ألفَيْ درهم فأخذها فطرحها في كُمِّه ، وفعل بحكم الوادِيّ مثلَ ذلك فطرحها في كُمِّه ، ودفع إليّ ألفين . فقلت لدنانير : قد بلغ منّي النبيذ ، فاحبِسيها لي عندك[2] حتى تَبعَثي بها إليّ ؛ فأخذت الدراهم منّي وبعثتْ بها إليّ من الغد ، وقد زادت عليها ؛ وأرسلت إليّ : قد بعثتُ إليك بوديعتك وبشيء أحببتُ أن تفرِّقه على أُخواتي (تعني جَوارِيّ) .

[غنّى الفضل بن الربيع وهو مريض ثم مات في علّته]

قال هارون بن محمد وحدّثني حمّاد قال حدّثني أبي قال : كنّا عند الفضل بن الربيع ، فقال : هَل لك في فُلَيْح بن أبي العوراء ؟ قلت نعم . فأرسل إليه ، فجاء الرسول فقال : هو عليلٌ ؛ فعاد إليه فقال الرسول : لا بدّ من أن تجيء ؛ فجاء به محمولاً في مِحَفّة ؛ فحدّثنا ساعةً ثم غنَّى . فكان فيما غنَّى : [من السريع]

---

1 ل : منزل (في الحالين) .

2 ل : عند نفسك .

تقول عِرْسي إذ نبا المَضْجَعُ   ما بالك الليلةَ لا تَهْجَعُ

فاستحسنّاه منه واستعَدْناه منه مراراً ؛ ثم انصرف ومات في علّته تلك ؛ وكان آخر العهد به ذلك المجلس .

[قصة عاشق غنّاه هو وعشيقته فبعثت إليه مهرها ليخطبها إلى أبيها]

أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال حدّثني محمد بن أحمد بن يحيى المكّيّ قال حدّثني أبي عن فُلَيْح بن أبي العوراء قال : كان بالمدينة فتًى يعشَق ابنة عمّ له ، فوعدتْه أن تزوره . وشكا إليّ أنّها تأتيه ولا شيء عنده ، فأعطيته ديناراً للنفقة . فلمّا زارته قالت له : مَن يُلَهِّينا ؟ قال : صديق لي ، ووصفني لها ، ودعاني فأتيته ؛ فكان أوّل ما غَنَّيته : [من الوافر]

مِنَ الخَفِراتِ لم تَفْضَحْ أخاها   ولم تَرْفَعْ لِوالدها شَنارا

فقامت إلى ثوبها فلبِسته لتنصرف ؛ فعَلِق بها وجهَد بها كلَّ الجَهد في أن تَقيم ، فلم تُقِم وانصرفتْ . فأقبل عليّ يلومني في أن غَنَّيتها ذلك الصوت . فقلت : والله ما هو شيءٌ اعتمدتُ به مساءتك ، ولكنّه شيء اتّفق . قال : فلم نبرَح حتى عاد رسولها بعدها ومعه صرّة فيها ألف دينار ، ودفعها إلى الفتى وقال له : تقول لك ابنة عمّك : هذا مهري ادفعه إلى أبي ، واخطُبني ؛ ففعل فتزوّجها .

نسبة هذا الصوت

صوت

وقال[1] : [من الوافر]

مِنَ الخَفِراتِ لم تَفْضَحْ أخاها   ولم ترفَعْ لوالدها شَنارا
كأنّ مَجامِعَ الأردافِ منها   نَقاً درجتْ عليه الريحُ هارا
يعافُ وِصالَ ذاتِ البَذلِ قلبي   وأتّبِعُ المُمَنَّعةَ النَّوارا

الشعر لسُلَيك بن السُّلَكة السَّعديّ . والغناء لابن سريج رملٌ بالسبابة في مجرى الوسطى . وفيه لابن الهِرْبِذ لحنٌ من رواية بَذْل ، أوّله :

يعافُ وِصالَ ذاتِ البذلِ قلبي

1 شعر السليك بن السلكة (جمع حميد آدم ثويني وكامل سعيد عواد (مطبعة العاني ، بغداد) : 55 .

وبعده . [من الوافر]

غَذاهــا قارِصٌ يغدو عليها ومَحضٌ حين تنتظرُ العِشارا

[ورد دمشق على إبراهيم بن المهديّ فأخذ عنه جواريه غناء]

أخبرني رضوان بن أحمد قال حدّثنا يوسف بن إبراهيم قـال حدّثنـا أبـو إسحاق إبراهيم بن المهديّ قال : كتب إليّ جعفر بن يحيى وأنا عاملٌ للرشيد على جُنْد دِمشق : قد قَدِم علينا فُلَيْح بن أبي العوراء ، فأفسد علينا بأهزاجه وخفيفه كلَّ غناء سمِعناه قبله . وأنا محتالٌ لك في تخليصه إليك ، لتستمتع به كما استمتعنا . فلم ألبَثْ أنْ ورد عليّ فُلَيْح بكتاب الرشيد يأمر له بثلاثة آلافِ دينار . فورد عليَّ رجل أذكَرني لقاؤه الناس ، وأخبرني أنّه قد ناهز المائة ، فأقام عندي ثلاث سنين ، فأخذ عنه جواريّ كلَّ ما كان معه من الغناء ، وانتشرت أغانيه بدمشق .

[غنى مونق ألحان فليح بفسطاط مصر]

قال يوسف : ثم قَدِم علينا شابٌّ من المغنِّين مع عليّ بن زيد بن الفَرَج الحَرّانيّ ، عند مَقْدَم عَنْبسة بن إسحاق فُسْطاط مصر ، يقال له مُونِق ؛ فغنّاني من غناء فُلَيْح : [من المنسرح]

[صوت]

يــا قُـرّةَ العينِ اقْبَلي عُـذري ضــاقَ بهِجرانكُــمُ صدري
لو هَلَكَ الهجرُ استراح الهوى مــا لَقِـيَ الوصلُ مـن الهجرِ

ولحنه خفيف رمل ، فلم أَرَ بين ما غنَّاه وبـين ما سمعته في دار أبي إسحاق فرقاً ؛ فسألته من أيـن أخذه ؟ فقال : أخذتُـه بدمشق ؛ فعلمـتُ أنّـه ممّا أخذه أهلُ دمشق عن فُلَيْح .

صوت
من المائة المختارة[1]

[من الطويل]

أفاطمَ إنّ النأْيَ يسلي ذوي الهوى ونأيُـكِ عنّي زاد قلبي بكـم وَجْدا
أَرى حَرَجاً ما نِلتُ من وُدّ غيركم ونافلةً مــا نلتُ من ودّكم رُشْدا

1 ديوان ابن هرمة : 95–96 عن الأغاني .

وما نلتقي من بعدِ نــأْيٍ وفرْقةٍ ... وشَحْطِ نَوًى إلاّ وجدتُ لـه بَرْدا
على كَبدٍ قـد كاد يُبْدي بها الهوى ... نُدوباً وبعضُ القوم يحسَبُني جَلْدا

عروضه من الطويل . النأي : البُعْد ، ومثله الشَّحْط . والحَرَج : الضيِّق ؛ قال الله تعالى : ﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً﴾ . والنُّدوب : آثار الجِراح ، واحدها نَدَبٌ .

الشعر لإبراهيم بن هرمةَ ، والغِناء في اللحن المختار ، على ما ذكره إسحاق ، ليونس الكاتب ، وهو من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى . وذكر يحيى بن عليّ بن يحيى عن أبيه مثل ذلك . وذكر حبش بن موسى أنّ الغِناء لمرزوق الصرَّاف أو ليحيى بن واصِل . وفي هذه الأبيات للهُذَليّ لحنٌ من خفيف الثقيل الأوّل بالوسطى على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة ، ومن الناس من ينسُب اللحنين جميعاً إليه .

[58] ـ ذكر ابن هرمة وأخباره ونسبه[1]

[نسبه]

هو إبراهيم بن عليّ بن سلمة بنِ هرمة بن هُذَيل . هكذا ذكر يعقوب بن السّكّيت . وأخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء عن الزّبير بن بكّار عن عمّه مُصعَب ، وذكر ذلك العبّاس بن هشام الكلبيّ عن أبيه هشام بن محمد بن السائب ، قالوا جميعاً : هو إبراهيم بن عليّ بن سلمة بن عامر بن هرمة بن الهُذَيل بن ربيع بن عامر بن صُبَيح بن كِنانة بن عَدِيّ بن قَيس بن الحارث بن فهْر ، وفهرٌ أصلُ قريش ، فمن لم يكن من ولده لم يُعَدّ من قريش ، وقد قيل ذلك في النَّضْر بن كنانة ، وفهر بن مالك بن النَّضْر بن كنانة بن خُزيمة بن مُدركة بن إلياس بن مُضَر . قال مَنْ ذكرْنا من النسّابين : قَيس بن الحارث هو الخُلُجُ ، وكانوا في عدوان ثم انتقلوا إلى بني نَصر بن معاوية بن بَكْر بن هَوازِن . فلمّا استُخلِف عمر بن الخطّاب رضي الله عنه أَتَوْه لِيَفرِض لهم ، فأنكر نَسَبَهم . فلمّا استُخلف عثمان أَتَوْه فأثبتهم في بني الحارث بن فِهْرٍ وجعل لهم معهم ديواناً . وسُمُّوا الخُلُج لأنّهم اختلجوا ممّن كانوا معه من عَدوان ومن بني نصر بن معاوية . وأهل المدينة يقولون : إنّما سُمُّوا الخُلُج لأنّهم نزلوا بالمدينة على خُلُجٍ (وواحدُها خليج) فسُمُّوا بذلك . ولهم بالمدينة عدد . قال مُصعب : كان لإبراهيم بن هَرمة عمٌّ يقال له هرمة[2] الأعور ، فأرادت الخُلُجُ نَفْيَه منهم ؛ فقال : أمسيتُ ألأمَ العرب دَعِيَّ أدعياء . ثم قال يهجوهم[3] : [من الطويل]

رأيتُ بني فِهْرٍ سِباطاً أكُفُّهُمْ ... فما بالُ ، أَنْبُوني ، أَكُفُّكُم قُفْدا[4]

ولم تُدْرِكوا ما أدرك القومُ قبلَكم ... من المجدِ إلاّ دَعْوةً أُلحقتْ كَدّا

على ذي أيادِي الدّهرِ أفلح جَدُّهم ... وخِبْتُم فلَم يَصْرَع لكم جَدُّكم جَدّا[5]

---

1 ترجمة إبراهيم بن هرمة في الخزانة 1 : 224–226 والسمط : 398 وطبقات ابن المعتزّ : 20 والموشح : 223 وتهذيب ابن عساكر 2 : 234 وقد أورد ابن حمدون كثيراً من أخباره وشعره في مواضع متفرّقة من التذكرة الحمدونية (انظر الفهرس) وقد جمع شعره محمد عبد الجبار المعيبد (النجف ، 1969) وهو الذي نعتمده هنا .

2 ل : أبو هرمة .

3 لم ترد هذه الأبيات في ديوان ابن هرمة ولا في الشعر المنسوب له .

4 سباط الأكف : أكفّهم طويلة معتدلة كناية عن الكرم . القفد : ميل في الكف كناية عن البخل .

5 وخبتم في ل : وخفتم .

[نفاه بنو الحارث بن فهر عنهم فعاتبهم]

وقال يحيى بن عليّ حدّثني أبو أيُّوب المدينيّ عن المدائنيّ عن أبي سَلَمة الغِفاريّ قال: نَفى بنو الحارث بن فهرٍ ابنَ هَرمة، فقال[1]: [من الطويل]

أحارِ بنَ فِهْرٍ كيف تَطَّرِحونني وجاء العِدا من غيرِكم تبتغي نَصْرِي[2]

قال: فصار من وَلَد فِهْرٍ في ساعته.

[كان يقول: أنا ألأم العرب]

قال يحيى بن عليّ وحدّثني أحمد بن يحيى الكاتب قال حدّثني العبّاس بن هشام الكلبيّ عن أبيه قال: كان ابن هرمة يقول: أنا ألأمُ العرب، دَعِيٌّ أدعياء: هَرْمةُ دَعِيٌّ في الخُلُج، والخُلُج أدعياء في قريش.

[قصّته مع أسلميّ ضافه]

حدّثني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني عمر بن أبي بكر المؤمّليّ قال حدّثني عبد الله بن أبي عبيدة بن محمد بن عمّار بن ياسر قال: زرتُ عبد الله بن حسن بباديته وزاره ابنُ هرمة، فجاءه رجلٌ من أَسْلَمَ؛ فقال ابن هرمة لعبد الله بن حسن: أصلحك الله! سَلِ الأسْلَمِيّ أنْ يأذَنَ لي أن أُخبرك خبري وخبره. فقال له عبد الله بن حسن: ائذَنْ له، فأذِنَ له الأسلميّ. فقال له إبراهيم بن هَرمة: إنّي خرجتُ، أصلحك الله، أبغِي ذَوْداً لي، فأوحشتُ[3] وضِفتُ هذا الأَسْلَمِيّ، فذَبَحَ لي شاةً وخبَزَ لي خبزاً وأكرمني، ثم غدوتُ من عنده، فأقمتُ ما شاء الله. ثم خرجتُ أيضاً في بُغاءِ ذَوْدٍ لي، فأوحشتُ فضِفتُه فَقراني بلبن وتَمْر، ثم غدوتُ من عنده فأقمت ما شاء الله. ثم خرجتُ في بُغاء ذَوْدٍ لي، فأوحشتُ، فقلت: لو ضِفْتُ الأَسلميّ! فاللَّبن والتمر خيرٌ من الطَّوى؛ فضِفته فجاءني بلبن حامض. فقال: قد أجبتُه، أصلحك الله، إلى ما سأل، فسَلْه أنْ يأذَنَ لي أن أخبرك لِمَ فعلتُ. فقال له: ائذَن له؛ فأذِن له. فقال الأَسْلَمِيّ: ضافَني، فسألته مَن هو؟ فقال: رجلٌ من قريش، فذبحتُ له الشاة التي ذكَر، وواللهِ لو كان غيرُها عندي لذبحتُه له حين ذكَر أنّه من قريش. ثم غَدا من عندي وغدا عليّ الحَيُّ فقالوا: مَنْ كان ضيفكَ البارحة؟ قلتُ: رجلٌ من قريش؛ فقالوا: لا والله ما هو من قريش، ولكنّه دَعِيٌّ فيها. ثم ضافني الثانية على أنّه دَعِيٌّ في قريش، فجئتُه بلبن وتمر وقلت: دَعِيُّ قريش خيرٌ من غيره.

---

1 ديوان ابن هرمة: 126 عن الأغاني.

2 وجاء في ل: وجاني.

3 أوحش الرجل: إذا نفد زاده وجاع.

ثم غدا من عندي وغدا عليّ الحَيُّ فقالوا : مَن كان ضيفَكَ البارحة ؟ قلت الرجل الذي زعمتم أنّه دَعِيٌّ في قريش فجئته بلبن وتمر ؛ فقالوا : لا والله ما هو بدَعِيٍّ في قريش ، ولكنّه دَعِيٌّ أَدْعِياءِ قريش . ثم جاءني الثالثة ، فقريتُه لبناً حامضاً ، ووالله لو كان عندي شرٌّ منه لَقَرَيْتُه إيّاه . قال : فانخذل ابنُ هرمة ، وضَحِكَ عبد الله وضَحِكنا معه .

[لقيه ابن ميّادة وطلب مهاجاته ثم تبيّن أنّه يمزح]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثني الزُّبير قال حدّثني نوفل بن ميمون قال : لَقِي ابنُ ميّادة ابنَ هرمة ، فقال ابن ميّادة : واللهِ لقد كنتُ أُحِبُّ أنْ أَلقاك ، لا بدّ من أن نتهاجى ، وقد فعل الناس ذلك قبلنا . فقال ابن هرمة : بئس والله ما دعوتَ إليه وأحببته ، وهو يظنّه جادّاً . ثم قال له ابن هرمة : أما والله إنّني للذي أقول[1] : [من الطويل]

إنِّـي لَميمونٌ جـِواراً وإنَّني ... إذا زَجَـر الطَّيْرَ العِـدا لَمَشُومُ
وإنِّي لمـلاّنُ العِنـانِ مُناقِـلٌ ... إذا ما وَنى يومـاً أَلفُّ سَؤُومُ[2]
فوَدَّ رجـالٌ أنَّ أُمِّي تَقَنَّعتْ ... بشيبٍ يُغَشِّي الرأسَ وهي عقيمُ

فقال ابن ميّادة : وهل عندك جَراء[3] ؟ ثَكِلَتْك أُمُّك ! أنت أَلأم من ذلك ! ما قلتُ إلاّ مازحاً .

أخبرنا به وكيع قال حدّثنا محمد بن إسماعيل قال قال عبد العزيز بن عمران : اجتمع ابن هرمة وابن ميّادة عند جُمَيع بن عمر بن الوليد ، فقال ابن ميّادة لابن هرمة : قد كنتُ أُحِبُّ أن أَلقاك . ثم ذكر نحوه .

[أنكر عليه أن تتمضغ الناطف مع قدوم وزير فحمله وتلقّى به الموكب]

وقال هارون بن محمد بن عبد الملك حدّثنا عليّ بن محمّد بن سليمان النَّوفليّ قال حدّثني أبو سلمة الغفاريّ عن أبيه قال : وفدتُ على المهديّ في جماعة من أهل المدينة ، وكان فيمن وَفَد يُوسُفُ بن موهب وكان في رجال بني هاشم من بني نَوفلٍ ، وكان معنا ابن هرمة ؛ فجلسنا يوماً على دكّان قد هُيِّىء لمسجد ولم يُسَقَّف ، في عسكر المهديّ ؛ وقد كنّا نلقى الوزراء وكُبَراء السلطان ، وكانوا قد عرفونا ؛ وإذا حِيالَ الدكّان رجلٌ بين يديه ناطِف يبيعه في يوم شات شديد البرد ، فأقبل إذ ضربه بفأسه فتطاير جُفُوفاً ؛ فأقبل ابن هرمة علينا ، فقال ليوسف : يا ابن عمّ رسول الله ، ﷺ ، أما معك درهمٌ نأكل به من هذا الناطف ؟ فقال له : متى عهِدتَني أحمل

1 ديوان ابن هرمة : 204–205 عن الأغاني .
2 ملآن العنان : سريع العدو . مناقل : ينقل قوائمه بسرعة . الألفّ : الثقيل البطيء .
3 الجراء : االفتوة ومثلها الجراية والجري .

الدراهم ! قال : فقلت له : لكنّي أنا معي ، فأعطيتُه درهماً خفيفاً ، فاشترى به ناطفاً على طَبَق للناطفيّ فجاء بشيء كثير ، فأقبل يتمضّغه وحدَه ويحدّثنا ويضحك . فما راعَنا إلاّ موكب أحد الوزيرين : أبي عبيد الله أو يعقوب بن داود . ثم أقبلتِ المُطَرِّقة[1] ؛ فقلنا : مالك قاتلك الله ! يهجُم علينا هذا وأصحابه ، فيَرون الناطف بين أيدينا فيظنُّون أنّا كنّا نأكل معك . قال : فوالله ما أحدٌ أولى بالسَّتر على أصحابه وتَـقَلُّد البليّة منك يا ابن عمّ رسول الله ! فضَعْه بين يديك . قال : اعزُب قَبَحك الله ! قال : فأنت يا ابن أبي ذَرّ ، فزَبَرْته .

قال : فقال : قد علمتُ أنّه لا يُبتلى بهذا إلاّ دَعِيٌّ أدعياءَ عاضٌّ كذا من أمّه . ثم أخذ الطبق في يده فحمله وتلقَّى به الموكب ، فما مرَّ به أحدٌ له نباهةٌ إلاّ مازحه ، حتى مضى القومُ جميعاً .

[مدح عبد الله حسن فأكرمه]

وقال هارون حدّثني أبو حُذافة السَّهميّ قال حدّثنا إسحاق بن نِسطاس قال : كان ابن هَرمة مشتهراً[2] بالنبيذ ، فأتى عبد الله بن حسن بن حسن وهو بالسَّيالة[3] ، فأنشده مديحاً له . فقام عبد الله إلى غنم كانت له ، فرمى بساجةٍ[4] عليها فافترقت فرقتين ، فقال : اختَرْ أيَّـهما شئت ، قال : فإمّا أن تكون زادت بواحدة أو نقصت بواحدة على الأُخرى . قال : وكانت ثلاثمائة ، وكتب له إلى المدينة بدنانير . فقال له : يا ابنَ هرمة ، انقُل عيالك إلينا يكونوا مع عيالنا . فقال : أفعلُ يا ابن رسول الله ﷺ .

[دعاه صديق وهو يزمع السفر إلى النبيذ فشرب حتى حُمل سكران]

ثم قدِم ابن هرمة المدينة وجَهَّز عيالَه لينقلهم إلى عبد الله بن حسن ، واكترى من رجلٍ من مُزَينة . فبينا هو قد شَدّ متاعه وحمله والكرِيُّ[5] ينتظره أن يتحمَّل ، إذ أتاه صديق له ، فقال : أي أبا إسحاق ، عندي والله نبيذٌ يُسقِط لحمَ الوجه . فقال : ويحك ! أما ترانا على مثل هذه الحال ! أعليها يمكن الشراب ! فقال : إنّما هي ثلاثة لا تَزِدْ عليهنّ شيئاً . فمضى معه وهم وقوف ينظرون ؛ فلم يزل يشرب حتى مضى من الليل صدرٌ صالح ؛ ثم أُتي به وهو سكران ، فطُرِح في شِقِّ المَحمِل وعادلته امرأته ومضَوْا .

[لامته امرأته على ذلك فأجابها بشعر]

فلمّا أسْحَروا رفع رأسه فقال : أين أنا ؟ فأقبلت عليه امرأته تلومه وتعذُله ، وقالت :

---

1 المطرقة : الذين يتقدّمون الموكب ويفسحون له الطريق .

2 ل : مستهتراً .

3 السيالة : موضع قرب المدينة .

4 الساجة : هنا واحدة الساج وهو نوع من الخشب .

5 الكري : المكاري .

قد أفسد عليك هذا النبيذُ دِينَك ودنياك ، فلو تعلَّلت عنه بهذه الألبان ! فرفع رأسه إليها وقال[1] : [من الكامل]

لا نبتغي لبـنَ البعيرِ وعندنـا مـاءُ الزَّبيبِ وناطفُ المِعْصارِ

[هو أحد من ختم بهم الشعراء في رأي الأصمعيّ]

أخبرنا محمد بن خَلَفٍ وكيعٌ قال حدّثنا زكريّا بن يحيى بن خلاّد قال : كان الأصمعيّ يقول : خُتِم الشعراءُ بابن هرمة ، والحَكَم الخُضريّ ، وابن ميّادة ، وطُفَيلٍ الكِنانيّ ، ومَكِينٍ العُذْريّ .

[رهن رداءه في النبيذ]

قال هارون بن محمد بن عبد الملك حدّثني أبو حُذافة السَّهْميّ أحمد بن إسماعيل قال : كان ابن هرمة مُدمناً للشراب مُغرَماً به ؛ فأتى أبا عمرو بن أبي راشد مولى عدوان ؛ فأكرمه وسقاه أيّاماً ثلاثة . فدعا ابن هرمة بالنبيذ ؛ فقال له غلامٌ لأبي عمرو بن أبي راشد : قد نَفد نبيذُنا . فنزع ابن هرمة رداءَه عن ظهره فقال للغلام : اذهَبْ به إلى ابن حونك[2] (نبَّاذ كان بالمدينة) ، فارهنه عنده وأْتِنا بنبيذٍ ، ففعل . وجاء ابن أبي راشد ، فجعل يشرب معه من ذلك النبيذ . فقال له : أين رِداؤك يا أبا إسحاق ؟ فقال : نصفٌ في القدح ونصفٌ في بطنك .

[مدح محمد بن عمران الطلحيّ فاحتجب عنه]

قال هارون حدّثني محمد بن عمر بن إسماعيل بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف الزُّهريّ قال حدّثني عمِّي عبد العزيز بن إسماعيل قال : مدح ابن هرمة محمد بن عِمران الطَّلحيّ ، وبعث إليه بالمديح مع ابن رُبَيح[3] ، فاحتجب عنه ؛ فمدح محمد بن عبد العزيز ، وكان ابن هرمة مريضاً ، فقال قصيدته التي يقول فيها[4] : [من الكامل]

إنِّي دعوتُكَ إذْ جُفِيتُ وشَفَّني مرضٌ تَضاعفني شديدُ المُشْتكى
وحُبِسْتُ عن طلب المَعِيشةِ وارتقتْ دوني الحوائجُ في وُعـورِ المرْتَقى
فأَجِبْ أخاك فقد أنـافَ بصوته يا ذا الإخاء ويا كريمَ المُرْتَجى
ولقد حُفِيتَ صَبيبَ عُكَّـةِ بَيْتِنا ذَوباً ومِزْتَ بصَفْوِه عنك القَذى[5]

1 ديوان ابن هرمة : 130 عن الأغاني
2 ل : ابن حوقل .
3 هو راوية ابن هرمة .
4 ديوان ابن هرمة : 54 عن الأغاني .
5 حفيت في ل : حبيت . وحبيت وحفت بمعنى أعطيت . ذوباً : عسلاً .

فخُـذِ الغَنيمـةَ واغتنمني إنَّنـي غُنْمٌ لمثلـك والمكـارمُ تُشْتَرى
لا تَرْمِيَـنَّ بحاجتـي وقضائهـا ضَرْحَ الحجاب كما رَمى بي مَنْ رَمَى

فركِبَ إلى جعفر بن سليمان نصف النَّهار ؛ فقال : ما نَزَعك[1] يا أبا عبد الله في هذا الوقت ؟ قال : حاجةٌ لم أَرَ فيها أحداً أكفى منّي . قال : وما هي ؟ قال : قد مَدحني ابن هرمة بهذه الأبيات ، فأردتُ من أرزاقي مائةَ دينار . قال : ومِنْ عندي مثلُها قال : ومن الأمير أيضاً ! قال : فجاءتِ المائتا الدينار إلى ابن هرمة ، فما أنفق منها إلاّ ديناراً واحداً حتى مات . وورِثَ الباقي أهله .

[طلب من أبي جعفر أن يحتال له في إباحة الشراب]

وقال أحمد بن أبي خَيثَمة عن أبي الحسن المدائنيّ قال : امتدح ابن هرمة أبا جعفر فوصَله بعشرة آلاف درهم . فقال : لا تَقَع مني هذه . قال : ويحك ! إنّها كثيرة . قال : إنْ أردتَ أن تَهْنِئني فأَبِح لي الشراب فإنّي مُغرمٌ به . فقال : ويحك ! هذا حدٌّ من حدود الله . قال : احتَل لي يا أمير المؤمنين . قال نعم . فكتب إلى والي المدينة : مَن أتاك بابن هرمة سكرانَ فاضربه مائةً واضرب ابن هرمة ثمانين . قال : فجعل الجِلواز[2] إذا مرّ بابن هرمة سكران ، قال : مَن يشتري الثمانين بالمائة ! .

[امتدح الحسن بن زيد وعرض بعبد الله بن حسن وأخويه]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثني أبو زيد عمر بن شبّة قال حدّثنا أبو سلمة الغِفاريّ قال أخبرنا ابن رُبَيح راوية ابن هرمة قال : أصابت ابن هرمة أَزمةٌ ؛ فقال لي في يوم حارٍّ : اذهب فتَكارَ حمارَين إلى ستّة أميال ، ولم يُسَمِّ موضعاً . فركِب واحداً وركبتُ واحداً ، ثم سِرنا حتى صِرنا إلى قصور الحسن بن زيد ببَطحاء ابن أَزهر ، فدخلنا مسجده . فلمّا مالت الشمس خرج علينا مُشتملاً على قميصه ، فقال لمولًى لـه : أَذِّنْ فـأذّن ، ولم يكلّمنا كلمةً . ثم قال له : أَقِم فأقام ، فصلّى بنا ، ثم أقبل على ابن هرمة فقال : مرحباً بك يا أبا إسحاق ، حاجَتك ؟ قال : نعم ، بأبي أنت وأُمّي ، أبياتٌ قلتُها ، وقد كان عبد الله وحسنٌ وإبراهيم بنو حسن بن حسن وعدُوه شيئاً فأخلفوه ، فقال : هاتِها . فقال[3] : [من البسيط]

أمّا بَنو هاشمٍ حوْلي فقـد قَرَعُوا نَبْلَ الضِّبابِ التي جَمَّعتُ في قَرَنِ[4]

1 ما نزعك : ما حرّكك من مكانك .
2 الجلواز : الشرطي .
3 ديوان ابن هرمة : 230-233 .
4 الضباب هنا : الأحقاد . أي أنّهم أظهروا حقدهم وعداوتهم وأنا كتمتها .

فمـا بِيَثْرِبَ منهـم مَـنْ أُعاتِبُه   إلاّ عَوائـدَ أرجوهنّ مـن حَسَنِ
اللهُ أعطـاك فضـلاً مِـنْ عَطِيّتِه   على هَنٍ وهَنٍ فيما مَضى وهَنِ[1]

قال : حاجتك ! قال : لابن أبي مُضَرِّسٍ عليّ خمسون ومائة دينار . قال : فقال لمولى لـه : يا هيثم ، اركـب هذه البغلة فـأْتِني بابن أبي مُضَرِّس وذِكر حَقّه[2] . قال : فما صَلَّينا العصر حتى جاء به . فقال له : مرحباً بك يا ابن أبي مُضَرِّس ، أمعك ذِكرُ حَقِّك على ابن هرمة ؟ قال نعم . قال : فامْحُه ، فمحاه . ثم قال : يا هيثم ، بعِ ابن أبي مُضَرِّس من تمر الخانقين[3] بمائة وخمسين ديناراً وزِده على كلّ دينار ربع دينار ، وكِلِ ابن هرمة بخمسين ومائة دينارٍ تمراً ، وكِلِ ابن رُبيح بثلاثين ديناراً تمراً . قال : فانصرفنا من عنده ؛ فلقِيَه محمد بن عبد الله بن حسن بالسَّيالة ، وقد بلغه الشعر ، فغَضِب لأبيه وعُمومته فقال : أيْ ماصَّ بَظْرِ أُمّه ! أنت القائل :

على هَنٍ وهَنٍ فيما مَضَى وهَنِ

فقال : لا والله ! ولكنّي الذي أقول لك[4] :   [من البسيط]

لا والذي أنتَ منه نِعمةٌ سَلَفتْ   نرجـو عَواقِبَهـا في آخِـرِ الزَّمَنِ
لقد أُتِيتُ بأمـرٍ مـا عَمَدتُ له   ولا تعمَّـده قولـي ولا سَنَني
فكيف أمشي مع الأقـوام معتـدلاً   وقـد رَمَيتُ بَرِيءَ العُودِ بالأُبَنِ[5]
مـا غيَّرتْ وجهَـه أُمٌّ مُهَجِّنَـةٌ   إذا القَتامُ تَغَشّى أوجُـهَ الهُجُنِ

قال : وأمّ الحسن أمّ ولد .

[لمّا عرض بعبد الله بن حسن وإخوته قطع عنه ما كان يجريه عليه]

قال هارون : فحدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أيّوب بن عَباية قال : لمّا قال ابنُ هرمة هذا الشعر في حسن بن زيد ، قـال عبد الله بن حسن : والله مـا أراد الفاسق غيري وغير أخـوَيّ : حسنٍ وإبراهيـم . وكان عبد الله يُجرِي على ابن هرمة رزقاً فقطعه عنه وغَضِب عليه . فأتاه يعتذر ، فنُحّي وطُرِدَ ؛ فسأل رجالاً أن يكلّموه ، فردَّهم ؛ فيئس من رضاه واجتنبه وخافه . فمكث ما شاء الله ، ثم مرّ عشيّةً وعبد الله على زَرْبِيَّة في ممرّ المِنبر ، ولم تكن تُبسَطُ

1 هن : كلمة يكنى بها عن الاسم . وكررها ثلاثاً لأنّه أراد ثلاثة أشخاص .
2 ذكر الحق : الصك الذي يكتب فيه الدَّين .
3 الخانقان : موضع بالمدينة .
4 ديوان ابن هرمة : 234–235 .
5 الأبن : جمع أبنة وهي العقدة في العود تفسده . ويقال : ليس في حسب فلان أبنة أي عيب .

لأحدٍ غيره في ذلك المكان . فلمّا رأى عبد الله تضاءل وتَقَنْفَذَ وتصاغر وأسرع المشيَ . فكأنّ عبد الله رقَّ له ، فأمر به فرُدَّ عليه ، فقال : يا فاسقُ ، يا شاربَ الخمر ، على هَنٍ وهَنٍ ! أتُفَضِّل الحسنَ عليّ وعلى أخويّ ! فقال : بأبي أنت وأُمّي ! ورَبِّ هذا القبر ما عَنَيتُ إلاّ فرعونَ وهامانَ وقارونَ ، أفتغضَب لهم ! فضحِك وقال : واللهِ ما أحسَبُك إلاّ كاذباً . قال : والله ما كذَبْتُك . فأمَر بأن تُرَدَّ عليه جِرايتُه .

أخبرني يحيى بن عليّ إجازةً قال أخبرني أبو أيُّوبَ المدينيّ عن مُصعب قال : إنّما اعتذر ابن هرمة بهذا إلى محمد بن عبد الله بن حسن .

[قصيدة له خالية من الحروف المعجمة]

قال يحيى : وأخبرني أبو أيُّوب عن عليّ بن صالح قال[1] : أنشدني عامر بن صالح قصيدةً لابن هرمة نحواً من أربعين بيتاً ، ليس فيها حرف يُعجم ؛ وذكر هذه الأبيات منها . ولم أجد هذه القصيدة في شعر ابن هرمة ، ولا كنتُ أظنّ أنّ أحداً تقدَّم رُزَيناً العَروضيّ إلى هذا الباب . وأوّلها : [من البسيط]

أَرَسْمُ سَوْدَةَ أمسى دارسَ الطَّلَلِ مُعَطَّلاً ردّه الأحوالُ كالحُلَلِ

هكذا ذكر يحيى بن عليٍّ في خبره أنّ القصيدة نحوٌ من أربعين بيتاً ؛ ووجدتها في رواية الأصمعيّ ويعقوب بن السِّكِّيت اثني عشر بيتاً ، فنسختُها هاهنا للحاجة إلى ذلك . وليس فيها حرف يُعجم إلاّ ما اصطلح عليه الكُتَّاب من تصييرهم مكانَ ألفٍ ياءً مِثل «أَعْلَى» فإنّها في اللفظ بالألف وهي تكتب بالياء ، ومثل «رَأَى» ونحو هذا ، وهو في التحقيق في اللفظ بالألف ، وإنّما اصطلح الكُتَّاب على كتابته بالياء كما ذكرناه . والقصيدة : [من البسيط]

أَرَسْمُ سَوْدَةَ مَحْلٌ دارسُ الطَّلَلِ مُعَطَّلٌ رَدَّه الأحوالُ كالحُلَلِ
لمّا رأى أهلَها سَدّوا مَطالِعَها رام الصُّدودَ وعاد الوُدُّ كالمُهُلِ
وعاد وُدُّك داءً لا دواءَ له ولو دعاك طَوالَ الدّهرِ للرِّحَلِ
ما وَصْلُ سَوْدَةَ إلاّ وَصْلُ صارمةٍ أحلها الدهرُ داراً مأْكَلَ الوَعِلِ
وعاد أمواهُها سُدْماً[2] وطارَ لها سَهْمٌ دعا أهلَها لِلصُّرْم والعِلَلِ
صَدُّوا وصدّ وساء المرءَ صَدُّهُمُ وحام للوِرْدِ رَدْهاً حَوْمَةَ العَلَلِ

حومة الماء ، كَثرته وغمرته . والعلل : الشُّرْب الثاني . والرَّدْهُ : مستنقَع الماء .

1 ديوان ابن هرمة : 179–181 عن الأغاني .

2 سُدْماً : متغيرة .

وحَلَّـوْهُ رِداهـاً ماؤُهـا عَسَلٌ ... مـا مـاءُ رَدْهٍ لَعَمْرُ اللهِ كالعَسَلِ
دعـا الحَمامُ حَماماً سَدَّ مَسْمَعَه ... لَمّـا دعـاه رآه طامـحَ الأَمَلِ
طُمُوحَ سارحـةٍ حَـوْمٍ مُلَمَّعَةٍ ... ومُمْرِعُ السرِّ سهلٌ ماكِدُ السَّهَلِ[1]
وحاولوا رَدَّ أمـرٍ لا مَرَدَّ لـه ... والصُّرْمُ داءٌ لأهلِ اللَّوْعةِ الوُصُلِ
أحَلَّـكَ اللهُ أعْـلى كلِّ مَكْرُمـةٍ ... واللهُ أعطاك أعـلى صـالحِ العَمَلِ
سهـلٌ مَـوارِدُهُ سَمْحٌ مَواعِـدُهُ ... مُسَوَّدٌ لِكِـرامٍ سادةٍ حُمُـلِ

[عاب المسوّر بن عبد الملك شعره]

قال يحيى بن عليّ وحدّثني أبو أيُّوب المدينيّ عن أبي حُذَيفة قال : كان المُسَوَّر بن عبد الملك المخزوميّ يَعيب شعرَ ابن هرمة ، وكان المُسَوَّرُ هذا عالِماً بالشعر والنَّسب ؛ فقال ابن هرمة فيه[2] : [من البسيط]

إيّاكَ لا أُلْزِمَنْ لَحْيَيْكَ من لُجُمي ... نِكْلاً يُنَكِّلُ قَرّاصاً مـن اللُّجُمِ
يَـدُقُّ لَحْيَيْكَ أو تنقـادَ مُتَّبِعاً ... مَشْيَ المُقَيَّدِ ذي القِرْدانِ والحَلَمِ
إنّي إذا ما امـرؤٌ خَفَّتْ نَعامَتُهُ ... إليّ واسْتَحْصَدتْ منه قُوى الوَذَمِ[3]
عقـدتُ في مُلْتَقى أوداجِ لَبَّتِه ... طَوقَ الحمامةِ لا يَبْلى على القِدَمِ
إنّي امرؤٌ لا أصوغ الحَلْيَ تَعْمَلُه ... كَفّايَ لكن لِساني صائـغُ الكَلِمِ
إنَّ الأديمَ الذي أمسيتَ تَقْرِظُه ... جَهْلاً لذو نَغَلٍ بـادٍ وذو حَلَمِ[4]
ولا يَئِـطُّ بأيـدي الخالقِينَ ولا ... أيـدي الخوالِقِ إلاّ جَيِّدُ الأَدَمِ

[عاتب عبد الله بن مصعب في تفضيله ابن أذينة عليه]

قال يحيى وحدّثني أبو أيُّوب عن مُصعب بن عبد الله عن أبيه قال : لَقِيَني ابن هَرْمةَ فقال لي : يا ابن مُصعب ، أتُفضِّل عليّ قولَ ابن أُذَيْنةَ ! أما شكرتَ قولي[5] : [من الطويل]

فما لَـكَ مُخْتَـلاً عليـك خَصاصةٌ ... كأنّك لم تَنْبُت ببعض المَنابتِ

---

1 السارحة : الماشية . الحوم : القطيع الضخم . الملمع : الذي في جسده بقع تخالف لونه . السر هنا : بطن الوادي . الماكد : الدائم غير المنقطع .
2 ديوان ابن هرمة : 214 .
3 استحصدت قواها : أحكم فتلها . الوذم : سيور مستطيلة .
4 نغل : فساد ، والحلم : فساد في الجلد .
5 ديوان ابن هرمة : 74 .

كأنَّك لم تَصْحَبْ شُعَيْبَ بنَ جَعْفرٍ ولا مُصْعباً ذا المَكْرُماتِ ابنَ ثابتِ

يعني مُصعب بن عبد الله ، قال : فقلت : يا أبا إسحاق ، أقِلْني ورَوِّني من شعرك ما شئتَ ؛ فإنّي لم أَروِ لك شيئاً . فروّاني عَبّاسيَّاته تلك .

[ثناؤه على إبراهيم بن عبد الله وإبراهيم بن طلحة لإكرامهما له]

قال يحيى : وأخبرني أبو أيُّوب المدينيّ عن مُصعب بن عبد الله عن مُصعَب بن عثمان قال : قال ابن هرمة[1] : ما رأيتُ أحداً قطُّ أسخى ولا أكرم من رجلين : إبراهيم بن عبد الله بن مُطيع ، وإبراهيم بن طلحة بن عمرو بن عبد الله بن مَعْمَر . أمّا إبراهيم بن طلحة فأتيته فقال : أَحْسِنوا ضِيافةَ أبي إسحاق ، فأتيتُ بكلِّ شيء من الطعام ، فأردت أن أُنشِدَه ؛ فقال : ليس هذا وقتَ الشعر . ثم أخرج الغلام إليّ رُقعة فقال : ائتِ بها الوكيل . فأتيتُه بها ، فقال : إنْ شئتَ أخذتُ لك جميع ما كتب به ، وإن شئتَ أعطيتُك القيمة . قلت : وما أَمَر لي به ؟ فقال : مائتا شاةٍ برعائها وأربعة أجمالٍ وغلامٌ جَمَّالٌ ومِظَلَّة وما تحتاج إليه ، وقُوتُك وقوتُ عِيالِك سنةً . قلت : فأَعْطِني القيمة ؛ فأعطاني مائتي دينار . وأمّا إبراهيم بن عبد الله فأتيته في منزله بمُشاش[2] على بئر ابن الوليد بن عثمان بن عَفّان ؛ فدخل إلى منزله ثم خرج إليّ برُزمة من ثياب وصُرَّةٍ من دراهم ودنانير وحُليّ ، ثم قال : لا واللهِ ما بَقّينا في منزلنا ثوباً إلاّ ثوباً نُوارِي به امرأةً ، ولا حَلياً ولا ديناراً ولا درهماً . وقال يمدح إبراهيم[3] : [من الخفيف]

أَرَّقتْني تَلُومُني أُمُّ بكرٍ بعد هَدْءٍ[4] واللَّوْمُ قد يُؤْذِيني

حَذَّرَتْني الزمانَ ثُمَّتَ قالتْ ليس هذا الزمانُ بالمأمونِ

قلتُ لمّا هَبَّتْ تُحَذِّرني الدَّهْـ ـرَ دَعِي اللَّوْمَ عنكِ واسْتَبْقِيني

إنّ ذا الجُودِ والمَكارِمِ إبرا هيمَ يَعْنيه كلُّ ما يَعْنِيني

قد خَبَرْناه في القديم فألفيْـ ـنا مَواعِيدَه كعَيْنِ اليقينِ

قلتُ ما قلتُ للّذي هو حقٌّ مستبينٌ لا لِلَّذي يُعْطِيني

نَضَحتْ أرضَنا سماؤك بعد الـ ـجَدْبِ منها وبعد سُوء الظُّنونِ

فرَعَيْنا آثارَ غَيْثٍ هَراقَتْـ ـهُ يَدا مُحْكَم القُوى ميمونِ

---

1 هذا الخبر ممّا أورده ابن حمدون في التذكرة 2 : 296 (رقم 770) .

2 مشاش : موضع .

3 ديوان ابن هرمة : 239–240 .

4 ل : فتر .

[طلب من محمد بن عمران علفاً فأعطاه كلّ ما ورده]

وقال هارون حدّثنا حمّاد عن عبد الله بن إبراهيم الحَجَبيّ : أنّ إبلاً لمحمد بن عِمران تحمل علفاً مرّتْ بمحمد بن عبد العزيز الزُّهريّ ومعه ابن هرمة ، فقال : يا أبا إسحاق ، ألا تستعلف محمدَ بن عِمران ! وهو يريد أن يُعَرّضه لَمْنعِه فيهجوه . فأرسل ابن هرمة في أثر الحَمُولة رسولاً حتى وقف على ابن عِمران ، فأبلغه رسالتَه ؛ فردّ إليه الإبل بما عليها ، وقال : إن احتجتَ إلى غيرها زِدناك . فأقبل ابن هرمة على محمد بن عبد العزيز فقال له : اغْسِلْها عنّي ، فإنّه إنْ علِم أنّي استعلفته ولا دابَّةَ لي وقعتُ منه في سَوْأة . قال : بماذا ؟ قال : تُعْطيني حمارَك . قال : هو لك بسَرْجه ولِجامه . فقال ابن هرمة : مَن حَفَر حفرةَ سوءٍ وقَع فيها[1] .

[وفد على السريّ بن عبد الله باليمامة ومدحه فأكرمه وكان يحبّ أن يفد عليه]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثنا أبو يحيى هارون بن عبد الله الزُّهريّ عن ابن زُرَيق ، وكان منقطعاً إلى أبي العبّاس بن محمد وكان من أَرْوى الناس ، قال : كنتُ مع السَّريّ بن عبد الله باليمامة ، وكان يتشوّق إلى إبراهيم بن عليّ بن هرمة ويُحِبُّ أن يَفِدَ عليه ؛ فأقول : ما يمنعك أن تكتب إليه ؟ فيقول : أخاف أن يكلّفني من المؤونة ما لا أُطيق . فكنت[2] أكتب بذلك إلى ابن هرمة ، فكَره أن يَقدَم عليه إلاّ بكتاب منه ؛ ثم طُلب فشخَص إليه ، فنزل عليَّ ومعه راويته ابن رُبَيح . فقلت له : ما مَنَعك من القدوم على الأمير وهو من الحِرص على قدومك على ما كتبتُ به إليك ؟ قال : الذي منعه من الكتاب إليّ . فدخلتُ على السَّريّ فأخبرته بقدومه ؛ فسُرَّ بذلك وجلس للناس مجلساً عامّاً ، ثم أُذِن لابن هرمة فدخل عليه ومعه راويته ابن رُبَيح . وكان ابن هرمة قصيراً دَميماً أُرَيْمِص[3] ، وكان ابنُ رُبَيْح طويلاً جسيماً نقيّ الثياب . فسلَّم على السَّرِيّ ثم قال له : أصلحك الله ! إنّي قد قلتُ شعراً أثنيتُ فيه عليك . فقال : أَنْشِد ؛ فقال : هذا يُنشد فجلس . فأنشده ابن رُبَيح قصيدتَه التي أوّلها[4] : [من البسيط]

عُوجا على رَبْعِ ليـلى أُمِّ محمودِ ... كيما نُسائلَه مـن دون عَبُّـودِ[5]

1 المثل رقم 4002 في مجمع الميداني : «من حفر مغوّاة وقع فيها» والمغواة حفر تغطّى للضبع والذئب وفي مستقصى الزمخشري 2 : 354 «من حفر لأخيه جباً وقع فيه منكباً» .

2 ل : فقلت .

3 أريمص : تصغير أرمص والرمص : ما يسيل من العين .

4 ديوان ابن هرمة : 101–103 .

5 عبود : جبل قريب من المدينة .

عن أُمِّ محمودَ إذ شَطَّ المَزارُ بها ... لعلّ ذلك يَشْفِي داءَ مَعمودِ
فعَرِّجا بعد تغويرٍ وقد وقفتْ ... شمسُ النهارِ ولاذ الظِّلُّ بالعُودِ[1]
شيئاً فما رَجَعتْ أطلالُ منزلةٍ ... قَفْرٍ جواباً لمحزونِ الجَوى مُودِي[2]

ثم قال فيها يمدح السريّ :

ذاك السَّرِيُّ الذي لولا تَدَفُّقُهُ ... بالعُرْفِ مُتْنا حليفُ المجدِ والجودِ
مَنْ يَعْتَمِدْكَ ابنَ عبدِ الله مجتدياً ... لِسَيْبِ عُرْفِك يَعْمِدْ خيرَ معمودِ
يا ابنَ الأُساةِ الشُّفاةِ المُسْتَغاثِ بهمْ ... والمُطْعِمِينَ ذُرى الكُومِ المَقاحِيدِ[3]
والسَّابقين إلى الخيراتِ قومَهُمُ ... سَبْقَ الجياد إلى غاياتها القُودِ[4]
أنت ابنُ مُسْلَنْطِحِ البطحاء مَنْبِتُكُمْ ... بطحاءِ مكّةَ لا روسُ القَرادِيدِ[5]
لَكُمْ سِقايَتُها قِدْماً ونَدْوَتُها ... قد حازها والدٌ منكمْ لمولودِ
لولا رجاؤك لم تَعْسِفْ بنا قُلُصٌ ... أجوازَ مهْمَهةٍ قَفْرِ الصُّوى بيدِ
لكنْ دعاني وميضٌ لاح معترضاً ... من نحو أرضِك في دُهمٍ مَناضِيدِ[6]

وأنشده أيضاً قصيدةً مدحه فيها ، أوّلُها[7] : [من الطويل]

أفي طَلَلٍ قَفْرٍ تَحَمَّلَ آهِلُهْ ... وقفتَ وماءُ العينِ يَنْهَلُّ هامِلُهْ
تُسائل عن سَلْمى سَفاهاً وقد نأتْ ... بسلمى نَوًى شَحْطٌ فكيف تُسائلُهْ
وترجو ولم يَنْطِقْ وليس بناطقٍ ... جواباً مُحِيلٌ قد تَحَمَّل آهِلُهْ
ونُؤْيٌ كخَطِّ النُّونِ ما إن تَبِينُه ... عَفَتْه ذيولُ من شَمالٍ تُذايِلُهْ

ثم قال فيها يمدح السَّرِيّ : [من الطويل]

فقُلْ للسَّرِيّ الواصِلِ البَرِّ ذي النَّدى ... مديحاً إذا ما بُثَّ صُدِّقَ قائلُهْ

---

1 تغوير في ل : تعويق .
2 مودي : هالك .
3 المقاحيد : النوق العظيمة السنام .
4 القود : الخيل الطويلة العنق .
5 القراديد : الأراضي الغليظة المرتفعة .
6 الدهم المناضيد : السحاب الأسود المتراكب .
7 ديوان ابن هرمة 174–175 عن الأغاني .

جوادٌ على العِــلاَّتِ يَهْتَزُّ للنَّدى كما اهتَزَّ عَضْبٌ أخلصتْـه صَياقِلُهْ
نَفى الظُّلْمَ عن أهل اليَمامــةِ عدلُه فعاشُوا وزاحَ الظُّلْمُ عنهم وباطلُهْ
وناموا بأَمْنٍ بعـد خوفٍ وشِدَّةٍ بسيرةِ عَـدْلٍ مـا تخافُ غوائلُهْ
وقــد عَلِم المعروفُ أنَّك خِدْنُه ويعلَم هــذا الجوعُ أنَّك قاتِلُهْ
بك اللهُ أحيا أرضَ حَجْرٍ وغيرَها من الأرض حتَّى عاشَ بالبَقْلِ آكلُهْ
وأنــت تُرَجَّى للَّذي أنــت أهلُه وتنفَــع ذا القُرْبى لديك وسائِلُهْ

وأنشده أيضاً ممّا مدحه به قوله :

عُوجا نُحَيِّ الطُّلولَ بالكُثُبِ[1]

يقول فيها يمدحه[2] : [من المنسرح]

دَعْ عنك سَلْمى وقُلْ مُحَبَّرةً لِماجِـدِ الجَدِّ طَيِّبِ النَّسَبِ
مَحْضٍ مُصَفَّى العُروقِ يحمَده في العُسْرِ واليُسْرِ كُلُّ مُرْتَغِبِ
الواهـبِ الخَيْـلِ في أَعِنَّتِهـا والوُصَفـاءِ الحِسانَ كالذَّهَبِ
مجداً وحمداً يُفيــدُه كَرَمـاً والحمدُ في الناسِ خيرُ مُكْتَسَبِ

قال : فلمّا فرغ ابن رُبيح ، قال السَّريّ لابن هرمة : مرحباً بك يا أبا إسحاق ! ما حاجتك ؟ قال : جئتك عبداً مملوكاً . قال : لا ! بل حُرّاً كريماً وابن عمّ ، فما ذاك ؟ قال : ما تركتُ لي مالاً إلاّ رهنتُه ، ولا صديقاً إلاّ كلَّفته ، قال أبو يحيى : يقول لي ابن زُرَيق : حتّى كأنّ له دَيَّاناً وعليه مالاً ، فقال له السَّريّ : وما دَيْنُك ؟ قال : سبعمائة دينار . قال : قد قضاها الله عزّ وجلّ عنك . قال : فأقام أيّاماً ، ثم قال لي : قد اشتقتُ . فقلت له : قل شِعراً تَشوَّقُ فيه . فقال قصيدته التي يقول فيها[3] : [من البسيط]

أألحمامةُ في نخـل ابن هَدّاجِ هاجَتْ صَبابةَ عانِي القلب مُهْتاجِ
أمِ المُخَبِّرُ أنّ الغَيْثَ قد وَضَعتْ منه العِشارُ تماماً غيرَ إخْداجِ
شَقَّتْ سَوائِفُها بالفَرْشِ من مَلَلٍ إلى الأَعارِفِ من حَزْنٍ وأولاجِ[4]

1 الكثب : موضع بديار طيّىء .
2 ديوانه : 68 .
3 ديوان ابن هرمة : 76–78 .
4 الفرش : اسم واد . ملل : موضع . الأعارف : جبال باليمامة . أولاج : جمع ولجة وهي ما غمض من الأرض .

حتى كأنّ وُجوهَ الأرض مُلْبَسةٌ طرائفاً من سَدى عَصْبٍ ودِيباجِ

وهي طويلة مختارة من شعره ، يقول فيها يمدح السَّريّ : [من البسيط]

أمَّا السَّرِيُّ فإنِّي سوفَ أمدَحُه ما المادحُ الذاكرُ الإحسانَ كالهاجي
ذاك الذي هو بعد اللهِ أنقذني فلستُ أنساه إنقاذي وإخراجي
لَيْثٌ بحَجْرٍ إذا ما هاجَه فَزَعٌ هاجَ إليه بإلْجامٍ وإسْراجِ
لأَحْبُوَنَّكَ ممّا أصْطَفِي مِدَحاً مُصاحِباتٍ لعُمَّارٍ وحُجَّاجِ
أسْدى الصنيعةَ من برٍّ ومن لَطَفٍ إلى قروعٍ لبابِ المُلْكِ وَلاَّجِ
كَمْ من يَدٍ لكَ في الأقوامِ قد سَلَفتْ عند امرىءٍ ذي غِنًى أو عند مُحْتاجِ

فأمر له بسبعمائة دينار في قضاء دَيْنه ، ومائة دينارٍ يتجهَّز بها ، ومائة دينار يُعَرِّض بها أهله ، ومائة دينارٍ إذا قَدِم على أهله .

قوله : «يُعَرِّض بها أهلَه» أي يُهدي لهم بها هديّة ، والعُراضة : الهَدِيّة . قال الفرزدق يهجو هشامَ بن عبد الملك[1] : [من الكامل]

كانتْ عُراضَتُكَ التي عَرَّضْتَنا يومَ المدينةِ زَكْمةً وسُعالا

[أنكر شعراً له في بني فاطمة خوفاً من العباسيين]

أخبرني الحِرْميُّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني نوفل بن ميمون قال أخبرني أبو مالك محمد بن عليّ بن هرمة قال : قال ابن هرمة[2] : [من المتقارب]

ومهما أُلامُ على حُبِّهِمْ فإنِّي أُحِبُّ بني فاطمهْ
بني بنت مَنْ جاء بالمُحْكَما تِ والدِّينِ والسُّنّةِ القائمهْ

فلَقيه بعد ذلك رجلٌ فسأله : مَن قائلها ؟ فقال : مَن عَضَّ بَظرَ أُمِّه . فقال له ابنه : يا أبتِ ، ألستَ قائلها ؟ قال بلى . قال : فلِمَ شتمتَ نفسَك ؟ قال : أليس أنْ يَعَضَّ المرءُ بَظْرَ أُمِّه خيراً من أن يأخذه ابن قَحطبة !

[خبره مع رجل يتجر بعرض ابنتيه]

أخبرنا الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنا جعفر بن مُدرِك الجَعديّ قال : جاء ابن هرمة إلى رجل كان بسوق النَّبَط ، معه زوجةٌ له وابنتان كأنَّهما ظَبْيَتان يقود عليهما ، بمال فدفعه إليه ،

1 لم نعثر على هذا البيت في ديوان الفرزدق .
2 ديوان ابن هرمة : 203–204 .

فكان يشتري لهم طعاماً وشراباً . فأقام ابن هرمة مع ابنتيه حتّى خَفَّ ذلك المال ، وجاء قومٌ آخرون معهم مالٌ ؛ فأخبرهم بمكان ابن هرمة ؛ فاستثقلوه وكَرِهوا أن يعلَم بهم ؛ فأمر ابنتيه ، فقالتا له : يا أبا إسحاق ، أما دَرَيتَ ما الناسُ فيه ؟ قال : وما هم فيه ؟ قالتا : زُلْزِلَ بالرَّوضة ، فتغافلهما . ثم جاء أبوهما مُتفازِعاً فقال : أي أبا إسحاق ، ألا تفزَع لِما الناس فيه ! قال : وما هم فيه ؟ قال : زُلْزِلَ بالرَّوضة . قال : قد جاءكم الآنَ إنسانٌ معه مال ، وقد نَفَضْتُ ما جئتكم به وثَقُلتُ عليكم ؛ فأردتَ إدخاله وإخراجي . أيُزَلزَلُ بروضةٍ من رياض الجنّة ويُترَك منزلُك وأنت تجمَع فيه الرجال على ابنتيك ! والله لا عدتُ إليه ! وخرج من عنده .

وروى هذا الخبر عن الزُّبير هارون بن محمد الزيّات فزاد فيه ، قال : ثم خرج من عندهم ، فأتى عبد الله بن حسن فقال : إنّي قد مدحتُك فاستمِع منّي . قال : لا حاجة لي بذلك ، أنا أُعطيك ما تريد ولا أسمع . قال : إذاً أسقُط ويكسُد سوقي . فسمِع منه وأمَر له بمائتي دينارٍ ؛ فأخذها وعاد إلى الرجل ، وقال : قد جئتك بما تُنفقه كيف شئتَ . ولم يزل مقيماً عنده حتى نَفِدتْ .

[قصّته مع محمد بن عبد العزيز ومحمد بن عمران وغيرهما]

قال الزُّبير : وحدّثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد العزيز قال حدّثني عمّي عِمران بن عبد العزيز بن عُمَر بن عبد الرحمن بن عوف قال : وافَينا الحَجَّ في عامٍ من الأعوام الخالية ، فأصبحتُ بالسَّيالة ، فإذا إبراهيم بن عليّ بن هرمة يأتينا ؛ فاستأذن على أخي محمد بن عبد العزيز فأَذِن له ؛ فدخل عليه فقال : يا أبا عبد الله ، ألا أُخبرك ببعض ما تَسْتَظْرِف ؟ قال : بلى ، وربّما فعلتَ يا أبا إسحاق . قال : فإنّه أصبح عندنا هاهنا منذ أيّام محمد بن عِمران وإسماعيل بن عبد الله بن جُبَير ، وأصبح ابن عمران بجملين له ظالعين ، فإذا رسوله يأتيني أنْ أجبْ ؛ فخرجتُ حتى أتيتُه ؛ فأخبرني بظَلَع جمليه ، وقال لي : أردتُ أن أبعث إلى ناضحَيْن لي بعَمْقٍ[1] لعلّي أُوتى بهما إلى هاهنا لأَمضي عليهما ، ويصير هذان الظالعان إلى مكانهما . ففرِّغ لنا دارك واشترِ لنا علَفاً واستْلِفْه بجهدك ؛ فإنّا مُقيمون هاهنا حتى تأتينا جِمالُنا . فقلتُ : في الرُّحب والقُرب ، والدار فارغةٌ ، وزوجته طالقٌ إن اشتريتُ عُود عَلَفٍ ، عندي حاجتك منه . فأنزلتُه ودخلت إلى السوق ، فما أبقيت فيه شيئاً من رِسْلٍ[2] ولا جِداءٍ ولا طُرفةٍ ولا غيرِ ذلك إلاّ ابتعتُ منه فاخِره ، وبعثتُ به إليه مع دَجاجٍ كان عندنا . قال : فبينا أنا أدور في السوق إذ وقف عليَّ عبدٌ لإسماعيل بن عبد الله يُساوِمني بحِمْلِ عَلَفٍ لي ، فلم أزَل أنا وهو

1 عمق : اسم ماء في الحجاز .

2 الرِّسل : اللبن .

حتى أخذه منّي بعشرة دراهم ، وذهب به فطرَحه لظَهره . وخرجتُ عند الرَّواح أتقاضى العبد ثَمَنَ حِملي ، فإذا هو لإسماعيل بن عبد الله ولم أكن دَرَيتُ . فلمّا رآني مولاه حيَّاني ورحَّبَ بي ، وقال : هل من حاجةٍ يا أبا إسحاق ؟ فأعلمه العبد أنّ العَلَفَ لي . فأجلسني فتغدّيت عنده ، ثم أمرَ لي مكانَ كلّ درهم منها بدينار ، وكانت معه زوجته فاطمة بنت عبّاد ، فبعثت إليّ بخمسة دنانير . قال : وراحوا ، وخرجتُ بالدنانير ففرّقتها على غُرمائي ، وقلت : عند ابن عِمران عِوَضٌ منها . قال : فأقام عندي ثلاثاً ، وأتاه جملاه ، فما فَعَل بي شيئاً . فبينا هو يترحّل وفي نفسه منّي ما لا أدري به ، إذ كَلَّم غلاماً له بشيءٍ فلم يفهَم . فأقبل عليّ فقال : ما أَقدِر على إفهامه مع قُعودك عندي ، قد والله آذيتَني ومنعتَني ما أردتُ . فقمتُ مُغْتَمّاً بالذي قال ؛ حتى إذا كنتُ على باب الدار لَقِيَني إنسانٌ فسألني : هل فَعَل إليك شيئاً ؟ فقلتُ : أنا والله بخيرٍ إذْ تَلِفَ مالي ورَبِحتُ بَدَني . قال : وطَلَع عليّ وأنا أقولُها ، فشتمني والله يا أبا عبد الله حتّى ما أبقى لي ، وزَعَم أنّه لولا إحرامه لضربني ؛ وراح وما أعطاني درهماً . فقلت[1] : [من البسيط]

يا مَــنْ يُعِينُ على ضَيْفٍ أَلَـمَّ بنا	ليس بِذِي كَرَمٍ يُرْجى ولا دِينِ
أقـام عندي ثلاثـاً سُنَّةً سَلَفتْ	أغضيتُ منها على الأقذاء والهُونِ
مسافــةُ البيت عَشْرٌ غيرُ مُشْكِلةٍ	وأنــت تأتيــه في شَهْرٍ وعشرينِ
لستَ تُبالي فَواتَ الحَجِّ إن نَصِبتْ	ذاتُ الكَلالِ وأسمنتَ ابنَ حِرقِينِ
تحدّث النَّاسُ عمّا فيك من كَرَمٍ	هيهــاتَ ذاك لضِيفانِ المَساكينِ
أصبحتَ تَخْزُنُ ما تَحْوِي وتجمَعُه	أبــا سُليمــانَ مــن أشلاءِ قارونِ
مثلُ ابــن عِمْرانَ آباءٌ له سَلَفُوا	يَجْزُونَ فِعْلَ ذوي الإحسان بالدُّونِ
ألا تكــون كإسماعيــلَ إنّ لــه	رأيــاً أصيــلاً وفِعْــلاً غيرَ ممنونِ
أو مِثْــلَ زوجتِه فيمــا أَلَـمَّ بهــا	هيهاتَ مَــنْ أُمُّها ذاتُ النِّطاقَيْنِ

فلمّا أنشدها قال له محمد بن عبد العزيز : نحن نُعِينُك يا أبا إسحاق ؛ لقوله : «يا من يعين» . قال : قد رَفَعك الله عن العَون الذي أُريده ، ما أردتُ إلاّ رجلاً مثل عبد الله بن خِنْزيرة وطلحة أَطْباء الكَلْبة يُمسِكونه لي وآخذ خُوطَ سَلَمٍ فأُوجع به خَواصِرَه وجَواعِره . قال : ولَمَّا بلغ في إنشاده إلى قوله :

1 ديوان ابن هرمة : 240–241 عن الأغاني .

مثلُ ابن عمرانَ آباءٌ لـه سلفوا

أقبل عليّ فقال : عذراً إلى الله تعالى وإليكم ! إنّي لم أَعْنِ من آبائه طلحة بن عبيد الله . قال : ونزل إليه إسماعيل بن جعفر بن محمد ، وكان عندنا ، فلم يكلّمه حتّى ضرب أنفه ، وقال له : فَعَنَيْتَ من آبائه أبا سليمان محمد بن طلحة يا دَعِيّ ! قال : فدخلنا بينهما . وجاء رسول محمد بن طلحة بن عبيد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصِّدّيق رضي الله عنه إلى ابن هرمة يدعوه ، فذهب إليه . فقال له : ما الذي بلغني من هجائك أبا سليمان ! والله لا أرضى حتى تَحْلِفَ ألاّ تقولَ له أبداً إلاّ خيراً ، وحتى تلقاه فترضّاه إذا رجع ، وتحتمل كلَّ ما أَزَلّ إليك وتمدحه . قال : أفعلُ ، بالحُبِّ والكرامة . قال : وإسماعيل بن جعفر لا تَعرِضْ له إلاّ بخير ؛ قال نعم . قال : فأخذ عليه الأيمانَ فيهما وأعطاه ثلاثين ديناراً ، وأعطاه محمد بن عبد العزيز مثلَها . قال : واندفع ابن هرمة يمدح محمد بن عِمران[1] : [من الطويل]

ألَم تَـرَ أنّ القولَ يَخْـلُص صِدْقُه ... وتأبَـى فمـا تزكو لباغٍ بَواطِلُهْ

ذَمَمْتُ امـرءاً لم يَطْبَعِ الذَّمُّ عِرْضَه ... قليلاً لدى تحصيلِه مَنْ يُشاكِلُهْ[2]

فما بالحجاز من فَتًى ذي إمارةٍ ... ولا شَرَفٍ إلاّ ابنُ عِمْرانَ فاضِلُهْ

فَتًـى لا يَطُـورُ الذَّمُّ ساحةَ بيتِه ... وتشقَى بـه ليـلَ التِّمامِ عَواذِلُهْ[3]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهرُويَه قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثنا أحمد بن عمر الزُّهريّ قال حدّثنا أبو بكر بن عبد الله بن جعفر المِسْوَريّ قال : مدح إبراهيم بن هرمة محمد بن عمران الطَّلحيّ ، فألفاه راويته وقد جاءته عِيرٌ له تحمِل غَلَّةً قد جاءته من الفُرعِ أو خيبر . فقال له رجل كان عنده : أعلَمُ واللهِ أنّ أبا ثابت بن عمران بن عبد العزيز أغراه بك وأنا حاضر عنده وأخبره بِعيرِك هذه . فقال : إنّما أراد أبو ثابت أن يُعَرِّضَني للسانه ، قُودوا[4] إليه القِطارَ ، فقِيدَ إليه .

[طلب من عمر بن القاسم تمراً على ألاّ يعمل منه نبيذاً]

أخبرنا الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني يحيى بن محمد بن عبد الله بن عمر بن القاسم قال : جاء أبي تمرٌ من صدقة عُمر ؛ فجاءه ابن هرمة فقال : أَمْتَع الله بك ! أعطِني من هذا التَّمر . قال : يا أبا إسحاق ، لولا أنّي أخاف أن تعمَل منه نبيذاً لأعطيتك . قال : فإذا علمتَ

1 ديوان ابن هرمة : 176 .

2 يطبع : يدنس .

3 يطور : يقرب .

4 ل : فردوا .

أنّي أعمَل منه نبيذاً لا تُعطيني ؟ قال : فخافه فأعطاه . فلَقِيه بعد ذلك ؛ فقال له : ما في الدنيا أجود من نبيذ يجيء من صدقة عمر ؛ فأخجله .

[سمع جرير شعره فمدحه]

أخبرنا الحِرْميّ قال أخبرنا الزُّبير قال حدّثني عبد الملك بن عبد العزيز قال : قَدِم جرير المدينة ، فأتاه ابن هرمة وابنُ أُذَينة فأنشداه ؛ فقال جرير : القُرَشيّ أشعرُهما ، والعربيّ أفصحُهما .

[مدح المطّلب بن عبد الله فليم لمدحه غلاماً حديث السن]

أخبرنا يحيى بن عليّ إجازةً قال حدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثني عبد الله بن محمد : أنّ ابن هرمة قال يمدح أبا الحكم المطّلب بن عبد الله[1] : [من الكامل]

لَمّا رأيتُ الحادثاتِ كَنَفْنَني وأَوْرَثْنَني بُؤْسَى ذكرتُ أبا الحَكَمْ

سليلُ مُلوكٍ سبعةٍ قد تتابعوا همُ المُصْطَفونَ والمُصَفَّوْنَ بالكَرَمْ

فلاموه وقالوا : أتمدح غلاماً حديث السنّ بمثل هذا ! قال نعم ! وكانت له ابنةٌ يُلقّبها «عُيَيْنة» ، وقال الزُّبير : كان يلقِّبها «عينة» ، فقال[2] : [من البسيط]

كانتْ عُيَيْنَةُ فينا وهي عاطلةٌ بين الجَوارِي فحَلاَّها أبو الحَكَمِ

فمَنْ لَحانا على حُسْنِ المَقالِ له كان المُلِيمَ وكنّا نحن لم نُلِمِ

[شكا حاله لعبد العزيز بن المطّلب فأكرمه]

قال يحيى وحدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الزُّبيريّ عن نوفَل بن ميمون قال : أرسل ابن هرمة إلى عبد العزيز بن المطّلب بكتاب يشكو فيه بعض حاله ؛ فبعث إليه بخمسة عشر ديناراً . فمكث شهراً ثم بعث يطلب منه شيئاً آخر بعد ذلك ؛ فقال : إنّا والله ما نقوى على ما كان يقوى عليه الحَكَمُ بن المطّلب . وكان عبد العزيز قد خطب إلى امرأة من ولد عُمر فردّته ، فخطب إلى امرأة من بني عامر بن لُؤَيّ فزوّجوه . فقال ابن هرمة[3] : [من الطويل]

خطبتَ إلى كَعْبٍ فرَدُّوكَ صاغراً فحوّلتَ من كعبٍ إلى جِذْمِ عامرِ

وفي عامرٍ عِزٌّ قديمٌ وإنّما أجازك فيهم هزلُ أهل المقابرِ

وقال فيه أيضاً[4] : [من المتقارب]

1 ديوان ابن هرمة : 200 .
2 ديوان ابن هرمة : 217 .
3 ديوان ابن هرمة : 128 .
4 ديوان ابن هرمة : 199 .

أبالبُخْلِ تطلبُ ما قَدَّمتْ عرانينُ جادتْ بأموالها
فهيهاتَ ! خالفتَ فعلَ الكرامِ خلافَ الجِمالِ بأبوالها

[خبره مع امرأة تزوّجها]

وقال هارون بن محمد حدّثني مُغيرة بن محمد قال حدّثني أبو محمد السّهْميّ قال حدّثني أبو كاسب قال : تزوّج ابن هرمة بامرأة ؛ فقالت له : أعطِني شيئاً ؛ فقال : والله ما معي إلاّ نَعلاي ، فدفعهما إليها ، ومضى معها فتورّكها مراراً . فقالت له : أحْفَيْتَني ؛ فقال لها : الذي أحفى صاحبَه منّا يَعَضُّ بَظْرَ أُمّه .

[أغراه قوم بالحكم بن المطّلب بأن يطلب منه شاة كانت عزيزة عليه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهرويَه قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني المُسَيَّبيّ محمد بن إسحاق قال حدّثني إبراهيم بن سكرة جارُ أبي ضَمرة قال : جلس ابن هرمة مع قومٍ على شراب ، فذكر الحَكَمَ بن المطَّلب فأطنب في مدحه . فقالوا له : إنّك لتُكثِر ذكرَ رجلٍ لو طرقتَه الساعة في شاةٍ يقال لها «غَرّاء» تسأله إيّاها لردّك عنها . فقال : أهو يفعل هذا ؟ قالوا : إي والله . وكانوا قد عرفوا أنّ الحكم بها مُعجَبٌ ، وكانت في داره سبعون شاةً تُحلب . فخرج وفي رأسه ما فيه ، فدقّ الباب فخرج إليه غلامه . فقال له : أعلِم أبا مروان بمكاني ، وكان قد أَمَر ألاّ يُحجَبَ إبراهيم بن هرمة عنه ، فأعلمه به ، فخرج إليه مُتّشحاً فقال : أفي مثل هذه الساعة يا أبا إسحاق ! فقال : نعم جُعِلتُ فداك ، وُلِد لأخ لي مولود فلم تَدرّ عليه أمّه ، فطلبوا له شاةً حلوبةً فلم يجدوها ، فذكروا له شاةً عندك يقال لها «غَرّاء» ، فسألني أن أسألكها . فقال : أتجيء في هذه الساعة ثم تنصرف بشاة واحدة ! والله لا تبقى في الدار شاةٌ إلاّ انصرفتَ بها ، سُقْهنّ معه يا غلام ، فساقهنّ . فخرج بهنّ إلى القوم ، فقالوا : ويحك ! أيَّ شيء صنعت ! فقصّ عليهم القصّة . قال : وكان فيهنّ والله ما ثمنه عشرة دنانير وأكثر من عشرة .

[لمّا سمع بقتل الوليد أنشد شعراً في مدحه]

قال هارون وحدّثني حمّاد بن إسحاق قال ذكر أبي عن أيّوب بن عباية عن عمر بن أيُّوب الليثيّ قال : شرِب ابن هرمة عندنا يوماً فسكِر فنام . فلمّا حضرتِ الصلاة تحرّك أو حرّكته . فقال لي وهو يتوضّأ : ما كان حديثكم اليوم ؟ قلت يزعمون أنّ الوليد قُتِل ؛ فرفع رأسَه إليّ وقال[1] : [من الطويل]

1 ديوان ابن هرمة : 211–212 .

وكانت أُمورُ الناس مُنْبَتّةَ القُوى فشدَّ الوليدُ حين قام نِظامَها

خليفةُ حقٍّ لا خليفةُ باطلٍ رمَى عن قناة الدِّين حتى أقامَها

ثم قال لي : إيّاك أن تذكر من هذا شيئاً ؛ فإنّي لا أدري ما يكون .

[كان ابن الأعرابيّ يقول : ختم الشعراء بابن هرمة]

أخبرني عليّ بن سليمان النحويّ قال حدّثنا أبو العبّاس الأحول عن ابن الأعرابيّ : أنّه كان يقول : ختِم الشعراء بابن هرمة .

[سكر مرّة سِكراً شديداً فعتب عليه جيرانه]

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى قال أخبرني أحمد بن يحيى البَلاذُرِيّ : أنّ ابن هرمة كان مُغرَماً بالنبيذ ، فمرّ على جيرانه وهو شديد السُّكر حتى دخل منزله . فلمّا كان من الغد دخلوا عليه فعاتبوه على الحال التي رأوه عليها ؛ فقال لهم : أنا في طلب مثلها منذ دهر ، أمَا سمعتم قولي[1] : [من الخفيف]

أسألُ اللهَ سكرةً قبل موتي وصِياحَ الصِّبيان يا سكرانُ

قال : فنفضوا ثيابهم وخرجوا ، وقالوا : ليس يُفلِح والله هذا أبداً .

[لم يحمل جنازته إلاّ أربعة نفر]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال : أنشدني عمِّي لابن هرمة[2] : [من الخفيف]

ما أظنُّ الزمانَ يا أُمَّ عَمْرٍ تارِكاً إن هلكتُ من يَبْكِيني[3]

قال : فكان والله كذلك ؛ لقد مات فأخبرني مَن رأى جنازته ما يحملها إلاّ أربعةُ نفر ، حتى دُفِن بالبقيع .

[ولد سنة 90هـ ومدح المنصور وعمره خمسون سنة]

قال يحيى بن عليّ ، أُراه عن البَلاذُريّ : وُلِد ابن هرمة سنة تسعين ، وأنشد أبا جعفر المنصور في سنة أربعين ومائة قصيدته التي يقول فيها[4] : [من البسيط]

إنّ الغَواني قد أعرضن مَقْلِيَةً لمّا رمَى هَدَفَ الخمسين ميلادي

قال : ثم عُمِّر بعدها مدّة طويلة .

---

1 ديوان ابن هرمة : 229 .

2 ديوان ابن هرمة : 243 .

3 عَمْر في ل : سعد .

4 ديوان ابن هرمة : 107 .

[59] ـ ذكر أخبار يونس الكاتب

[نسبه]

هو يونس بن سليمان بن كُرْد بن شِهريار ، من ولد هُرْمُز . وقيل : إنّه مولًى لعمرو بن الزُّبير . ومنشؤه ومنزله بالمدينة . وكان أبوه فقيهاً ، فأسلمه في الديوان فكان من كُتَّابه . وأخذ الغِناء عن معبدٍ وابن سُرَيج وابن مُحرِز والغريض ، وكان أكثر روايته عن معبد ؛ ولم يكن في أصحاب معبد أحذقُ ولا أقوَمُ بما أُخذ عنه منه . وله غِناء حسن ، وصنعة كثيرة ، وشعرٌ جيِّد . وكتابه في الأغاني ونسبها إلى مَن غنَّى فيها هو الأصلُ الذي يُعمَل عليه ويُرجَع إليه . وهو أوّل مَن دوّن الغناء .

[شعر مسعود بن خالد في مدحه]

أخبرنا محمد بن خلف وكيعٌ قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق قال حدّثني أبي قال أنشدني مسعود بن خالد المُورِيانيّ لنفسه في يونس : [من السريع]

يا يونسُ الكاتبُ يا يونسُ   طابَ لنا اليومَ بك المجلسُ
إنّ المغنِّينَ إذا ما هُمُ   جاروْكَ أَخْنى بهمُ المقبسُ
تنشُر دِيباجاً وأشباهَه   وهم إذا ما نشروا كَرْبَسُوا[1]

[خرج مع بعض فتيان المدينة إلى دومة فتغنّوا ثم غنّى ابن عائشة ففرّق جمعهم]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال : ذكر إبراهيم بن قُدامة الجُمَحيّ قال : اجتمع فِتيانٌ من فتيان أهل المدينة فيهم يونس الكاتب وجماعة ممّن يُغنِّي فخرجوا إلى وادٍ يقال له دومة من بطن العقيق ، في أصحاب لهم فتَغَنَّوا ، واجتمع إليهم نساء أهل الوادي ، قال بعض مَن كان معهم : فرأيتُ حولَنا مثلَ مُراح الضأن ، وأقبل محمد بن عائشة ومعه صاحب له ؛ فلمّا رأى جماعة النساء عندهم حسَدَهم ، فالتفتَ إلى صاحبه فقال : أما والله لأُفرِّقَنَّ هذه الجماعة ! فأتى قصراً من قصور العقيق ؛ فعَلا سطحَه وألقى رداءه واتّكأ عليه وتغنّى : [من مجزوء الكامل]

صوت

هــذا مُقــامُ مُطَـرَّدٍ   هُدِمتْ منازلُـه ودُورُهْ

---

1 كربسوا : أتوا بالكرابيس وهي الثياب الخشنة .

رَقَّـى عليـه عُداتُـه ظلماً فعاقبـه أميرُهْ[1]

الغناء لابن عائشة رمل بالوسطى . والشعر لعبيد بن حُنَين مولى آل زيد بن الخَطَّاب ، وقيل : إنّه لعبد الله بن أبي كثير مولى بني مخزوم ، قال : فوالله ما قضى صوتَه حتى ما بَقِيتِ امرأةٌ منهنّ إلاّ جلستْ تحت القصر الذي هو عليه وتفرّق عامّة أصحابهم . فقال يونس وأصحابه : هذا عملُ ابنِ عائشة وحسَدُه .

[صاحب الشعر الذي تغنّى به ابن عائشة]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عُمَر بن شَبَّة قال حدّثنا أبو غسّان محمد بن يحيى عن أبيه قال : تزوّج عبد الله بن أبي كثير مولى بني مخزوم بالعراق في ولاية مُصعَب بن الزُّبير امرأةً من بني عبد بن بَغِيض بن عامر بن لُؤَيّ ، ففرّق مصعبٌ بينهما . فخرج حتى قَدِم على عبد الله بن الزُّبير بمكّة فقال : [من مجزوء الكامل]

هـذا مُقـامُ مُطـرَّدٍ هُدِمـتْ منازلُـهُ ودورُهْ
رَقَّـتْ عليـه عُداتُـه كَذِبـاً فعاقبـه أميرُهْ
في أنْ شَرِبتُ بجـمٍّ مـا ءٍ كان حِـلاًّ لي غَدِيرُهْ
فلقـد قطعتُ الخَـرْقَ بعـ ـد الخرقِ مُعْتَسِفاً أسيرُهْ
حتّى أتيـتُ خليفـةَ الـ ـرَّحمن ممهـوداً سريرُهْ
حَـيَّيْتُـه بتَحِيّـةٍ في مجلسٍ حضرتْ صُقُورُهْ

فكتب عبد الله إلى مصعب : أن ارْدُدْ عليه امرأته ؛ فإنّي لا أُحَرِّم ما أحلَّ الله عزّ وجلّ ؛ فردّها عليه . هذه رواية عُمر بن شبّة .

وأخبرني الحسن بن عليّ عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن المدائنيّ عن سُحَيم بن حفص : أنَّ المتزوّج بهذه المرأة عبيد بن حُنين مولى آل زيد بن الخطّاب ، وأنّ المفرِّق بينهما الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة الذي يقال له القُباع ؛ وذكر باقيَ الخبر مثل الأوّل .

[ذهب إلى الشام فبعث إليه الوليد بن يزيد ليغنّيه ثم وصله]

أخبرني عمّي قال حدّثني طلحة بن عبد الله الطَّلْحيّ قال حدّثني أحمد بن الهيثم قال : خرج يونس الكاتب من المدينة إلى الشام في تجارة ؛ فبلغ الوليد بن يزيد مكانه ؛ فلم يشعر يونس إلاّ برسله قد دخلوا عليه الخان ، فقالوا له : أجِبِ الأمير ، والوليد إذ ذاك أمير ، قال :

1 رقى عليه عداته : تقوّلوا عليه ما لم يقل .

فنهضتُ معهم حتى أدخلوني على الأمير ، لا أدري مَن هو ، إلاّ أنّه من أحسن الناس وجهاً وأنبلِهم ، فسلّمت عليه ، فأمرني بالجلوس ، ثم دعا بالشراب والجواري ؛ فكنّا يومنا وليلتنا في أمر عجيب . وغنّيته فأُعجِب بغنائي إلى أن غنَّيته : [من الخفيف]

إنْ يَعِشْ مُصعَبٌ فنحن بخيرٍ قد أتانا مِنْ عيشنا مـا نُرَجِّي

ثم تنبَّهتُ فقطعتُ الصوت . فقال : مالَكَ ؟ فأخذتُ أعتذر من غنائي بشعرٍ في مُصعب . فضحِك وقال : إنّ مُصعباً قد مضى وانقطع أثره ولا عداوة بيني وبينه ، وإنّما أريد الغناء ، فأَمْضِ الصوت ؛ فعُدتُ فيه فغنَّيته . فلم يَزَل يَستَعِيدُنيه حتى أصبح ، فشرِب مُصطَبِحاً وهو يستعيدني هذا الصوت ما يتجاوزه حتى مضت ثلاثة أيّام . ثم قلتُ له : جعلني الله فداءَ الأمير ! أنا رجلٌ تاجرٌ خرجتُ مع تجّار وأخاف أن يرتحلوا فيَضيع مالي . فقال لي : أنت تغدو غداً ؛ وشَرِب باقي ليلته ، وأمر لي بثلاثة آلاف دينار فحُمِلتْ إليّ ، وغدوتُ إلى أصحابي . فلمّا خرجتُ من عنده سألتُ عنه ، فقيل لي : هذا الأمير الوليد بن يزيد وليّ عهد أمير المؤمنين هشام . فلمّا استُخلِفَ بعث إليّ فأتيته ، فلم أَزل معه حتى قُتِل .

[أصواته المعروفة بالزيانب]

صوت
من المائة المختارة

[من الرمل]

أقصدتْ زينبُ قلبـي بعدما ذهَب الباطـلُ عنّـي والغَزَلْ
وعَلا المَفْـرِقَ شيبٌ شامِـلٌ واضِحٌ في الرأس منّي واشْتَعلْ

الشعر لابن رُهَيمة المَدَنيّ ، والغناء في اللحن المختار لعُمَر الوادي ثاني ثقيلٍ بالبنصر في مجراها عن إسحاق . وفيه ليونس الكاتب لحنان : أحدُهما خفيف ثقيلٍ أوّل بالبنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق ، والآخر رمل بالسبابة في مجرى البنصر عنه أيضاً . وفيه رَمَلان بالوسطى والبنصر : أحدُهما لابن المكّيّ ، والآخرُ لحَكَم ، وقيل : إنّه لإسحاق من رواية الهشاميّ . ولحنُ يونس في هذا الشعر من أصواته المعروفة بالزيانب ، والشعر فيها كلِّها لابن رُهَيمة في زينب بنت عِكرِمة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ؛ وهي سبعة : أحدُها قد مضى . والآخرُ : [من مجزوء الرمل]

صوت

أقصدتْ زينبُ قلبي وسَبَتْ عقلي ولُبِّي
تركتْني مُستهاماً أستغيثُ اللهَ رَبِّي
ليس لي ذنبٌ إليها فتُجازيني بذَنْبي
ولها عندي ذنوبٌ في تَنائيها وقُربي

غنّاه يونس رملاً بالبنصر . وفيه لحَكم هَزَجٌ خفيف بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق .

ومنها : [من مجزوء الكامل]

صوت

وَجَد الفؤادُ بزينبا وَجْداً شديداً مُتْعبا
أصبحتُ من وَجْدِي بها أُدْعى سقيماً مُسْهَبا[1]
وجعلتُ زينبَ سُتْرةً وَأتيتُ أمراً مُعجِبا

غنَّاه يونس ثقيلاً أوّل مطلقاً في مجرى البنصر عن عمرو وإسحاق ، وهو ممّا يُشَكّ فيه من غناء يونس . ولعُلَيَّة بنت المهديّ فيه ثقيلٌ أوّلُ آخَر لا يُشكُّ فيه أنّه لها ، كَتَبْتُ فيه عن رشأ الخادم ، وذكر أحمد بن عبيد أنّ فيه من الغناء لحنين هما جميعاً من الثقيل الأوّل ليونس ، ومن لا يعلم يزعمُ أنّ الشِّعر لها .

ومنها : [من مجزوء الخفيف]

صوت

إنّما زينبُ المُنَى وهِي الهمُّ والهَوى
ذاتُ دَلٍّ تُضْني الصَّحِيـ ـحَ وتُبْرِي من الجَوى[2]
لا يُغَرَّنْكِ أنْ دعَوْ تِ فُؤادي فما الْتَوى[3]
واحْذَري هِجْرةَ الحبيـ ـبِ إذا مَلَّ وانزَوى

غنّاه يونس رملاً بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق .

---

1 مسهب : ذهب عقله .

2 تضني الصحيح في ل : تصبي الحليم .

3 فما التوى في ل : إلى الثوى ، وهو الهلال .

ومنها : [من مجزوء الرمل]

صوت

إنّمـا زينـبُ هَمِّـي بأبـي تلـك وأُمّـي
بأبـي زينبُ لا أكْـ ـنـي ولكنّـي أُسَمّي
بأبي زينبُ مِـنْ قا ضٍ قَضَى عمداً بظُلْمي
بأبـي مَنْ ليس لـي في قلبـه قيـراطُ رُحْمِ[1]

غنّاه يونس رملاً بالبنصر عن عمرو ، وله فيه لحنٌ آخر .

ومنها : [من السريع]

صوت

يـا زينبُ الحسناءُ يا زينبُ يـا أكـرمَ النّاسِ إذا تُنْسَبُ
تَقِيكِ نفسي حادثاتِ الرَّدى والأُمُّ تَفْدِيـك معـاً والأبُ
هَلْ لكِ في وُدّ امرىءٍ صادق لا يَمْـذُق الـوُدَّ ولا يَكْذِبُ
لا يبتغـي في وُدّه مَحْرَمـاً هيهاتَ منكِ العمـلُ الأَرْيَبُ

غنّاه يونس ثاني ثقيلٍ بالسّبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق .

ومنها : [من الطويل]

صوت

فليتَ الذي يلحَى على زينبَ المُنَى تَعَلَّقَـهُ ممّـا لَقِيـتُ عَشيرُ[2]
فحَسْبي لـه بالعُشْرِ ممّـا لَقِيتُه وذلك فيمـا قـد تَـراه يسيرُ

غنّاه يونس ثاني ثقيل بالوسطى في مجراها عن الهشاميّ .

هذه سبعة أصوات قد مضتْ وهي المعروفة بالزيانب . ومن الناس من يجعلها ثمانية ، ويزيد فيها لحن يونس في :

تَصابَيْتَ أم هاجتْ لك الشوقَ زينبُ

1 رحم : مصدر رحم كالرحمة .
2 العشير : العشر .

وليس هذا منها ؛ وإن كان ليونس لحنُه ، فإنّ شِعره لِحُجَيَّةَ بن المُضرَّب الكِنديّ ، وقد كُتب في موضع آخر ؛ وإنّما الزيانب في شعر ابن رُهَيمة . ومنهم من يَعُدّها تسعةً ويُضيف إليها : [من مجزوء الكامل]

قُـولاَ لزينبَ لـو رأيــ ـتِ تَشَوُّقي لكِ واشترافي

وهذا اللحن لحَكَم . والشعر لمحمد بن أبي العبّاس السفَّاح في زينب بنت سليمان بن عليّ ، وقد كُتِب في موضع آخر .

انقضت أخبار يونس الكاتب .

[60] ـ أخبار ابن رُهيمة

[شبب بزينب بنت عكرمة فأمر هشام بضربه فتوارى]

أخبرني محمد بن جعفر النحويّ قال حدّثنا أحمد بن القاسم قال حدّثني أبو هفَّان عن إسحاق قال : كان ابن رهيمة يُشبِّب بزينب بنت عكرمة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، ويغنّي يونس بشعره ، فافتضحت بذلك . فاستعدى عليه أخوها هشام بن عبد الملك ، فأَمَر بضربه خمسمائة سوط ، وأن يُباح دمُه إنْ وُجِد قد عاد لذكرها ، وأن يُفعل ذلك بكلٍّ مَنْ غنَّى في شيءٍ من شعره . فهرب هو ويونس فلم يُقدَر عليهما . فلمّا وَلِي الوليد بن يزيد ظَهَرا . وقال ابن رُهيمة : [من المتقارب]

لئـن كنتَ أطردتَنـي ظالماً ... لقد كَشَفَ اللهُ مـا أَرْهَبُ
ولو نِلْتَ مِنِّـيَ مـا تشتهي ... لَقَـلَّ إذا رَضِيـتْ زينبُ
وما شئتَ فاصنَعْه بي بعد ذا ... فحُبِّـي لزينبَ لا يذهبُ

وفي الأصوات المعروفة بالزيانب يقول أَبان بن عبد الحميد اللاَّحِقيّ : [من مجزوء الوافر]

أحِـبُّ مـن الغِناء خَفِيـ ... ـفَه إنْ فاتنـي الهَزَجُ
وأَشْنأُ «ضوءَ برقٍ» مثـ ... ـلَ ما أَشْنا «عَفا مُزُجُ»
وأبْغِضُ «يوم تنأى» و«الزَّ ... يانـبُ» كلُّهـا سُمُجُ
ويُعْجِبُنـي لإبراهـ ... ـيمَ والأوتـارُ تَخْتَلِجُ
«أدِيـرُ مُدامَـةً صِرْفـاً ... كـأنَّ صبيبَهـا وَدَجُ»

يعني أَبانٌ لحنَ إبراهيم . والشعر لأَبان أيضاً ، وهو : [من مجزوء الكامل]

صوت

أُدِيـرُ مدامـةً صِرْفـاً ... كأَنَّ صَبِيبَهـا وَدَجُ
فظَـلَّ تخالُـه مَلِكـاً ... يُصَرِّفُهـا ويَمتـزِجُ

الشعر لأَبانٍ ، والغِناء لإبراهيم ثاني ثقيلٍ بالخِنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق ، وفيه لابن جامع ثاني ثقيلٍ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق أيضاً .

وممّا في غناء يونس من المائة المختارة المذكورة في هذا الكتاب : [من الطويل]

صوت
من المائة المختارة

أَلا يــا لَقَوْمــي لِلرُّقــادِ المُسَهَّــدِ وللماء ممنوعاً مِنَ الحائمِ الصَّدي
وللحالِ بعدَ الحالِ يركَبُها الفتى وللحُــبِّ بعــد السَّلْــوة المُتَمَرِّدِ

الشعر لإسماعيل بن يسار النسائي من قصيدة مدحَ بها عبد الملك بن مروان ؛ وذكر يحيى بن عليّ عن أبيه عن إسحاق : أنَّها للغول بن عبد الله بن صَيفيّ الطَّائيّ . والصحيح أنَّها لإسماعيل . وأنا أذكُر خبره مع عبد الملك بن مروان ومدحَه إيّاه بها ليُعلَم صحّة ذلك . والغناء ليونس ، ولحنه المختار من القَدْر الأوسط من الثقيل الأوّل مطلق في مجرى البنصر ، وتمام هذه الأبيات : [من الطويل]

ولِلمَرء لا عَمّنْ يُحِبُّ بِمُرْعَوٍ ولا لِسبيلِ الرُّشْدِ يوماً بمُهتدي[1]
وقــد قــال أقوامٌ وهم يعذُلونه لقد طالَ تعذيبُ الفؤادِ المُصَيَّدِ

---

1 الشطر الأول في ل : ولا المرء عمّا قد يحب بمرعوٍ .

[61] ـ أخبار إسماعيل بن يَسار ونسبه

[كان منقطعاً إلى آل الزبير ثم اتّصل بعبد الملك بن مروان]

حدّثني عمّي قال حدّثني أحمد بن أبي خَيْثَمة قال حدّثنا مُصعب بن عبد الله الزُّبيريّ قال : كان إسماعيل بن يَسارٍ النِّسائيّ مولى بني تَيْمِ بن مُرّة : تيم قريش ، وكان منقطعاً إلى آل الزبير . فلمّا أفضتِ الخلافةُ إلى عبد الملك بن مروان ، وَفَد إليه مع عُروة بن الزُّبير ، ومدحه ومدحَ الخلفاء من ولده بعده . وعاش عمراً طويلاً إلى أن أدرك آخر سُلطان بني أميّة ، ولم يُدرِك الدولة العبّاسية . وكان طَيِّباً مليحاً مُندِراً بَطّالاً ، مليح الشِّعر ، وكان كالمنقطع إلى عُروةَ بن الزُّبير .

[سبب تلقيبه بالنسائيّ]

وإنّما سُمِّي إسماعيل بن يَسار النِّسائيّ[1] ، لأنّ أباه كان يصنع طعام العُرس ويبيعه ، فيشتريه منه مَن أراد التعريس من المتجمِّلين وممّن لم تبلُغ حالُه اصطناع ذلك .

وأخبرني الأسديّ قال حدّثنا أبو الحسن محمد بن صالح بن النطّاح قال : إنّما سُمِّي إسماعيل بن يسار النسائيّ لأنّه كان يبيع النَّجْدَ والفُرُش التي تُتَّخذُ للعرائس ؛ فقيل له إسماعيل بن يَسارٍ النسائيّ .

وأخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثنا الخليلُ بن أَسَدٍ عن ابن عائشة : أنّ إسماعيل بن يسار النسائيّ إنّما لُقِّب بذلك لأنّ أباه كان يكون عنده طعامُ العُرُسات مُصْلَحاً أبداً ؛ فمَن طَرَقَه وجده عنده مُعَدّاً .

[نادرة له مع عروة بن الزبير أثناء سفرهما للشام]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا أحمد بن يحيى ثعلب قال حدّثني الزبير بن بكّار قال قال مُصعب بن عثمان : لمّا خرج عُروة بن الزُّبير إلى الشام يريد الوليد بن عبد الملك ، أخرج معه إسماعيل بن يسار النسائيّ ، وكان منقطعاً إلى آل الزُّبير ، فعادله . فقال عروة ليلةً من الليالي لبعض غلمانه : انظر كيف ترى المَحمِل ؟ قال : أراه معتدلاً . قال إسماعيل : الله أكبر ، ما اعتدل الحَقُّ والباطل قبل الليلة قطُّ ؛ فضحك عروة ، وكان

1 نسبة إلى النساء .

يستخفّ إسماعيل ويستطيبه .

[تساب هو وآخر يكنى أبا قيس في اسميهما]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن سعيد قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني عمّي عن أيُّوب بن عَباية المخزوميّ : أنّ إسماعيل بن يسار كان ينزل في موضع يقال له حُدَيلة وكان له جلساء يتحدّثون عنده ، ففقدهم أيّاماً ، وسأل عنهم فقيل : هم عند رجل يتحدّثون إليه طيّبِ الحديث حُلْوٍ ظريف قدِم عليهم يسمَّى محمداً ويُكنى أبا قيس . فجاء إسماعيل فوقف عليهم ، فسمِع الرجل القومَ يقولون : قد جاء صديقنا إسماعيل بن يسار ؛ فأقبل عليه فقال له : أنت إسماعيل ؟ قال نعم . قال : رحِم الله أبويك فإنّهما سَمَّياك باسم صادق الوعد وأنت أكذب الناس . فقال له إسماعيل : ما اسمك ؟ قال : محمد . قال : أبو مَنْ ؟ قال : أبو قيس . قال : لا ! ولكن لا رحم الله أبويك ؛ فإنّهما سَمّياك باسم نبيٍّ وكَنَّياك بكُنْيةِ قِرْد . فأفْحِم الرجل وضحِك القوم ، ولم يَعُدْ إلى مجالستهم ، فعادوا إلى مجالسة إسماعيل .

[استأذن على الغمر بن يزيد فحجبه ساعة فدخل يبكي لحجبه وادّعى نيته نفاقاً]

أخبرني الحسن بن علي قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز قال حدّثنا المدائنيّ عن نُمير العُذْريّ قال : استأذن إسماعيل بن يسار النسائيّ على الغمر بن يزيد بن عبد الملك يوماً ، فحَجَبه ساعةً ثم أذِن له ، فدخل يبكي . فقال له الغمر : مالكَ يا أبا فائد تبكي ؟ قال : وكيف لا أبكي وأنا على مَرْوانيّتي ومَرْوانيّة أبي أُحْجَبُ عنك ؟ فجعل الغَمر يعتذر إليه وهو يبكي ؛ فما سكت حتى وصله الغمر بجملة لها قَدْر . وخرج من عنده ، فلَحِقه رجلٌ فقال له : أخبرني ويلك يا إسماعيل ، أيّ مَروانيّة كانت لك أو لأبيك ؟ قال : بُغْضُنا إيّاهم ، امرأتُه طالقٌ إن لم يكن يلعن مروان وآلَه كلَّ يوم مكان التسبيح ، وإن لم يكن أبوه حضره الموت ، فقيل له : قُلْ لا إله إلاّ الله ، فقال : لَعَن الله مروان ، تَقَرُّباً بذلك إلى الله تعالى وإبدالاً له من التوحيد وإقامة له مُقامَه .

[شعره الذي يفخر فيه بالعجم على العرب]

أخبرني عمّي قال حدّثني أبو أيُّوب المدينيّ قال حدّثني مُصعَب قال : قال إسماعيل بن يسار النسائيّ قصيدته التي أوّلها : [من الخفيف]

مـا على رسمِ منزلٍ بالجَنابِ لـو أبانَ الغداةَ رَجْـعَ الجوابِ[1]

---

1 الجناب : الغناء ولعلّه هنا اسم موضع بعينه .

غَيَّرَتْهُ الصَّبا وكلُّ مُلِثٌّ دائِمِ الوَدْقِ مُكْفَهِرِّ السَّحابِ
دارَ هندٍ وهل زماني بهندٍ عائدٌ بالهوى وصَفْوِ الجَنابِ
كالذي كان والصفاءُ مصونٌ لم تَشُبْهُ بهجْرةٍ واجتنابِ
ذاك منها إذ أنتَ كالغُصْنِ غَضٌّ وهي رُؤْدٌ كدُمْيةِ المِحْرابِ
غادةٌ تَسْتَبي العقولَ بعَذْبٍ طَيِّبِ الطعمِ باردِ الأنيابِ
وأثيثٍ من فوق لونٍ نَقيٍّ كبياضِ اللُّجَيْنِ في الزِّرْيابِ[1]
فأَقِلَّ المَلامَ فيها وأَقْصِرْ لَجَّ قلبي من لوعةٍ واكتئابِ
صاحِ أبصرتَ أو سمِعتَ براعٍ رَدَّ في الضَّرْعِ ما قَرى في العِلابِ[2]
انقضتْ شِرَّتي وأقصَر جهلي واستراحتْ عَواذِلي من عِتابي

وقال فيها يفخر على العرب بالعجم : [من الخفيف]

رُبَّ خالٍ مُتَوَّجٍ لي وعَمٍّ ماجدٍ مُجْتَدًى كريمِ النِّصابِ
إنّما سُمِّي الفَوارِسُ بالفُرْ سِ مُضاهاةَ رِفْعةِ الأنسابِ
فاتْرُكي الفخرَ يا أُمامَ علينا واتركي الجَوْرَ وانْطِقي بالصَّوابِ
واسألي إن جَهِلْتِ عنَّا وعنكم كيف كنّا في سالف الأحقابِ
إذ نُرَبِّي بَناتِنا وتَدُسُّو نَ سَفاهاً بناتِكم في التُّرابِ

فقال رجل من آل كَثير بن الصَّلت : إنّ حاجتنا إلى بناتنا غير حاجتكم ؛ فأفحمه . يريد : أنّ العجم يربُّون بناتِهم لِيَنْكِحوهنّ ، والعرب لا تفعل ذلك . وفي هذه الأبيات غناءٌ ، نسبتُه : [من الخفيف]

صوت

صاحِ أبصرتَ أو سمعتَ براعٍ ردّ في الضَّرْعِ ما قَرى في العِلابِ
انقضتْ شِرَّتي وأَقْصَرَ جهلي واستراحتْ عواذلي من عِتابي

الشعر لإسماعيل بن يسار النسائيّ ، والغناء لمالك خفيف ثقيلٍ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى . وذكر عمرو بن بانة في نسخته الأولى أنّ فيه للغريض خفيفَ ثقيلٍ بالبنصر ، وذكر

---

1 الزرياب : الذهب أو ماؤه .

2 قرى : جَمَعَ . والعلاب : جمع علبه وهي إناء كالقدح الكبير يحلب فيه .

في نسخته الثانية أنّ لابن سريج . وذكر الهِشاميّ أنّ لحن ابن سريج رملٌ بالوسطى ، وأنّ لحن الغريض ثقيلٌ أوّل .

[كان شعوبيّاً شديد التعصّب للعجم]

وحدّثني بهذا الخبر عمّي قال حدّثنا أحمد بن أبي خَيثمة عن مُصعب قال : إسماعيل بن يسار يُكنى أبا فائد ، وكان أخواه محمد وإبراهيم شاعرين أيضاً ، وهم من سَبْي فارس . وكان إسماعيل شُعُوبيّاً شديد التعصُّب للعجم ، وله شعرٌ كثير يفخَر فيه بالأعاجم . قال : فأنشد يوماً في مجلس فيه أشعب قوله : [من الخفيف]

إذ نُرَبِّـــي بناتِنـــا وتَدُسُّو ... نُ سَفاهاً بناتِكم في التُّرابِ

فقال له أشعبُ : صدقتَ والله يا أبا فائد ، أراد القوم بناتِهم لغير ما أردتموهنّ له . قال : وما ذاك ؟ قال : دَفَن القومُ بناتهم خوفاً من العار ، وربَّـيْتُموهنّ لتنكحوهنّ . قال : فضحِك القومُ حتى استغربوا ، وخَجِل إسماعيل حتّى لو قَدَر أن يَسِيخَ في الأرض لَفَعل .

[رماه عبد الصمد في البركة بثيابه بإيعاز من الوليد بن يزيد]

أخبرني الجوهريّ قال حدّثنا عُمَر بن شبَّة قال أخبرني أبو سلمة الغفاريّ قال أخبرنا أبو عاصم الأسلميّ قال : بينا ابن يَسارٍ النسائيّ مع الوليد بن يزيد جالسٌ على بركة ، إذ أشار الوليد إلى مولًى له يقال له عبد الصمد ، فدفع ابن يسار النسائيّ في البركة بثيابه ؛ فأمَر به الوليد فأُخْرِج . فقال ابن يسار : [من الرمل]

قُــلْ لِوالي العَهْــدِ إنْ لاقَيْتَه ... ووَلِيِّ العهــدِ أولَــى بالرَّشَدْ
إنّــه واللهِ لَــولا أنــتَ لم ... يَنْجُ منّي سالماً عبدُ الصَّمَدْ
إنّــه قــد رام منّــي خُطَّــةً ... لم يَرُمْهــا قبلَــه منّــي أحدْ
فهــو ممّــا رامَ منّــي كالذي ... يَقْنِصُ الدُّرّاجَ من خِيسِ الأَسَدْ[1]

فبعث إليه الوليد بخِلعةٍ سَنِيةٍ وصِلةٍ وترضّاه . وقد رُوي هذا الخبر لسعيد بن عبد الرحمن بن حسّان بن ثابت في قصّة أُخرى ، وذُكِر هذا الشعر له فيه .

[استنشد أحد ولد جعفر بن أبي طالب الأحوص قصيدة]

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حمّاد قرأت على أبي : حدّثني مصعب بن عبد الله قال سمعتُ إبراهيم بن أبي عبد الله يقول : رَكِب فلانٌ من ولد جعفر بن أبي طالب رحمه الله

1 المثل رقم 4724 في مجمع الميداني «يطلب الدراج في حبس الأسد» ، وحبس تحريف عن خيس وهو غابة الأسد أو مكانه . وهناك مثل آخر قريب منه وهو «كمبتغي الصيد في عريسة الأسد» (انظر المثل رقم 3115 في مجمع الميداني وص 363 في فصل المقال) .

بإسماعيل بن يسار النسائيّ حتى أتى به قُباءَ ؛ فاستخرج الأحوصَ فقال له : أَنْشِدني قولك : [من المنسرح]

ما ضَرَّ جيرانَنا إذ انتجعوا لو أَنَّهم قبل بَيْنِهم رَبَعُوا

فأنشده القصيدة . فأُعجِبَ بها ، ثم انصرف . فقال له إسماعيل بن يسار : أما جئتَ إلاّ لِما أرى ؟ قال لا . قال : فاسمع ، فأنشده قصيدته التي يقول فيها : [من الكامل]

ما ضَرّ أهلَكِ لو تَطَوّف عاشقٌ بِفناء بيتِكِ أو أَلَمَّ فسلَّما

فقال : والله لو كنتُ سمعتُ هذه القصيدة أو علمتُ أنّك قلتَها لَمَا أتيتُه . وفي أبياتٍ من هذا الشعر غناءٌ نسبتَهُ : [من الكامل]

صوت

يا هندُ رُدّي الوصلَ أن يَتَصَرَّما وصِلي آمرءاً كَلِفاً بحبِّك مُغْرَما
لو تبذُلين لنا دَلالكِ مَرّةً لم نَبْغِ منكِ سوى دَلالكِ مَحْرَما
مَنَع الزيارةَ أنَّ أهْلَكِ كلَّهم أبدَوْا لِزَوْرِك غِلْظةً وتَجَهُّما
ما ضَرَّ أهلَكِ لو تَطَوَّفَ عاشقٌ بفِناء بيتِكِ أو أَلَمَّ فسَلَّما

الشعر لإسماعيل بن يَسار النسائيّ ، والغناء لابن مِسْجَحٍ خفيف ثقيلٍ أوّلَ بالسبّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه لإبراهيم المَوصِلِيّ رملٌ بالبنصر عن حَبَش .

[سمع زبان السوّاق شعره فبكى]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال حدّثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال : أنشد رجلٌ زَبّان السوّاق قول إسماعيل بن يَسار : [من الكامل]

ما ضَرَّ أهلَكِ لو تَطَوَّفَ عاشقٌ بفناء بيتِكِ أو أَلَمَّ فسَلَّما

فبكى زبّان ، ثم قال : لا شيء والله إلاّ الضَّجَر وسوء الخلق وضيق الصدر ، وجعل يبكي ويمسَح عينيه .

[شعره الذي تشاجر بسببه أبو المعافى مع زبان السوّاق]

أخبرني محمد بن جعفر الصَّيْدلانيّ النحويّ صِهْر المُبَرِّد قال حدّثني طلحةُ بن عبد الله بن إسحاق الطَّلْحيّ قال حدّثني الزُّبير بن بكّار قال حدّثني جعفر بن الحسين المهلّبيّ قال : أنشدتُ زبّان السَّوّاق قول إسماعيل بن يَسار النِّسائيّ : [من الخفيف]

صوت

إنّ جُمْلاً وإنْ تَبيَّنْتُ منها ... نَكَباً عن مَوَدّتي وازْوِرارا[1]
شَرَّدتْ بادِّكارها النَّوْمَ عنّي ... وأُطيرَ العَـزاءُ منّي فطارا
مـا على أهلها ولم تأتِ سُوءًا ... أن تُحَيّا تَحِيَّةً أو تُزارا
يـوم أَبْدَوْا ليَ التَّجَهُّمَ فيها ... وحَمَوْها لَجاجةً وضِرارا

فقال زبّان : لا شيء وأبيهم إلاّ اللَّحَز[2] وقلّة المعرفة وضِيق العَطَن[3] . فصاح عليه أبو المُعافى وقال : فعلى مَنْ ذاك ويلَك ! أعليك أو على أبيك أو أُمِّك ؟ فقال له زبّان : إنّما أُتيتَ يا أبا المُعافَى من نفسك ، لو كنتَ تفعل هذا ما اختلفتَ أنت وابنُك . فوثب إليه أبو المُعافى يرميه بالتُّراب ويقول له : ويحَك يا سفيه ؛ تُحسن الدِّياثَةَ ! وزبّان يسعى هرباً منه .

الغناء في هذه الأبيات لابن مِسْجَح خفيف ثقيلٍ بالوسطى عن ابن المكيّ وحمّاد ، وذكر الهشاميّ وحَبَشٌ أنّه لابن مُحرِز ، وأنّ لحن ابن مِسْجَح ثاني ثقيل .

[طلبه الوليد بن يزيد من الحجاز فحضر وأنشده]

أخبرني إسماعيل بن يونس الشِّيعيّ قال حدّثنا عُمَر بن شبّة قال حدّثني إسحاق المَوْصِليّ قال : غُنِّي الوليد بن يزيد في شِعْرٍ لإسماعيل بن يسار ، وهو : [من السريع]

حتّى إذا الصبحُ بـدا ضوؤُه ... وغـارتِ الجـوزاءُ والمِرزَمُ
خرجـتُ والوَطْءُ خَفِـيٌّ كما ... ينسابُ مِـن مَكْمَنِـه الأرقَمُ

فقال : مَن يقول هذا ؟ قالوا : رجلٌ من أهل الحجاز يقال له إسماعيل بن يسار النسائيّ ؛ فكتب في إشخاصه إليه . فلمّا دخل عليه استنشده القصيدةَ التي هذان البيتان منها ؛ فأنشده : [من السريع]

كَلْثَمُ أنتِ الهَمُّ يـا كلثمُ ... وأنتُم دائـي الـذي أَكْتُمُ
أُكاتِـمُ الناسَ هـوًى شَفَّني ... وبعضُ كِتمـانِ الهـوى أحزمُ
قـد لُمْتِني ظلمـاً بـلا ظِنَّةٍ ... وأنـتِ فيمـا بيننـا ألـوَمُ
أَبْدي الذي تُخْفِينـه ظاهـراً ... أرتـدُّ عنـه فيـكِ أو أُقـدِمُ

---

1 وإن في ل : خلي .
2 اللحز : الشح والبخل .
3 ضيق العطن : ضيق الصدر .

إمّا بيأسٍ منك أو مَطْمَعٍ يُسْدَى بحسنِ الودِّ أو يُلْحَمُ
لا تَترُكِيني هكذا مَيِّتاً لا أُمْنَحُ الوُدَّ ولا أصْرَمُ
أَوْفي بما قُلتِ ولا تَنْدَمِي إنّ الوَفِيَّ القولِ لا يَنْدَمُ
آيةُ ما جئتُ على رِقْبةٍ بعد الكَرى والحيُّ قد نَوَّمُوا
أُخافِتُ المَشْيَ حِذارَ العِدا والليلُ داجٍ حالكٌ مظلمُ
ودونَ ما حاولتُ إذ زرتُكم أخوكِ والخالُ معاً والعَمُ
وليس إلاّ اللهَ لي صاحبٌ إليكُم والصارمُ اللَّهْذَمُ
حتّى دخلتُ البيتَ فاستذرفتْ من شَفَقٍ عيناكِ لي تَسْجُمُ
ثم انجلَى الحزنُ وروْعاتُه وغُيِّبَ الكاشحُ والمُبْرِمُ
فبِتُّ فيما شئتُ من نَعْمةٍ يَمْنَحُنيها نحرُها والفَمُ[1]
حتّى إذا الصبحُ بَدا ضوؤُه وغارتِ الجوزاءُ والمِرْزَمُ
خرجتُ والوطءُ خفيٌّ كما ينسابُ من مَكْمَنِه الأَرْقَمُ

قال : فطرِبَ الوليد حتّى نزل عن فَرْشه وسريره ، وأَمَر المغنِّين فغَنَّوه الصوتَ وشَرِب عليه أقداحاً ، وأَمَر لإسماعيل بِكُسوةٍ وجائزة سنيّة ، وسرّحه إلى المدينة .

نسبة هذا الصوت

الشعر لإسماعيل بن يَسار النسائيّ . والغناءُ لابن سُرَيج رَمَلٌ .

[سمع شيخ قينة تغنّي بشعره فألقى بنفسه في الفرات إعجاباً به]

حدّثنا أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثنا عُمَر بن شبّة قال حدّثنا إسحاق الموصليّ قال حدّثنا محمد بن كُناسة قال : اصطحبَ شيخٌ وشبابٌ في سفينة من الكوفة ؛ فقال بعضُ الشباب للشيخ : إنّ معنا قَيْنةً لنا ، ونحن نُجِلُّك ونُحِبُّ أن نسمَع غناءها . قال : اللهُ المستعان ؛ فأنا أرقى على الأطلال وشأنَكم . فغنَّتْ : [من السريع]

حتّى إذا الصبحُ بَدا ضوؤُه وغارتِ الجوزاءُ والمرزمُ
أقبلتُ والوطءُ خفيٌّ كما ينسابُ مِن مكمنِه الأَرقمُ

قال : فألقى الشيخ بنفسه في الفُرات ، وجعل يخبِط بيديه ويقول : أنا الأرقم ! أنا

---

1 النعمة : (بفتح النون) المسرّة والفرح .

الأرقم ! فأدركوه وقد كاد يغرَق ؛ فقالوا : ما صنعت بنفسك ؟ فقال : إنّي واللهِ أعلمُ من معاني الشعر ما لا تعلمون .

[مدح عبد الله بن أنس فلم يكرمه فهجاه]

أخبرني الحسن بن عليّ الخَفَّاف قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويَه قال حدّثني أبو مُسْلِم المُستَمْليّ عن المدائنيّ قال : مدح إسماعيل بن يسار النسائيّ رجلاً من أهل المدينة يقال له عبدُ الله بن أَنَس ، وكان قد اتّصل ببني مَروان وأصاب منهم خيراً ، وكان إسماعيل صديقاً له ؛ فرحل إلى دمشق إليه ، فأنشده مديحاً له ومتَّ إليه بالجِوار والصداقة ؛ فلم يُعطِه شيئاً . فقال يهجوه[1] : [من الوافر]

لَعَمْرُكَ ما إلى حَسَنٍ رَحَلْنا ولا زُرْنا حُسَيْناً يا ابنَ أَنْسِ

(يعني الحسنَ والحسين رضي الله عنهما)

ولا عبداً لعبدهُما فنَحْظى بِحُسْنِ الحَظِّ منهم غيرَ بَخْسِ
ولكن ضَبَّ جَنْدَلَةٍ أتينا مُضِبّاً في مَكامِنِه يُفَسِّي
فلمّا أنْ أتيناه وقُلْنا بحاجتنا تلوَّن لَوْنَ وَرْسِ
وأعرضَ غيرَ مُنْبَلِجٍ لِعُرْفٍ وظَلَّ مُقَرْطِباً ضِرْساً بضِرْسِ
فقلتُ لأهله أبِه كُزازٌ وقلتُ لصاحبي أتُراه يُمْسي
فكان الغُنْمُ أن قُمْنا جميعاً مخافَةَ أن نُزَنَّ بقتلِ نَفْسِ

[رثاؤه لمحمد بن عروة]

حدّثني عمِّي قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثنا مُصعب بن عبد الله قال : وَفَد عروة بن الزُّبير إلى الوليد بن عبد الملك وأخرج معه إسماعيل بن يسار النِّسائيّ ، فمات في تلك الوفادة محمد بن عروة بن الزُّبير ، وكان مُطَّلِعاً على دوابِّ الوليد بن عبد الملك ، فسقَط من فوق السطح بينها ، فجعلتْ تَرمَحه حتى قطّعته ، وكان جميلَ الوجه جواداً . فقال إسماعيل بن يسار يرثيه : [من الكامل]

صلَّى الإلهُ على فَتىً فارقتُه بالشأم في جَدَثِ الطَّوِيّ المُلْحَدِ[2]

---

1 ورد بعض هذه الأبيات برواية مختلفة في عيون الأخبار 3 : 154 منسوبة للحارث الكندي .
2 الطوي : (هنا) القبر المعرش بالحجارة والآجر . وألحد القبر : جعل له لحداً .

بوّأتُـه بيـديَّ دارَ إقامـةٍ نائـي المَحلّـة عن مَـزارِ العُوَّدِ
وغبَرتُ أعْوِلُـه وقـد أسلمتُـه لِصَفا الأماعِزِ والصَّفِيحِ المُسْنَدِ[1]
مُتَخَشِّعاً للدهـر ألبَسُ حُلَّـةً في النائبـاتِ بحَسْرةٍ وتَجَلُّدِ
أعني ابنَ عُـرْوةَ إنّه قد هَدّني فَقْـدُ ابنِ عُـرْوةَ هَدّةً لم تَقْصِدِ
فإذا ذهبتُ إلى العَـزاء أرُومُه لِيَرى المُكاشِحُ بالعـزاء تَجَلُّدي
مَنَـع التَّعَـزِّيَ أنَّني لِفراقِـه لَبِس العَـدُوُّ علَيّ جِلْدَ الأرْبَدِ[2]
ونأى الصديقُ فـلا صديقَ أعُدُّه لدِفاع نائبـةِ الزمـانِ المُفْسِدِ
فلئـن تركتُـكَ يـا محمدُ ثاوياً لَبِمَا تروحُ مـع الكرامِ وتغتدي
كان الذي يَـزَع العـدوَّ بدفعـه ويردّ نَخْوةَ ذي المِراحِ الأصْيَدِ
فمضـى لوجهتـه وكلُّ مُعَمَّـرٍ يومـاً سيُدْرِكُـه حِمـامُ الموعدِ

[دخل على عبد الملك بن مروان بعد قتل ابن الزبير ومدحه فأكرمه]

حدّثني عمّي قال حدّثني أحمد بن أبي خَيثمة قال حدّثنا مُصعَب بن عبد الله عن أبيه : أنّ إسماعيل بن يَسار دخل على عبد الملك بن مَروان لمّا أفضى إليه الأمر بعد مقتل عبد الله بن الزُّبير ، فسلّم ووقف موقف المُنْشِد واستأذَنَ في الإنشاد . فقال له عبد الملك : الآن يا ابن يسار ! إنّما أنت امرؤ زبيريٌّ ، فبأيّ لسان تُنشِد ؟ فقال له : يا أمير المؤمنين ، أنا أصغر شأناً من ذلك ، وقد صفحتَ عنْ من هو أعظمُ جُرْماً وأكثرُ غَناءٍ لأعدائك منّي ، وإنّما أنا شاعر مُضحِك . فتبسّم عبد الملك ؛ وأومأ إليه الوليد بأن يُنشد . فابتدأ فأنشد قوله : [من الطويل]

ألا يـا لَقَوْمـي لِلرُّقـاد المُسَهَّدِ وللماء ممنوعاً من الحائم الصَّدِي
ولِلحالِ بعد الحال يركبها الفتى ولِلحُـبِّ بعـد السَّلْـوة المُتَمَرِّدِ
ولِلمرء يُلْحَى في التصابي وقبلَه صَبا بالغواني كُلُّ قَـرْمٍ مُمَجَّدِ
وكيف تَناسي القَلْبِ سَلْمى وحُبُّها كَجمْرِ غَضًى بين الشَّراسيف مُوقَدِ

حتى انتهى إلى قوله :

---

1 الأماعز : جمع أمعز وهو المكان الصلب الكثير الحصى ، والأرض معزاء .
2 الأربد هنا : الأسد .

إليكَ إمامَ النّاسِ من بطنِ يَثْرِبٍ ونِعْـمَ أخو ذي الحاجـةِ المُتَعَمِّدِ
رَحَلْنا لأنّ الجودَ منـك خليقةٌ وأنّـك لم يَذْمُمْ جنابَـك مُجْتَدِي
ملكتَ فزِدتَ النّاسَ ما لم يَزِدْهُم إمـامٌ مـن المعروفِ غيرِ المُصَرَّدِ[1]
وقُمْتَ فلم تنقُض قضاءَ خليفةٍ ولكن بما ساروا من الفعل تقتدي
ولمّا وَلِيتَ المُلْكَ ضاربتَ دونـه وأسندتـه لا تأتـلي خيرَ مُسْنَدِ[2]
جعلتَ هِشامـاً والوليـدَ ذخيرةً ولِـيَّينِ للعهـدِ الوثيـقِ المؤكَّدِ

قال : فنظر إليهما عبدُ الملك متبسِّماً ، والتفت إلى سليمان فقال : أخرجك إسماعيل من هذا الأمر . فقَطَب سليمانُ ونظر إلى إسماعيل نظر مُغْضَب . فقال إسماعيل : يا أمير المؤمنين ، إنّما وَزْنُ الشعر أخرجه من البيت الأوّل ، وقد قلتُ بعده : [من الطويل]

وأمضيتَ عزماً في سليمانَ راشداً ومَـنْ يعتصمْ بالله مثلَـك يَرْشُدِ

فأمر له بألفيْ درهمٍ صلةً ، وزاد في عطائه ، وفرض له ، وقال لولده : أَعْطُوه ؛ فأَعطَوْه ثلاثة آلاف درهم .

[استنشده هشام بن عبد الملك فافتخر فرمى به في بركة ماء ونفاه إلى الحجاز]

أخبرني عمِّي قال حدّثنا أحمد بن أبي خيثمة قال ذكر ابن النَّطَّاح عن أبي اليقظان : أنّ إسماعيل بن يسار دخل على هِشام بن عبد الملك في خِلافته وهو بالرُّصافة جالسٌ على بركةٍ له في قصره ، فاستنشده وهو يرى أنّه يُنْشِده مديحاً له ؛ فأنشده قصيدته التي يفتخر فيها بالعجم : [من البسيط]

يا رَبْعَ رامـةَ بالعَلْياء من رِيمِ هل تَرْجِعَنّ إذا حَيَّيْتُ تسليمي[3]
ما بالُ حَيٍّ غدتْ بُزْلُ المَطِيِّ بهم تَخْـدِي لغربتهـم سَيْراً بتقحيمِ
كأنَّني يوم ساروا شاربٌ سلَبتْ فؤادَه قهـوةٌ مـن خَمْرِ دارُومِ[4]

حتى انتهى إلى قوله : [من البسيط]

إنِّي وجَدِّك ما عُودي بذي خَوَرٍ عند الحِفاظِ ولا حَوْضي بمهدومِ

1 غير مصرد : غير قليل .
2 وأسندته في ل : وساندته .
3 رامة : اسم هضبة أو جبل . ورِئم : واد قرب المدينة .
4 داروم : قلعة بعد غزّة في الطريق إلى مصر .

أُصْلي كريمٌ ومجدي لا يُقاس به ... ولي لسانٌ كحَدِّ السَّيْف مسمومِ
أَحْمِي به مجدَ أقوامٍ ذوي حَسَبٍ ... من كلِّ قَـرْمٍ بتاجِ المُلْكِ معمومِ
جَحاجِـحٍ سادةٍ بُلْـجٍ مَرازِبـةٍ ... جُـرْدٍ عِتـاقٍ مَسامِيحٍ مَطاعِيمِ
مَنْ مثلُ كِسْرى وسابورِ الجنودِ معاً ... والهُرْمُـزانِ لفخـرٍ أو لتعظيمِ
أُسْدُ الكتائبِ يوم الرَّوْع إن زَحَفُوا ... وهمْ أذلُّـوا ملوكَ التُّركِ والرُّومِ
يمشُون في حَلَق المـاذِيِّ سابغةً ... مَشْيَ الضَّراغِمـةِ الأُسْدِ اللَّهاميمِ
هناك إنْ تسألي تُنْبَيْ بـأنّ لنـا ... جُرْثومـةً قَهَرتْ عِـزَّ الجراثيمِ

قال : فغضِب هشامٌ وقال له : يا عـاضَّ بَظْرِ أمّه ! أعليّ تفخَر وإيَّايَ تُنْشِد قصيدةً تمدح بهـا نفسك وأعلاجَ قومك ؟ غُطُّوه في المـاء ، فغَطُّوه في البركـة حتى كادت نفسه تخرُج ، ثم أمر بإخراجه وهو بشَرٍّ ونفاه من وقتِه ، فأُخرِج عن الرُّصافة منفِيّاً إلى الحجاز . قال : وكان مبتلًى بالعصبيّة للعجم والفخر بهم ، فكان لا يزال مضروباً محروماً مطروداً .

[مدح الوليد والغمر ابنَيْ يزيد فأكرماه]

أخبرني عمِّي قال حدّثني أحمد بن أبي خيثمة قال قال ابن النطَّاح وحدّثني أبو اليقظان : أنّ إسماعيل بن يَسار وَفَد إلى الوليد بن يزيد ، وقد أسنّ وضعُف ، فتوسَّل إليه بأخيه الغَمر ومَدحه بقوله : [من الطويل]

نأتْـكَ سُلَيْمى فالهَوى مُتَشاجِرُ ... وفي نَـأْيِهـا للقلـبِ داءٌ مُخامِرُ
نأتْك وهام القلبُ ، نأياً بذكرها ... ولَـجّ كما لـجّ الخليـعُ المُقامِرُ[1]
بواضحةِ الأَقرابِ خَفّاقـةِ الحَشا ... بَرَهْرَهـةٍ لا يَجْتَوِيهـا المُعاشِرُ[2]

يقول فيها يمدح الغَمْرَ بن يزيد :

إذا عَـدَّد الناسُ المكـارمَ والعُلا ... فلا يَفْخَرَنْ يوماً على الغَمْرِ فاخرُ
فما مرَّ من يومٍ على الدهرِ واحدٍ ... على الغَمْرِ إلاّ وهو في الناسِ غامِرُ
تراهم خشوعاً حين يبدو مهابةً ... كما خَشَعَتْ يوماً لكِسْرى الأَساوِرُ

---

1 نأياً في ل : جهلاً .
2 الأقراب : جمع قرب وهي الخاصرة . برهرهة : المرأة البيضاء الشابة الناعمة .

أَغَـــرُّ بِطاحِـيٌّ كأنّ جبينَـه إذا ما بـدا بدرٌ إذا لاح باهرُ
وَقَى عِرْضَه بالمــالِ فالمالُ جُنَّـةٌ له وأهانَ المــالَ والعِرْضُ وافرُ
وفي سَيْبِـه للمجتديـن عِمــارةٌ وفي سَيْفِـه للدِّين عِـزٌّ وناصِرُ
نَماه إلى فَرْعَيْ لُـؤَيٍّ بن غالبٍ أبوه أبو العاصي وحَرْبٌ وعامِرُ
وخمسةُ آبـاءٍ لـه قـد تتابعـوا خلائـفُ عَـدْلٍ مُلْكُهُمْ مُتواتِرُ
بَهالِيلُ سَبّاقون في كلِّ غايـةٍ إذا استبقتْ في المَكْرُماتِ المَعاشِرُ
همُ خيرُ مَنْ بين الحَجُون إلى الصَّفا إلى حيثُ أفضتْ بالبِطاح الحَزاوِرُ[1]
وهمْ جمعوا هذا الأنامَ على الهُدى وقـد فرّقتْ بـين الأنامِ البصائرُ

قال : فأعطاه الغَمر ثلاثة آلاف درهم وأخذ له من أخيه الوليد ثلاثة[2] آلاف درهم .

أخبرني عمّي قال حدّثنا أحمد بن أبي خَيثمة عن مُصعب قال : لمّا مات محمد بن يسار ، وكانت وفاته قبل أخيه ، دخل إسماعيل على هشام بن عروة ، فجلس عنده وحدّثه بمصيبته ووفاة أخيه ، ثم أنشده يرثيه : [من الكامل]

عِيلَ العَـزاءُ وخانـني صَبْري لَمّـا نَعَـى الناعـي أبـا بَكْرِ
ورأيتُ رَيْبَ الدَّهْـرِ أفردني منـه وأسْلَم للعِـدا ظهري
من طَيِّبِ الأثـوابِ مُقْتَبِلٍ حُلْوِ الشمائـلِ ماجـدٍ غَمْرِ
فمضـى لوِجْهتـه وأدركـه قَـدَرٌ أُتِيـحَ لـه مـن القَدْرِ
وغَبَرتُ مـالي مـن تَذَكُّرِه إلاّ الأَسَى وحـرارةُ الصدرِ[3]
وجَـوًى يُعاوِدُني وقَـلَّ لـه منّي الجوى ومَحاسِنُ الذِّكْرِ
لَمّـا هوتْ أيدي الرِّجالِ بـه في قَعْـرِ ذات جَوانـبٍ غُبْرِ
وعلمـتُ أنّي لـن أُلاقِيَـه في الناسِ حتّـى ملتقَى الحَشْرِ
كادتْ لِفُرْقتـه ومـا ظلمتْ نَفْسي تموتُ على شَفا القبرِ
ولَعمْرُ مَـنْ حُبِس الهَدِيُّ له بالأَخْشَبَيْنِ صَبِيحـةَ النَّحْرِ[4]

1 الحزاور : جمع حزورة وهي الرابية الصغيرة .
2 ل : خمسة .
3 غبر هنا : مكث وبقي .
4 الأخشبان : جبلان .

لـو كان نيـلُ الخُلْدِ يُدركه ... بَشَرٌ بطِيـبِ الخيـمِ والنَّجْرِ
لَغَبَرْتَ لا تخشى المَنُونَ ولا ... أَوْدى بنفسك حادثُ الدَّهرِ
ولِنعْـمَ مـأوى المُرْمِلِـينَ إذا ... قُحِطوا وأَخلفَ صائبُ القَطْرِ
كم قلتُ آونةً وقـد ذَرَفتْ ... عيني فمـاءُ شؤونها يجري
أَنّى وأيُّ فتًـى يكـون لنا ... شَرْواكَ عنـد تَفاقُـمِ الأَمرِ
لِدفاع خَصْمٍ ذي مُشاغَبَةٍ ... ولِعائـلٍ تَـرِبٍ أخـي فَقْرِ
ولقد علمتُ وإنّ ضمنتُ جوًى ... ممّـا أُجِـنّ كَواهِجِ الجَمْرِ
مـا لامرىءٍ دون المنيَّةِ مِنْ ... نَفَـقٍ فيُحْـرِزُه ولا سِتْرِ

قال : وكان بحضرة هشام رجلٌ من آل الزُّبير ، فقال له : أحسنتَ وأسرفتَ في القول ، فلو قلتَ هذا في رجلٍ من ساداتِ قريش لكان كثيراً . فزجره هشام وقال : بئس والله ما واجهتَ به جليسَك ؛ فشكره إسماعيل ، وجزاه خيراً . فلمّا انصرف تناولَ هشامٌ الرجلَ الزُّبيريّ وقال : ما أردتَ إلى رجلٍ شاعر مَلَك قولَه فصرَف أحسنَه إلى أخيه ! ما زدتَ على أن أغريته بعِرْضِك وأعراضِنا لولا أنّي تَلافيتُه . وكان محمد بن يَسار أخو إسماعيل هذا الذي رثاه شاعراً من طبقة أخيه ؛ وله أشعار كثيرة . ولم أَجِد له خبراً فأذكُرَه ، ولكن له أشعار كثيرة يغنّى فيها . منها قوله في قصيدة طويلة : [من الهزج]

صوت

غَشِيتُ الدارَ بالسَّنَدِ ... دُوَيْنَ الشِّعْبِ من أُحُدِ
عَفَتْ بعدي وغيَّرها ... تَقادُمُ سالِفِ الأَبَدِ

الغناء لِحَكَم الواديّ خفيفُ ثقيلٍ عن الهشاميّ .

ولإسماعيل بن يسار ابنٌ يقال له إبراهيم ، شاعرٌ أيضاً ، وهو القائل : [من المتقارب]

مضى الجهلُ عنكَ إلى طِيَّتِهْ ... وآبَكَ حِلْمُـك مـن غَيْبَتِهْ
وأصبحتَ تَعْجَـبُ ممّـا رأيـ ... ـتَ من نَقْضِ دَهْرٍ ومن مِرَّتِهْ

وهي طويلة يفتخر فيها بالعجم كَرِهتُ الإطالةَ بذكرها .

انقضت أخباره .

صوت[1]

[من الطويل]

كُلَيْبٌ لَعَمْرِي كان أكثَرَ ناصراً وأَيْسَرَ جُرْماً منكَ ضُرِّجَ بالدَّمِ
رَمَى ضَرْعَ نابٍ فاستمرّ بطعنةٍ كحاشية البُرْدِ اليَمانيِّ المُنَمِمِ[2]

عروضه من الطويل ، الشعر للنابغة الجعديّ . والغناء للهذليّ في اللحن المختار ، وطريقته من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق . ونذكر هاهنا سائر ما يغنّى به في هذه الأبيات وغيرها من هذه القصيدة ونَنْسُبه إلى صانعه ، ثم نأتي بعده بما يتبعه من أخباره . فمنها على الوِلاء سوى لَحن الهُذَليّ[3] : [من الطويل]

كُلَيْبٌ لَعَمْرِي كان أكثَرَ ناصراً وأيسَر جُرْماً منكَ ضُرِّجَ بالدَّمِ
رمى ضَرْعَ نابٍ فاستمرّ بطعنةٍ كحاشيةِ البُرْد اليمانيّ المسهَّمِ
أيا دارَ سَلْمَى بالحَرُوريّةِ اسْلَمي إلى جانبِ الصَّمّان فالمُتَثَلَّمِ[4]
أقامتْ به البَرْدَيْن ثم تَذكّرتْ منازلَها بين الدَّخُولِ فَجُرْثُمِ
ومسكنَها بين الغُروب إلى اللِّوى إلى شُعَبٍ ترعَى بِهِنّ فَعَيْهَمِ
ليالِيَ تَصطادُ الرجالَ بفاحمٍ وأبيضَ كالإغريضِ لَم يتَثَلَّمِ

في البيت الأوّل والثاني لابن سريج ثقيلٌ أوّلُ آخرُ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق ويونس . وفيهما لمالكٍ خفيفُ ثقيل بإطلاقِ الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق . وللغَريض في الثالث والرابع والأوّل والثاني ثقيلٌ أوّل بالسبّابة في مجرى الوسطى . ولإسحاق في الثالث والأوّل ثقيل أوّل بالوسطى ، ذكر ذلك أبو العَنْبَس والهِشاميّ . وللغَريض في الرابع ثم الأوّل خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى في رواية عمرو بن بانة . ولمعبدٍ فيهما وفي الخامس والسادس خفيف ثقيل من رواية أحمد بن المكيّ . ولابن سريج في الخامس والسادس ثقيل أوّل بالبنصر من رواية عليّ بن يحيى المنجّم ، وذكر غيره أنّه للغريض . ولإبراهيم فيه ثقيلٌ أوّل بالوسطى عن الهشاميّ ، وذكر حَبَشٌ أنّه لمعبد . ولابن مُحرِزٍ في

1 ديوان النابغة الجعدي .
2 المنمم في الديوان : المسهّم .
3 ديوان النابغة الجعدي : 137–147 .
4 الصمان والمتثلم والدّخول وجرثم والغروب وعيهم : كلّها مواضع .

الأوّل والثاني والثالث والرابع هَزَجَ ، ذكر ذلك أبو العَنْبَس ، وذكر قُمْرِيّ أنّه لأبي عيسى بن المتوكّل لا يشكّ فيه . وللدّلال في الخامس والسادس ثاني ثقيلٍ عن الهشاميّ ، وذكر أبو العَنْبَس أنّه للهُذَليّ . ولعبيد الله بن عبد الله بن طاهر في الرابع خفيف رَمَلٍ . ولإسحاق في الثالث والرابع أيضاً ماخُوريّ ، ولمعبد خفيف ثقيلٍ أوّل بالوسطى فيهما ، وقيل : إنّه لحنه الذي ذكرنا متقدّماً ، وإنّه ليس في هذا الشعر غيره . وذكر حبشٌ أنّ في هذه الأبيات التي أوّلها : «كليبٌ لعمري» خفيف رملٍ بالوسطى ، وللهُذليّ خفيف ثقيلٍ بالبنصر ، وللدّلال رملٌ ؛ فذلك ثمانية عَشَرَ صوتاً[1] . وأخبرني محمد بن إبراهيم قريص أنّ له فيهما (أعني الأوّل والثاني) خفيفاً بالوسطى .

* * * *

1 ل : لحناً .

الفهرس